مرکز القائمیة اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

شرح نهج البلاغة

تأليف

كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني

المتوفى ٦٧٩هـ

المجلد الثالث

منشورات
دار الثقلين
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحیم

شرح نهج البلاغه (ابن ميثم)

كاتب:

كمال الدين ميثم بن على بن ميثم ابن ميثم بحرانى

نشرت فى الطباعهٔ:

دار الثقلين

رقمى الناشر:

مركز القائميهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوتريهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۳ ----- ۴۲

اشاره ----- ۴۲

تتمه باب الخطب ----- ۴۳

اشاره ----- ۴۳

۹۶-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۴۳

اشاره ----- ۴۳

اللغه ----- ۴۴

المعنی ----- ۴۴

فقوله:نحمده.إلی قوله:فی الأبدان . ----- ۴۴

و قوله:و لا تنافسوا.إلی قوله:إلی فناء . ----- ۴۵

و قوله:أ و لیس لکم فی آثار الأوّلین.إلی قوله:لا یبقون . ----- ۴۶

۹۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۴۷

اشاره ----- ۴۷

اللغه ----- ۴۷

المعنی ----- ۴۷

اشاره ----- ۴۷

فقوله:الحمد للّه.إلی قوله:حقوقه . ----- ۴۸

و قوله:فلا تطمعوا فی غیر مقبل . ----- ۴۹

و قوله:و لا تیأسوا من مدبر.إلی قوله:تثبتا جمیعا . ----- ۴۹

و قوله:ألا إنّ مثل آل محمّد.إلی قوله:طلع نجم . ----- ۴۹

و قوله:فکأنّکم.إلی آخر . ----- ۵۰

۹۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۰

اشاره ----- ۵۰

اللغه -- ۵۱
المعنی -- ۵۲
اشاره -- ۵۲
و قوله:بأولیّته وجب أن لا أوّل له . -- ۵۲
و قوله:لکأنّی أنظر إلی ضلیل قد نعق بالشام . -- ۵۲
و قوله:عقدت رایات الفتن المعضله . -- ۵۳
و قوله:و عن قلیل تلتفّ القرون بالقرون.إلی آخره . -- ۵۳
۹۹-و من خطبه له علیه التسلام -- ۵۴
اشاره -- ۵۴
القسم الأول -- ۵۴
اشاره -- ۵۴
اللغه -- ۵۴
المعنی -- ۵۴
اشاره -- ۵۴
و قوله:و رجفت بهم الأرض . -- ۵۴
و قوله:فأحسنهم حالاً من وجد لقدمیه موضعا و لنفسه متّسعا . -- ۵۴
القسم الثانی -- ۵۶
اشاره -- ۵۶
اللغه -- ۵۶
المعنی -- ۵۶
اشاره -- ۵۶
و قوله:و سیبتلی أهلک بالموت الأحمر و الجوع الأغبر . --- ۵۷
۱۰۰-و من خطبه له علیه التسلام -- ۵۹
القسم الأول -- ۵۹
اشاره -- ۵۹
اللغه -- ۵۹

المعنی ----- ۵۹
القسم الثانی ----- ۶۰
اشاره ----- ۶۰
المعنی ----- ۶۱
القسم الثالث ----- ۶۱
اشاره ----- ۶۱
اللغه ----- ۶۲
المعنی ----- ۶۲
۱۰۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۳
اشاره ----- ۶۳
اللغه ----- ۶۳
المعنی ----- ۶۳
۱۰۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۶۴
اشاره ----- ۶۴
اللغه ----- ۶۶
المعنی ----- ۶۶
و قوله:حتّی بعث محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلم.إلی قوله:من بعده . ----- ۶۶
و قوله:فما احلولت لکم الدنیا فی لذّاتها.إلی قوله:من بعده. ----- ۶۷
و قوله:و صادفتموها.إلی قوله:غیر موجود . ----- ۶۷
قوله:و صادفتموها و اللّه.إلی قوله:معدودا. ----- ۶۸
و قوله:ألا إنّ لکلّ دم ثائرا.إلی قوله:من هرب. ----- ۶۸
و قوله:فإنّ النازل بهذا المنزل . ----- ۶۹
و قوله:ینقل الردی علی ظهره من موضع . ----- ۷۰
و قوله:لرأی یحدثه بعد رأی یرید أن یلصق ما لا یلتصق . ----- ۷۰
و قوله:من قبل أن تشغلوا بأنفسکم . ----- ۷۱
۱۰۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۷۱

القسم الأول ---------- ۷۱
اشاره ---------- ۷۱
اللغه ---------- ۷۲
المعنى ---------- ۷۲
اشاره ---------- ۷۲
مدح الإسلام بأوصاف أسندها إلى مفيضه و شارعه سبحانه ---------- ۷۲
أحدها: ---------- ۷۲
الثاني: ---------- ۷۲
الثالث: ---------- ۷۳
الرابع: ---------- ۷۳
الخامس: ---------- ۷۴
السادس: ---------- ۷۴
السابع: ---------- ۷۴
الثامن: ---------- ۷۴
التاسع: ---------- ۷۴
العاشر: ---------- ۷۴
الحادی عشر: ---------- ۷۵
الثانی عشر: ---------- ۷۵
الثالث عشر: ---------- ۷۵
الرابع عشر: ---------- ۷۶
الخامس عشر: ---------- ۷۶
السادس عشر: ---------- ۷۶
السابع عشر: ---------- ۷۶
الثامن عشر: ---------- ۷۶
التاسع عشر: ---------- ۷۶
العشرون: ---------- ۷۶

الحادی و العشرون: ---- ۷۷

الثانی و العشرون: ---- ۷۷

الثالث و العشرون: ---- ۷۸

الرابع و العشرون: ---- ۷۸

الخامس و العشرون: ---- ۷۸

القسم الثانی منها فی ذکر النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلم: ---- ۷۸

اشاره ---- ۷۸

اللغه ---- ۷۹

المعنی ---- ۷۹

فقوله:حتّی أوری.إلی قوله:لحابس . ---- ۷۹

و قوله:فهو أمینک المأمون . ---- ۷۹

و قوله:و اجزه مضاعفات الخیر من فضلک . ---- ۷۹

و قوله:اللّهمّ أعل علی بناء البانین بنائه . ---- ۸۱

القسم الثالث و منها فی خطاب أصحابه: ---- ۸۱

اشاره ---- ۸۱

المعنی ---- ۸۱

۱۰۴-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۸۳

اشاره ---- ۸۳

اللغه ---- ۸۳

المعنی ---- ۸۳

۱۰۵-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۸۴

اشاره ---- ۸۴

القسم الأول ---- ۸۴

اشاره ---- ۸۴

أقول:حمد اللّه تعالی باعتبارات خمسه : ---- ۸۴

أحدها: ---- ۸۴

الثانی: ۸۴
الثالث: ۸۵
الرابع: ۸۵
الخامس: ۸۵
القسم الثانی منها فی ذکر النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم: ۸۵
اشاره ۸۵
اللغه ۸۵
و فی الفصل استعارات : ۸۵
الاولی: ۸۵
الثانیه: ۸۶
الثالثه: ۸۷
الرابعه: ۸۷
الخامسه: ۸۷
السادسه: ۸۷
القسم الثالث و منها ۸۷
اشاره ۸۷
اللغه ۸۹
المعنی ۸۹
فقوله:طبیب دوّار بطبّه. ۸۹
و قوله:متّبع. ۸۹
و قوله:فهم فی ذلک ۸۹
و قوله:قد انجابت السرائر لأهل البصائر . ۹۱
و قوله:و وضحت محجّه الحقّ لخابطها . ۹۱
و قوله:و أسفرت الساعه عن وجهها : ۹۱
و قوله:و ظهرت العلامه لمتوسّمها : ۹۱
و قوله:ما لی أراکم أشباحا بلا أرواح . ۹۱

و قوله:و أرواحا بلا أشباح . ---------- ۹۲
قوله:و نشاکا بلا صلاح . ---------- ۹۳
و قوله:و تجّارا بلا أرباح . ---------- ۹۳
و قوله:و أيقاظا نوّما . ---------- ۹۳
و قوله:و شهودا غيّبا : ---------- ۹۳
و قوله:و ناظره عمياء . ---------- ۹۴
و قوله:و سامعه صمّاء : ---------- ۹۵
و قوله:و ناطقه بکماء : ---------- ۹۵
و قوله:رايه ضلالهرأيت ضلاله خ . ---------- ۹۵
و قوله:قائدها خارج عن الملّه : ---------- ۹۵
و قوله:فلا يبقى يومئذ منکم إلاّ ثفاله کثفاله القدر . ---------- ۹۵
و قوله:و لکلّ أجل کتاب و لکلّ غيبه إياب. ---------- ۹۷
و قوله:و ليجمع شمله ---------- ۹۸
و قوله:و لقد فلق لکم الأمر فلق الخرزه: ---------- ۹۸
و قوله:فعند ذلک. ---------- ۹۸
و قوله:و عظمت الطاغيه ---------- ۹۸
و قوله:وصال الدهر صيال السبع العقور ---------- ۹۹
و قوله:و تواخى الناس على الفجور: ---------- ۱۰۰
و قوله:فإذا کان ذلک کان الولد غيظا: ---------- ۱۰۰
و قوله:و المطر قيظا. ---------- ۱۰۰
و قوله:و کان أهل ذلک الزمان.إلى قوله:أمواتا. ---------- ۱۰۰
۱۰۶-و من خطبه له عليه السّلام ---------- ۱۰۲
الفصل الأول ---------- ۱۰۲
اشاره ---------- ۱۰۲
اللغه ---------- ۱۰۳
و فيه اعتبارات ثبوتيّه و سلبيّه: ---------- ۱۰۳

اشاره ----- ۱۰۳

الأوّل:خشوع كلّ شیء له ----- ۱۰۳

الثانی:قیام كلّ شیء به ----- ۱۰۴

الثالث: ----- ۱۰۴

الرابع: ----- ۱۰۵

الخامس: ----- ۱۰۵

السادس: ----- ۱۰۵

السابع: ----- ۱۰۶

الثامن: ----- ۱۰۶

التاسع: ----- ۱۰۶

العاشر: ----- ۱۰۶

الحادی عشر من الاعتبارات السلبیّه: ----- ۱۰۶

الثانی عشر: ----- ۱۰۸

الثالث عشر: ----- ۱۰۸

الرابع عشر: ----- ۱۰۸

الخامس عشر: ----- ۱۰۸

السادس عشر: ----- ۱۰۸

السابع عشر: ----- ۱۰۸

الثامن عشر: ----- ۱۱۰

التاسع عشر: ----- ۱۱۰

العشرون: ----- ۱۱۰

الحادی و العشرون: ----- ۱۱۰

الثانی و العشرون: ----- ۱۱۰

الثالث و العشرون: ----- ۱۱۲

الرابع و العشرون: ----- ۱۱۲

الخامس و العشرون: ----- ۱۱۲

السادس و العشرون: ---- ۱۱۲
و قوله:سبحانک ما أعظم ما نری من خلقک.إلی آخره . ---- ۱۱۲
منها: ---- ۱۱۴
اشاره ---- ۱۱۴
اللغه ---- ۱۱۴
المعنی ---- ۱۱۴
اشاره ---- ۱۱۴
فذکر الملائکه السماویه،و أشار إلی أفضلیّتهم بأوصاف : ---- ۱۱۴
الأوّل:کونهم أعلم خلق اللّه به ---- ۱۱۴
الثانی:کونهم أخوف له ---- ۱۱۵
الثالث:کونهم أقرب منه ---- ۱۱۵
الرابع من سلب النقصانات البشریّه عنهم ---- ۱۱۵
و قوله:و إنّهم علی مکانتهممکانهم خمنک.إلی آخره. ---- ۱۱۵
الفصل الثانی ---- ۱۱۷
اشاره ---- ۱۱۷
اللغه ---- ۱۱۹
و فی هذا الفصل نکت : ---- ۱۱۹
الاولی:أنّ خالقا و معبودا حالان انتصبا عمّا فی سبحانک من معنی الفعل: ---- ۱۱۹
الثانیه: ---- ۱۱۹
الثالثه: ---- ۱۲۰
الرابعه ---- ۱۲۲
الخامسه: ---- ۱۲۲
السادسه: ---- ۱۲۴
الفصل الثالث: ---- ۱۲۵
اشاره ---- ۱۲۵
اللغه ---- ۱۲۵

المعنی -- ۱۲۶
اشاره -- ۱۲۶
و الّذی یحتمل أن یقال فی ذلک وجوه: --- ۱۲۶
أحدها -- ۱۲۶
الثانی: -- ۱۲۶
الثالث: -- ۱۲۶
الرابع: -- ۱۲۸
الفصل الرابع و منها فی ذکر النبی صلی اللّه علیه و آله و سلم: --- ۱۳۰
اشاره -- ۱۳۰
اللغه -- ۱۳۰
المعنی -- ۱۳۰
۱۰۷-و من خطبه له علیه السّلام -- ۱۳۱
اشاره -- ۱۳۱
اللغه -- ۱۳۲
و قد أشار علیه السّلام فی هذا الفصل إلی أنّ أفضل الوسائل الموصله إلی اللّه سبحانه -- ۱۳۲
اشاره -- ۱۳۲
ثمّ له لواحق و کمالات: -- ۱۳۲
اشاره -- ۱۳۲
أحدها:التصدیق برسوله -- ۱۳۳
الثانی:الجهاد فی سبیله -- ۱۳۳
الثالث: -- ۱۳۳
الرابع: -- ۱۳۳
الخامس: -- ۱۳۶
السادس: -- ۱۳۸
السابع: -- ۱۳۸
الثامن: -- ۱۳۹

التاسع: ۱۳۹
العاشر: ۱۳۹
الحادی عشر: ۱۴۰
ما یؤکّد الإیمان فی القلوب ۱۴۰
۱۰۸-و من خطبته له علیه السّلام ۱۴۲
اشاره ۱۴۲
اللغه ۱۴۴
و اعلم أنّ مدار هذا الفصل علی التحذیر من الدنیا و التنفیر عنها بذکر معایبها، ۱۴۵
اشاره ۱۴۵
فالأولی: ۱۴۵
الثانیه: ۱۴۵
الثالثه: ۱۴۵
الرابعه: ۱۴۵
الخامسه: ۱۴۷
السادسه: ۱۴۷
السابعه: ۱۴۷
الثامنه: ۱۴۷
التاسعه: ۱۴۸
العاشره: ۱۴۸
الحادی عشر: ۱۴۸
الثانیه عشر: ۱۴۹
۱۰۹-و من خطبه له علیه السّلام ۱۴۹
اشاره ۱۴۹
المعنی ۱۵۰
۱۱۰-و من خطبه له علیه السّلام ۱۵۲
اشاره ۱۵۲

اللغه ----- ۱۵۴
و فی هذا الفصل نکت : ----- ۱۵۴
فالاولی:التحذیر من الدنیا و الاستدراج إلی ترکها بذکر معایبها ----- ۱۵۴
الثانیه:التأدیب بأوامر: ----- ۱۵۴
الثالثه:شرح حال الزاهدین فی الدنیا ----- ۱۵۴
الرابعه:تعنیف السامعین علی ما هم علیه من الأحوال المضرّه فی الآخره ----- ۱۵۵
۱۱۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۵۵
اشاره ----- ۱۵۵
اللغه ----- ۱۵۸
و فی الخطبه لطائف: ----- ۱۵۸
الاولی:أنّه صدّر الخطبه بحمد اللّه تعالی باعتبارین : ----- ۱۵۸
أحدهما:وصله حمد حامدیه بإفاضه نعمه علیهم ----- ۱۵۸
الثانی:وصله النعم الّتی یفیضها علی عباده ----- ۱۵۸
الثانیه:أنّه نبّه بتسویته بین حمده علی النعماء و حمده علی البلاء ----- ۱۵۸
الثالثه:نبّه علی وجوب استعانته تعالی علی النفوس ----- ۱۵۹
الرابعه:نبّه علی وجوب طلب المغفره من اللّه لکلّ ذنب صغیر أو کبیر ----- ۱۵۹
الخامسه:إنّما خصّ إیمان من عاین الغیوب و وقف علی الموعود ----- ۱۵۹
السادسه:کون الشهادتین تصعدان القول و ترفعان العمل ----- ۱۵۹
السابعه:أراد بکون تقوی اللّه هی الزاد ----- ۱۵۹
الثامنه:أراد بأسمع داع ----- ۱۵۹
التاسعه:وصف ما یستلزم تقوی اللّه من الآثار فی أولیاء اللّه ----- ۱۶۰
العاشره.ذکر مذامّ الدنیا إجمالا ----- ۱۶۰
الحادیه عشر:نسب الغرور إلی سرورها و الظماء إلی ریّها و الضحی إلی فیئها، ----- ۱۶۰
الثانیه عشر:قوله:أنّه لیس شیء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه.إلی قوله:سماعه. ----- ۱۶۱
الثالثه عشر:نبّه بالنهی عن ترجیح طلب الرزق علی الاشتغال بفرائض اللّه، ----- ۱۶۲
الرابعه عشر:نبّه علی وجوب المحافظه علی العمر بالعمل فیه للآخره ----- ۱۶۳

الخامسه عشر:أنّه ختم بالآیه اقتباسا من نور القرآن ----- ۱۶۳

۱۱۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۶۳

اشاره ----- ۱۶۳

اللغه ----- ۱۶۵

المعنی ----- ۱۶۵

۱۱۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۶۶

القسم الأول ----- ۱۶۶

اشاره ----- ۱۶۶

اللغه ----- ۱۶۶

المعنی ----- ۱۶۶

القسم الثانی مِنْهَا ----- ۱۶۶

اشاره ----- ۱۶۶

اللغه ----- ۱۶۷

المعنی ----- ۱۶۷

۱۱۴-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۶۹

اشاره ----- ۱۶۹

أقول:مدار هذا الفصل علی التوبیخ بالبخل بالأموال و الأنفس ----- ۱۶۹

۱۱۵-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۰

اشاره ----- ۱۷۰

اللغه ----- ۱۷۰

و قد اشتمل هذا الفصل علی استماله طباع أصحابه إلی مناصحته فی الحرب. ----- ۱۷۰

۱۱۶-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۰

اشاره ----- ۱۷۰

اللغه ----- ۱۷۱

و مدار هذا الفصل علی الدعاء علیهم ----- ۱۷۱

۱۱۷-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۲

اشاره ----- ۱۷۲

المعنی ----- ۱۷۳

۱۱۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۱۷۴

اشاره ----- ۱۷۴

اللغه ----- ۱۷۵

المعنی ----- ۱۷۵

۱۱۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۷۸

اشاره ----- ۱۷۸

اللغه ----- ۱۷۹

المعنی ----- ۱۷۹

۱۲۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۸۰

اشاره ----- ۱۸۰

اللغه ----- ۱۸۱

المعنی ----- ۱۸۱

۱۲۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۸۱

اشاره ----- ۱۸۱

اللغه ----- ۱۸۱

المعنی ----- ۱۸۲

۱۲۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۸۲

اشاره ----- ۱۸۲

اللغه ----- ۱۸۳

المعنی ----- ۱۸۴

۱۲۳-و من کلام له علیه السّلام ----- ۱۸۶

اشاره ----- ۱۸۶

اللغه ----- ۱۸۷

المعنی ----- ۱۸۷

۱۲۴-و من کلام له علیه السّلام ۱۹۰
اشاره ۱۹۰
اللغه ۱۹۱
المعنی ۱۹۱
۱۲۵-و من کلام له علیه السّلام ۱۹۲
اشاره ۱۹۲
اللغه ۱۹۴
المعنی ۱۹۴
۱۲۶-و من کلام له علیه السّلام ۱۹۶
اشاره ۱۹۶
اللغه ۱۹۷
المعنی ۱۹۷
۱۲۷-و من کلام له علیه السّلام ۱۹۸
اشاره ۱۹۸
اللغه ۱۹۹
المعنی ۱۹۹
۱۲۸-و من کلام له علیه السّلام ۲۰۱
اشاره ۲۰۱
اللغه ۲۰۲
المعنی ۲۰۲
و قد نفّر علیه السّلام عن الدنیا بذکر عدّه من معایبها: ۲۰۲
أحدها: ۲۰۲
الثانیه: ۲۰۲
۱۲۹-و من کلام له علیه السّلام ۲۰۵
اشاره ۲۰۵
المعنی ۲۰۵

۱۳۰-و من کلام له علیه السّلام ۲۰۷
اشاره ۲۰۷
اللغه ۲۰۸
المعنی ۲۰۸
۱۳۱-و من کلام له علیه السّلام ۲۰۹
القسم الأول ۲۰۹
اشاره ۲۰۹
المعنی ۲۰۹
القسم الثانی منه: ۲۱۰
اشاره ۲۱۰
اللغه ۲۱۱
المعنی ۲۱۱
۱۳۲-و من خطبه له علیه السّلام ۲۱۲
القسم الأول ۲۱۲
اشاره ۲۱۲
اللغه ۲۱۳
و هذا الفصل یشتمل علی تمجید اللّه سبحانه و إظهار عظمه سلطانه. ۲۱۳
القسم الثانی منها: ۲۱۴
اشاره ۲۱۴
أقول:هذا الفصل کأنّه فی معرض التوبیخ علی ترک أوامر اللّه و مخالفه أحکامه ۲۱۴
القسم الثالث منها: ۲۱۴
اشاره ۲۱۴
اللغه ۲۱۴
و غرض الفصل الثناء علی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم . ۲۱۵
القسم الرابع منها: ۲۱۵
اشاره ۲۱۵

اللغه ----- ۲۱۵
و هذا الفصل مع قلّه ألفاظه يشتمل على لطائف : ----- ۲۱۶
فالاولى: ----- ۲۱۶
الثانيه: ----- ۲۱۶
الثالثه: ----- ۲۱۶
الرابعه: ----- ۲۱۶
القسم الخامس منها ----- ۲۱۸
اشاره ----- ۲۱۸
اللغه ----- ۲۱۸
المعنى ----- ۲۱۸
۱۳۳-و من كلام له عليه السّلام ----- ۲۲۲
اشاره ----- ۲۲۲
اللغه ----- ۲۲۳
المعنى ----- ۲۲۳
۱۳۴-و من كلام له عليه السّلام ----- ۲۲۴
اشاره ----- ۲۲۴
اللغه ----- ۲۲۴
المعنى ----- ۲۲۴
۱۳۵-و من كلام له عليه السّلام ----- ۲۲۵
اشاره ----- ۲۲۵
اللغه ----- ۲۲۵
المعنى ----- ۲۲۵
۱۳۶-و من كلام له عليه السّلام ----- ۲۲۶
اشاره ----- ۲۲۶
القسم الأول ----- ۲۲۶
اشاره ----- ۲۲۶

اللغه ----- ۲۲۶
المعنی ----- ۲۲۷
القسم الثانی منه ----- ۲۲۷
اشاره ----- ۲۲۷
اللغه ----- ۲۲۸
المعنی ----- ۲۲۸
۱۳۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۲۹
اشاره ----- ۲۲۹
القسم الأول ----- ۲۲۹
القسم الثانی منها: ----- ۲۳۰
اشاره ----- ۲۳۰
اللغه ----- ۲۳۰
المعنی ----- ۲۳۰
القسم الثالث منها: ----- ۲۳۳
اشاره ----- ۲۳۳
اللغه ----- ۲۳۳
المعنی ----- ۲۳۳
اشاره ----- ۲۳۳
و فی الفصل ----- ۲۳۳
الاولی: ----- ۲۳۴
الثانیه: ----- ۲۳۴
الثالثه: ----- ۲۳۴
الرابعه: ----- ۲۳۴
الخامسه: ----- ۲۳۴
۱۳۸-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۳۶
اشاره ----- ۲۳۶

المعنی ----- ۲۳۶

۱۳۹-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۳۷

اشاره ----- ۲۳۷

المعنی ----- ۲۳۸

۱۴۰-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۴۱

اشاره ----- ۲۴۱

اللغه ----- ۲۴۱

و هذا الفصل نهی عن التسرّع إلی التصدیق بما یقال فی حقّ مستور الظاهر ----- ۲۴۱

۱۴۱-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۴۲

اشاره ----- ۲۴۲

المعنی ----- ۲۴۲

۱۴۲-و من کلام له علیه السّلام ----- ۲۴۴

اشاره ----- ۲۴۴

اللغه ----- ۲۴۶

المعنی ----- ۲۴۶

۱۴۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۴۸

القسم الأول ----- ۲۴۸

القسم الثانی منها: ----- ۲۵۱

اشاره ----- ۲۵۱

اللغه ----- ۲۵۱

المعنی ----- ۲۵۱

۱۴۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۵۳

القسم الأول ----- ۲۵۳

اشاره ----- ۲۵۳

اللغه ----- ۲۵۳

المعنی ----- ۲۵۳

القسم الثانی منها ---- ۲۵۵
اشاره ---- ۲۵۵
اللغه ---- ۲۵۵
المعنی ---- ۲۵۵
۱۴۵-و من کلام له علیه السّلام ---- ۲۵۶
اشاره ---- ۲۵۶
المعنی ---- ۲۵۶
۱۴۶-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۲۶۰
اشاره ---- ۲۶۰
اللغه ---- ۲۶۲
المعنی ---- ۲۶۲
۱۴۷-و من کلام له علیه السّلام ---- ۲۶۸
اشاره ---- ۲۶۸
اللغه ---- ۲۶۸
المعنی ---- ۲۶۸
۱۴۸-و من کلام له علیه السّلام ---- ۲۷۰
اشاره ---- ۲۷۰
اللغه ---- ۲۷۱
و هذا الفصل محلّ الوعظ و الاعتبار. ---- ۲۷۱
۱۴۹-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۲۷۶
اشاره ---- ۲۷۶
القسم الأول ---- ۲۷۶
اشاره ---- ۲۷۶
اللغه ---- ۲۷۶
المعنی ---- ۲۷۶
القسم الثانی منها ---- ۲۷۸

اشاره ----- ۲۷۸
اللغه ----- ۲۷۹
المعنی ----- ۲۷۹
۱۵۰-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۸۳
القسم الأول ----- ۲۸۳
اشاره ----- ۲۸۳
اللغه ----- ۲۸۴
المعنی ----- ۲۸۵
القسم الثانی منها: ----- ۲۸۹
اشاره ----- ۲۸۹
اللغه ----- ۲۹۰
المعنی ----- ۲۹۰
۱۵۱-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۲۹۱
القسم الأول ----- ۲۹۱
اشاره ----- ۲۹۱
اللغه ----- ۲۹۱
و فی الفصل أبحاث من العلم الإلهیّ: ----- ۲۹۲
الأوّل:الإشاره إلی وجوده تعالی الواجب ----- ۲۹۲
البحث الثانی:فی أزلیّته ----- ۲۹۳
البحث الثالث:أنّه لا مثل له و لا شبیه ----- ۲۹۳
البحث الرابع:أنّ المشاعر لا تستلمه ----- ۲۹۴
البحث الخامس:أنّ السواتر لا تحجبه ----- ۲۹۴
البحث السادس:فی وحدانیّته ----- ۲۹۴
البحث السابع:فی کونه تعالی فی خالقیّته منزّها عن الحرکات و المتاعب، ----- ۲۹۵
البحث الثامن:کونه سمیعا لا بأداه ----- ۲۹۵
البحث التاسع:کونه بصیرا لا بتفریق الآله ----- ۲۹۵

البحث العاشر:کونه تعالی شاهدا ----- ۲۹۵
البحث الحادی عشر:أنّه تعالی مباین للأشیاء لا بتراخی مسافه ----- ۲۹۵
البحث الثانی عشر:أنّه الظاهر لا برؤیه،و الباطن لا بلطافه ----- ۲۹۵
البحث الثالث عشر:کونه بان من الأشیاء بالقهر لها و القدره علیها. ----- ۲۹۷
البحث الرابع عشر:تنزیهه عن الصفات الزائده بالقیاس ----- ۲۹۷
البحث الخامس عشر:تنزیهه أن یسأل عنه بکیف ----- ۲۹۷
البحث السادس عشر:تنزیهه عن السؤال عنه بأین ----- ۲۹۷
البحث السابع عشر:کونه تعالی عالما. ----- ۲۹۷
القسم الثانی منها: ----- ۲۹۹
اشاره ----- ۲۹۹
اللغه ----- ۲۹۹
المعنی ----- ۲۹۹
۱۵۲-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۰۴
القسم الأول ----- ۳۰۴
اشاره ----- ۳۰۴
المعنی ----- ۳۰۴
القسم الثانی منها ----- ۳۰۴
اشاره ----- ۳۰۴
اللغه ----- ۳۰۵
المعنی ----- ۳۰۵
القسم الثالث ----- ۳۰۹
اشاره ----- ۳۰۹
المعنی ----- ۳۰۹
۱۵۳-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۱۲
القسم الأول ----- ۳۱۲
اشاره ----- ۳۱۲

اللغه ----- ۳۱۲

المعنی ----- ۳۱۲

القسم الثانی منها: ----- ۳۱۳

اشاره ----- ۳۱۳

المعنی ----- ۳۱۴

۱۵۴-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۱۷

اشاره ----- ۳۱۷

اللغه ----- ۳۱۹

المعنی ----- ۳۱۹

و قد حمد اللّه تعالی باعتبارات : ----- ۳۱۹

الأوّل:انحسار الأوصاف عن کنه معرفته ----- ۳۱۹

الثانی:ردع عظمته العقول عن بلوغ غایه ملکوته ----- ۳۱۹

الثالث:قوله:هو ----- ۳۱۹

الرابع:تعقیبه لذکر الهویّه باسم اللّه ----- ۳۲۰

الخامس:ذکر الحقّ ----- ۳۲۰

السادس:أنّ العقول لم تبلغه تجدید فیکون مشبّها ----- ۳۲۰

السابع:و کذلک لم تقع الأوهام علیه بتقدیر فیکون ممثّلا. ----- ۳۲۱

الثامن:خلقهخلق خالخلق علی غیر مثال.إلی قوله:معین ----- ۳۲۱

ثمّ شرع فی مقصود الخطبه ----- ۳۲۱

۱۵۵-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۲۳

اشاره ----- ۳۲۳

القسم الأول ----- ۳۲۳

اشاره ----- ۳۲۳

اللغه ----- ۳۲۳

المعنی ----- ۳۲۳

القسم الثانی منها: ----- ۳۲۵

اشاره ----- ۳۲۵
اللغه ----- ۳۲۵
المعنی ----- ۳۲۵
القسم الثالث منها: ----- ۳۲۷
اشاره ----- ۳۲۷
المعنی ----- ۳۲۸
۱۵۶-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۳۱
اشاره ----- ۳۳۱
اللغه ----- ۳۳۳
المعنی ----- ۳۳۳
۱۵۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۳۸
القسم الأول ----- ۳۳۸
اشاره ----- ۳۳۸
اللغه ----- ۳۳۸
و ثمره الفصل التنبیه علی فضیله الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ----- ۳۳۸
القسم الثانی منها: ----- ۳۳۹
اشاره ----- ۳۳۹
اللغه ----- ۳۳۹
و سیاق الکلام الإخبار عن حال بنی امیّه و ما یحدث فی دولتهم من الظلم ----- ۳۳۹
۱۵۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۴۰
اشاره ----- ۳۴۰
المعنی ----- ۳۴۱
۱۵۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۳۴۱
القسم الأول ----- ۳۴۱
اشاره ----- ۳۴۱
المعنی ----- ۳۴۲

القسم الثانى منها: -- ۳۴۳
اشاره -- ۳۴۳
اللغه --- ۳۴۷
المعنى --- ۳۴۷
۱۶۰-و من خطبه له عليه السّلام --- ۳۵۳
اشاره -- ۳۵۳
اللغه --- ۳۵۵
و خلاصه الفصل ذكر ممادح النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.ثمّ الموعظه الحسنه -- ۳۵۵
۱۶۱-و من كلام له عليه السّلام --- ۳۵۷
اشاره -- ۳۵۷
اللغه --- ۳۵۸
المعنى --- ۳۵۸
۱۶۲-و من خطبه له عليه السّلام --- ۳۶۱
القسم الأول -- ۳۶۱
اشاره -- ۳۶۱
اللغه --- ۳۶۲
و قد اشتملت الخطبه من علم التوحيد على مباحث قدّم الحمد للّه تعالى -- ۳۶۲
اشاره -- ۳۶۲
الأوّل:قوله:خالق العباد.إلى قوله:النجاد. -- ۳۶۲
الثانى من الاعتبارات السلبيّه:كونه تعالى لا ابتداء لأوليّته --- ۳۶۳
الثالث:و لا انقضاء لأزليّته -- ۳۶۳
الرابع:خرّت له الجباه و وحدّته الشفاه -- ۳۶۳
الخامس:أنّه لا يشبهه شىء --- ۳۶۳
السادس:أنّه منزّه عن لحوق الزمان --- ۳۶۳
السابع:كونه ظاهرا -- ۳۶۳
الثامن:كونه باطنا --- ۳۶۴

التاسع: ۳۶۵
العاشر:و لا محجوب فيحويه الحجاب. ۳۶۵
الحادى عشر: ۳۶۵
الثانی عشر:کونه بعیدا منها لا بالافتراق ۳۶۵
الثالث عشر:کونه لا یخفی علیه من عباده شخوص لحظه. ۳۶۵
الرابع عشر:کونه قبل کلّ غایه و مدّه و إحصاء و عدّه ۳۶۵
الخامس عشر:تنزّهه و تعالیه عمّا تصفه به المشبّهه و المتّبعون لحکم ۳۶۶
السادس عشر:کون مخلوقاته صادره عنه من غیر اصول ۳۶۷
السابع عشر:کونه لیس لغیره منه امتناع ۳۶۷
الثامن عشر:کونه لا انتفاع له بطاعه شیء ۳۶۷
التاسع عشر:کون علمه تعالی بالأموات الماضین کعلمه بالأحیاء الباقین، ۳۶۷
القسم الثانی منها: ۳۶۷
اشاره ۳۶۷
اللغه ۳۶۹
المعنی ۳۶۹
۱۶۳-و من کلام له علیه السّلام ۳۶۹
اشاره ۳۶۹
اللغه ۳۷۱
و حاصل الکلام استعتابه باللیّن من القول. ۳۷۱
۱۶۴-و من خطبه له علیه السّلام ۳۷۱
اشاره ۳۷۲
القسم الأول ۳۷۲
اشاره ۳۷۲
اللغه ۳۷۶
المعنی ۳۷۷
القسم الثانی منها فی صفه الجنه: ۳۸۱

اشاره ---------- ۳۸۱
اللغه ---------- ۳۸۲
المعنی ---------- ۳۸۲
۱۶۵-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۳۸۳
القسم الأول ---------- ۳۸۳
اشاره ---------- ۳۸۳
اللغه ---------- ۳۸۳
المعنی ---------- ۳۸۴
القسم الثانی و منه ---------- ۳۸۴
اشاره ---------- ۳۸۴
اللغه ---------- ۳۸۵
المعنی ---------- ۳۸۵
۱۶۶-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۳۸۷
اشاره ---------- ۳۸۷
اللغه ---------- ۳۸۷
المعنی ---------- ۳۸۷
۱۶۷-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۳۸۹
اشاره ---------- ۳۸۹
اللغه ---------- ۳۹۰
المعنی ---------- ۳۹۰
۱۶۸-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۳۹۲
اشاره ---------- ۳۹۲
اللغه ---------- ۳۹۳
المعنی ---------- ۳۹۳
۱۶۹-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۳۹۵
اشاره ---------- ۳۹۵

المعنی ---------- ۳۹۵
۱۷۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۳۹۶
اشاره ---------- ۳۹۶
اللغه ---------- ۳۹۷
المعنی ---------- ۳۹۷
۱۷۱-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۳۹۸
القسم الأول ---------- ۳۹۸
اشاره ---------- ۳۹۸
المعنی ---------- ۳۹۸
القسم الثانی منها ---------- ۳۹۸
اشاره ---------- ۳۹۸
المعنی ---------- ۳۹۹
القسم الثالث منها فی ذکر أصحاب الجمل: ---------- ۴۰۰
اشاره ---------- ۴۰۰
اللغه ---------- ۴۰۰
المعنی ---------- ۴۰۰
اشاره ---------- ۴۰۰
الاولی: ---------- ۴۰۰
الثانیه: ---------- ۴۰۱
الثالثه: ---------- ۴۰۱
۱۷۲-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۴۰۸
اشاره ---------- ۴۰۸
المعنی ---------- ۴۰۹
أقول:صدر هذا الفصل من ممادح الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ---------- ۴۰۹
ثمّ أردفه ببیان أحکام : ---------- ۴۰۹
الأوّل:بیان أحکام الّذی هو أحقّ الناس بأمر الخلافه ---------- ۴۰۹

الثانی:فی بیان حکم المشاغب للإمام بعد انعقاد بیعته ---- ۴۱۰
الثالث:بیان کیفیّه انعقاد الإمامه بالإجماع ---- ۴۱۰
الرابع:بیان من یجب قتاله ---- ۴۱۰
۱۷۳-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۴۱۳
اشاره ---- ۴۱۳
اللغه ---- ۴۱۳
المعنی ---- ۴۱۳
۱۷۴-و من خطبه له علیه السلام ---- ۴۱۵
اشاره ---- ۴۱۵
اللغه ---- ۴۱۶
المعنی ---- ۴۱۶
۱۷۵-و من خطبه له علیه السلام ---- ۴۱۸
اشاره ---- ۴۱۸
اللغه ---- ۴۲۲
المعنی ---- ۴۲۲
اشاره ---- ۴۲۲
و قوله:و لا تسئلوا به خلقه. ---- ۴۲۴
و قوله:إنّهفإنّه خما توجّه العباد إلی اللّه بمثله. ---- ۴۲۴
و قوله:فإنّه لا ینادی مناد یوم القیامه.إلی آخره. ---- ۴۲۵
و قوله:و أخرجوا إلی اللّه.إلی قوله:وظائفه. ---- ۴۲۶
و قوله:و إنّی متکلّم بعده اللّه و حجّته. ---- ۴۲۷
و قوله:فإنّ اللسان جموح بصاحبه. ---- ۴۲۸
و قوله:لأنّ المؤمن.إلی قوله:و ما ذا علیه. ---- ۴۲۸
و قوله:فمن استطاع.إلی قوله:فلیفعل. ---- ۴۲۹
و قوله:و اعلموا.إلی قوله:حرّم علیکم ---- ۴۲۹
و قوله:و لکنّ الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه، ---- ۴۳۰

و قوله:و قد جرّبتم الامور و ضرّستموها.إلی قوله:الأمر الواضح. ---------- ۴۳۰

و قوله:من لم ینفعه.إلی قوله:من أمامه. ---------- ۴۳۰

و قوله:من أمامه. ---------- ۴۳۱

و قوله:حتّی یعرف ما أنکر و ینکر ما عرف. ---------- ۴۳۱

و قوله:إنّ اللّه سبحانه لم یعظ أحداً بمثل هذا القرآن. ---------- ۴۳۱

و قوله:مع أنّه قد ذهب المتذکّرون ---------- ۴۳۳

و قوله:و کان من نفسه فی شغل.إلی آخر ما ذکره ثمره العزله. ---------- ۴۳۵

۱۷۶-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۴۳۷

اشاره ---------- ۴۳۷

اللغه ---------- ۴۳۷

المعنی ---------- ۴۳۷

۱۷۷-و من خطبه له علیه السّلام ---------- ۴۳۸

اشاره ---------- ۴۳۸

اللغه ---------- ۴۳۹

المعنی ---------- ۴۳۹

۱۷۸-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۴۴۳

اشاره ---------- ۴۴۳

اللغه ---------- ۴۴۳

و الفصل فصل شریف من التوحید و التنزیه . ---------- ۴۴۳

۱۷۹-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۴۴۵

اشاره ---------- ۴۴۵

اللغه ---------- ۴۴۶

المعنی ---------- ۴۴۶

۱۸۰-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۴۴۹

اشاره ---------- ۴۴۹

اللغه ---------- ۴۴۹

و الفصل مشتمل على السؤال عن ظعنهم و إقامتهم و علّتهما و هما الأمن و الجبن ---- ۴۵۰
۱۸۱-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۴۵۰
اشاره ---- ۴۵۰
القسم الأول ---- ۴۵۱
اشاره ---- ۴۵۱
اللغه ---- ۴۵۳
المعنى ---- ۴۵۴
القسم الثانى منها ---- ۴۶۱
اشاره ---- ۴۶۱
اللغه ---- ۴۶۲
المعنى ---- ۴۶۲
۱۸۲-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۴۶۵
القسم الأول ---- ۴۶۵
اشاره ---- ۴۶۵
اللغه ---- ۴۶۶
المعنى ---- ۴۶۶
القسم الثانى منهافى ذكر القرآن ---- ۴۶۷
اشاره ---- ۴۶۷
اللغه ---- ۴۷۰
المعنى ---- ۴۷۰
۱۸۳-و من كلام له علیه السّلام ---- ۴۷۸
اشاره ---- ۴۷۸
اللغه ---- ۴۷۹
المعنى ---- ۴۷۹
۱۸۴-و من خطبه له علیه السّلام ---- ۴۷۹
اشاره ---- ۴۷۹

المعنی ---------- ۴۸۳
اشاره ---------- ۴۸۳
ثمّ شرع فی ---------- ۴۸۴
اشاره ---------- ۴۸۴
فالاولی:الصواب فی القول ---------- ۴۸۴
الثانیه:و ملبسهم الاقتصاد ---------- ۴۸۴
الثالثه:مشی التواضع ---------- ۴۸۶
الرابعه:غضّ الأبصار عمّا حرّم اللّه ---------- ۴۸۶
الخامسه:و قوفهم أسماعهم علی سماع العلم النافع ---------- ۴۸۶
السادسه:نزول أنفسهم منهم فی البلاء کنزولها فی الرخاء ---------- ۴۸۶
السابعه:غلبه الشوق إلی ثواب اللّه و الخوف من عقابه علی نفوسهم ---------- ۴۸۶
الثامنه:عظم الخالق فی أنفسهم ---------- ۴۸۶
التاسعه:حزن قلوبهم ---------- ۴۸۸
العاشره:کونهم مأمونی الشرّ ---------- ۴۸۸
الحادیه عشر:نحافه أجسادهم ---------- ۴۸۸
الثانیه عشر:خفّه حاجتهم ---------- ۴۸۸
الثالثه عشر:عفّه أنفسهم ---------- ۴۸۸
الرابعه عشر:الصبر علی المکاره أیّام حیاتهم ---------- ۴۸۸
الخامسه عشر: ---------- ۴۹۰
السادسه عشر: ---------- ۴۹۰
السابعه عشر:کونهم صافیّن أقدامهم باللیل یتلون القرآن و یرتّلونه. ---------- ۴۹۰
الثامنه عشر:-من صفات النهار-کونهم حکماء ---------- ۴۹۱
التاسعه عشر:کونهم علماء ---------- ۴۹۱
العشرون:کونهم أبرار ---------- ۴۹۱
الحادیه و العشرون:کونهم أتقیاء ---------- ۴۹۱
الثانیه و العشرون:کونهم لا یرضون القلیل.إلی قوله:الکثیر، ---------- ۴۹۳

علامات المؤمن ----- ۴۹۳
اشاره ----- ۴۹۳
فالأولی:القوّه فی الدین ----- ۴۹۳
الثانیه:الحزم فی الأمور ----- ۴۹۳
الثالثه:الإیمان فی الیقین ----- ۴۹۵
الرابعه: ----- ۴۹۵
الخامسه:مزج العلم و هو فضیله القوّه الملکیّه بالحلم ----- ۴۹۵
السادسه:القصد فی الغنی ----- ۴۹۵
السابعه:الخشوع فی العباده ----- ۴۹۵
الثامنه:التحمّل فی الفاقه ----- ۴۹۵
التاسعه: ----- ۴۹۵
العاشره: ----- ۴۹۶
الحادیه عشر:النشاط فی الهدی ----- ۴۹۶
الثانیه عشر:عمل الصالحات علی وجل ----- ۴۹۷
الثالثه عشر:أن یکون همّهم عند المساء الشکر ----- ۴۹۷
الرابعه عشر:أن یبیت حذرا و یصبح فرحا.إلی قوله:الرحمه ----- ۴۹۷
الخامسه عشر:قوله إن استصعبت.إلی قوله:تحبّ. ----- ۴۹۷
السادسه عشر:أن یری قرّه عینه فیما لا یزول ----- ۴۹۷
السابعه عشر:أن یمزج بالحلم العلم ----- ۴۹۷
الثامنه عشر:قصر أمله و قربه ----- ۴۹۷
التاسعه عشر:قلّه زلله ----- ۴۹۸
العشرون:خشوع قلبه ----- ۴۹۹
الحادیه و العشرون:قناعه نفسه ----- ۴۹۹
الثانیه و العشرون:قلّه أکله ----- ۴۹۹
الثالثه و العشرون:سهوله أمره ----- ۴۹۹
الرابعه و العشرون:حرز دینه ----- ۴۹۹

الخامسه و العشرون:موت شهوته ---------- ۴۹۹

السادسه و العشرون:کظم غیظه ---------- ۴۹۹

السابعه و العشرون:کونه مأمول الخیر ---------- ۴۹۹

الثامنه و العشرون:قوله:إن کان فی الغافلین. ---------- ۵۰۰

التاسعه و العشرون:عفوه عمّن ظلمه ---------- ۵۰۰

الثلاثون:و یعطی من حرمه ---------- ۵۰۰

الحادیه و الثلاثون:و یصل من قطعه ---------- ۵۰۰

الثانیه و الثلاثون:بعد فحشه ---------- ۵۰۰

الثالثه و الثلاثون:لیّنه فی القول ---------- ۵۰۱

الرابعه و الثلاثون:غیبه منکره ---------- ۵۰۱

الخامسه و الثلاثون:إقبال خیره و إدبار شرّه ---------- ۵۰۱

السادسه و الثلاثون: ---------- ۵۰۱

السابعه و الثلاثون:کثره صبره فی المکاره ---------- ۵۰۱

الثامنه و الثلاثون:کثره شکره فی الرخاء ---------- ۵۰۱

التاسعه و الثلاثون:کونه لا یحیف علی من یبغض ---------- ۵۰۱

الأربعون:کونه لا یأثم فیمن یحبّ ---------- ۵۰۲

الحادیه و الأربعون:اعترافه بالحقّ قبل أن یشهدوا علیه ---------- ۵۰۲

الثانیه و الأربعون:کونه لا یضیع أماناته و لا یفرط فیما استحفظه ---------- ۵۰۲

الثالثه و الأربعون:و لا ینسی ما ذکر ---------- ۵۰۲

الرابعه و الأربعون:و لا ینابز بالألقاب ---------- ۵۰۳

الخامسه و الأربعون:و لا یضارّ بالجار ---------- ۵۰۳

السادسه و الأربعون:و لا یشمت بالمصائب ---------- ۵۰۳

السابعه و الأربعون:أنّه لا یدخل الباطل و لا یخرج عن الحقّ ---------- ۵۰۳

الثامنه و الأربعون:کونه لا یغمّه صمته ---------- ۵۰۳

التاسعه و الأربعون:کونه لا یعلو ضحکه ---------- ۵۰۳

الخمسون:صبره فی البغی علیه إلی غایه انتقام اللّه له ---------- ۵۰۳

الحادیه و الخمسون:کون نفسه منه فی عناء ----- ۵۰۴

الثانیه و الخمسون:کون بعده عمّن تباعد عنه لزهده ----- ۵۰۵

۱۸۵-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۰۵

اشاره ----- ۵۰۵

اللغه ----- ۵۰۷

المعنی ----- ۵۰۷

۱۸۶-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۱۱

اشاره ----- ۵۱۱

اللغه ----- ۵۱۳

المعنی ----- ۵۱۳

۱۸۷-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۱۷

اشاره ----- ۵۱۷

اللغه ----- ۵۱۷

المعنی ----- ۵۱۸

۱۸۸-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۱۹

اشاره ----- ۵۱۹

اللغه ----- ۵۲۰

و حاصل الفصل:التنبیه علی فضیلته لغایه قبول قوله فیما یأمرهم به. ----- ۵۲۰

فذکر منها:أنّه لم یردّ علی اللّه و علی رسوله فی وقت قطّ ----- ۵۲۰

و منها:مواساته لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم بنفسه و هو ممّا اختصّ به علیه السّلام، ----- ۵۲۰

و منها حاله عند ما قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ----- ۵۲۱

۱۸۹-و من خطبه له علیه السّلام ----- ۵۲۲

اشاره ----- ۵۲۲

اللغه ----- ۵۲۶

المعنی ----- ۵۲۶

و صدر الفصل تنبیه علی إحاطه علمه بجزئیّات الموجودات علی اختلافها ----- ۵۲۶

ثمّ باعتبارات من صفه ----- ۵۲۷

ثمّ أكّد الوصيّه بطاعه اللّه تعالى بآداب: ----- ۵۲۸

أحدها: ----- ۵۲۸

الثانى:أكّد أمرهم بإبطانهم ----- ۵۲۸

الثالث: ----- ۵۲۸

الرابع: ----- ۵۲۸

الخامس: ----- ۵۳۰

السادس:و جنّه ليوم فزعهم ----- ۵۳۰

السابع: ----- ۵۳۰

الثامن:و كذلک سكنا لطول الوحشه فى القبور تستأنس به النفوس ----- ۵۳۰

التاسع:و كذلک و نفسا لكرب مواطنكم ----- ۵۳۱

العاشر:كونها حرزا من متالف مكتنفه ----- ۵۳۲

الحادى عشر:كون التقوى مستلزمه لبعد الشدائد عن المتّقى بعد دنوّها ----- ۵۳۲

الثانى عشر:كونها مستلزمه لحلاوه الامور بعد مرارتها ----- ۵۳۲

الثالث عشر:و انفراج الأمواج عنه بعد تراكمها ----- ۵۳۲

الرابع عشر:كون لزومها سببا لتسهيل صعاب الأمور على النفس بعد إتعابها ----- ۵۳۲

الخامس عشر:كونه سببا لهطل الكرامه عليهم ----- ۵۳۴

السادس عشر: ----- ۵۳۴

السابع عشر: ----- ۵۳۴

الثامن عشر: ----- ۵۳۴

ثمّ ذكر الإسلام و فضائله مرغّبا فيه ----- ۵۳۴

۱۹۰-و من خطبه له عليه السّلام ----- ۵۴۶

اشاره ----- ۵۴۶

اللغه ----- ۵۴۷

المعنى ----- ۵۴۸

و حاصل الفصل الوصيّه بالمحافظه على امور ثلاثه و الحثّ عليها : ----- ۵۴۸

أوّلها:الصلاه فأمر بتعاهد أمرها و المحافظه عليها ---------- ۵۴۸

الثانیه ممّا أمر بالمحافظه علیه:الزکاه ---------- ۵۴۹

الثالثهممّا أوصی به:أداء الأمانه ---------- ۵۵۰

۱۹۱-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۵۵۳

اشاره ---------- ۵۵۳

اللغه ---------- ۵۵۳

المعنی ---------- ۵۵۳

۱۹۲-و من کلام له علیه السّلام ---------- ۵۵۶

اشاره ---------- ۵۵۶

اللغه ---------- ۵۵۷

المعنی ---------- ۵۵۷

فهرست ما فی هذا الجزء من الخطب و المطالب ---------- ۵۶۱

تعریف مرکز ---------- ۵۶۸

شرح نهج البلاغه (ابن میثم) المجلد ۳

اشاره

ص :۱

تتمه باب الخطب

اشاره

«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»

۹۶-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ- وَ نَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ- وَ نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاهَ فِى الْأَدْيَانِ- كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاهَ فِى الْأَبْدَانِ- عِبَادَ اللَّهِ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ- لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَهِ لَكُمْ- وَ إِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا- وَ الْمُبْلِيَهِ لِأَجْسَامِكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا- فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَ مَثَلُهَا كَسَفْرٍ- سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ- وَ أَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ- وَ كَمْ عَسَى الْمُجْرِى إِلَى الْغَايَهِ- أَنْ يَجْرِىَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا- وَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لاَ يَعْدُوهُ- وَ طَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ- فِى الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا فَلاَ تَنَافَسُوا فِى عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا- وَ لاَ تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا- وَ لاَ تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا- فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ- وَ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ- وَ ضَرَّاءَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ- وَ كُلُّ مُدَّهٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ- وَ كُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ- أَ وَ لَيْسَ لَكُمْ فِى آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ وَ فِى آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبْصِرَهٌ وَ مُعْتَبَرٌ- إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ- أَ وَ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لاَ يَرْجِعُونَ- وَ إِلَى

الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لاَ يَبْقَوْنَ- أَ وَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا- يُصْبِحُونَ وَ يُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى- فَمَيِّتٌ يُبْكَى وَ آخَرُ يُعَزَّى- وَ صَرِيعٌ مُبْتَلًى وَ عَائِدٌ يَعُودُ- وَ آخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ- وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ- وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ- وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي- أَلاَ فَاذْكُرُوا هَاذِمَ اللَّذَّاتِ- وَ مُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ- وَ قَاطِعَ الْأُمْنِيَاتِ- عِنْدَ الْمُسَاوَرَهِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَهِ- وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ- وَ مَا لاَ يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَ إِحْسَانِهِ

اللغه

أقول: الرفض : الترك .و السفر:

المسافرون .و أمّوا: قصدوا .و يعدوه:

يتعدّاه .و يحدوه: يسوقه .و المساوره: المواثبه .

المعنى

فقوله:نحمده.إلى قوله:فى الأبدان .

فقوله: نحمده .إلى قوله: فى الأبدان.

خصّص الحمد بما كان لأنّ الشكر على النعمه مترتّب على وقوعها.و الاستعانه على ما يكون لأنّ طلب العون على أمر هو بصدد أن يفعل.ثمّ سأل العافيه فى الأديان كما سألها فى الأبدان لأنّ لها سقما هو فى الحقيقه أشدّ،و قيل لأعرابىّ:ما تشتكى؟قال:ذنوبى.فقيل:ما تشتهى؟قال:الجنّه.فقيل:أ فلا ندعو لك طبيبا؟فقال:الطبيب أمرضنى،و سمعت عصره(عنتره خ)العابده البصريّه رجلًا يقول:ما أشدّ العمى على من كان بصيرا فقالت:يا عبد اللّه غفلت عن مرض الذنوب و اهتممت بمرض الأجساد،و عمى القلب عن اللّه أشدّ.و المعافاه فيها بامداد العنايه الإلهيّه ببقائها سليمه و بتداركها للمذنبين بجذبهم إلى التوبه . ثمّ أردف ذلك بالرأى الصالح و الوصيّه الناصحه برفض الدنيا،و نفّر عنها بذكر معايب:

أحدها:تركها لهم على كلّ حال و إن لم يحبّوا تركها،و من أكبر

المصالح ترك محبوب لا بدّ من مفارقته تركا باستدراج النفس و استغفالها كى لا يقدحها مفارقته دفعه مع تمكّن محبّته عن جوهرها فيبقى كمن نقل من معشوقه إلى موضع ظلمانىّ شديد الظلمه .

الثانى: تشبيه كونها مبليه لأجسامهم و إن أحبّوا تجديدها و إبلائها بالأمراض و الهرم،و من شأن الموذى أن يجتنب لا أن يحبّ إصلاحه .ثمّ أردف ذلك بتمثيلهم فى الكون بها فمثّلهم بالسفر و مثّلها بسبيل هم سالكوه،و من سلك سبيلا فكأنّهم قطعوه فالمشبّه هم باعتبار سرعه سيرهم و قرب الآخره منهم و قطع منازل الأعمار، و المشبّه به قاطع ذلك السبيل:أى من سلك سبيلا أشبه فى سرعه سيره من قطعه ثمّ لمّا كان لا بدّ لكلّ طريق سلك من غايه يقصد فمن سلك سبيلا فكأنّهم بلغوا تلك الغايه:أى أشبهوا فى قرب وصولها من بلغها و هو تخويف بالموت و ما بعده و تحقير لمدّه البقاء فى الدنيا و المقام فيها ،و أكّد ذلك بقوله: و ما عسى المجرى إلى الغايه أن يجرى إليها حتّى يبلغها :أى إجرائه إليها بسير سريع،و فى بعض النسخ: و كم عسى ،و التقدير و كم يرجو الّذى يجرى إلى غايه من إجرائه إليها حتّى يبلغها،و هو استفهام فى معنى التحقير لما يرجوه من مدّه الجرى،و هى مدّه الحياه الدنيا،و مفعول المجرى محذوف و التقدير المجرى مركوبه.و لمّا لم يكن الغرض إلّا ذكر الإجراء لا جرم حذف المفعول.و قد يجىء لازما،و كذلك استعاره بالكنايه قوله: و ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه.إلى قوله:يفارقها :أى و ما يرجى و يؤمل أن يكون من ذلك البقاء،و كان هنا تامّه و هو فى الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء فى الدنيا و الانكار على المؤمّل الراجى له ، و عنى بالطالب الحثيث الموت و أسند إليه الطلب مجازا و استعار له لفظ الحد و، و قد علمت وجه هذه الاستعاره،و كنّى بذلك الحد و عمّا يتوهّم من سوق أسباب الموت للبدن إليه .

و قوله:و لا تنافسوا.إلى قوله:إلى فناء .

و قوله: و لا تنافسوا.إلى قوله:إلى فناء.

نهى عن اعتبار شىء من أحوالها:خيرها و شرّها.فمن خيرها عزّها و فخرها

ص:۴۰

و زينتها و نعيمها،و نهى عن المنافسه فيه و الاعجاب به،و أمّا شرّها فضرّائها و شدائدها ،و نهى عن الجزع منها و علّل وجوب الانتهاء عمّا نهى عنه بانقطاعه و زواله .

و ما كان من شأنه الزوال و الانقطاع فمن الواجب أن لا يتنافس فيه و لا يعجب به و إن عدّ نافعا،و أن لا يجزع من وجوده و إن عدّ ضارّا.

و قوله:أ و ليس لكم فى آثار الأوّلين.إلى قوله:لا يبقون .

و قوله: أ و ليس لكم فى آثار الأوّلين.إلى قوله:لا يبقون.

تذكره لهم بآثار السابقين لهم و الماضين من آبائهم على سبيل استفهامهم عن حصول العبره لهم بهم استفهام إنكار عليهم أن لا يستفيدوا من ذلك عبره على تقدير أنّهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثمّ تنبيه لهم على وجه الاعتبار و الاتّعاظ و هو عدم رجوع الماضى منهم و عدم بقاء الباقى فإنّ ذلك محلّ العبره ثمّ تنبيه لهم على ما يرون من أحوال أهل الدنيا المختلفه لستدلّوا على عدم بقائها باختلاف أحوالها و على أنّها لا تصلح قرارا فأهلها بين ميّت يبكى،و آخر يعزّى،و آخر صريع مبتلى بالأمراض و الأسقام ،و آخر يعوده مشغول الخاطر به،و آخر فى المعاوقه و الاحتضار، و السالم من تلك الامور طالب للدنيا و الموت من ورائه طالب له غافل عمّا يراد به و ليس اللّه بغافل عنه ثمّ لا بدّ له أن يمضى على أثر من مضى و إن طال بقائه،و ما فى ما يمضى مصدريّه،و إنّما قدّم الميّت فى أقسام أهل الدنيا لأنّ ذكره أشدّ موعظه، استعاره و استعار لفظ الجود للمحتضر،و وجه المشابهه أنّه يسمح بنفسه و يسلّمها كما يسلّم الجواد ما يعطيه من مال ثمّ أمرهم بذكر الموت و وصفه بلوازمه المنفّره عنه و هى كونه هادما للّذّات الدنيويّه،و منغّصا لشهواتها و قاطعا للامنيّات فيها، و عيّن لهم وقت ذكره و هو عند وثباتهم إلى الأعمال القبيحه ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثمّ بالرغبه إلى اللّه فى طلب معونته بجواذب عنايته و جميل لطفه على أداء واجب حقوقه الّتى كلّفنا القيام بها بالمواظبه عليها و أداء واجب ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها و الاعتراف بها ملاحظين لجلال كبريائه باعتبار كلّ جزئىّ منها .و باللّه التوفيق.

ص:۵

۹۷–و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِی الْخَلْقِ فَضْلَهُ- وَ الْبَاسِطِ فِیهِمْ بِالْجُودِ یَدَهُ- نَحْمَدُهُ فِی جَمِیعِ أُمُورِهِ- وَ نَسْتَعِینُهُ عَلَی رِعَایَهِ حُقُوقِهِ- وَ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَیْرُهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً وَ بِذِکْرِهِ نَاطِقاً- فَأَدَّی أَمِیناً وَ مَضَی رَشِیداً- وَ خَلَّفَ فِینَا رَایَهَ الْحَقِّ- مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ- وَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ- وَ مَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ- دَلِیلُهَا مَکِیثُ الْکَلاَمِ- بَطِیءُ الْقِیَامِ سَرِیعٌ إِذَا قَامَ- فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَکُمْ- وَ أَشَرْتُمْ إِلَیْهِ بِأَصَابِعِکُمْ- جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ- فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ «ما شاءَ اللّهُ» حَتَّی یُطْلِعَ اللَّهُ لَکُمْ مَنْ یَجْمَعُکُمْ وَ یَضُمُّ نَشْرَکُمْ- فَلاَ تَطْمَعُوا فِی غَیْرِ مُقْبِلٍ- وَ لاَ تَیْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ- فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَی أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَی قَائِمَتَیْهِ- وَ تَثْبُتَ الْأُخْرَی فَتَرْجِعَا حَتَّی تَثْبُتَا جَمِیعاً- أَلاَ إِنَّ مَثَلَ ؟آلِ مُحَمَّدٍ ص؟ کَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ- إِذَا خَوَی نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ- فَکَأَنَّکُمْ قَدْ تَکَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِیکُمُ الصَّنَائِعُ- وَ أَرَاکُمْ مَا کُنْتُمْ تَأْمُلُونَ

اللغه

أقول: مرق: خرج من الدین .و زهق: هلک .و المکیث: البطیء المتأنّی.

و خوی النجم: سقط للمغیب .و الصنیعه: النعمه .

المعنی

اشاره

و هذا الفصل یشتمل علی إعلامهم بما یکون بعده من أمر الأئمّه و تعلیمهم ما ینبغی أن یفعل الناس معهم و یمنّیهم بظهور إمام من آل محمّد عقیب آخر،و وعدهم

ص:۶۰

بتكامل صنايع اللّه فيهم بما يأمّلونه من ظهور إمام منتظر.

فقوله:الحمد للّه.إلى قوله:حقوقه .

فقوله: الحمد للّه.إلى قوله:حقوقه.

شكر له تعالى باعتبار أمرين:أحدهما:نشره لفضله فى خلقه .الثانى: مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب-استعاره بسطه فيهم بالجود يده ،و يده نعمته مجازا لتقدّسه تعالى عن الجارحه،و هو من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب،و ظاهر كون الجود مبدءا للنعمه،و النشر و البسط و إن كانا حقيقه فى الأجسام إلاّ أنّهما من الاستعارات الشائعه الّتى قاربت الحقيقه ثمّ أكّد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كلّ صادر عنه من رخاء و شدّه.إذ الشدائد اللاحقه من نعمه أيضا فإنّها إذا قوبلت بصبر جميل استلزمت ثوابا جزيلا كما قال تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ» الآيه،و ظاهر أنّ أسباب النعم نعم و لمّا حمده على ما لحق من نعمائه طلب منه المعونه على رعايه واجب حقوقه ، استعاره و استعار لفظ الصادع للرسول و وجهها أنّه شقّ بأمر اللّه بيضه الشرك و قلوب المشركين فأخرج ما كان فيها من الكفر و الجهل و نطق بذكره تعالى فأودعها إيّاه فأدّى ما امر به أمينا عليه و قبضه اللّه إليه مرشدا له إلى حضره قدسه و منازل الأبرار من ملائكته،و صادعا و ناطقا و أمينا و رشيدا أحوال ،و أشار برايه الحقّ الّتى خلّفها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلم إلى كتاب اللّه و سنّته،و أشار بتقدّمها و التخلّف عنها إلى طرفى الإفراط و التفريط من فضيله الاستقامه عليها:أى أن من كان تحتها لاحقا بها فهو على حاقّ الوسط من الفضائل،و من تقدّمها كان على طرف الإفراط و قد تعدّى فى طلب الدين و أغلى فيه على جهل فمرق منه كما فعلت الخوارج،و من تخلّف عنها كان على طرف التفريط و التقصير فهلك فى طريق الضلال و الحيره، استعاره و لفظ الرايه مستعار،و وجه المشابهه كون الكتاب و السنّه مقصدين لتابعهما يهتدى بهما فى سبيل اللّه كما أنّ الرايه كذلك،و أشار بدليلهاإلى نفسه استعاره،و وجهها أنّ الإمام مظهر و مبيّن لأحكام الكتاب و السنّه و ما خفى منهما للسالكين إلى اللّه كما يرفع الرايه حاملها لتابعيه ليقتدوا به ثمّ أشار إلى صفات ذلك الدليل ، كنايه و كنّى بقوله: مكيث الكلام عن تروّيه و تثبته فى أقواله و ما يشير به و يحكم ،و بقوله: بطىء القيام عن تأنّيه فى حركته فى وجوه المصالح إلى حين استثباته

الرأى الأصلح و وجه المصلحه ،و بقوله: سريع إذا قام .عن مبادرته إلى وجوه المصلحه و انتهاضه(انتهازه خ)الفرص ثمّ أخذ يذكّرهم بموته ،و كنّى بقوله: ألنتم له رقابكم.

من خضوعهم لطاعته و انقيادهم لأمره ،و بقوله: و أشرتم إليه بالأصابع عن اشتهاره فيهم و تعيّنه و تعظيمهم له ،و أشار إلى أنّه إذا تمّ الإسلام به توفّى ،و نبّه بقوله: فلبثتم بعده «ما شاءَ اللّهُ» .إلى أنّهم يخلون عن إمام يجمعهم مدّه،و الاشاره إلى مدّه بنى اميّه، و بقوله: حتّى يطلع اللّه لكم.إلى قوله:نشركم .على أنّه لابدّ لهم بعد تلك المدّه من شخص يجمعهم،و طلوعه ظهوره و تعيّنه للرياسه بعد اختفاء.فقيل:هو الإمام المنتظر.و قيل:هو قائم بنى العبّاس بعد انقضاء دوله بنى أميّه.

و قوله:فلا تطمعوا فى غير مقبل .

و قوله: فلا تطمعوا فى غير مقبل.

أى من لم يقبل على طلب هذا الأمر ممّن هو أهله و متعيّن له و آثر تركه إلى الخلوه باللّه فلا تطمعوا فيه فإنّ له باللّه شغلا عن كلّ شىء.و قيل:المراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فإنّه لا يجوز الطمع فى أن يكون أميرا لكم،و روى فلا تطعنوا فى عين مقبل:أى من أقبل عليكم من أهل البيت طالبا لهذا الأمر و هو أهل له فكونوا معه، كنايه و كنّى بالطعن فى عينه عن دفعه عمّا يريد .

و قوله:و لا تيأسوا من مدبر.إلى قوله:تثبتا جميعا .

و قوله: و لا تيأسوا من مدبر.إلى قوله:تثبتا جميعا.

أراد أنّ من أدبر عن طلب الخلافه ممّن هو أهل لها فلا ينبغى أن يحصل الإياس من عوده و إقباله على الطلب فلعلّه إنّما أدبر عن ذلك لاختلال بعض الشرائط الّتى يتعيّن عليه معها القيام، كنايه و كنّى عن اختلال بعض أحواله من قلّه ناصر و نحوه بزوال إحدى قائمتيه و بثبات الاخرى من وجود بعض الشرائط كثبات أهليّته للطلب أو بعض أنصاره معه،و بقوله: فترجعا حتّى تثبتا .عن تكامل شرائط قيامه و لا ينافى النهى عن اليأس هاهنا النهى عن الطمع فى غير المقبل لجواز أن ينهى عن الطمع فيه حال إعراضه و إدباره عن الطلب لاختلال بعض شرائطه و النهى عن الإياس منه لجواز حصول شرائط القيام فيه و تكاملها .

و قوله:ألا إنّ مثل آل محمّد.إلى قوله:طلع نجم .

تشبيه و قوله: ألا إنّ مثل آل محمّد.إلى قوله:طلع نجم.

تعیین للأئمّه من آل محمّد.قالت الإمامیّه:هم الاثنی عشر من أهل البیت.

و شبّههم بالنجوم و وجه التشبیه أمران:أحدهما:أنّهم یستضاء بأنوار هداهم فی سبیل اللّه کما یستضیء المسافر بالنجوم فی سفره و یهتدی بها .الثانی: کنایه ما أشار إلیه بقوله: کلما خوی نجم طلع نجم و هو کنایه عن کونهم کلّما خلا منهم سیّد قام سیّد،و الإمامیّه یستدلّون بهذا الکلام منه علیه السّلام علی أنّه لا یخلو زمان من وجود قائم من أهل البیت یهتدی به فی سبیل اللّه .

و قوله:فکأنّکم.إلی آخر .

و قوله: فکأنّکم.إلی آخر.

إشاره إلی منّه اللّه علیهم بظهور الإمام المنتظر و إصلاح أحوالهم بوجوده.

و وجدت له علیه السّلام فی أثناء بعض خطبه فی اقتصاص ما یکون بعده فصلا یجری مجری الشرح لهذا الوعد،و هو أن قال:یا قوم اعلموا علما یقینا أنّ الّذی یستقبل قائمنا من أمر جاهلیّتکم لیس بدون ما استقبل الرسول من أمر جاهلیّتکم و ذلک أنّ الامّه کلّها یومئذ جاهلیّه إلاّ من رحم اللّه فلا تعجلون فیجعل الخرق بکم،و اعلموا أنّ الرفق یمن و فی الإناه بقاء و راحه و الإمام أعلم بما ینکر،و لعمری لینزعنّ عنکم قضاه السوء و لیقبضنّ عنکم المراضین،و لیعزلنّ عنکم امراء الجور،و لیطهرنّ الأرض من کلّ غاش،و لیعملنّ فیکم بالعدل،و لیقومنّ فیکم بالقسطاس المستقیم، و لیتمنّأنّ أحیائکم لأمواتکم رجعه الکرّه عمّا قلیل فیعیشوا إذن فإنّ ذلک کائن.

للّه أنتم بأحلامکم کفّوا ألسنتکم و کونوا من وراء معایشکم فإنّ الحرمان سیصل إلیکم و إن صبرتم و احتسبتم و ائتلفتم أنّه طالب و ترکم و مدرك لثارکم و آخذ بحقّکم،و أقسم باللّه قسما حقا أنّ اللّه مع الّذین اتّقوا و الّذین هم محسنون .

۹۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

یشتمل علی ذکر الملاحم.

اَلْأَوَّلِ قَبْلَ کُلِّ أَوَّلٍ وَ اَلْآخِرِ بَعْدَ کُلِّ آخِرٍ- وَ بِأَوَّلِیَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ أَوَّلَ لَهُ- وَ بِآخِرِیَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لاَ آخِرَ لَهُ وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» شَهَادَهً- یُوَافِقُ فِیهَا السِّرُّ

الْإِعْلاَنَ- وَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ- أَيُّهَا النَّاسُ «لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِی» - وَ لاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِی- وَ لاَ تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّی- فَوَالَّذِی فَلَقَ الْحَبَّهَ وَ بَرَأَ النَّسَمَهَ- إِنَّ الَّذِی أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ؟النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ ص؟- وَ اللَّهِ مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَ لاَ جَهِلَ السَّامِعُ- لَكَأَنِّی أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ؟بِالشَّامِ؟- وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِی ضَوَاحِی؟كُوفَانَ؟- فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ- وَ اشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ- وَ ثَقُلَتْ فِی الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ- عَضَّتِ الْفِتْنَهُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا- وَ مَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا- وَ بَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا- وَ مِنَ اللَّيَالِی كُدُوحُهَا- فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وَ قَامَ عَلَى يَنْعِهِ- وَ هَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ وَ بَرَقَتْ بَوَارِقُهُ- عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَهِ- وَ أَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ وَ الْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ- هَذَا وَ كَمْ يَخْرِقُ؟الْكُوفَهَ؟ مِنْ قَاصِفٍ- وَ يَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ- وَ عَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ- وَ يُحْصَدُ الْقَائِمُ- وَ يُحْطَمُ الْمَحْصُودُ يشتمل على ذكر الملاحم.

اللغه

أقول: [لا يجرمنّكم: أى لا يحملنّكم خ] . يجرمنّكم: يحقّ عليكم .و استهواه:

أماله .و الضليل: الكثير الضلال .و نعق: صاح .و فحص الطائر الأرض برجله :

بحثها .و الضواحى : النواحى البارزه .و كوفان: اسم للكوفه . فغرفوه: انفتح .

و فلان شديد الشكيمه: إذا كان قوّى النفس أبيّا و الكلوح : تكثر فی عبوس .

ص:۱۰

و الكدح: فوق الخدش .و أينع الزرع : نضج .و الحطم: الدقّ .

المعنى

اشاره

و مضمون هذا الفصل بعد توحيد اللّه تحذير السامعين عن عصيانه و عن التغامر بتكذيبه فيما بينهم فيما كان يخبرهم به من الامور المستقبله .فقوله: الأوّل و الآخر قد مضى تفسيرهما.

و قوله:بأوليّته وجب أن لا أوّل له .

و قوله: بأوليّته وجب أن لا أوّل له.

لمّا أراد بأولّيته كونه مبدءا لكلّ شىء،و بآخريّته كونه غايه ينتهى إليها كلّ شىء فى جميع أحواله كان بذلك الاعتبار يجب أن لا يكون له أوّل هو مبدئه و لا آخر يقف عنده و ينتهى ، كنايه و وصف شهادته بأنّها الّتى يوافق السرّ الإعلان و القلب اللسان كنايه عن خلوصها عن شائبه النفاق و الجحود باللّه ثم أبّه بالناس و حذّرهم من شقاقه و عصيانه و تكذيبه فيما يقول و هو تقريع لمن ضعفت عين بصيرته عن إدراك فضله و إمكان الإخبار بما سيكون من مثله ثمّ أسند ما يريد أن يخبر به من ذلك و ما أخبر به إلى النبيّ صلى اللّه عليه و آله و سلم ليكون ذلك شهاده لصدقه،و أكّد ذلك بتنزيهه صلى اللّه عليه و آله و سلم و تنزيه السامع يعنى نفسه من الكذب فيما بلّغ عن ربّه و فيما سمع هو عنه،و قد بيّنا كيفيّه أخذه لهذه العلوم عنه فى المقدّمات .

و قوله:لكأنّى أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام .

و قوله: لكأنّى أنظر إلى ضليل قد نعق بالشام.

من جمله إخباراته بما سيكون،و الضليل:قيل:إنّه اشار به إلى السفيانّى الدجّال.و قيل:إنّه إشاره إلى معاويه فإنّ مبدء ملكه بالشام و دعوته بها و انتهت غاراته إلى نواحى الكوفه و إلى الأنبار فى حياته عليه السّلام كما عرفت ذلك من قبل ، استعاره بالكنايه و كنّى بفحصه براياته عن بلوغه إلى الكوفه و نواحيها كنايه بالمستعار ملاحظه لشبهه بالقطاه المتّخذه مفحصا ،و كذلك فغرت فاغرته كنايه عن اقتحامه للناس كنايه بالمستعار أيضا ملاحظه لشبهه بالأسد فى اقتحام فريسته ،و اشتداد شكيمته كنايه عن قوّه رأسه و شدّه بأسه.و أصله أنّ الفرس الجموح قوّى الرأس محتاج إلى قوّه الشكيمه و شدّتها ،و كذلك ثقل وطأته كنايه عن شدّه بأسه فى الأرض على الناس ، و الأشبه أنّه إشاره إلى عبد الملك،و قد عرفت أحواله،و ثقل وطأته فى الأرض

فیما سبق ، استعاره مرشحه و استعار لفظ العضّ للفتنه و وجه المشابهه ما یستلزمانه من الشدّه و الألم،و رشّح تلک الاستعاره بذکر الأنیاب،و أبناء الفتنه أهلها ، استعاره بالکنایه و کذلک استعار لفظ الموج للحرب ،و کنّى به عن الاختلاط الواقع فیها من القتل و الأهوال.و للأیّام لفظ الکلوح ،و کنّى به عن شدّه ما یلقى فیها من الشرّ کما یلقى من المعیس المکثر ، و کذلک لفظ الکدوح استعاره لما یلقى فیها من المصائب الشبیهه بها ،و لفظ الزرع استعاره لأعماله و لفظ الإیناع کنایه عن بلوغه غایه أفعاله و لفظ الشقاشق و البروق استعاره لحرکاته الهائله و أقواله المخوفه تشبیها بالسحاب ذی الشقاشق و البروق .

و قوله:عقدت رایات الفتن المعضله .

تشبیه و قوله: عقدت رایات الفتن المعضله.

أی:أنّ هذه الفتنه إذا قامت أثارت فتنا کثیره بعدها یکون فیها الهرج و المرج ، و شبّه تلک الفتن فی إقبالها باللیل المظلم،و وجه المشابهه کونها لا یهتدى فیها لحقّ کما لا یهتدى فی ظلمه اللیل لما یراد،و بالبحر الملتطم فی عظمها و خلطها للخلق بعضهم ببعض و انقلاب قوم على قوم بالمحقّ لهم و الهلاک کما یلتطم بعض أمواج البحر ببعض ، ثمّ أشار إلى ما یلحق الکوفه بسبب تلک الفتنه بعدها من الوقائع و الفتن،و قد وقع فیها وفق أخباره وقائع جمّه و فتن کثیره کفتنه الحجّاج و المختار بن أبی عبیده و غیرهما ، استعاره و استعار لفظی القاصف و العاصف من الریح لما یمرّ بها من ذلک و یجری على أهلها من الشدائد .

و قوله:و عن قلیل تلتفّ القرون بالقرون.إلى آخره .

استعاره بالکنایه و قوله: و عن قلیل تلتفّ القرون بالقرون.إلى آخره.

أی عن قلیل یلحق قرن من الناس بقرون،و کنّى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم فی بطن الأرض،و استعار لهم لفظ الحصد و الحطم لمشابهتهم الزرع یحصد قائمه و یحطم محصوده فکنّى بحصدهم عن موتهم أو قتلهم،و بحطم محصودهم عن فنائهم و تفرّق أوصالهم فی التراب.

و أعلم أنّه لیس فی اللفظ دلاله واضحه على أنّ المراد بالضلیل المذکور معاویه بل یحتمل أن یرید به شخصا آخر یظهر فیما بعد بالشام کما قیل:إنّه السفیانیّ الدجّال و إن کان الاحتمال الأوّل أغلب على الظنّ.و باللّه التوفیق.

ص:۱۲

۹۹-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

یجری هذا المجری.

القسم الأول

اشاره

وَ ذَلِکَ یَوْمٌ یَجْمَعُ اللَّهُ فِیهِ الْأَوَّلِینَ وَ الْآخِرِینَ- لِنِقَاشِ الْحِسَابِ وَ جَزَاءِ الْأَعْمَالِ- خُضُوعاً قِیَاماً قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ- وَ رَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ- فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَیْهِ مَوْضِعاً- وَ لِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً

اللغه

أقول:أشار بالیوم إلی یوم القیامه .و نقاش الحساب: المناقشه و التدقیق فیه .

المعنی

اشاره

و قد عرفت کیفیّه ذلک الیوم فیما سبق و نحوه قوله تعالی «یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النّاسُ أَشْتاتاً لِیُرَوْا أَعْمالَهُمْ» (۱)الآیه.و خضوعا کقوله تعالی «خُشَّعاً أَبْصارُهُمْ» (۲)و قیاما کقوله تعالی «یَوْمَ یَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِینَ» و هما کنایه عن کمال براءتهم من حولهم و قوّتهم إذن و تیقّنهم أن لا سلطان إلاّ سلطانه . کنایه و ألجمهم العرق: بلغ منهم مکان اللجام، و هو کنایه عن بلوغهم الغایه من الجهد.إذ کانت غایه التاعب أن یکثر عرقه .

و قوله:و رجفت بهم الأرض .

و قوله: و رجفت بهم الأرض.

کقوله تعالی «یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ» (۳)و «إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا» (۴)قال بعضهم:المراد بالأرض الراجفه و المرتجّه أرض القلوب عن نزول خشیه اللّه علیها و شدّه أهوال یوم القیامه،و قال آخرون:إنّ ذلک صرف الکلام عن ظاهره من غیر ضروره فلا یجوز.إذ کلّ ما أخبر الصادق عنه من جزئیّات أحوال القیامه امور ممکنه،و القدره الإلهیّه وافیه بها.

و قوله:فأحسنهم حالاً من وجد لقدمیه موضعا و لنفسه متّسعا .

و قوله: فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعا و لنفسه متّسعا.

قيل المراد من وجدت لقدما عقله موضعا من معرفه اللّه تعالى و عبادته،و من وجد لنفسه متّسعا فى حظائر قدس اللّه وسعه رحمته.و ظاهر أنّ أولئك أحسن الخلق حالا يوم القيامه،و حمله على ظاهره موافقه لظاهر الشريعه ممكن.

۱- ۱) ۶-۹۹

۲- ۲) ۷-۴۵.

۳- ۳) ۱۴-۷۳

۴- ۴) ۴-۵۶.

القسم الثانی

اشاره

و منها :فِتَنٌ کَقِطَعِ اللَّیْلِ الْمُظْلِمِ- لاَ تَقُومُ لَهَا قَائِمَهٌ وَ لاَ تُرَدُّ لَهَا رَایَهٌ- تَأْتِیکُمْ مَزْمُومَهً مَرْحُولَهً- یَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَ یَجْهَدُهَا رَاکِبُهَا- أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِیدٌ کَلَبُهُمْ- قَلِیلٌ سَلَبُهُمْ- یُجَاهِدُهُمْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّهٌ عِنْدَ الْمُتَکَبِّرِینَ- فِی الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ- وَ فِی السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ- فَوَیْلٌ لَکِ یَا؟بَصْرَهُ؟ عِنْدَ ذَلِکِ- مِنْ جَیْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ- لاَ رَهَجَ لَهُ وَ لاَ حَسَّ- وَ سَیُبْتَلَی أَهْلُکِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ- وَ الْجُوعِ الْأَغْبَرِ

اللغه

أقول: یحفزها: یدفعها من خلف .و الکلب: الشرّ .و الأذّله: جمع ذلیل .

و الرهج: الغبار .و الحسّ: الصوت الخفیّ .

المعنی

اشاره

و قد نبّه فی هذا الفصل علی ما سیقع بعده من الفتن،و یخصّ منها فتنه صاحب الزنج بالبصره و شبّه تلک الفتن بقطع اللیل المظلم،و وجه الشبه ظاهر . و لا تقوم لها قائمه :أی لا یمکن مقابلتها بما یقاومها و یدفعها،و إنّما أنّث لکون القائمه فی مقابله الفتنه.و قیل:لا تثبت لها قائمه فرس ، استعاره بالکنایه و استعار لفظ الزمام و الرحل و الحفز و القائد و الراکب و جهده لها ملاحظه لشبهها بالناقه،و کنّی بالزمام و الرحل عن تمام إعداد الفتنه و تعبیتها کما أنّ کمال الناقه للرکوب أن تکون مزمومه مرحوله،و بقائدها عن أعوانها،و براکبها عن منشئها المتبوع فیها،و بحفزها و جهدها عن سرعتهم فیها ،و أهلها إشاره إلی الزنج و ظاهر شدّه کلبهم و قلّه سلبهم.إذ یکونوا أصحاب حرب و عدّه و خیل کما یعرف ذلک من قصّتهم المشهوره کما سنذکر طرفاً منها فیما یستقبل من کلامه فی فصل آخر ،و قد وصف مقاتلیهم فی اللّه بکونهم أذلّه عند المتکبّرین ،و کونهم مجهولین فی الأرض:أی لیسوا من أبناء الدنیا المشهورین بنعیمها ،و کونهم معروفین فی السماء هو إشاره إلی کونهم من أهل العلم و الایمان

يعرفهم ربّهم بطاعتهم و تعرفهم ملائكته بعباده ربّهم ثمّ أردف ذلك بأخبار البصره مخاطبا لها و الخطاب لأهلها بما سيقع بها من فتنه الزنج،و ظاهر أنّه لم يكن لهم غبار و لا أصوات.إذ لم يكونوا أهل خيل و لا قعقعه لجم فإذن لا رهج لهم و لا حسّ، و ظاهر كونهم من نقم اللّه للعصاه و إن عمّت الفتنه.إذ قلّما تخصّ العقوبه النازله بقوم بعضهم كما قال تعالى «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» (۱)

و قوله:و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر و الجوع الأغبر .

و قوله: و سيبتلى أهلك بالموت الأحمر و الجوع الأغبر.

قيل:فالموت الأحمر إشاره إلى قتلهم بالسيف من قبل الزنج أو من قبل غيرهم، كنايه و وصفه بالحمره كنايه عن شدّته و ذلك لأنّ أشدّ الموت ما كان بسفك الدم .و أقول:

قد فسّره عليه السّلام بهلاكهم من قبل الغرق كما نحكيه عنه و هو أيضا فى غايه الشدّه لاستلزامه زهوق الروح،و كذلك وصف الأغبر لأنّ أشدّ الجوع ما أغبرّ معه الوجه و غبر السحنه الصافيه لقلّه مادّه الغذاء أو ردائه فذلك سمّى أغبر،و قيل:لأنّه يلصق بالغبراء و هى الأرض،و قد أشار إلى هذه الفتنه فى فصل من خطبته خطب بها عند فراغه من حرب البصره و فتحها و هى خطبه طويله حكينا منها فصولا تتعلّق بالملاحم.

من ذلك فصل يتضمن حال غرق البصره.فعند فراغه عليه السّلام من ذلك الفصل قام إليه الأحنف بن قيس فقال له:يا أمير المؤمنين و متى يكون ذلك.قال:يا أبا بحر إنّك لن تدرك ذلك الزمان و إنّ بينك و بينه لقرونا و لكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكى يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصره قد تحوّلت أخصاصها دورا و آجامها قصورا فالهرب الهرب فإنّه لا بصيره لكم يومئذ ثمّ التفت عن يمينه فقال:كم بينكم و بين الإبلّه.فقال له المنذر بن الجارود:فداك أبى و أمّى أربعه فراسخ.قال له صدّقت فو الّذى بعث محمّدا و أكرمه بالنبوّه و خصّه بالرساله و عجّل بروحه إلى الجنّه لقد سمعت منه كما تسمعون منّى أن قال:يا علىّ هل علمت أن بين الّتى تسمّى البصره و الّتى تسمّى الإبلّه أربعه فراسخ و قد يكون فى الّتى تسمّى الإبلّه موضع أصحاب القشور يقتل فى ذلك الموضع من امّتى سبعون ألفا شهيدهم يومئذ بمنزله شهداء بدر فقال

۱- (۱) ۸-۳۵.

له المنذر:يا أمير المؤمنين و من يقتلهم فداك أبى و امى؟قال:يقتلهم إخوان الجنّ و هم اجيل كأنّهم الشياطين سود ألوانهم منتنه أرواحهم شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم و طوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم فى ذلك الزمان قوم هم أذلّه عند المتكبّرين من أهل ذلك الزمان مجهولون فى الأرض معروفون فى السماء تبكى السماء عليهم و سكّانها و الأرض و سكّانها ثمّ هملت عيناه بالبكاء ثمّ قال:ويحك يا بصره ويلك يا بصره من جيش لا رهج له و لا حسّ قال له المنذر يا امير المؤمنين:و ما الّذى يصيبهم من قبل الغرق ممّا ذكرت،و ما الويح،و ما الويل؟فقال:هما بابان فالويح باب الرحمه،و الويل باب العذاب يا ابن الجارود نعم ثارات عظيمه منها عصبه يقتل بعضها بعضا،و منها فتنه تكون بها خراب منازل و خراب ديار و انتهاك أموال و قتل رجال و سبى نساء يذبّحن ذبحا يا ويل أمرهن حديث عجب منها أن يستحلّ بها الدجّال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى و الأخرى كأنّها ممزوجه بالدم لكأنّها فى الحمره علقه تأتى الحدقه كهيئه حبّه العنب الطافيه على الماء فيتبعه من أهلها عدّه،من قتل بالإبلّه من الشهداء أناجيلهم فى صدورهم يقتل من يقتل و يهرب من يهرب ثمّ رجف ثمّ قذف ثمّ خسف ثمّ مسخ ثمّ الجوع الأغبر ثمّ الموت الأحمر و هو الغرق.يا منذر إنّ للبصره ثلاثه أسماء سوى البصره فى الزبر الأوّل لا يعلمها إلاّ العلماء منها الخريبه،و منها تدمر، و منها المؤتفكه يا منذر و الّذى فلق الحبّه و برىء النسمه لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصه عرصه و متى تخرب و متى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامه، و إنّ عندى من ذلك علما جمّا و إن تسألونى تجدونى به عالما لا أخطىء منه علما و لا وافيا، و لقد استودعت علم القرون الأولى و ما كائن إلى يوم القيامه.قال:فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين:أخبرنى من أهل الجماعه و من أهل الفرقه و من أهل السنّه و من أهل البدعه؟فقال:ويحك إذا سألتنى فافهم عنّى و لا عليك أن لا تسأل أحدا بعدى:أمّا أهل الجماعه فأنا و من اتّبعنى و إن قلّوا و ذلك الحقّ عن أمر اللّه و أمر رسوله،و أمّا أهل الفرقه فالمخالفون لى و لمن اتّبعنى و إن كثروا،و أمّا أهل السنّه فالمتمسّكون بما سنّه اللّه و رسوله لا العاملون برأيهم و أهوائهم و إن كثروا،

و قد مضى الفوج الأوّل و بقيت أفواج و على اللّه قصمها و استيصالها عن جديد الأرض.

و باللّه التوفيق.

۱۰۰–و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أُنْظُرُوا إِلَى الـدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا- الصَّادِفِينَ عَنْهَا- فَإِنَّهَا وَ اللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِىَ السَّاكِنَ- وَ تَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنَ- لَا يَرْجِعُ مَـا تَوَلَّى مِنْهَـا فَأَدْبَرَ- وَ لَا يُـدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ سُـرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ- وَ جَلَـدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَ الْوَهْنِ- فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا- لِقِلَّهِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا- رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ- وَ اعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ- فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ- وَ كَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَهِ- عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ- وَ كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ- وَ كُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ- وَ كُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ

اللغه

أقول: صدف: أعرض .و ثوى بالمكان: أقام به .و الفجيعه: المصيبه .

و الجلد: القوّه .

المعنى

و حاصل الفصل تزهيد الدنيا و التحذير منها فأمرهم أن ينظروا إليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها أمر لهم بتركها و احتقارها إلّا بمقدار الضروره إلى ما تقوم به الضروره ثمّ أردفه بذكر معايبها المنفرّه :

فالأوّل:إزالتها للمقيم بها المطمئنّ إليها عمّا ركن إليه منها .

الثانى:فجيعتها للمترف المتنعّم بها الّذى خدعته بأمانيها حتّى أمن فيها بسلب ما ركن إليه و أمن عليه .

ص:۱۷

الثالث:كونها لا يرجع ما تولّى منها فأدبر من شباب و صحّه و مال و عمر و نحوه .

الرابع:كونها لا يدرى ما هو آت من مصائبها فينتظر و يحترز منه .

الخامس:شوب سرورها بالحزن.إذ كان مسرورها لا يعدم فى كل أوان فوت مطلوب أو فقد محبوب .

السادس:انتهاء قوّه أهلها و جلدهم إلى الضعف كما قال تعالى «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً» (۱)و زهّد بعض الصالحين فى الدنيا فقال:عيش مشوب بسقم منساق إلى هرم مختوم بعدم مستعقب بندم هل يجوز التنافس فيه .ثمّ نهى عن الاغترار بكثره ما يعجبهم منها و علّل حسن ذلك الانتهاء بقلّه ما يصحبهم منها فإنّ المنافسه إنّما ينبغى أن يكون باقيلا للإنسان حيث كان،و أشار بقليل ما يصحبهم منها إلى الكفن و نحوه .ثمّ دعا لمن تفكّر فأفاده فكره عبره:أى انتقال ذهن إلى ما هو الحقّ من وجوب ترك الدنيا و العمل للآخره فإفاده ذلك الانتقال إدراكا للحقّ و مشاهده ببصر البصيره له تشبيه ثمّ أردفه بتشبيه وجود متاع الدنيا الحاضر بعدمه تنبيها على سرعه لحوق عدمه بوجوده فكأنّ وجوده شبيه بأن لم يكن لسرعه زواله و كذلك تشبيه عدم الآخره الآن و ما يلحق فيها من الثواب و العقاب بوجودها الدائم:أى كأنّها لسرعه وجودها و لحوقها لم تزل موجوده ، و نبّه بقوله: و كلّ معدود منقض .على انقضاء مدد الأعمار لكونها معدوده الأيّام و الساعات و الأنفاس .

و قوله: و كلّ متوقّع آت و كلّ آت قريب دان.

فى صوره الضرب الأوّل من الشكل الأوّل.و نتيجته فكلّ متوقّع قريب دان.

و الإشاره به إلى الموت و ما بعده.

القسم الثانی

اشاره

:اَلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ- وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَلاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ- وَ إِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَبْداً- وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ- جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ-

ص:۱۸

۱- ۱) ۵۳-۳۰.

سَـائِراً بِغَيْرِ دَلِيـلٍ- إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الـدُّنْيَا عَمِـلَ- وَ إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَهِ كَسِلَ- كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ- وَ كَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ

المعنى

أقول:حصـر العـالم فيمن عرف قـدره،و أراد بقـدره مقـداره من ملـك اللّه و محلّه من الوجود،و لمّا كان عرفانه بـذلك مسـتلزما لمعرفته بنسبته إلى مخلوقات اللّه فى العـالمين و أنّه أىّ شـىء هو منهـا،و لأىّ شـىء وجـد لا جرم كان هو العالم اللازم لحـدّه السالك لما امر به غير المتعدّى طوره المرسوم له فى كتاب ربّه و سنن أنبيائه .

و قوله: و كفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره.

لمّـا كـان العلم مسـتلزما لمعرفه القـدر كان عـدم معرفه القـدر مسـتلزما لعـدم العلم و هو الجهل لأنّ نقيض اللازم يسـتلزم نقيض الملزوم،و قوله: و كفى بذلك الجهل .إشاره إلى قوّته و استلزامه للعذاب .

و قوله: و إنّ من أبغض الرجال إلى اللّه.إلى قوله:قصد السبيل.

قد سبق بيانه .

كنايه و قوله: سائرا بغير دليل.

كنّى بالـدليل عن أئمّه الهـدى و المرشدين إلى اللّه،و يدخل فى ذلك الكتاب و السـنّه.فإنّ من سار فى معاملته للّه أو لعباده بغير دليل منهما كان من الهالكين .

استعاره و قوله: إن دعى.إلى آخره.

اسـتعار لفظ الحرث لأعمال الدنيا و أعمال الآخره،و وجه المشابهه كونها مستلزمه للمكاسب الاخرويّه و الدنيويّه كما أنّ الحرث كـذلك ،ثمّ شبّه ما عمل له من حرث الـدنيا بالواجب عليه فى مبادرته إليه و مواظبته عليه ،و شـبّه ما قصّـر عنه من حرث الآخره بالساقط عنه فرضه فى تكاسله و قعوده عنه مع أنّ الأمر منه ينبغى أن يكون بالعكس .و باللّه التوفيق.

القسم الثالث

اشاره

و منها :وَ ذَلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَهٍ- إِنْ شَـهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَ إِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَـدْ- أُولَئِكَ مَصَابِيـحُ الْهُـدَى وَ أَعْلاَمُ السُّرَى-

لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَ لاَ الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ- أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ- وَ يَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ- أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكَمْ زَمَانٌ- يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ- أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ- وَ لَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ- وَ قَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ- «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ وَ إِنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ» قال الشريف:قوله عليه السّلام:«كل مؤمن نومه»فانما أراد به الخامل الذكر القليل الشر،و المساييح:جمع مسياح،و هو الذى يسيح بين الناس بالفساد و النمائم،و المذاييع:جمع مذياع،و هو الذى إذا سمع لغيره بفاحشه أذاعها و نوه بها،و البذر:جمع بذور و هو الذى يكثر سفهه و يلغو منطقه.

اللغه

أقول: النومه : كثير النوم،و روى نومه بسكون الواو.و هو ضعيف .

و كفأت الإناء: قلّبته لوجهه ،

المعنى

كنايه و كنّى بالنومه عن خامل الذكر بين الناس المشتغل بربّه عنهم كما فسّره عليه السّلام استعاره بقوله: إن شهد لم يعرف و إن غاب لم يفتقد ،و أشار بأولئك إلى كلّ مؤمن كذلك ،و استعار لهم لفظ المصابيح و الأعلام لكونهم أسباب الهدايه فى سبيل اللّه ،و قد سبق ذلك .

و قوله: ليسوا بالمساييح.إلى قوله:ضرّاء نقمته .ظاهر.و قد فسّر السيّد -رضوان اللّه عليه-مشكله .

تشبيه و قوله: أيّها الناس.إلى قوله:الإناء بما فيه.

إخبار بما سيكون من فساد أهل الزمان و ما يكون فيه من الفتن و ترك الدين كما سبق إشاراته،و شبّه قلبهم للزمان بقلب الإناء بما فيه و وجه الشبه خروج الإسلام عن كونه منتفعا به بعد تركهم للعمل به كما يخرج ما فى الإناء الّذى كبّ عن الانتفاع.و أحسن بهذا التشبيه.فإنّ الزمان للإسلام كإناء للماء ،و أشار إلى

أنّ ذلك ليس بظلم بقوله: إنّ اللّه قد أعاذكم من أن يجور عليكم فى قوله تعالى «وَ ما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ» (۱)إنّ ذلك ابتلاء منه يبتلى به عباده كما قال تعالى «إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ وَ إِنْ كُنّا لَمُبْتَلِينَ» (۲)فمن صبر نفعه صبره و من كفر فعليه كفره، و قد عرفت معنى ابتلاء اللّه لخلقه و فائدته فلا وجه لإعادته.و باللّه التوفيق.

۱۰۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و قد تقدم مختارها بخلاف هذه الروايه أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟- وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً- وَ لاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَ لاَ وَحْياً- فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ- يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ- وَ يُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ- يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَ يَقِفُ الْكَسِيرُ- فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ- إِلاَّ هَالِكاً لاَ خَيْرَ فِيهِ- حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ- وَ بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ- فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ- وَ اسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا- حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا- وَ اسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا- مَا ضَعُفْتُ وَ لاَ جَبُنْتُ- وَ لاَ خُنْتُ وَ لاَ وَهَنْتُ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ- حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ أقول:لنشرح ما انفردت هذه الروايه من الزياده على الفصل المتقدّم:

اللغه

فالحسير: الّذى أعيا فى طريقه .و الرحا: قطعه من الأرض تستدير و ترفع على ما حولها .و استوسقت: اجتمعت و انتظمت .و خمت: جنبت .

المعنى

فقوله: فقاتل بمن أطاعه من عصاه .معناه ظاهر .

ص:۲۱

۱- ۱) ۴۶-۴۱

۲- ۲) ۳۱-۲۳.

و قوله: و يبادر بهم الساعه أن تنزل بهم.

أى يسارع إلى هديهم و تسليكهم لسبيل اللّه كيلا تنزل بهم الساعه على عمى منهم عن صراط اللّه فيقعوا فى مهاوى الهلاك .

و قوله: يحسر الحسير و يقف الكسير.إلى قوله:لا خير فيه.

إشاره إلى وصفه عليه السّلام بالشفقّه على الخلق فى حال أسفارهم معه فى الغزوات و نحوها:أى أنّه كان يسير فى آخرهم و يفتقد المنقطع منهم عن عياء و انكسار مركوب فلا يزال يلطف به حتّى يبلّغه أصحابه إلاّ ما لا يمكن إيصاله و لا يرجى.قال بعض السالكين:كنّى بالحسير و الكسير عمن عجز و وقف قدم عقله فى الطريق إلى اللّه لضعف فى عين بصيرته و اعوجاج فى آله إدراكه ،و بقيامه عليه حتّى يلحقه إلى غايته عن أخذه له بوجوه الحيل و الجواذب إلى الدين حتّى يوصله إلى ما يمكن من العقيده المرضيّه و الأعمال الزكيّه الّتى هى الغايه من طريق الشريعه المطلوب سلوكها.

و قوله: إلاّ هالكا لا خير فيه.

أراد به من كان مأيوسا من رشده لعلمه بأنّ تقويمه غير ممكن كأبى لهب و أبى جهل و نحوهما .

استعاره و قوله: فاستدارت رحاهم .

استعار لهم لفظ الرحا لاجتماعهم و ارتفاعهم على غيرهم كما يرتفع القطعه من الأرض عن تألّف التراب و نحوه .

استعاره مرشحه-استعاره بالكنايه و قوله: و استوسقت فى قيادها.

إشاره إلى طاعه من أطاع من العرب و انقاد للإسلام،و استعار لفظ الاتّساق و القياد ملاحظه لتشبيههم بالإبل المجتمعه لسائقها و المنتظمه فى قياده لها ،و استعار لفظ الخاصره للباطل،و رشّح تلك الاستعاره بذكر البقر ملاحظه لشبهه بالحيوان المبتلع ما هو أعزّ قيمه منه،و كنّى به عن تميّز الحقّ منه .و باللّه التوفيق.

۱۰۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ؟مُحَمَّداً ص؟- شَهِيداً وَ بَشِيراً وَ نَذِيراً-

ص:۲۲

خَيْرَ الْبَرِيَّهِ طِفْلاً- وَ أَنْجَبَهَا كَهْلاً- وَ أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَهً- وَ أَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَهً فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِی لَذَّتِهَا- وَ لاَ تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلاَفِهَا- إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا- قَلِقاً وَضِينُهَا- قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ- بِمَنْزِلَهِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ- وَ حَلاَلُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ- وَ صَادَفْتُمُوهَا وَ اللَّهِ ظِلاًّ مَمْدُوداً- إِلَی أَجَلٍ مَعْدُودٍ- فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَهٌ- وَ أَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَهٌ- وَ أَيْدِی الْقَادَهِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَهٌ- وَ سُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَهٌ- وَ سُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَهٌ- أَلاَ وَ إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً- وَ لِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً- وَ إِنَّ الثَّائِرَ فِی دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِی حَقِّ نَفْسِهِ- وَ هُوَ اللَّهُ الَّذِی لاَ يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ- وَ لاَ يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ- فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا؟بَنِی أُمَيَّهَ؟ عَمَّا قَلِيلٍ- لَتَعْرِفُنَّهَا فِی أَيْدِی غَيْرِكُمْ- وَ فِی دَارِ عَدُوِّكُمْ أَلاَ إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِی الْخَيْرِ طَرْفُهُ- أَلاَ إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَی التَّذْكِيرَ وَ قَبِلَهُ أَيُّهَا النَّاسُ- اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَهِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ- وَ امْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ- عِبَادَ اللَّهِ لاَ تَرْكَنُوا إِلَی جَهَالَتِكُمْ- وَ لاَ تَنْقَادُوا إِلَی أَهْوَائِكُمْ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ- يَنْقُلُ الرَّدَی عَلَی ظَهْرِهِ مِنْ

مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ- لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ- يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لاَ يَلْتَصِقُ- وَ يُقَرِّبَ مَا لاَ يَتَقَارَبُ- فَاللَّهَ اللَّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ- وَ لاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ- إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلاَّ مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ- الْإِبْلاَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ- وَ الاِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ- وَ الْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ- وَ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا- وَ إِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا- فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ- وَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ- عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ- وَ انْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تَنَاهَوْا عَنْهُ- فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي

اللغه

أقول: الشيمه: الخلق .و احلولى: حلا .و الخلف: حلمه ضرع الناقه .

و الوضين: حزام الهودج .و المخضود: الّذى لا شوك فيه .و الماتح: الجاذب للدلو من البئر .و شغر الكلب: رفع إحدى رجليه ليبول .و الترويق: التصفيه .

و الجرف: المكان يأكله السيل .و هار: أصله هائر و هو المنهدم نقلت من الثلاثى إلى الرباعى كشائك و شاكى .و الشجو: الهمّ و الحزن .و صوّح النبت: يبس .

المعنى

و قوله:حتّى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلم.إلى قوله:من بعده .

و قوله: حتّى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلم.إلى قوله:من بعده.

افتخار به صلّى اللّه عليه و آله و سلم و مدح له بالقوّه فى الدين و توبيخ لجمّع الدنيا و محبّيها بعده،و هو غايه لفصل سابق كأنّه ذكر فيه ما كانوا عليه من سوء الحال و القشف و الفقر،و منّ عليهم بذكر هذه الغايه الحسنه لتلك الأحوال،و وصّفه بأوصاف:

أحدها:كونه شهيدا،أى على الخلق بأعمالهم يوم القيامه كما قال تعالى «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» (۱)و قد عرفت كيفيّه هذه الشهاده.

۱- ۱) ۴-۴۵.

الثانی: و بشیرا للخلق بما أعدّهم من الثواب العظیم.

الثالث: و نـذیرا لهم بما أعـدّ للعصاه من العـذاب الألیم.و ینتظم هذه الأوصاف قوله تعالی «إِنّا أَرْسَـلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً» (۱)و الثلاثه أحوال .

الرابع: خیر البریّه طفلاـ ،و لمّا علمت أنّ الأفضـلیّه إنّما هی بالأعمال الصالحه و التسدیـد لسلوک سبیل اللّه و کان هو صـلّی اللّه علیه و آله و سلم منذ صباه و طفولیّته أفضل الخلق فی لزوم ذلک لا جرم کان خیر الناس طفلا .

الخامس: و أنجبها کهلا ،و لمّا کانت النجابه مسـتلزمه لکرم الخصال و التقاط الفضائل و تتبّعها و کان هو صـلّی اللّه علیه و آله و سلم فی کهولته و زهوته منبع کلّ فضیله لا جرم کان أنجبهم کهلا.و طفلا و کهلا منصوبان علی الحال أیضا .

السادس:کونه أطهر المطهّرین شیمه ،و لمّا کان صـلّی اللّه علیه و آله و سلم متمّم مکارم الأخلاق الظاهره و کلّ خلق عدل فمنه مکتسب لا جرم کان أطهر الشیمه و أکرم الخلق .

السابع: استعاره مرشحه-استعاره بالکنایه أجود المستمطرین دیمه .استعار له وصف السحاب المرجوّ منه نزول الدیمه و هی المطر الّذی لا رعـد فیه و لا برق،و رشّح بلفظ الدیمه و کنّی بذلک عن غایه جوده و کرمه،و قد کان صـلّی اللّه علیه و آله و سـلم إذا أمسی آوی إلی البیت فلا یجد فیه شیئا من فضّه أو ذهب إلاّ تصدّق به و لم یبت فی بیته منه شیء .و شیمه و دیمه تمیزان .

و قوله:فما احلولت لکم الدنیا فی لذّاتها.إلی قوله:من بعده.

استعاره بالکنایه-استعاره مرشحه و قوله: فما احلولت لکم الدنیا فی لذّاتها.إلی قوله:من بعده.

الخطاب لبنی امیّه و نحوهم و تبکیت لهم بتطعّمهم لـذّه الـدنیا و ابتهاجهم بها و تمکّنهم منها بعد الرسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلم و تـذکیر لهم بمخالفتهم لسـنّته فی ذلک.و اسـتعار لفظ الأخلاف،و کنّی به عن وجوه مکاسب الدنیا و لذّاتها،و رشّح تلک الاستعاره بذکر الرضاع،و کنّی به عن تناولها ملاحظه لتشبیهها بالناقه .

و قوله:و صادفتموها.إلی قوله:غیر موجود .

استعاره مرشحه-استعاره بالکنایه و قوله: و صادفتموها.إلی قوله:غیر موجود.

استعار لها لفظ الخطام و الوضین و رشّحهما بالقلق و الجولان،و کنّی بذلک عن مصادفتهم للدنیا بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم غیر منظومه الحال و لا مضبوطه علی ما ینبغی

ص:۲۵

۱- ۱) ۴۴-۳۳.

لضعف ولاتها عن إصلاح حالها كما أنّ الناقه قلقه الحزام،و جائله الخطام غير منظومه الآله و لا مضبوطه الحاله فهى بمعرض أن تمشى و تنصرف على غير استقامه فهلك راكبها ، تشبيه ثمّ ذكر رذيله القوم فشبّه حرامها بالسدر المخضود معهم ،و وجه الشبه أنّ نواهى اللّه و وعيداته على فعل المحرّمات تجرى مجرى الشوك للسدر فى كونها مانعه منه كما يمنع شوك السدر جانبه من تناول ثمرته،و لمّا كان بعض الامّه قد طرح اعتبار النواهى و الوعيد جانبا عن نفسه و فعل ما حرم عليه جرى ذلك عنده مجرى تناوله للسدر الخالى عن الشوك فى استسهاله تناوله و إقدامه عليه .و كون حلالها بعيدا غير موجود:أى بين اولئك المشار إليهم.و جائلا و قلقا حالان .

قوله:و صادفتموها و اللّه.إلى قوله:معدودا.

استعاره مرشحه بالكنايه قوله: و صادفتموها و اللّه.إلى قوله:معدودا.

استعار لفظ الظلّ لها و رشّح بالممدود،و كنّى بذلك عن زوالها بعد حين تهديدا لهم به،ثمّ استعار لفظ الشاغره للأرض،و كنّى به عن خلوّها لهم.يقال:

بقى الأمر الفلانىّ شاغرا برجله إذا لم يكن له طالب و لا حام يحميه،و كنّى ببسط أيديهم فيها عن قدرتهم على التصرّف ،و أراد بالقاده الخلفاء،و بسلاطه سيوفهم على القاده جرأتهم و حكمهم عليهم،و بقبض سيوف القاده عدم تمكّنهم منهم .

و قوله:ألا إنّ لكلّ دم ثائرا.إلى قوله:من هرب.

استعاره و قوله: ألا إنّ لكلّ دم ثائرا.إلى قوله:من هرب.

تهديد باللّه لبنى اميّه و تخويف بأخذه و عقابه.و هاتان الكلّيّتان ظاهرتا الصدق فإنّه تعالى هو الثائر لكلّ دم معصوم و الطالب به إن عدم طالبه أو ضعف،و لمّا كان دم مثلهم عليهم السّلام و سائر الصحابه ممّن عصم اللّه دمه و منع منه و حرّمه يجرى مجرى الحقّ الثابت المتعارف للّه فى كونه يطلب به و لا يهمله و هو الحاكم المطلق لا جرم استعار لفظ الثائر ،و إنّما قال: كالحاكم لأنّ إطلاق لفظ الحقّ للّه تعالى به ليس بحقيقه.إذ الحقّ من شأنه أن ينتفع بأخذه و يتضرّر بتركه و البارى منزّه عن ذلك لكن لمّا جرى ذلك الدم مجرى الحقّ له تعالى،به أشبه الحاكم منّا فى استيفاء الحقّ .

و وصفه تعالى بأنّه لا يعجزه مطلوب و لا يفوته هارب فى معرض التهديد لهم بأخذه و قوّته .ثمّ أردف ذلك بالقسم البارّ مخاطبا لبنى اميّه لتعرفنّها :أى الدنيا و إمرتها

فى يد غيرهم من أعدائهم.و ذلك ظاهر الصدق بانتقالها إلى بنى عبّاس ،ثمّ شرع بعده فى التنبيه على الفكر فى تحصيل السعاده الباقيه و الخير الدائم و على قبول الوعظ و التذكّر فأشار إلى أنّه أبصر الأبصار ما نفذ فى الخير طرفه ،و أسمع الأسماع ما وعى التذكير فقبله، استعاره و أراد بطرف البصر العقل و سمعه استعاره ،أو حسّ البصر و السمع على معنى أنّ أفضل إبصار البصر و سماع السمع ما عاد على المبصر و السامع بالفائده المطلوبه منهما و هى تحصيل الكمالات النفسانيّه من العلوم و الأخلاق ،و لمّا قدّم ذلك أمام مقصوده أيّه بالناس بعده إلى قبول قوله و الاستصباح بنوره، استعاره مرشحه بالكنايه و استعار لنفسه لفظ المصباح ،و رشّح بذكر الشعله و الاستصباح ،و استعار لفظ العين و رشّح بذكر الصفو و الترويق و المتح،و وجه الاستعاره الاولى كونه مقتدى به كالمصباح،و وجه الثانيه كون المستفاد منه مادّه الحياه الأبديّه كما أنّ ماء العين مادّه الحياه الدنيويّه و كنّى بترويقها من الكدر عن رسوخه فيما علم بحيث لا يتطرّق إليه فيه شبهه تكدر يقينه،و هو أمر لهم بالاهتداء به و أخذ العلوم و الأخلاق عنه .ثمّ لمّا أمر بأخذهما عنه أردفه بالنهى عن الجهل و الركون إليه ثمّ عن الانقياد للأهواء الباطله المخرجه عن كرائم الأخلاق إلى رذائلها و عن حقّ المصالح إلى باطلها.

و قوله:فإنّ النازل بهذا المنزل .

و قوله: فإنّ النازل بهذا المنزل.

أراد المنزل المشير المدّعى للنصيحه لهم عن جهل منه بوجوه المصالح و ذلك أنّه عليه السّلام كان يرى الرأى الصالح،و يشير عليهم به فإذا خلا بعضهم إلى بعض فما كان من ذلك فيه مشقّه عليهم من جهاد أو مواظبه على عمل شاقّ أشار منافقوهم المبغضون المدّعون لأهليّتهم لمقامه بعكس ما رأى فيه و أشار به ردّ و هم عنه إلى ما يوافق أهوائهم و يلائم طباعهم إفسادا فى الدين،و أشار عليه السّلام إلى ما نزّل نفسه منزله المشير الناصح مع أنّ كلّ ما يشير به عن هوى متّبع و جهل فهو على شفا جرف هار، استعاره و استعار لفظ الجرف للآراء الفاسده الصادره فإنّها لم تبن على نظام العقل و لم ترخّص فيه الشريعه فكانت منهاره لا يبنى عليها إلّا ما كان بصدد أن ينهار،و كأنّ المشير بها واقف على شفا جرف هار منها ينهار به فى نار جهنّم أو فى الهلاك الحاضر.

يقال لمن فعل فعلا على غير أصل أو يتوقّع له منه عقوبه مثلا:إنّه على شفا جرف هار،و نحوه قوله تعالى «أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ هارٍ» (۱)الآيه .

و قوله:ينقل الردى على ظهره من موضع .

و قوله: ينقل الردى على ظهره من موضع.

لمّا كان الردى هو الهلاك و كان الرأى الفاسد يستلزم الهلاك للمشار عليه و للمشير كان المشير على الخلق به عن هوى كالناقل للهلاك من شخص إلى غيره و المقسّم له على من يشير عليهم به.و هو فى معرض التنفير عنه.

و قوله:لرأى يحدثه بعد رأى يريد أن يلصق ما لا يلتصق .

و قوله: لرأى يحدثه بعد رأى يريد أن يلصق ما لا يلتصق.

ذكر غايه تنقّله من موضع إلى آخر فإنّ نقله للردى يستلزم أن ينقله، و روى:و لرأى بالواو.و على هذا يكون كلاما مستأنفا،و التقدير أنّ بسبب رأى يحدثه يريد إلصاق ما لا يلتصق. استعاره و استعار لفظ اللصق للصلح:أى يريد أن يصلح بينكم و بين أعدائكم و ذلك أمر لا ينصلح،و وجه المشابهه كون الخصمين فى طرفين يجمعهما الصالح و يوجب لهما الاتّحاد كما يجمع اللصاق بين الملتصقين ،و يحتمل أن يريد أن يلصق بكم من الآراء الفاسده ما لا ينبغى أن يلتصق بكم ،و كذلك قوله: و يقرّب ما لا يتقارب و يقرّب عليكم ما بينكم و بينهم من البعد و الافتراق و ذلك أمر لا يتقارب.و يفهم من هذا أنّ من كان ينهاهم عن الركون إلى استشارته كان يخذلهم عن الحرب بذكر الصلح بينهم و بين معاويه و الدخول فيه .

ثمّ حذّرهم اللّه و عقابه فى أن يشكوا إلى من لا يشتكى حزنهم،و ذل أنّ المشتكى إليه و المستشار إذا لم يساهم الشاكى همّه لم يكن أهلا للرأى فى مثل ذلك الأمر المشكوك و إن كان معروفا بجوده الرأى،و سرّ ذلك أنّ الاهتمام بالأمر يبعث رائد الفكر على الاستقصاء فى تفتيش وجوه الآراء الصالحه فيه فيكون بصدد أن يستخرج منها أصلحها و أنفعها و إن كان دون غيره فى جوده الرأى بخلاف الخلىّ العديم الباعث على طلب الأصلح .و أردفهم بنهيهم عن أن ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه هو عليه السّلام لهم من الرأى الصائب فى التجرّد للحرب .ثمّ أردفه ببيان ما يجب على الإمام ممّا

۱- (۱) ۱۱۰-۹.

هو تكليفه بالنسبه إلى الرعيّه،و فائده ذلك الإعذار إليهم فيما هم عساهم ينسبونه إليه من تقصير فيركنون إلى غيره فى الرأى و نحوه،و ذكر امورا خمسه:الإبلاغ فى موعظه العباد .ثمّ الاجتهاد فى النصيحه لهم .ثمّ الإحياء لسنّه اللّه و رسوله فيهم .ثمّ إقامه الحدود الّتى يستحقّونها بجناياتهم .ثمّ إصدار السهمان على أهلها.و السهمان:

جمع سهم و هو النصيب المستحقّ به للمسلم من بيت المال .ثمّ استعاره مرشحه بالكنايه لمّا سبق نهيه عن الركون إلى الجهل أمر هنا بالمبادره إلى العلم من قبل تصويح نبته،و استعار لفظ النبت ، و رشّح بذكر التصويح،و كنّى به عن عدمه بموته عليه السّلام .

و قوله:من قبل أن تشغلوا بأنفسكم .

و قوله: من قبل أن تشغلوا بأنفسكم .

أى بتخليصها من شرور الفتن الّذى ستنزل بهم من بنى اميّه و معاناتها، و مستشار العلم ما استشير منه و استخرج،و أهله هو عليه السّلام و من فى معناه .ثمّ أمرهم بالانتهاء عن المنكر،ثمّ ينهى غير هم فإنّ النهى عن الشىء بعد الانتهاء عنه هو النهى المثمر المطابق لمقتضى الحكمه.إذ كان انفعال الطباع عن مشاهده الأفعال و الاقتداء بها أقوى و أسرع منها عن سماع الأقوال خصوصا إذا خالفها فعل القائل.و ذلك أمر ظاهر شهدت به العقول السليمه و التجارب و توافقت عليه الآراء و الشرائع،و إليه أشار الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

١٠٣-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» شَرَعَ الْإِسْلاَمَ- فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ- وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ- فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ- وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ- وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ- وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ- وَ نُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ وَ فَهْماً لِمَنْ عَقَلَ- وَ لُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ- وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ- وَ تَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ- وَ عِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ ثِقَةً

لِمَنْ تَوَكَّلَ- وَ رَاحَهً لِمَنْ فَوَّضَ وَ جُنَّهً لِمَنْ صَبرَ- فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ وَ أَوْضَحُ الْوَلاَئِجِ- مُشْرَفُ الْمَنَارِ مُشْرِقُ الْجَوَادِّ- مُضِیءُ الْمَصَابِیحِ کَرِیمُ الْمِضْمَارِ- رَفِیعُ الْغَایَهِ جَامِعُ الْحَلْبَهِ- مُتَنَافِسُ السُّبْقَهِ شَرِیفُ الْفُرْسَانِ- التَّصْدِیقُ مِنْهَاجُهُ- وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ- وَ الْمَوْتُ غَایَتُهُ وَ الدُّنْیَا مِضْمَارُهُ- وَ الْقِیَامَهُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّهُ سُبْقَتُهُ

اللغه

أقول: الأبلج: الواضح المشرق .و الولیجه : بطانه الرجل و خاصّته .

و المضمار: محلّ تضمیر الخیل للسباق .و الحلبه: خیل یجمع من مواضع متفرّقه للسباق،و قد تطلق علی مجمعها .و السبقه: ما یستبق علیه من الخطر .

المعنی

اشاره

و قد حمد اللّه سبحانه باعتبار ما أنعم به من وضع شریعه الإسلام للعقول لتسلک بها إلیه ،و أشار بشرائعه إلی موارد العقول من أرکانه،و تسهیله لها إیضاح قواعده و خطاباته بحیث یفهمهما الفصیح و الألکن و یشارک الغبیّ فی ورود مناهلها الفطن الذکیّ ،و إعزاز أرکانه حمایتها و رفعها علی من قصد هدمه و إطفاء نوره مغالبه من المشرکین و الجاهلین.

مدح الإسلام بأوصاف أسندها إلی مفیضه و شارعه سبحانه

و تعالی]

ثمّ مدح الإسلام بأوصاف أسندها إلی مفیضه و شارعه سبحانه و تعالی :

أحدها:

تشبیه جعله أمنا لمن علقه .و ظاهر کونه أمنا لمن تعلّق به فی الدنیا من القتل و فی الآخره من العذاب .

الثانی:

و سلما لمن دخله :أی مسالما له،و فی الأوّل ملاحظه لتشبیهه بالحرم باعتبار دخوله،و فی الثانی ملاحظه لشبهه بالمغالب من الشجعان باعتبار مسالمته.

و معنى مسالمه الإسلام له كونه محقون الدم مقرّرا على ما كان يملكه فكأنّ الإسلام سالمه أو صالحه لكونه لا يقتصّ ما يؤذيه بعد دخوله فيه .

الثالث:

كونه برهانا لمن تكلّم به :أى فيه ما هو برهان .

الرابع:

كونه شاهدا لمن خاصم به :و الشاهد أعمّ من البرهان لتناوله الجدل

ص:٣٠

و الخطابه .

الخامس:

استعاره مرشحه كونه نورا يستضاء به .فاستعار له لفظ النور،و رشّحه بذكر الاستضاءه، و وجه المشابهه كونه مقتدى به فى طريق اللّه إلى جنّته .

السادس:

مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب كونه مفهما لمن عقل .و لمّا كان الفهم عباره عن جوده تهيّؤ الذهن لقبول ما يرد عليه كان الدخول فى الإسلام و رياضه النفس بقواعده و أركانه سببا عظيما لتهيّؤ الذهن لقبول الأنوار الإلهيّه و فهم الأسرار لا جرم أطلق عليه لفظ الفهم مجازا إطلاقا لاسم المسبّب على السبب .

السابع:

مجاز إطلاقا لاسم المسبب على السبب كونه لبّا لمن تدبّر .و لمّا كان اللبّ هو العقل أطلق عليه لفظ العقل و إن كان مسبّبا له كالمجاز الأوّل،و أراد العقل بالملكه و ما فوقه من مراتب العقل فإنّ الإسلام و قواعده أقوى الأسباب لحصول العقل بمراتبه .

الثامن:

كونه آيه لمن توسّم .و أراد من تفرّس طرق الخير و مقاصده فإنّ الإسلام آيه و علامه لذلك المتفرّس،إذ اهتدى بها فقد وقع فى طريق الهدى .

التاسع:

كونه تبصره لمن عزم .و أراد من عزم على أمر قصده فإنّ فى الإسلام تبصره لكيفيّه فعله على الوجه الّذى ينبغى .

العاشر:

كونه عبره لمن اتّعظ .و ذلك ظاهر فإنّ الإسلام نعم المعبر بنفس المتّعظ إلى حضره قدس اللّه بما فيه من أحوال القرون الماضيه و تصرّف الزمان بهم .

الحادی عشر:

مجاز إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب کونه نجاه لمن صدّق الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم فیما جاء به.فإنّ دخوله فی الإسلام سبب نجاته من سیوف اللّه فی الدنیا و عذابه فی الآخره،و أطلق علیه اسم النجاه إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب .

الثانی عشر:

کونه ثقه لمن توکّل :أی هو سبب ثقه المتوکّلین علی اللّه لاشتماله علی الوعد الکریم و به یکون استعدادهم للتوکّل .

الثالث عشر:

کونه راحه لمن فوّض :أی من ترک البحث و الاستقصاء فی الدلائل و تمسّک بأحکام الإسلام و دلائل القرآن و السنّه المتداوله بین أهله و فوّض أمره إلیه استراح بذلک التفویض.و قیل:بل المراد أنّ فیه الندب إلی تفویض

ص:۳۱

الأمور إلى اللّه و علم ما لم يعلم منها و ترك التكليف به و ذلك راحته،و قيل:بل المراد أنّ المسلم إذا كمل إسلامه و فوّض أمره إلى اللّه كفاه اللّه جميع اموره و أراحه من الاهتمام بها .

الرابع عشر:

استعاره كونه جنّه لمن صبر :أى صبر على العمل بقواعده و أركانه، و ظاهر كونه جنّه من عذاب اللّه،و لفظ الجنّه مستعار .

الخامس عشر:

أبلج المناهج ،و مناهج الإسلام طرقه و أركانه الّذى يصدق على من سلكها أنّه مسلم،و هى الإقرار باللّه و رسوله و التصديق بما ورد به الشريعه كما يفسّره هو به،و ظاهر كونها أنوار واضحه الهدى .

السادس عشر:

كونه واضح الولايج :واضح البواطن و الأسرار لمن نظر إليه بعين الاعتبار .

السابع عشر:

كونه مشرف المنار ،و منار الإسلام الأعمال الصالحات الّتى يقتدى بها السالكون كالعبادات الخمس و نحوها،و ظاهر كونه مشرفه عاليه على غيرها من العبادات السابقه .

الثامن عشر:

كونه مشرق الجوادّ .و هو قريب من أبلج المناهج .

التاسع عشر:

استعاره بالكنايه مرشحه كونه مضىء المصابيح .و كنّى بها عن علماء الإسلام و أئمّته كنايه بالمستعار،و رشّح بذكر الإضاءه،و كنّى بها عن ظهور العلم عنهم و اقتداء الخلق بهم،و يحتمل أن يريد بالمصابيح أدلّه الإسلام كالكتاب و السنّه .

العشرون:

استعاره کونه کریم المضمار ،و مضمار الإسلام الدنیا کما سنذکره،و لا شکّ فی کونها کریمه باعتبار اقتباس الأنوار منها و العبور بها إلی اللّه تعالی،و لفظ المضمار مستعار لها ،و قد سبق بیانه .

الحادی و العشرون:

کونه رفیع الغایه ،و لمّا کانت غایته الوصول إلی حضره ربّ العالمین الّتی هی جنّه المأوی لا جرم کان رفیع الغایه.إذ لا غایه أرفع منها و أعلی مرتبه .

الثانی و العشرون:

استعاره کونه جامع الحلبه ،و استعار لفظ الحلبه للقیامه

ص:۳۲

فإنّها حلبه الإسلام كما سنبيّنه،و وجه الاستعاره كونها محلّ الاجتماع بها للسباق إلى حضره اللّه الّتى هى الجنّه كاجتماع الخيل للسباق إلى الرهن .

الثالث و العشرون:

كونه متنافس السبقه ،و لمّا كانت سبقته الجنّه كانت أشرف ما يتنافس فيها .

الرابع و العشرون:

استعاره كونه شريف الفرسان ،و استعار لفظ الفرسان لعلمائه الّذين هم فرسان العلوم و رجالها ملاحظه لشبههم بالفرس الجواد الّذى يجارى راكبه .

الخامس و العشرون:

التصديق منهاجه ،و هى إلى آخره تفسير لما اهمل تفسيره من منهاجه و مناره و غايته و مضماره و حلبته و سبقته،و إنّما جعل الموت غايه:

أى الغايه القريبه الّتى هى باب الوصول إلى اللّه تعالى،و يحتمل أن يريد بالموت موت الشهوات فإنّها غايه قريبه للإسلام أيضا ،و كذلك استعاره استعار لفظ السبقه للجنّه لكونها الثمره المطلوبه و الغايه من الدين كما أنّ السبقه غايه سعى المتراهنين .

القسم الثانى منها فى ذكر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

اشاره

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ- وَ أَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ- فَهُوَ أَمِينُکَ الْمَأْمُونُ- وَ شَهِيدُکَ يَوْمَ الدِّينِ- وَ بَعِيثُکَ نِعْمَةً وَ رَسُولُکَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً- اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِکَ- وَ اجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِکَ- اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ- وَ أَکْرِمْ لَدَيْکَ نُزُلَهُ- وَ شَرِّفْ عِنْدَکَ مَنْزِلَهُ- وَ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَ أَعْطِهِ السَّنَاءَ وَ الْفَضِيلَةَ- وَ احْشُرْنَا فِی زُمْرَتِهِ- غَيْرَ خَزَايَا وَ لاَ نَادِمِينَ- وَ لاَ نَاکِبِينَ وَ لاَ نَاکِثِينَ- وَ لاَ ضَالِّينَ وَ لاَ مُضِلِّينَ وَ لاَ مَفْتُونِينَ قال الشريف:و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم،إلا أننا كررناه ههنا لما فى الروايتين من الاختلاف.

ص:۳۳

اللغه

أقول: القبس: الشعله .و أورى: أشعل .و الحابس: الواقف بالمكان .

و النزل: ما يهيّأ للنزيل من ضيافه و نحوها .و السناء: الرفعه .و الزمره: الجماعه من الناس .و الناكب: المنحرف من الطريق .

المعنى

فقوله:حتّى أورى.إلى قوله:لحابس .

فقوله: حتّى أورى.إلى قوله:لحابس.

غايه لكلام مدح فيه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ذكر جهاده و اجتهاده فى الدين للغايه المذكوره، استعاره و استعار لفظ القبس لأنوار الدين المشتعله لتقتبس منها نفوس الخلائق أنوار الهدى،و كذلك استعار لفظ العلم و أسند إليه تنويره .و يفهم منه أمران:

أحدهما:أنّه أظهر أنوارا جعلها أعلاما يهتدى بها فى سبيل اللّه من حبسته [أجلسته خ]ظلمه الحيره و الشبهه عن سلوكها فهو واقف على ساق التحيّر كقوله تعالى «وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا» (۱)كنايه و كنّى بتلك الأعلام عن آيات الكتاب و السنن.

الثانى:أن يكون المراد بالأعلام أئمّه الدين،و تنويره لها تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسيّه من الكمالات و العلوم.

و قوله:فهو أمينک المأمون .

و قوله: فهو أمينك المأمون.

أى على وحيك ، و شهيدك يوم الدين :أى على خلقك ، و بعيثك نعمه :أى مبعوثك إليهم نعمه عليهم بهدايتهم به إلى جنّتك ، و رسولك بالحقّ رحمه لعبادك أن يقعوا فى مهاوى الهلاك بسخطك «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ » ثمّ أردفه بالدعاء له صلّى اللّه عليه و آله و سلم فدعا اللّه أن يقسم له مقسما من عدله،و لمّا كان مقتضى عدل اللّه أن يبلغ نفسا هى محلّ الرساله أقصى ما استعدّت له من درجات الكمال و يعدّها بذلك لكمال أعلى،دعا له أن يقسم له نصيبا وافرا من عدله يعدّه به للدرجات من رتب الوصول الغير المتناهيه.

و قوله:و اجزه مضاعفات الخير من فضلک .

و قوله: و اجزه مضاعفات الخير من فضلك.

لمّا دعا له بما يستحقّه زاد على ذلك فدعا له بأن يتفضّل عليه بزياده من فضله فيضاعف له ما يستحقّه من الخيرات.

۱- ۱) ۱۹-۲.

و قوله:اللّهمّ أعل على بناء البانين بنائه .

و استعاره قوله: اللّهمّ أعل على بناء البانين بنائه.

دعاء ليشيّد ما بناه من قواعد الدين على سائر بناء البانين للشرائع من الرسل قبله،و أراد ما بناه لنفسه من مراتب الكمال،و لفظ البناء مستعار .ثمّ دعا أن يكرم لديه ما هيّأه له من الثواب الجزيل و أن يشرّف مقامه فى حضره قدسه و أن يؤتيه ما يتوسّل به إليه و يقرّ به منه،و هو أن يكمّل استعداده لما هو أتمّ القوّه على الوصول إليه ،و أن يعطيه الرفعه و يشرّفه بالفضيله التامّه ،و أن يحشره فى زمرته على أحوال:

غير خازين:أى بقبائح الذنوب ،و لا نادمين على التفريط فى جنب اللّه و التقصير فى العمل بطاعته ،و لا ناكبين منحرفين عن سبيله إلى أحد طرفى التفريط و الإفراط ، و لا ناكثين لعهوده و مواثيقه الّتى واثق بها خلقه أن يعبدوه و يخلصوا له الدين ،و لا ضالّين عن سواء السبيل العدل ،و لا مفتونين بشبهات الأباطيل.و باللّه التوفيق.

القسم الثالث و منها فى خطاب أصحابه:

اشاره

وَ قَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَهِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ- مَنْزِلَهً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ- وَ تُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ- وَ يُعَظِّمُكُمْ مَنْ لاَ فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ- وَ لاَ يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ- وَ يَهَابُكُمْ مَنْ لاَ يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَهً- وَ لاَ لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَهٌ- وَ قَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَهً فَلاَ تَغْضَبُونَ- وَ أَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ- وَ كَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ- وَ عَنْكُمْ تَصْدُرُ وَ إِلَيْكُمْ تَرْجِعُ- فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَهَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ- وَ أَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ- وَ أَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِى أَيْدِيهِمْ- يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ- وَ يَسِيرُونَ فِى الشَّهَوَاتِ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ- لَجَمَعَكُمُ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ

المعنى

أقول:صدّر هذا الفصل بتذكيرهم المنزله الّتى أكرمهم اللّه بها من الإسلام

و الهدایه للإیمان و ما فی تلک المنزله من الفضل حتّی عمّت حرمتها إمائهم و جیرانهم و إن کانوا غیر مسلمین ،و عظّمهم من لا فضل لهم علیه و لا ید لهم عنده،و هابهم من لا یخاف سطوتهم.و ظاهر أنّ سبب ذلک کلّه هو کرامه اللّه لهم بالإسلام و الهدایه للإیمان .ثمّ لمّا قرّر نعمه اللّه علیهم أردف ذلک بالتوبیخ لهم علی اتقصیر فی أداء واجب حقّه، و أشار إلی ارتکابهم لبعض مسبّبات کفران نعمته و هو عدم إنکارهم لما یرون من نقض عهود اللّه و سکوتهم علیها و عدم غضبهم منها کالراضین بذلک،و أراد بذلک بغی البغاه و خروج الخوارج و سائر المنکرات الّتی وقعت من أهل الشام و غیرهم،خالفوا فیها أمر اللّه و نکثوا بیعته الّتی هی عهد من عهود اللّه علیهم فإنّ السکوت علی مثل ذلک مع التمکّن من إزالته و إنکاره بالجهاد منکرهم راکبوه،و الواو فی قوله:و أنتم للحال:

أی و أنتم مع ذلک تأنفون لنقض ذمم آبائکم فکان یجب منکم بطریق الأولی أن تأنفوا لعهود اللّه أن تنقض و ذممه أن تخفر .ثمّ ذکّرهم تقریطهم و تهاونهم فی الأمور الّتی کان اللّه سبحانه فرضها علیهم و جعلهم موردها و مصدرها من امور الإسلام و أحکامه و التسلّط به علی سائر الناس و بکّتهم بتمکینهم الظلمه فی منزلتهم تلک من الإسلام، و أراد بالظلمه معاویه و قومه و بتمکینهم لهم تخاذلهم عنهم و إلقائهم أزمّه الامور إلیهم بذلک، استعاره و لفظ الأزمّه مستعار ،و الامور الّتی سلّموها إلیهم أحوال بلاد الإسلام.کلّ ذلک بالتقصیر عن مجاهدتهم .و عملهم بالشبهات :عملهم علی وفق أوهامهم الفاسده و آرائهم الباطله الّتی یتوهّمونها حججا فیما یفعلون ،و سیرهم فی الشهوات :قطع أوقاتهم بالانهماک فی مقتضیات الشهوه .

و قوله: و أیم اللّه.إلی آخره.

تحذیر لهم و إنذار بما سیکون من بنی امیّه من جمع الناس فی بلائهم و شرورهم و عموم فتنتهم ، کنایه و کنّی بالیوم عن مدّه خلافتهم الّتی کانت شرّ الأوقات علی الإسلام و أهله ،و إنّما نسب التفریق إلیهم و الجمع إلی اللّه تقریرا لما سینزل به قدره من ابتلاء الخلق بهم فإنّهم لو فرّقوهم فی أطراف البلاد لم یغنهم ذلک التفریق عن لحوق قدر اللّه لهم و لم یمنعهم من نزوله بجمیعهم بما یراد لهم من الابتلاء بدوله بنی امیّه

و شرورها،و أحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين من عباد اللّه ظاهره.و باللّه العصمه و التوفيق

۱۰۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ قَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ- وَ انْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ- تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ- وَ أَعْرَابُ أَهْلِ؟الشَّامِ؟- وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ- وَ يَآفِيخُ الشَّرَفِ- وَ الْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ- وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ- وَ لَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي- أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَهٍ- تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ- وَ تُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ- حَسّاً بِالنِّصَالِ وَ شَجْراً بِالرِّمَاحِ- تَرْكَبُ أُوْلاَهُمْ- أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَهِ- تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا- وَ تُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا

اللغه

أقول: الجوله: الدوله .و انحاز: زلّ .و الطغام: أوغاد الناس .و اللهاميم:

جمع لهموم و هو الجواد من الناس .و اليئافيخ: جمع يأفوخ و هو أعلى الدماغ .

و الوحاوح: جمع وحوحه و هو صوت فيه بحح يصدر عن المتألّم .و الحسّ: الاستيصال .

و النضال: جمع نضل السيف .و الشجر: الطعن .و تذاد: تساق و تطرد .

المعنى

و فى هذا الفصل تبكيت لأصحابه بانحيازهم عن عدوّهم و تقريع،ثمّ تنحيه و إغراء كيلا يعادوا إلى الفرّ،و ذلك قوله: و قد رأيت.إلى قوله:أهل الشام :

أى و قد رأيت تخاذلكم عنهم حتّى حازكم أراذل أهل الشام مع أنّكم أهل الشرف و سادات العرب، استعاره و استعار لفظ اليئافيخ لهم.إذ كانوا بالنسبه إلى العرب فى علوّهم و شرفهم كاليئافيخ بالنسبه إلى الأبدان،و كذلك استعار لفظ الأنف و السنام ،و وجه المشابهه عزّهم و شرفهم كعزّه الأنف و تقدّمه،و حسن الوجه به بالنسبه إلى باقى الأعضاء ،و كعزّه السنام و علوّه بالنسبه إلى باقى أعضاء الجمل .ثمّ أردف ذلك

التبکیت و التذکیر بالرذیله بذکر فضیلتهم الّتی ختموا بها و هی حوزهم لعدوّهم بالأخره کحوزهم لهم أوّلا و إزالتهم عن مواقفهم کما أزالوهم و حسّهم استیصالا و طعنا یرکب مقدّمهم تالیهم،و أوّلهم آخرهم لیثبتوا علی مثل هذه الأفعال فی مثل تلک المواقف،و عدّ ذلک شفاء لوحاوح صدره، کنایه و کنّی بالوحاوح عمّا کان یجده من التألّم بسبب انقهار أصحابه و غلب عدوّهم لهم تشبیه و شبّههم فی تضعضعهم و رکوب بعضهم لبعض مولّین بالإبل العطاش الّتی اجتمعت علی الحیاض لیشرب ثمّ طردت و رمیت عنها بالسهام و ذیدت عمّا وردته فإنّ طردها علی ذلک الاجتماع یوجب لها أن یرکب بعضها بعضا و یقع بعضها علی بعض .و باللّه التوفیق.

۱۰۵-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

و هی من خطب الملاحم

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّی لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ- وَ الظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ- خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَیْرِ رَوِیَّهٍ- إِذْ کَانَتِ الرَّوِیَّاتُ لاَ تَلِیقُ إِلاَّ بِذَوِی الضَّمَائِرِ- وَ لَیْسَ بِذِی ضَمِیرٍ فِی نَفْسِهِ- خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَیْبِ السُّتُرَاتِ- وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِیرَاتِ

أقول:حمد اللّه تعالی باعتبارات خمسه :

أحدها:

اعتبار تجلّیه لخلقه بخلقه ،و قد علمت غیر مرّه أنّ تجلّیه یعود إلی إجلاء معرفته من مصنوعاته لقلوب عباده حتّی أشبهت کلّ ذرّه من مخلوقاته مرآه ظهر فیها لهم.فهم یشاهدونه علی قدر قبولهم لمشاهدته و تفاوت تلک المشاهده بحسب تفاوت أشعّه ابصار بصائرهم.فمنهم من یری الصنیعه أوّلا و الصانع ثانیا،و منهم من یراهما معا،و منهم من یری الصانع أوّلا،و منهم من لا یری مع الصانع غیره .

الثانی:

الظاهر لقلوبهم بحجّته :أی الواضح وجوده لقلوب منکریه بأوهامهم و ألسنتهم بقیام حجّته علیهم بذلک و هی إحکام الصنع و إتقانه فی أنفسهم و إن احتاجوا إلی تنبیه ما کقوله تعالی «وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ» و کذلک فی ملکوت السماوات

و الأرض كقوله تعالى «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ» (۱)الآيه و هو قريب ممّا مرّ .

الثالث:

خلقه الخلق بلا- رويّه و فكر فى كيفيّه خلقه ،و أشار إلى برهان سلب الرويّه عنه بقوله: إذ كانت الرويّات لا- تليق إلاّ- بذوى الضمائر :أى بذى قلب و حواسّ بدنيّه.و ليس بذى ضمير فى نفسه.و القياس من الشكل الثانى، و ترتيبه كلّ رويه فلذى ضمير،و لا شيء من واجب الوجود بذى ضمير.فينتج أنّه لا شيء من الرويّه لواجب الوجود سبحانه.و المقدّمتان جليّتان ممّا سبق غير مرّه .

الرابع:

كون علمه خارقا لباطن غيب السترات ،و هو إشاره إلى نفوذه فى كلّ مستتر و غائب بحيث لا يحجبه ستر و لا يستره حجاب .

الخامس:

كونه محيطا بغموض عقائد السريرات :أى بما دقّ من عقائد أسرار القلوب كقوله تعالى «يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى» .

القسم الثانى منها فى ذكر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

اشاره

اِخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَهِ الْأَنْبِيَاءِ- وَ مِشْكَاهِ الضِّيَاءِ وَ ذُؤَابَهِ الْعَلْيَاءِ- وَ سُرَّهِ ؟الْبَطْحَاءِ؟ وَ مَصَابِيحِ الظُّلْمَهِ- وَ يَنَابِيعِ الْحِكْمَهِ

اللغه

أقول: الذؤابه: ما تدلّى من الشعر و نحوه .و بطحاء مكّه: بسيط واديها .

و سرّه الوادى: أشرف موضع فيه .

و فى الفصل استعارات :

الاولى:

استعاره لفظ الشجره لصنف الأنبياء عليهم السّلام و وجه المشابهه كون ذلك الصنف ذا ثمر و فروع،ففروعه أشخاص الأنبياء،و ثمره العلوم و الكمالات النفسانيّه كما أنّ الشجره ذات غصون و ثمر .

الثانيه:

استعاره لفظ المشکاه لآل إبراهیم،و وجه المشابهه أنّ هؤلاء قد ظهرت منهم

ص:39

1- 1) 183-7.

الأنبياء و سطع من بيتهم ضياء النبوّه و نور الهدايه كما يظهر من نور المصباح من المشكاه .

الثالثه:

استعاره لفظ الذؤابه .و يشبه أن يشير به إلى قريش،و وجه المشابهه تدلّيهم فى أغصان الشرف و العلوّ عن آبائهم كتدلّى ذؤابه الشعر عن الرأس .

الرابعه:

استعاره سرّه البطحاء ،و أشار به إلى اختياره من أفضل بيت فى مكّه .

الخامسه:

استعاره استعاره لفظ المصابيح للأنبياء أيضا.و وجه المشابهه ظاهر.و قد مرّ غير مرّه كونهم مصابيح ظلمات الجهل .

السادسه:

استعاره استعاره لفظ الينابيع ،و وجه المشابهه فيضان العلم و الحكمه عنهم كفيضان الماء عن ينابيعه.

القسم الثالث و منها

اشاره

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ- وَ أَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَهُ إِلَيْهِ- مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَ آذَانٍ صُمٍّ- وَ أَلْسِنَهٍ بُكْمٍ- مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَهِ- وَ مَوَاطِنَ الْحَيْرَهِ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَهِ- وَ لَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَهِ- فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَهِ- وَ الصُّخُورِ الْقَاسِيَهِ- قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ- وَ وَضَحَتْ مَحَجَّهُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا- وَ أَسْفَرَتِ السَّاعَهُ عَنْ وَجْهِهَا- وَ ظَهَرَتِ الْعَلاَمَهُ لِمُتَوَسِّمِهَا- مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ- وَ أَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ- وَ نُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ- وَ تُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ- وَ أَيْقَاظاً نُوَّماً- وَ شُهُوداً غُيَّباً- وَ نَاظِرَهً عَمْيَاءَ- وَ سَامِعَهً صَمَّاءَ- وَ نَاطِقَهً بَكْمَاءَ رَايَهُ ضَلاَلٍ قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا- وَ تَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا- تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا- وَ تَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا- قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّهِ- قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّهِ- فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَهٌ كَثُفَالَهِ الْقِدْرِ- أَوْ نُفَاضَهٌ كَنُفَاضَهِ الْعِكْمِ- تَعْرُكُكُمْ

عَرْكَ الْأَدِيمِ- وَ تَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ- وَ تَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ- اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ- مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ- وَ تَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ- وَ تَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ- وَ مِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ- وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ- فَ «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ» - وَ لِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ- فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ- وَ أَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ- وَ اسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ- وَ لْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ- وَ لْيَجْمَعْ شَمْلَهُ- وَ لْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ- فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ- وَ قَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ- وَ رَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ- وَ عَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ وَ قَلَّتِ الدَّاعِيَةُ- وَ صَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ- وَ هَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ- وَ تَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ- وَ تَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ- وَ تَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ- وَ تَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ- فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً- وَ الْمَطَرُ قَيْظاً وَ تَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً- وَ تَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً- وَ كَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً- وَ سَلَاطِينُهُ سِبَاعاً وَ أَوْسَاطُهُ أُكَّالاً- وَ فُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً وَ غَارَ الصِّدْقُ- وَ فَاضَ الْكَذِبُ- وَ اسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ- وَ تَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ- وَ صَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً- وَ الْعَفَافُ عَجَباً- وَ لُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً

اللغه

أقول: المواسم: المسامير الّتى تكوى .و انجابت: انكشفت .و المتوسّم:

المتفرّس .و الضلّه: الضلال .و العكم بكسر العين: العدل .و البطينه: الممتليه .

و الغياهب: الظلم .و تؤفكون: تصرفون .و الفنيق: الفحل المكرم .و كظوم الجمل:

سكوته عن الجرّه .

المعنى

فقوله:طبيب دوّار بطبّه.

استعاره بالكنايه فقوله: طبيب دوّار بطبّه.

كنايه عن نفسه كنايه بالمستعار فإنّه طبيب مرضى الجهل و رذائل الأخلاق، و كنّى بدورانه بطبّه تعرّضه لعلاج الجهّال من دائهم و نصب نفسه لذلك ، استعاره و استعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم و مكارم الأخلاق ،و لفظ المواسم لما يتمكّن منه من إصلاح من لا ينفع فيه الموعظه و التعليم بالجلد و سائر الحدود.فهو كالطبيب الكامل الّذى يملك المراهم و الأدويه و المكاوى لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كلّ واحد من أدويته و مواسمه حيث الحاجه إليه من قلوب عمى يفتح عماها بإعدادها لقبول أنوار العلم و الهدايه لسلوك سبيل اللّه،و من آذان صمّ يعدّها لقبول المواعظ ، مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه و تجوّز بلفظ الصمم فى عدم انتفاع النفس بالمواعظه من جهتها فهى كالصمّاء إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه.

إذ كان الصمم يستلزم ذلك العدم،و من ألسنه بكم يطلقها بذكر اللّه و الحكمه،و أطلق لفظ البكم مجازا فى عدم المطلوب منها بوجودها و هو التكلّم بما ينبغى فإنّها لفقدها ذلك المطلوب كالبكم .

و قوله:متّبع.

و قوله: متّبع .

صفه لطبيب، كنايه و مواضع الغفله و مواطن الحيره كنايه عن قلوب الجهّال[الجهله خ] و لذلك أشار إليهم بأنّهم لم يستضيئوا بأضواء الحكمه :أى لم يكسبوا شيئا من العلوم و الأخلاق و لم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبه الّتى تثقب سترات الحجب كما يستخرج بالزناد النار .

و قوله:فهم فى ذلک

تشبیه و قوله: فهم فی ذلک :أی فی عدم استضاءتهم بأضواء الحکمه کالأنعام السائمه و الصخور القاسیه .و وجه المشابهه بینهم و بین الأنعام استوائهم فی الغفله و الانخراط فی سلک الشهوه و الغضب دون اعتبار شیء من حظّ العقل و عدم التقیّد به کما لا قید

ص:۴۲

للأنعام السائمه.و بينهم و بين الصخور قساوه قلوبهم و عدم لينها و خشيتها من ذكر اللّه و آياته كما قال تعالى «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكَمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِىَ كَالْحِجارَهِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً» (۱)

و قوله:قد انجابت السرائر لأهل البصائر .

و قوله: قد انجابت السرائر لأهل البصائر.

إشاره إلى انكشاف ما يكون بعده لنفسه القدسيّه و لمن تفرّس من اولى التجارب و الفطن السليمه ممّا يكون من ملوك بنى اميّه و عموم ظلمهم،و يحتمل أن يريد بالسرائر أسرار الشريعه و انكشافها لأهلها.

و قوله:و وضحت محجّه الحقّ لخابطها .

و قوله: و وضحت محجّه الحقّ لخابطها.

إشاره إلى وضوح الشريعه و بيان طريق اللّه،و فايده القضيّه الاولى التنبيه على النظر فى العواقب،و فائده الثانيه الجذب إلى اتّباع الدين و سلوك سبيل اللّه إذ لا عذر للخابطين فى جهالاتهم بعد وضوح دين اللّه.

و قوله:و أسفرت الساعه عن وجهها :

كنايه و قوله: و أسفرت الساعه عن وجهها:

أى بدت مقبله،و لمّا كان وجه الشيء أوّل ما يبدو منه و ينظر كنّى به عمّا بدا من أمر الساعه و هو قيام الفتن و إقبالها.

و قوله:و ظهرت العلامه لمتوسّمها :

و قوله: و ظهرت العلامه لمتوسّمها:

أى علامه قيام الساعه و هى الفتن المتوقّعه المتفرسه(المتغرّسه خ)من بنى اميّه و من بعدهم،و ذكره لإسفار الساعه و علاماتها تهديد و ترغيب فى العمل لها.

و قوله:ما لى أراكم أشباحا بلا أرواح .

تشبيه و قوله: ما لى أراكم أشباحا بلا أرواح.

شبّههم فی عـدم انتفاعهم بالعقول و عـدم تحریک المواعظ و التذکیر لهم بالجمادات الخالیه من الأرواح،کما قال تعالی «كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ» (۲).

و قوله:و أرواحا بلا أشباح .

و قوله: و أرواحا بلا أشباح.

قیـل فیه وجوه:الأوّل:أنّ ذلک مع ما قبله إشاره إلی نقصانهم:أی أنّ منهم من هو شـبح بلا أرواح کما سـبق،و من کان له روح و فهم فلا قوّه له بأمر الحرب

ص:۴۳

۱- ۱) ۶۹-۲.

۲- ۲) ۴-۶۳.

و لا نهضه معه فهو كروح خلت عن بدن،فهم فى طريق تفريط و إفراط.

الثانى:قيل:كنّى بذلك عن عدم نهضه بعضهم إلى الحرب دون بعض إذا دعوا إليه كما لا يقوم البدن بدون الروح و لا الروح بدون البدن.

الثالث:قال بعضهم:أراد أنّهم إن خافوا ذهلت عقولهم و طارت ألبابهم فكانوا كالأجسام بلا أرواح و إن أمنوا تركوا الاهتمام بامورهم و ضيّعوا الفرص و مصالح الإسلام حتّى كأنّهم فى ذلك أرواح لا تعلّق لها بما يحتاج الأجسام إليه.

قوله:و نسّاكا بلا صلاح .

و قوله: و نسّاكا بلا صلاح.

إشاره إلى أنّ من تزهّد منهم فزهده ظاهرىّ ليس عن صلاح سريرته.و قيل:

أراد من تزهّد منهم عن جهل فإنّه و إن عمل إلاّ أنّ أعماله لمّا لم تكن عن علم كانت ضايعه واقعه على غير الوجه المرضىّ و المأمور به،كما روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:الزاهد الجاهل مسخره الشيطان.

و قوله:و تجّارا بلا أرباح .

استعاره و قوله: و تجّارا بلا أرباح.

إشاره إلى من يتّجر منهم بالأعمال الفاسده و هو يعتقد كونها قربه إلى اللّه مستلزمه لثوابه و ليس كذلك،و لفظ التجّار و الربح مستعاران،و وجه الاستعارتين ظاهر.

و قوله:و أيقاظا نوّما .

كنايه و قوله: و أيقاظا نوّما.

كنّى بنومهم عن نوم نفوسهم فى مراقد الطبيعه و مماهد الغفله فهم بهذا الاعتبار أيقاظ العيون نوّم العقول .

و قوله:و شهودا غيّبا :

و قوله: و شهودا غيّبا:

أی شهودا بأبدانهم غیّبا بعقولهم عن التفطّن لمقاصد اللّه و التلقّی لأنواره من الموعظه و الأوامر الإلهیّه.

و قوله:و ناظره عمیاء .

تشبیه و قوله: و ناظره عمیاء.

أراد و عیونا ناظره عمیاء:أی عن تصفّح آثار اللّه للعبره بها و الانتفاع فی أمر الآخره فهی تشبه العمی فی عدم الفائده بها .

ص:۴۴

و قوله:و سامعه صمّاء :

تشبيه و قوله: و سامعه صمّاء:

أي:و آذانا سامعه للأصوات صمّاء عن نداء اللّه و النافع من كلامه فهى تشبه الصمّ فى عدم الفائده المقصوده .

و قوله:و ناطقه بكماء :

استعاره و قوله: و ناطقه بكماء:

أي:و ألسنه ناطقه بكماء عن النطق بما ينبغى فأشبهت البكم،و لفظ العمياء و الصمّاء و البكماء مستعار للمشابهات المذكوره،و قد راعى فى ذلك التضادّ فى الألفاظ و أراد ذوى عيون و آذان و ألسنه بالصفات المذكوره:أى خاليه عن الفائده .

و قوله:رايه ضلالهرأيت ضلاله خ .

استعاره بالكنايه و قوله: رايه ضلاله[رأيت ضلاله خ].

لمّا نبّههم و أيقظهم بالتوبيخ و التقريع و التنقيص ألقى إليهم ما ينبغى أن يحترزوا منه و يأخذوا اهبّتهم له من ظهور الفتن المتوقّعه لبنى اميّه،و كنّى عن ظهورها بقوله:رايه ضلاله،و التقدير هذه رايه ضلاله،و كنّى بقيامها على قطبها عن اجتماع أهلها على قائد الفتنه و رئيسهم فيها،و كنّى بالقطب عنه كنايه بالمستعار .و تفرّقها و تشعّبها انتشارها فى الآفاق و تولّد فتن اخرى عنها. استعاره مرشحه ثمّ استعار لفظ الكيل لأخذهم و إهلاكهم زمره زمره ملاحظه لشبهها بالكيّال فى أخذه لما يكيل جمله جمله،و رشّح بلفظ الصاع ،و كذلك استعار لفظ الخبط لايقاع السيف و الأحكام الجائره فيهم على غير قانون دينىّ و لا نظام حقّ لشبهها بالبكره النفور من الإبل الّتى تخبط ما تلقاه بيديها،و رشّح الاستعاره بذكر الباع.و لم يقل بيدها لأنّ ذكر الباع أبلغ فى البعير عن قوّه الخبط.

و قوله:قائدها خارج عن الملّه :

و قوله: قائدها خارج عن الملّه:

أى خارج عن الدين و الشريعه فاسق عن أمر اللّه قائم على الضلّه :أى مقيم على الضلاله.

و قوله:فلا يبقى يومئذ منكم إلاّ ثفاله كثفاله القدر .

استعاره بالكنايه و قوله: فلا يبقى يومئذ منكم إلاّ ثفاله كثفاله القدر.

استعار لفظ الثفاله و كنّى به عمّن لا ـ خير فيه من الأرذال و من لا ذكر له و لا شهره،و شبّه اولئك بثفاله القدر فى كونهم غير معتبرين و لا ملتفت إليهم ،و كذلك

ص:۴۵

نفاضه العرک و هو ما یبقی فی أسفل العدل من أثر الزاد أو الحنطه و نحوها . استعاره ثمّ استعار لفظ العرک لتقلیب الفتن لهم و رمیهم و تذلیلهم بها کما یذلّل و یلیّن الأدیم ،و کذلک استعار لفظ الدوس لإهانتهم لهم و شدّه امتهانهم إیّاهم بالبلاء،و شبّه ذلک بدوس الحصید من الحنطه و نحوها و هو ظاهر ، تشبیه ثمّ أشار إلی استقصاء أهل تلک الضلاله علی المؤمنین و استخلاصهم لهم لإیقاع المکروه بهم،و شبّه ذلک الاستخلاص باستخلاص الطیر الحبّه السمینه الممتلیه من الفارغه الهزیله و ذلک أنّ الطیر ترتاز بمنقاره سمین الحبّ من هزیله فیخلّی عن الهزیل منه . ثمّ أخذ یسألهم علی سبیل التهکّم و التقریع لهم ببقائهم علی غوایتهم فسألهم عن غایه أخذ مذاهب الضلال،و عمّا تتیه بهم ظلم الجهالات ،و عمّا تخدعهم أوهامهم الکواذب جاذبا لهم إلیه،منکرا علیهم مطلوبا آخر غیر اللّه تعالی،رادعا لهم من طریق غیر شریعته .ثمّ سألهم عن الجهه الّتی یؤتون منها:أی من أین أتتکم هذه الأمراض.و هو علیه السّلام یعلم أنّ الداخل إنّما دخل علیهم من جهلهم لکن هذا وجه من البلاغه و ذکرنا أنّه یسمّی تجاهل العارف و هو کقوله تعالی «فَأَیْنَ تَذْهَبُونَ » و کذلک قوله: «فَأَنّی تُؤْفَکُونَ» :أی متی یکون انصرافکم عمّا أنتم علیه من الغفله .

و قوله:و لکلّ أجل کتاب و لکلّ غیبه إیاب.

و قوله: و «لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ» و لکلّ غیبه إیاب.

تهدید بالإشاره إلی قرب الموت و أنّهم بمعرض أن یأخذهم علی غفلتهم فیکونوا من الأخسرین أعمالا .ثمّ أمرهم بإسماع الموعظه منه.و الربّانیّ:العالم علم الربوبیّه المتبحّر فیه .ثمّ باحضار قلوبهم و هو التفاتهم بأذهانهم إلی ما یقول .ثمّ بالاستیقاظ من نوم الغفله عند هتفه بهم و ندائه لهم. استعاره بالکنایه و قوله : و لیصدق رائد أهله .مثل نزّله هنا علی مراده،و أصله:لا یکذب رائد أهله.فاستعار لفظ الرائد للفکر،و وجه المثل أنّ الرائد لمّا کان هو الّذی یبعثه القوم لطلب الکلاء و الماء أشبه الفکر فی کونه مبعوثا من قبل النفس فی طلب مرعاها و ماء حیاتها من العلوم و سائر الکمالات فکنّی به عنه، و أهله علی هذا البیان هو النفس فکأنّه علیه السّلام قال:فلتصدق أفکارکم و متخیّلاتکم نفوسکم،و صدقها إیّاها تصرّفها علی حسب إشاره العقل فیما تقوله و تشیر به دون

التفات إلى مشاركه الهوى فإنّ الرائد إذا أرسلته النفس عن مشاركه ميل شهوانىّ كذبها و دلّيها بغرور،و يحتمل أن يريد بالرائد أشخاص من حضر عنده فإنّ كلّا منهم له أهل و قبيله يرجع إليهم فأمرهم أن يصدقهم أمر لهم بتبليغ ما سمع على الوجه الّذى ينبغى و النصيحه به و الدعوه إليه كما يرجع طالب الكلاء و الماء الواجد لهما إلى قومه فيبشّرهم به و يحملهم إليه .

و قوله:و ليجمع شمله

و قوله: و ليجمع شمله :

أى ما تفرّق و تشعّب من خواطره فى امور الدنيا و مهمّاتها ،و ليحضر ذهنه:

أى و ليوجّهه إلى ما أقول

و قوله:و لقد فلق لكم الأمر فلق الخرزه:

و قوله: و لقد فلق لكم الأمر فلق الخرزه:

أى أوضح لكم أمر ما جهلتموه من الدين و أحكام الشريعه،و قيل:أمر ما سيكون من الفتن.و شقّ لكم ظلمه الجهل عنه كايتّضح باطن الخرزه بشقّها ، و قرفه قرف الصمغه :أى ألقى إليكم علمه بكلّيّته و النصيحه فيه حتّى لم يدّخر عنكم شيئا كما يقرف الصمغه قارفها،يقال:تركته على مثل مقرف الصمغه،إذا لم تترك له شيئا لأنّ الصمغه تقتلع من شجرها حتّى لا تبقى عليها علقه .

و قوله:فعند ذلک.

استعاره بالكنايه و قوله: فعند ذلک.

متّصل بقوله: من بين هزيل الحبّ :أى فعند ما تفعل بكم تلك الفتن و رايه الضلال ما تفعل قد أخذ الباطل مآخذه:أى استحكم و ثبت و أخذ مقارّه،و كذلک يركب الجهل مراكبه:أى كان ذلک وقت حملته ملاحظه لتشبيهه بالمستعدّ للغاره قد ركب خيله،و كنّى بمراكبه عن الجهّال .

و قوله:و عظمت الطاغيه

و قوله: و عظمت الطاغيه:

أى الفتنه الطاغيه الّتى تجاوزت فى عظمها الحدّ و المقدار ، و قلّت الراعيه:

أی رعاه الدین و أهله الّذین یحمون حوزته:أی الفرقه الراعیه،و روی الداعیه:

أی الفرقه الداعیه إلی اللّه .

و قوله:وصال الدهر صیال السبع العقور

و قوله: وصال الدهر صیال السبع العقور .

ص:۴۷

استعاره استعار وصف الصيال للدهر ملاحظه ا لشبهه بالسبع،و وجه الاستعاره كون الدهر مبدءا قوّيا لتلك الشرور الواقعه فأشبه السبع الضارى العقور فى شدّه صياله .

ثمّ استعار لفظ الفنيق للباطل و رشّح الاستعاره بذكر الهدير و الكظوم،و وجه المشابهه ظهور الباطل و إكرام أهله و تمكّنهم من الأمر و النهى كالفحل المكرّم ذى الشقشقه، و عنى بالهدير ظهورهم و تمكّنهم و بالكظوم خفاء الباطل و خمول أهله فى زمان ظهور الحقّ و قوّته .

و قوله:و تواخى الناس على الفجور:

و قوله: و تواخى الناس على الفجور:

أى كان اتّصالهم و محبّه بعضهم لبعض على الفجور و اتّباع الأهواء . و تهاجروا على الدين :أى من أحسّوا منه قوّه فى دينه هجروه و رفضوه.فهجرهم .و التحابّ على الكذب داخل تحت التواخى على الفجور ،و التباغض على الصدق داخل تحت التهاجر على الدين،و الغرض بتعداد ذلك تنفير السامعين عن تلك الرذائل و تخويفهم بوقوعها .

و قوله:فإذا كان ذلک کان الولد غيظا:

مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و قوله: فإذا كان ذلك كان الولد غيظا:

أى إذا احدث ذلك اشتغل كلّ امرء بنفسه لينجو بها.فيكون الولد الّذى هو أعزّ محبوب غيظا لوالده:أى من أسباب محنته و غيظه،و أطلق لفظ الغيظ عليه إطلاقا لاسم السبب على المسبّب .

و قوله:و المطر قيظا.

كنايه و قوله: و المطر قيظا.

جعل وقوع المطر قيظا من علامات تلك الشرور و هو أيضا ممّا يعدّ شرّا لأنّه لا يثير نباتا و لا يقوم عليه زرع و يفسد الثمار القائمه،و كأنّه كنّى به عن انقلاب أحوال الخير شرورا .

و قوله:و كان أهل ذلک الزمان.إلى قوله:أمواتا.

و قوله: و كان أهل ذلك الزمان.إلى قوله:أمواتا.

أهل كلّ زمان ينقسمون إلى ملوك أكابر،و أوساط،و أدانى.فإذا كان زمان العدل كان أهله فى نظام سلكه فيفيض عدل

الملوك على من یلیهم ثمّ بواسطتهم على من یلیهم حتّى ینتهى إلى أدانى الناس،و إذا كان زمان الجور فاض الجور كذلك فكانت السلاطین سباعا ضاریه مفترسه لكلّ ذى سمن،و كان أهل ذلك الزمان و أكابره ذئابا ضاریه

ص:۴۸

على أوساط الناس و كانت الأوساط أكّالا لهم،و كانت الفقراء أمواتا لانقطاع مادّه حياتهم ممّن هو أعلى منهم رتبه، مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و تجوّز بلفظ الأموات عن غايه الشدّه و البلاء لكون الموت غايه ذلك إطلاقا لاسم السبب الغائىّ على مسبّبه . استعاره ثمّ استعار لفظ الغيض لقلّه الصدق و الفيض لظهور الكذب و كثرته ملاحظه لشبهها بالماء،و استعمال المودّه باللسان إشاره إلى النفاق و هو التودّد بالقول مع التباعد بالقلوب و عقدها على البغض و الحسد،و استعار لفظ التشاجر بالقلوب ملاحظه لشبهها بالرماح فكما أنّ الرمح يشجر به فكذلك قلوب بعضهم تعقد على هلاك بعض و الطعن فيه بأنواع المهلكات ،و كذلك لفظ النسب للفسوق،و وجه المشابهه كون الفسق بينهم يومئذ هو سبب التواصل و التزاور و التحابّ كما أنّ النسب كذلك ،و صار العفاف عجبا لقلّه وجوده و ندرته بينهم، تشبيه و لبس الإسلام لبس الفرو مقلوبا من أحسن التشبيه و أبلغه و المشبّه به هاهنا هو لبس الفرو و وجه الشبه كونه مقلوبا،و بيانه أنّه لمّا كان الغرض من الإسلام أن يكون باطنا ينتفع به القلب و يظهر فيه منفعته فقلّب المنافقون غرضه و استعملوه بظاهر ألسنتهم دون قلوبهم أشبه قلبهم له لبس الفرو.

إذ كان أصله أن يكون حمله ظاهرا لمنفعه الحيوان الّذى هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا .و باللّه التوفيق.

۱۰۶–و من خطبه له عليه السّلام

الفصل الأول

اشاره

:كُلُّ شَىْءٍ خَاشِعٌ لَهُ- وَ كُلُّ شَىْءٍ قَائِمٌ بِهِ- غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ- وَ عِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ- وَ قُوَّهُ كُلِّ ضَعِيفٍ- وَ مَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ- مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ- وَ مَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ- وَ مَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ- وَ مَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ- لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ- بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ- لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَهٍ- وَ لاَ

اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعِهِ- وَ لاَ یَسْبِقُکَ مَنْ طَلَبْتَ- وَ لاَ یُفْلِتُکَ مَنْ أَخَذْتَ- وَ لاَ یَنْقُصُ سُلْطَانَکَ مَنْ عَصَاکَ- وَ لاَ یَزِیدُ فِی مُلْکِکَ مَنْ أَطَاعَکَ- وَ لاَ یَرُدُّ أَمْرَکَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَکَ- وَ لاَ یَسْتَغْنِی عَنْکَ مَنْ تَوَلَّی عَنْ أَمْرِکَ- کُلُّ سِرٍّ عِنْدَکَ عَلاَنِیَهٌ- وَ کُلُّ غَیْبٍ عِنْدَکَ شَهَادَهٌ- أَنْتَ الْأَبَدُ فَلاَ أَمَدَ لَکَ- وَ أَنْتَ الْمُنْتَهَی فَلاَ مَحِیصَ عَنْکَ- وَ أَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلاَ مَنْجَی مِنْکَ إِلاَّ إِلَیْکَ- بِیَدِکَ نَاصِیَهُ کُلِّ دَابَّهٍ- وَ إِلَیْکَ مَصِیرُ کُلِّ نَسَمَهٍ- سُبْحَانَکَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَی مِنْ خَلْقِکَ- وَ مَا أَصْغَرَ عِظَمَهُ فِی جَنْبِ قُدْرَتِکَ- وَ مَا أَهْوَلَ مَا نَرَی مِنْ مَلَکُوتِکَ- وَ مَا أَحْقَرَ ذَلِکَ فِیمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِکَ- وَ مَا أَسْبَغَ نِعَمَکَ فِی الدُّنْیَا- وَ مَا أَصْغَرَهَا فِی نِعَمِ الْآخِرَهِ أقول:هذا الفصل من أشرف الفصول المشتمله علی توحید اللّه و تنزیهه و إجلاله و تعظیمه.

اللغه

و اللهف: الحزن ،و الملهوف: المظلوم یستغیث .و الأبد: الدائم .و الأمد :

الغایه .و حاص عن الشیء: عدل و هرب .و المحیص: المهرب .

و فیه اعتبارات ثبوتیّه و سلبیّه:

اشاره

أمّا الثبوتیّه فعشره :

الأوّل:خشوع کلّ شیء له

،و الخشوع مراد هنا بحسب الاشتراک اللفظیّ.

إذ الخشوع من الناس یعود إلی تطأ منهم و خضوعهم للّه و من الملائکه دؤو بهم فی عبادتهم ملاحظه لعظمته،و من سائر الممکنات انفعالها عن قدرته و خضوعها فی رقّ الإمکان و الحاجه إلیه،و المشترک و إن کان لا یستعمل فی جمیع مفهوماته

حقیقه فقد بیّنا أنّه یجوز استعماله مجازا فیها بحسب القرینه و هی هنا إضافته إلی کلّ شیء أو لأنّه فی قوّه المتعدّد کقوله تعالی «إِنَّ اللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ» (۱)فکأنّه قال:الملک خاشع له و البشر خاشع له،و هذا الاعتبار یستلزم وصفه تعالی باعتبارین:أحدهما:کونه عظیما،و الثانی:کونه غنیّا:أمّا العظیم فینقسم إلی ما یکبر حاله فی النفس و لکن یتصوّر أن یحیط بکماله العقول و یقف علی کنه حقیقته،و إلی ما یمکن أن یحیط به بعض العقول و إن فات أکثرها، و هذان القسمان إنّما یطلق علیهما لفظ العظمه بالإضافه،و قیاس کلّ إلی ما دونه فیما هو عظیم فیه،و إلی ما لا یتصوّر أن یحیط به العقل أصلا و ذلک هو العظیم المطلق الّذی جاوز حدود العقول أن یقف علی صفات کماله و نعوت جلاله،و لیس هو إلاّ اللّه تعالی،و أمّا الغنیّ فسنذکره .

الثانی:قیام کلّ شیء به

.و اعلم أنّ جمیع الممکنات إمّا جواهر أو أعراض و لیس شیء منها یقوم بذاته فی الوجود:أمّا الأعراض فظاهر لظهور حاجتها إلی المحلّ الجوهریّ،و أمّا الجواهر فلأنّ قوامها فی الوجود إنّما یکون بقیام عللها و تنتهی إلی الفاعل الأوّل جلّت عظمته فهو إذن الفاعل المطلق الّذی به قوام کلّ موجود فی الوجود،و إذ ثبت أنّه تعالی غنیّ عن کلّ شیء فی کلّ شیء و ثبت أنّ به قوام کلّ شیء ثبت أنّه القیّوم المطلق.إذ مفهوم القیّوم هو القائم بذاته المقیم لغیره فکان هذا الاعتبار مستلزما لهذا الوصف .

الثالث:

مجاز إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب کونه تعالی غنی کلّ فقیر ،و یجب أن یحمل الفقر علی ما هو أعمّ من الفقر المتعارف و هو مطلق الحاجه لیعمّ التمجید کما أنّ الغنی هو سلب مطلق الحاجه،و إذ ثبت أنّ کلّ ممکن فهو مفتقر فی طرفیه منته فی سلسله الحاجه إلیه، و أنّه تعالی المقیم له فی الوجود ثبت أنّه تعالی رافع حاجه کلّ موجود بل کلّ ممکن و هو المراد بکونه غنی له،و أطلق علیه تعالی لفظ الغنی و إن کان الغنی به مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب .

ص:۵۱

۱- ۱) ۵۶-۳۳.

الرابع:

كونه عزّ كلّ ذليل ،و قد سبق أنّ معنى العزيز هو الخطير الّذى يقلّ وجود مثله و يشتدّ الحاجه و يصعب الوصول إليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلاثه سمّى عزيزا،و سبق أيضا أنّ هذه المفهومات مقوله بالزياده و النقصان على ما تصدق عليه،و أنّه ليس الكمال فى واحد منها إلاّ للّه سبحانه،و يقابله الذليل و ثبت أنّه تعالى عزّ كلّ موجود لأنّ كلّ موجود سواه إنّما يتحقّق فيه هذه المفهومات الثلاثه منه سبحانه الناظم لسلسله الوجود و الواضع لكلّ من الموجودات فى رتبته من النظام الكلّىّ فمنه عزّ كلّ موجود،و كلّ موجود ذليل فى رقّ الإمكان و الحاجه إليه فى إفاضه المفهومات الثلاثه عليه فهو إذن عزّ كلّ ذليل و إطلاق لفظ العزّ عليه كإطلاق لفظ الغنى .

الخامس:

و قوّه كلّ ضعيف :القوّه تطلق على كمال القدره و على شدّه الممانعه و الدفع و يقابلها الضعف و هما مقولان بالزياده و النقصان على من يطلقان عليه،و إذ ثبت أنّه تعالى مستند جميع الموجودات و المفيض على كلّ قابل ما يستعدّ له و يستحقّه فهو المعطى لكلّ ضعيف عادم القوّه من نفسه كماله و قوّته فمنه قوّه كلّ ضعيف بالمعنيين المذكورين لها،و روى أنّ الحسن قال:و اعجبا لنبىّ اللّه لوط عليه السّلام إذ قال لقومه:لو أنّ لى بكم قوّه أو آوى إلى ركن شديد أ تراه أراد ركنا أشدّ من اللّه تعالى.و إطلاق لفظ القوّه عليه كإطلاق لفظ الغنى أيضا .

السادس:

كونه مفزع كلّ ملهوف :أى إليه ملجأ كلّ مضطرّ فى ضرورته حال حزن أو خوف أو ظلم كما قال تعالى «ثُمَّ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ» (۱)«وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِيّاهُ» (۲)فكلّ مفزع و ملجأ غيره فلمضطرّ لا لكلّ مضطرّ و مجاز لا حقيقه و إضافىّ لا حقيقىّ،و هذا الاعتبار يستلزم كمال القدره للّه لشهاده فطره ذى الضروره بنسبه جميع أحوال وجوده إلى جوده و يستلزم كمال العلم لشهاده فطرته باطّلاعه على ضرورته،و كذلك كونه سميعا و بصيرا و خالقا و مجيبا للدعوات و قيّوما و نحوها من الاعتبارات .

ص:۵۲

۱- ۱) ۳۳-۱۶

۲- ۲) ۶۹-۱۷.

السابع:

كونه من تكلّم سمع نطقه .

الثامن:

من سكت علم سرّه،و هما إشارتان إلى وصفى السميع و العليم،و لمّا كان السميع يعود إلى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان إحاطته بما أظهر العبد و أبداه و ما أسرّه و أخفاه فى حالتى نطقه و سكوته،و قد سبقت الإشاره إلى ذلك .

التاسع:

و من عاش فعليه رزقه .

العاشر:

و من مات فإليه منقلبه،و هما إشارتان إلى كونه تعالى مبدء للعباد فى وجودهم و ما يقوم به عاجلا و منتهى و غايه لهم آجلا فإليه رجوع الأحياء منهم و الأموات،و به قيام وجودهم حالتى الحياه و المماه .

الحادى عشر من الاعتبارات السلبيّه:

التفات من الغيبه إلى الخطاب تجوز-اضمار لم تراك العيون فتخبر عنك .و فيه التفات من الغيبه إلى الخطاب كقوله تعالى «إِيّاكَ نَعْبُدُ» و هذا الالتفات و عكسه يستلزم شدّه عنايه المتكلّم بالمعنى المنتقل إليه،و حسنه معلوم فى علم البيان، و اعلم أنّ هذا الكلام لا بدّ فيه من تجوّز أو إضمار،و ذلك إن جعلنا الرائى هو العيون كما عليه اللفظ و يصدق حقيقه لزم إسناد قوله فتخبر إليها مجازا لكون الإخبار ليس لها، و إن راعينا عدم المجاز لزم أن يكون التقدير:لم ترك العيون فتخبر عنك أربابها،أو لم ترك أرباب العيون فتخبر عنك.فيلزم الاضمار و يلزم التعارض بينه و بين المجاز لكن قد علمت فى مقدّمات اصول الفقه:أنّهما سيّان فى المرتبه،و غرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبّهه و نحوهم و إخبارهم عنه بالصفات الّتى من شأنها أن يخبر عنها الراؤون عن مشاهده حسيّه مع اعترافهم بأنّ إخبارهم ذلك من غير رؤيه،و لمّا كان الإخبار عن المحسوسات و ما من شأنه أن يحسّ إنّما يصدق إذا استند إلى الحسّ لا جرم استلزم سلبه لرؤيه العيون له سلب الإخبار عنه من جهتها و كذب الإخبار عنه بما لا يعلم إلاّ من جهتها،و يخبر و إن كان فى صوره الإثبات إلاّ أنّه منفىّ لنفى لازمه و هى رؤيه العيون له.إذ كان الإخبار من جهتها يستلزم رؤيتها،و نصبه بإضمار أن عقيب الفاء فى جواب النفى،و الكلام فى تقدير شرطيّه متّصله صورتها لو صحّ إخبار العيون عنك لكانت قد رأتك لكنّها لم تراك فلم تصحّ أن تخبر عنك ،فأمّا قوله: بل

كنت قبل الواصفين من خلقك .فتعليل لسلب الرؤيه المستلزم لسلب الإخبار عنها بقياس ضمير تقدير كبراه:و كلّ من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه،و هذه الكبرى من المظنونات المشهورات فى بادى النظر،و هى كما علمت من موادّ قياس الخطيب و إن كانت إذا تعقّبت لم يوجد كلّيه.إذ ليس كلّما وجد قبلنا بطل إخبارنا عنه،و يمكن حمل هذا القول على وجه التحقيق و هو أن نقول:المراد بقبليّته تعالى للواصفين قبليّه وجوده بالعليّه الذاتيّه و هو بهذا الاعتبار مستلزمه لتنزيهه تعالى عن الجسميّه و لواحقها المستلزم لامتناع الرؤيه المستلزم لكذب الإخبار عنه من وجه المشابهه الحسيّه .

الثانى عشر:

كونه لم تخلق الخلق لوحشه ،و هو إشاره إلى تنزيهه عن الطبع المستوحش و المستأنس،و قد سبق بيان ذلك فى الخطبه الاولى .

الثالث عشر:

و لا استعملتهم لمنفعه :أى لم يكن خلقه لهم لمنفعه تعود إليه، و قد سبق بيان أنّ جلب المنفعه و دفع المضرّه من لواحق المزاج-المنزّه قدس اللّه تعالى عنه -.

الرابع عشر:

و لا يسبقك من طلبت :أى لا يفوتك هربا .

الخامس عشر:

و لا يفلتك من أخذت :أى لا يفلت منك بعد أخذه فحذف حرف الجرّ،و عدّى الفعل بنفسه كما قال تعالى «وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ» و هذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه و تمام قدرته و إحاطه علمه.إذ أيّ ملك فرض فقد ينجو من يده الهارب و يفلت من أسره المأخوذ بالحيله و نحوها .

السادس عشر:

و لا ينقص سلطانك من عصاك .

السابع عشر:

و لاـ یزیـد فی ملکک من أطاعک ،و هما تنزیه له تعالی من أحوال ملوک الـدنیا.إذ کان کمال سـلطان أحـدهم بزیاده جنوده و کثره مطیعه و قلّه المخالف و العاصـی له،و نقصان ملکه بعکس ذلک و هو سـبب لتسـلّط أعـدائه علیه و طمعهم فیه.فأمّا سـلطانه تعالی فلما کان لذاته و کمال قدرته مستولیا و هو مالک الملک یؤتی الملک من یشاء و ینزع الملک ممّن یشاء و یذلّ من یشاء بیده الخیر «وَ هُوَ»

ص:۵۴

«عَلى كُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ» .لم یتصوّر خروج العاصی بعصیانه عن سلطانه حتّی یؤثّر فی نقصانه،و لم یکن لطاعه الطائع تأثیر فی زیاده ملکه .

الثامن عشر:

و لا یردّ أمرک من سخط قضائک .یرید بالأمر هنا القدر النازل علی وفق القضاء الإلهیّ و هو تفصیل القضاء کما بیّناه،و هذا الاعتبار أیضا یستلزم تمام قدره اللّه و کمال سلطانه.إذ کان ما علم وجوده فلا بدّ من وجوده سواء کان محبوبا للعبد أو مکروها له کما قال تعالی «وَ یَأْبَی اللّهُ إِلاّ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ کَرِهَ الْکافِرُونَ» (۱)«إِنَّ عَذابَ رَبِّکَ لَواقِعٌ ما لَهُ مِنْ دافِعٍ» (۲)«وَ إِنْ یَمْسَسْکَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلا کاشِفَ لَهُ إِلاّ هُوَ وَ إِنْ یَمْسَسْکَ بِخَیْرٍ فَهُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ» (۳)و إنّما خصّص المستخطّ للقضاء بالعجز عن ردّ الأمر.إذ کان من شأنه أن لو قدر لردّ القدر .

التاسع عشر:

و لا یستغنی عنک من تولّی عن أمرک .أراد بالأمر هاهنا ظاهره، و هو أمر عباده بطاعته و عبادته،و ظاهر أنّ من تولّی عن أمر اللّه فهو إلیه أشدّ فقرا و أنقص ذاتا ممّن تولّی أمره،و هذا الاعتبار یستلزم کمال سلطانه و غناه المطلق .

العشرون:

کلّ سرّ عندک علانیه .

الحادی و العشرون:

و کلّ غیب عندک شهاده .هذان الاعتباران یستلزمان کمال علمه و إحاطته بجمیع المعلومات،و لمّا کانت نسبه علمه تعالی إلی المعلومات علی سواء لا جرم استوی بالنسبه إلیه السرّ و العلانیه،و أیضا فإنّ السرّ و الغیب إنّما یطلقان بالقیاس إلی مخفیّ عنه و غائب عنه و هی القلوب المحجوبه بحجب الطبیعه و أستار الهیئات البدنیّه و الأرواح المستولی علیها نقصان الإمکان الحاکم علیها بجهل أحوال ما هو أکمل منها،و کلّ ذلک ممّا تنزّه قدس الصانع عنه .

الثانی و العشرون:

مجاز أنت الأبد فلا أمد لک :أی أنت الدائم فلا غایه لک یقف عندها وجودک،و ذلک لاستلزام وجوب وجوده امتناع عدمه و انتهائه بالغایه، و قال بعض الشارحین:أراد أنت ذو الأبد کما قیل:أنت خیال.أی ذو خیال من الخیلاء و هو الکبر.و أقول فی تقریر ذلک:إنّه لمّا کان الأزل و الأبد لازمین لوجود

۱- ۱) ۳۲-۹

۲- ۲) ۷-۵۲

۳- ۳) ۱۷-۶.

اللّه تعالی أطلق الأبد علی وجوده مجازا للمبالغه فی الدوام و کان أحدهما هو بعینه الآخر کقولهم:أنت الطلاق.للمبالغه فی البینونه .

الثالث و العشرون:

و أنت المنتهی فلا محیص عنک .

الرابع و العشرون:

و أنت الموعد فلا منجا منک إلاّ إلیک :أمّا أنّه تعالی المنتهی و الموعد فلقوله تعالی «وَ أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی» (۱)و قوله «إِلَی اللّهِ مَرْجِعُکُمْ جَمِیعاً» و المنتهی فی کلامه علیه السّلام الغایه،و قد سبق بیان أنّه تعالی غایه الکلّ و مرجعه و أمّا أنّه لا معدل عنه و لا ملجأ منه إلاّ إلیه فإشاره إلی ضروره لقائه کقوله تعالی «وَ ظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَیْهِ » .

الخامس و العشرون:

بیدک ناصیه کلّ دابّه :أی فی ملکک و تحت تصریف قدرتک کقوله تعالی «ما مِنْ دَابَّةٍ إِلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها» (۲)و إنّما خصّت الناصیه لحکم الوهم بأنّه تعالی فی جهه فوق فیکون أخذه بالناصیه،و لأنّها أشرف ما فی الدابّه فسلطانه تعالی علی الأشرف یستلزم القهر و الغلبه و تمام القدره .

السادس و العشرون:

و إلیک مصیر کلّ نسمه ،و قد سبق أنّه تعالی منتهی الکلّ،و إلیه مصیره.

و قوله:سبحانک ما أعظم ما نری من خلقک.إلی آخره .

و قوله: سبحانک ما أعظم ما نری من خلقک.إلی آخره.

تنزیه و تقدیس للّه تعالی عن أحکام الأوهام علی صفاته بشبهیّه مدرکاتها و تعجّب فی معرض التمجید من عظم ما یشاهد من مخلوقاته کأطباق الأفلاک و العناصر و ما یترکّب عنها،ثمّ من حقاره هذه العظمه بالقیاس إلی ما تعبّره العقول من مقدوراته و ما یمکن فی کمال قدرته من الممکنات الغیر المتناهیه،و ظاهر أنّ نسبه الموجود إلی الممکن فی العظم و الکثره یستلزم حقارته و صغره،ثمّ من هول ما وصلت إلیه العقول من عظمه ملکوته ،ثمّ من حقارته بالقیاس إلی ما غاب عنها و حجبت عن إدراکه بأستار القدره و حجب العزّه من الملأ الأعلی و سکّان حظائر القدس و حال العالم العلوی ،ثمّ من سبوغ نعمه اللّه تعالی علی عباده فی الدنیا و حقاره

۱- ۱) ۳۳-۵۳

۲- ۲) ۵۹-۱۱.

تلک النعم بالقیاس إلی النعمه الّتی أعـدّها لهم فی الآخره،و ظاهر أنّ نعم الـدنیا إذا اعتبرت إلی نعم الآخره فی الدوام و الکثره و الشرف کانت بالقیاس إلیها فی غایه الحقاره.و باللّه التوفیق.

منها:

اشاره

مِنْ مَلاَئِکهٍ أَسْکَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِکَ- وَ رَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِکَ- هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِکَ بِکَ- وَ أَخْوَفُهُمْ لَکَ وَ أَقْرَبُهُمْ مِنْکَ- لَمْ یَسْکُنُوا الْأَصْلاَبَ- وَ لَمْ یُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ- وَ لَمْ یُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِینٍ- وَ لَمْ یَتَشَعَّبْهُمْ رَیْبُ الْمَنُونِ- وَ إِنَّهُمْ عَلَی مَکَانِهِمْ مِنْکَ- وَ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَکَ وَ اسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِیکَ- وَ کَثْرَهِ طَاعَتِهِمْ لَکَ وَ قِلَّهِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِکَ- لَوْ عَایَنُوا کُنْهَ مَا خَفِیَ عَلَیْهِمْ مِنْکَ- لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ وَ لَزَرَوْا عَلَی أَنْفُسِهِمْ- وَ لَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ یَعْبُدُوکَ حَقَّ عِبَادَتِکَ- وَ لَمْ یُطِیعُوکَ حَقَّ طَاعَتِکَ

اللغه

أقول: المهین: الحقیر .و التشعّب: الاقتسام و التفریق .و المنون: الدهر .

و ریبه: ما یکره من حوادثه .و المکانه: المنزله .و کنه الشیء: نهایه حقیقته .

و زریت علیه: عبث فعله .

المعنی

اشاره

و اعلم أنّ من فی صـدر هـذا الفصل لبیان الجنس،و ذلک أنّه علیه السّلام لمّا شـرع فی بیان عظمه اللّه تعالی و جلاله جعل مادّه ذلک التعظیم تعدید مخلوقاته و ذکر الأشرف فالأشرف منها

فذکر الملائکه السماویه،و أشار إلی أفضلیّتهم بأوصاف :

الأوّل:کونهم أعلم خلق اللّه به

،و هو ظاهر.إذ ثبت أنّ کلّ مجرّد کان علمه أبعـد عن منازعه النفس الأمّاره بالسوء الّتی هی مبدء الغفله و السـهو و النسـیان کان أکمل فی معارفه و علومه ممّن عداه،و لأنّ الملائکه السماویّه وسائط لغیرهم

فی وصول العلم و سائر الکمالات إلی الخلق فکانوا کالاستادین لمن عداهم،و ظاهر أنّ الاستاد أعلی درجه من التلمیذ،و قد عرفت فی الخطبه الاولی أنّ المعارف مقوله بحسب التشکیک .

الثانی:کونهم أخوف له

،و ذلک لکونهم أعلم بعظمه اللّه و جلاله و کلّ من کان أعلم بذلک کان أخوف و أشدّ خشیه:أمّا الاولی:فلما مرّ،و أمّا الثانیه:

فلقوله تعالی «إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ» (۱)فحصر الخشیه فی العلماء.

و بحسب تفاوت العلم بالشدّه و الضعف یکون تفاوت الخشیه بهما .

الثالث:کونهم أقرب منه

،و المراد لا ـ القرب المکانیّ لتنزّهه تعالی عن المکان بل قرب المنزله و الرتبه منه.و ظاهر أنّ من کان أعلم به و أخوف منه کان أقرب منزله عنده لقوله تعالی «إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ» (۲).

الرابع من سلب النقصانات البشریّه عنهم

:کونهم لم یسکنوا الأصلاب، و لم یضمّنوا الأرحام،و لم یخلقوا من ماء مهین،و لم یختلف علیهم حوادث الدهر.

و ظاهر کون هذه الامور الأربعه نقصانات تلزم الحیوان العنصریّ لاستلزامها التغیّر و مخالطه المحالّ المستقذره و معاناه الأسقام و الأمراض و سائر الهیئات البدنیّه المانعه عن التوجّه إلی اللّه فکان سلبها عمّن لا یجوز علیه من کمالاته .

و قوله:و إنّهم علی مکانتهممکانهم خمنک.إلی آخره.

و قوله: و إنّهم علی مکانتهم[مکانهم خ]منک.إلی آخره.

لمّا بیّن عظمه الملائکه بالنسبه إلی من عداهم شرع فی المقصود و هو بیان عظمه اللّه تعالی بالنسبه إلیهم،و حقارتهم علی عظمتهم بالقیاس إلی عظمته و کبریائه:

أی أنّهم مع کونهم علی هذه الأحوال الّتی توجب لهم العظمه و الإجلال من قرب منزلتهم منک و کمال محبّتهم لک و غرقهم فی أنوار کبریائک عن الالتفات إلی غیرک لو عرفوا کنه معرفتک لصغرت فی أعینهم أعمالهم،و علموا أن لا نسبه لعبادتهم إلی عظمتک و جلال وجهک،و لمّا کان کمال العباده و مطابقتها للأمر المطاع بحسب العلم بعظمته،و کان ذات الحقّ سبحانه أعظم من أن یطّلع علیه بالکنه ملک مقرّب

۱- ۱) ۲۵-۳۵

۲- ۲) ۱۳-۴۹.

أو نبیّ مرسل لا جرم کانت عباده الملائکه بحسب معارفهم القاصره عن کنه حقیقته.

فکلّ من کانت معرفته أتمّ کانت عباده من دونه مستحقره فی جانب عبادته حتّی لو زادت معارفهم به و أمکن اطّلاعهم علی کنه حقیقته لزادت عبادتهم و کانت أکمل فاستحقروا ما کانوا فیه و عابوا أنفسهم بقصور الطاعه و العباده عمّا یستحقّه کماله المطلق، مجاز إطلاقا لاسم اللازم علی ملزومه و عبّر بقلّه الغفله عن عدمها فی حقّهم مجازا إطلاقا لاسم اللازم علی ملزومه.

إذ کان کلّ معدوم قلیل و لا ینعکس،و جعل قلّه الغفله فی مقابله کثره الطاعه ، و یحتمل أن یرید بقلّه الغفله قوّه معرفه بعضهم بالنسبه إلی بعض مجازا أیضا إطلاقا لاسم الملزوم علی لازمه.إذ کانت قلّه الغفله مستلزمه لقوّه المعرفه و زیادتها، و قد سبق ذکر أنواع الملائکه السماویّه و غیرهم،و ذکر نکت من أحوالهم فی الخطبه الاولی.

الفصل الثانی

اشاره

:قوله

سُبْحَانَکَ خَالِقاً وَ مَعْبُوداً- بِحُسْنِ بَلاَئِکَ عِنْدَ خَلْقِکَ خَلَقْتَ دَاراً- وَ جَعَلْتَ فِیهَا مَأْدُبَهً- مَشْرَباً وَ مَطْعَماً وَ أَزْوَاجاً- وَ خَدَماً وَ قُصُوراً- وَ أَنْهَاراً وَ زُرُوعاً وَ ثِمَاراً- ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِیاً یَدْعُو إِلَیْهَا- فَلاَ الدَّاعِیَ أَجَابُوا- وَ لاَ فِیمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا- وَ لاَ إِلَی مَا شَوَّقْتَ إِلَیْهِ اشْتَاقُوا- أَقْبَلُوا عَلَی جِیفَهٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَکْلِهَا- وَ اصْطَلَحُوا عَلَی حُبِّهَا- وَ مَنْ عَشِقَ شَیْئاً أَعْشَی بَصَرَهُ- وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ- فَهُوَ یَنْظُرُ بِعَیْنٍ غَیْرِ صَحِیحَهٍ- وَ یَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَیْرِ سَمِیعَهٍ- قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ- وَ أَمَاتَتِ الدُّنْیَا قَلْبَهُ- وَ وَلِهَتْ عَلَیْهَا نَفْسُهُ- فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا- وَ لِمَنْ فِی یَدَیْهِ شَیْءٌ مِنْهَا- حَیْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَیْهَا- وَ حَیْثُمَا أَقْبَلَتْ

ص:۵۹

أَقْبَلَ عَلَيْهَا- لاَ- يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ- وَ لاَ- يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ- وَ هُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّهِ- حَيْثُ لاَ إِقَالَهَ وَ لاَ رَجْعَهَ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ- وَ جَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ- وَ قَدِمُوا مِنَ الْآخِرَهِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ- فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ- اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَهُ الْمَوْتِ- وَ حَسْرَهُ الْفَوْتِ فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ- وَ تَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ- ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً- فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ مَنْطِقِهِ- وَ إِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ- وَ يَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّهٍ مِنْ عَقْلِهِ- وَ بَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ- يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ- وَ فِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ- وَ يَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا- وَ أَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَ مُشْتَبِهَاتِهَا- قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا- وَ أَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا- تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا- وَ يَتَمَتَّعُونَ بِهَا- فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ وَ الْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ- وَ الْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا- فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَهً- عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ- وَ يَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ- وَ يَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا- وَ يَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ- فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ- حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ- فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ- وَ لاَ يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ- يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ- يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ- وَ لاَ يَسْمَعُ

رَجْعِ كَلاَمِهِمْ- ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ وَ خَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ- فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ- قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ- وَ تَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ- لاَ يُسْعِدُ بَاكِياً وَ لاَ يُجِيبُ دَاعِياً- ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ- فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ- وَ انْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ

اللغه

أقول: المأدبه بضمّ الدال و فتحها: الطعام يصنع و يدعى إليه .و الوله :

التحيّر لشدّه الوجد و المحبّه .و أغمض: أى اذداد من مطالبها و تساهل فى وجوه اكتسابها و لم يحفظ دينه .و التبعه: ما يلحق من إثم و عقاب .و المهنأ : المصدر من هنؤ بالضمّ و هنىء بالكسر .و العبء: الحمل .و أصحر: انكشف .و رجع الكلام: جوابه و ترديده .و الالتياط: الالتصاق .و المخطّ: موضع الخطّ كنايه عن القبر يخطّ أوّلا ثمّ يحفر،و يروى بالحاء .و محطّ القوم: منزلهم .

و فى هذا الفصل نكت :

الاولى:أنّ خالقا و معبودا حالان انتصبا عمّا فى سبحانک من معنى الفعل:

أى اسبّحک خالقا و معبودا،و أشار بذلک إلى وجوب تنزيهه فى هذين الاعتبارين أعنى اعتبار كونه خالقا للخلق و معبودا لهم عن الشركاء و الأنداد فإنه لمّا تفرّد بالإبداع و الخلق،و استحقّ بذلک التفرّد تفرّده بعباده الكلّ له وجب تنزيهه عن مساو له فى الاعتبارين .

الثانيه:

استعاره قوله: بحسن بلائک عند خلقک خلقت دارا .الجارّ و المجرور متعلّق بخلقت،و لفظ الدار مستعار للإسلام،و لفظ المأدبه للجنّه،و الداعى هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.و قد جمعها الخبر فى بعض أمثاله صلّى اللّه عليه و آله و سلم إنّ اللّه جعل الإسلام دارا و الجنّه مأدبه و الداعى إليها محمّدا.و وجه الاستعاره الاولى أنّ الإسلام يجمع أهله و يحميهم كالدار،و وجه الثانيه:أنّ الجنّه مجتمع الشهوات و منتجع اللذّات

كالمأدبه ،و يحتمل أن يريد بالدار الآخره باعتبار كونها مجمعا و مستقرّا و المأدبه فيها الجنّه،و المنصوبات الثمانيه مميّزات لتلك المأدبه،و ظاهر أنّ وجود الإسلام و الجنّه و الدعوه إليها بلاء حسن من اللّه لخلقه،و قد عرفت معنى ابتلائه تعالى، و قال بعض الشارحين:إنّ قوله:بحسن بلائك متعلّق بسبحانك أو بمعبود و هو بعيد .

الثالثه:

قوله: فلا الداعى أجابوا .إلى قوله: بواعظ .شرح لحال العصاه الّذين لم يجيبوا داعى اللّه،و بيان لعيوبهم و غرقهم فى حبّ الباطل من الدنيا و فائدته:أمّا للمنتهين اللازمين لأوامر اللّه المجيبين لدعوته فتنفيرهم عن الركون إلى هؤلاء و الوقوع فيما وقعوا فيه،و أمّا لهؤلاء فتنبيههم من مراقد غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلّهم يرجعون، استعاره و استعار لفظ الجيفه للدنيا،و وجه المشابهه أنّ لذّات الدنيا و قيناتها فى نظر العقلاء و اعتبار الصالحين منفور عنها و مهروب منها و مستقذره كالجيفه و إلى ذلك أشار الواصف لها:

و ما هى إلّا جيفه مستحيله عليها كلاب همهنّ اجتذابها

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها و إن تجتذبها نازعتك كلابها

و يمكن أخذ معنى البيت الثانى فى وجه الاستعاره المذكوره ، استعاره بالكنايه و كذلك استعار لفظ الافتضاح للاشتهار باقتنائها و جمعها و الخروج بها عن شعائر الصالحين،و وجه الاستعاره أنّه لمّا كان الإقبال على جمع الدنيا و الاشتغال بها عن اللّه من أعظم الكبائر و المساوى فى نظر الشارع و السالكين لطريق اللّه،و كان الافتضاح عباره عن انكشاف المساوى المتعارف قبحها لا جرم أشبه الاشتهار بجمعها و انكشاف الحرص عليها الافتضاح،و يمكن أن يصدق الافتضاح هاهنا حقيقه،و كنّى بأكلها عن جمعها ، مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه و تجوّز بلفظ الاصطلاح فى التوافق على محبّتها إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه فإنّ الاصطلاح عباره عن التراضى بعد التغاضب و يلزمه الاتّفاق على الأحوال ، و قوله: من عشق شيئا أعمى بصره و أمرض قلبه .كبرى قياس دلّ على صغراه قوله:

و اصطلحوا على حبّها .لأنّ الاصطلاح على محبّه الشىء يستلزم شدّه محبّته و هو

ص:٦٢

معنی العشق و نتیجته أنّ المذکورین فی معرض الذمّ قد أعشت الدنیا أبصارهم و أمرضت قلوبهم، استعاره بالکنایه و استعار لفظ البصر لنور البصیره ملاحظه لشبه المعقول بالمحسوس، و لفظ العشاء لظلمه الجهل ملاحظه للشبه بالظلمه العارضه للعین باللیل،و إسناد الإعشاء إلی الدنیا یحتمل أن یکون حقیقه لما یستلزمه حبّها من الجهل و الغفله عن أحوال الآخره،و یحتمل أن یرید بالبصر حقیقته،و یکون لفظ العشاء مستعارا لعدم استفادتهم بأبصارهم عبره تصرفهم عن حبّ الدنیا إلی ملاحظه أحوال الآخره ، و یؤیّده قوله: فهو ینظر بعین غیر صحیحه ،و کنّی بعدم صحّتها عمّا یلزم العین غیر الصحیحه من عدم الانتفاع بها فی تحصیل الفائده ، استعاره بالکنایه و کذلک استعار لفظ المرض للداء الأکبر و هو الجهل استعاره لفظ المحسوس للمعقول ،و قوله: فهو یسمع باذن غیر سمیعه ،و کنّی بذلک عن عدم إفادتها عبره من المواعظ و الزواجر الإلهیّه کما سبق ، استعاره و کذلک استعار لفظ التخریق لتفرّق عقله فی مهمّات الدنیا و مطالبها.

و وجه الاستعاره أنّ العقل إذا استعمل فیما خلق لأجله من اتّخاذ الزاد لیوم المعاد و اقتباس العلم و الحکمه من تصفّح جزئیّات الدنیا و الاستدلال منها علی وجود الصانع و ما ینبغی له و نحو ذلک ممّا هو کماله المستعدّ فی الآخره فإنّه یکون منتظما منتفعا به،و أمّا إن استعمل فیما لا ینبغی من جمیع متفرّقات الدنیا و توزیع الهمّه فی تحصیل جزئیّاتها و ضبطها حتّی یکون أبدا فی الحزن و الأسف علی فوات ما فات،و فی الخوف من زوال ما یحصل،و فی الهمّه و الحرص علی جمع ما لم یحصل بعد فإنّه یکون کالثوب المخرّق الّذی لا ینتفع به صاحبه .و نحوه قول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم:من جعل الدنیا أکبر همّه فرّق اللّه علیه همّه،و جعل فقره بین عینیه.

الحدیث،و نسبه ذلک التخریق إلی الشهوات ظاهره.إذ کان زمام عقله بید شهوته فهی تفرّقه و تمزّقه علی حسب تصرّفاتها و میولها إلی أنواع المشتهیات ، استعاره و کذلک استعار لفظ الإماته لقلبه،و وجه المشابهه خروجه عن الانتفاع به الانتفاع الحقیقیّ الباقی کالمیّت ،و الضمیر فی قوله: علیها یعود إلی الدنیا:أی و ولّهت الدنیا علی نفسها، کنایه-مجازا تسمیه للشیء بما هو من غایاته و کنّی بالتولّه عن شدّه المحبّه لها و أطلقه مجازا تسمیه للشیء بما هو من غایاته ، استعاره و کذلک

استعار لفظ العبد له لكونه محبّها و المتجرّد لتحصيلها متصرّفا بحسب تصريفها و دائرا فی حرکاته حيث دارت فإن کانت فی يده أقبل عليها بالعماره و الحفظ ،و إن زالت عنه أنصب إلی تحصيلها و خدمه من کانت فی يده لغرضها فهو فی ذلک کالعبد لها بل أخسّ حالا کما قال عليه السّلام فی موضع آخر:عبد الشهوه أذلّ من عبد الرقّ.

إذا الباعث لعبد الرقّ علی الخدمه و الانقياد قد يکون قسريّا،و الباعث لعبد الشهوه طبيعیّ،و شتّان ما بينهما .

الرابعه

:قوله: و هو يری المأخوذين علی الغرّه فالواو فی قوله:و هو للحال،و هو شروع فی وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له و لما ورائه من أحوال الآخره و کيفيّه قبض الموت لأرواحهم من مبدء نزوله بهم.إلی آخره، و کيفيّه أحوالهم مع أهليهم و إخوانهم معه،و هو وصف لا مزيد علی وضوحه و بلاغته و فائدته تذکير العصاه بأهوال الموت و تنبيههم من غفلتهم فی الباطل بذلک علی وجوب العمل له،و تثبيت للسالکين إلی اللّه علی ما هم عليه ،و مراده بقوله: ما کانوا يجهلون .لا الموت فإنّه معلوم لکلّ أحد،بل تفصيل سکراته و أهواله . و ما کانوا يأمنون .إشاره إلی الموت و ما بعده فإنّ الغافل حال انهماکه فی لذّات الدنيا لا يعرض له خوف الموت بل يکون فی تلک الحال آمنا منه ،و قوله: فغير موصوف ما نزل بهم:

أی ليس ذلک ممّا يمکن استقصائه بوصف بل غايته التمثيل کما ورد فی التوراه:أنّ مثل.الموت کمثل شجره شوک أدرجت فی بدن بن آدم فتعلّقت کلّ شوکه بعرق و عصب ثمّ جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع و ابقی ما ابقی ، استعاره و استعار لفظ الولوج لما يتصوّر من فراق الحياه لعضو عضو فأشبه ذلک دخول جسم فی جسم آخر ، استعاره مرشحه و کذلک استعار لفظ العبء للآثام الّتی تحملها النفس،و رشّح بذکر الظهر استعاره لفظ المحسوس للمعقول .

الخامسه:

قوله: و المرء قد غلقت رهونه بها .ضربه مثلا لحصول المرء فی تبعات ما جمع و ارتباطه بها عن الوصول إلی کماله و انبعاثه إلی سعادته بعد الموت، و قد کان يمکنه فکاکها بالتوبه و الأعمال الصالحه فأشبه ما جمع من الهيئات الرديئه

فی نفسه عن اکتساب الأموال فارتهنت بها بما علی الرهن من المال،و قال بعض الشارحین:أراد أنّه لمّا أشفی علی الفراق صارت الأموال الّتی جمعها مستحقّه لغیره و لم یبق له فیها تصرّف فاشبهت الرهن الّذی غلّق علی صاحبه فخرج عن کونه مستحقّا لصاحبه و صار مستحقّا للمرتهن.و هذا و إن کان محتملا إلاّ أنّه یضیّع فائده قوله:بها.لأنّ الضمیر یعود إلی الأموال المجموعه و هو إشاره إلی المال الّذی تعلّق الرهن به فلا تکون هی نفس الرهن ، کنایه و قوله: و هو یعضّ یده .کنایه عمّا یلزم ذلک من الأسف و الحزن و الندم علی تفریطه فی جنب اللّه حیث انکشف له حال الموت انقطاع سببه من اللّه،و فوت ما کان یتوهّم بقائه علیه ممّا اشتغل به عن ربّه، و حیث یتحسّر علی ذلک التفریط کما قال تعالی «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ یا حَسْرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ وَ إِنْ کُنْتُ لَمِنَ السّاخِرِینَ» (۱)و یتمنّی هدایه اللّه فیقول:

«لَوْ أَنَّ اللّهَ هَدانِی لَکُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِینَ» ،أو الرجعه إلی الدنیا لامتثال ما فرّطت فیه من الأوامر الإلهیّه فیقول حین یری العذاب: «لَوْ أَنَّ لِی کَرَّهً فَأَکُونَ مِنَ الْمُحْسِنِینَ» ، و کما قال تعالی «وَ یَوْمَ یَعَضُّ الظّالِمُ عَلی یَدَیْهِ یَقُولُ یا لَیْتَنِی اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِیلاً » (۲)و قد نبّه علیه السّلام فی هذا الکلام علی أنّ آله النطق تبطل من الإنسان حال الموت قبل آلتی السمع و البصر بقوله: فحیل بین أحدهم و بین منطقه،و إنّه لبین أهله ینظر ببصره و یسمع باذنه علی صحّه من عقله .ثمّ نبّه علی بطلان آله السمع بعدها قبل آله البصر و أنّ آله البصر تبطل مع المفارقه بقوله: حتّی خالط سمعه.

إلی قوله:یری حرکات ألسنتهم و لا یسمع رجع کلامهم.و ذلک لعلمه علیه السّلام بأسرار الطبیعه،و لیس کلامه مطلقا بل فی بعض الناس و أغلب ما یکون ذلک فیمن تعرّض الموت الطبیعیّ لآلاته،و إلاّ فقد تعرّض الآفه لقوّه البصر و آلته قبل آله السمع و آله النطق،و الّذی یلوح من أسباب ذلک أنّه لمّا کان السبب العامّ القریب للموت هو انطفاء الحراره الغریزیّه عن فناء الرطوبه الأصلیّه الّتی منها خلقنا،و کان فناء تلک الرطوبه عن عمل الحراره الغریزیّه فیها التجفیف و التحلیل و قد تعینها علی

۱- ۱) ۳۹-۵۷

۲- ۲) ۲۹-۲۵.

ذلک الأسباب الخارجیّه من الأهویه و استعمال الأدویه المجفّفه و سائر المخفّفات کان کلّ عضو أیبس من طبیعته و أبرد أسرع إلى البطلان و أسبق إلى الفساد.

إذا عرفت ذلک فنقول:أمّا أنّ آله النطق أسرع فسادا من آله السمع فلأنّ آله النطق مبنیّه على الأعصاب المحرّکه و مرکّبه منها،و آله السمع من الأعصاب المفیده للحسّ،و اتّفق الأطبّاء على أنّ الأعصاب المحرّکه أیبس و أبرد لکونها منبعثه من مؤخّر الدماغ دون الأعصاب المفیده للحسّ فإنّ جلّها منبعث من مقدّم الدماغ فکانت لذلک أقرب إلى البطلان،و لأنّ النطق أکثر شرائط من السماع لتوقّفه مع الآله و سلامتها على الصوت و سلامه مخارجه و مجاری النفس،و الأکثر شرطا أسرع إلى الفساد ،و أمّا بطلان آله السمع قبل البصر فلأنّ منبت الأعصاب الّتی هی محلّ القوّه السامعه أقرب إلى مؤخّر الدماغ من منابت محلّ القوّه الباصره الصماخ الّذی رتّبت فیه قوّه السمع احتاج أن یکون مکشوفا غیر مسدود عنه سبیل الهواء بخلاف العصب الّذی هو آله البصر فکانت لذلک أصلب،و الأصلب أیبس و أسرع فسادا.هذا مع أنّه قد یکون ذلک لتحلّل الروح الحامل للسمع قبل الروح الحامل للبصر أو لغیر ذلک.و اللّه أعلم،و أمّا سبب النفره الطبیعیّه من المیّت و التوحّش من قربه فحکم الوهم على المتخیّله بمحاکاه حاله فی نفس المتوهّم،و عزل العقل فی ذلک الوضع حتّى أنّ المجاور لمیّت فی موضع منفرد یتخیّل أنّ المیّت یجذبه إلیه و یصیّره بحاله مثل حالته المنفوره عنها طبعا .

السادسه:

قوله: و أسلموه فیه إلى عمله .إشاره إلى أنّ کلّ ثواب و عقاب اخرویّ یفاض على النفس فبحسب استعدادها بأعمالها السابقه الحسنه و السیّئه فعمل الإنسان هو النافع أو الضارّ له حین لا ناصر له،و لمّا کان میله علیه السّلام فی هذا الکلام إلى الإنذار و التخویف لا جرم ذکر إسلامهم له إلى عمله لأنّ الإسلام إنّما یکون إلى العدوّ فلمّا حاول أن ینفّر عن قبح الأعمال نبّه على أنّ عمل الإنسان القبیح یکون کعدوّه القویّ علیه یسلم إلیه.

ص:۶۶

الفصل الثالث:

اشاره

قوله:

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ- وَ الْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ- وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ- وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ- مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ- أَمَادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا- وَ أَرَجَّ الْأَرْضَ وَ أَرْجَفَهَا- وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا- وَ دَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلاَلَتِهِ- وَ مَخُوفِ سَطْوَتِهِ- وَ أَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلاَقِهِمْ- وَ جَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ- ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ- عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَ خَبَايَا الْأَفْعَالِ- وَ جَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ- أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلاَءِ وَ انْتَقَمَ مِنْ هَؤُلاَءِ- فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ- وَ خَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ- حَيْثُ لاَ يَظْعَنُ النُّزَّالُ- وَ لاَ تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ- وَ لاَ تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ- وَ لاَ تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ وَ لاَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ- وَ لاَ تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ- وَ أَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَهِ- فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ وَ غَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ- وَ قَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ- وَ أَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ- وَ مُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ- فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ- وَ بَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ- فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ- وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ- لاَ يَظْعَنُ مُقِيمُهَا- وَ لاَ يُفَادَى أَسِيرُهَا- وَ لاَ تُفْصَمُ كُبُولُهَا- لاَ مُدَّهَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى- وَ لاَ أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى

اللغه

أقول: الرجّ،و الرجف: الاضطراب الشديد،و يروى رجّها بغير همزه، و هو الأشهر .و نسفها: قلعها من اصولها و بثّها .و دكّ بعضها بعضا: تصادمت .

و تنوبهم: تعودهم .و الخطر: الإشراف على الهلاك .و شخص: خرج من منزله

ص:۶۷

إلى آخر ،و أشخصه: غيّره .و الكلب: الشدّه .و الجلب و اللجب: الصوت .

و القصيف: الصوت الشديد .و الكبول: الأغلال واحدها كبل .و فصمها: كسرها .

المعنى

اشاره

و أشار بقوله: حتّى إذا بلغ الكتاب أجله .إلى غايه الناس فى موتهم، و هو بلوغ الوقت المعلوم الّذى يجمع له الناس و هو يوم القيامه ،و أراد بالأمر القضاء و مقاديره و تفاصيله من الآثار الّتى توجد على وفقه كما سبق بيانه ،و لحوق الخلق بأوّله إشاره إلى توافيهم فى الموت و تساويهم فيه كما نطقت الشريعه به ، و تجديد الخلق بعثهم و إعادتهم ،و أمّا إماده السماء و شقّها و ارجاج الأرض و نسف الجبال فظاهر الشريعه الناطق بخراب هذا العالم ناطق به،و أمّا من زعم بقائه فربّما عدلوا إلى التأويل ،

و الّذى يحتمل أن يقال فى ذلک وجوه:

أحدها

:أنّ القيامه لمّا كانت عندهم عباره عن موت الإنسان و مفارقته لهذا البدن و لما يدرك بواسطته من الأجسام و الجسمانيّات و وصوله إلى مبدئه الأوّل كان عدمه عن هذه الأشياء مستلزم لغيبوبتها عنه و عدمها و خرابها بالنسبه فيصدق عليه أنّه إذا انقطع نظره عن جميع الموجودات سوى مبدئه الأوّل-جلّت عظمته- أنّها قد عدمت و تفرّقت،و كذلك إذا انقطع نظره عن عالم الحسّ و الخيال و متعلّقاتهما من الأجسام و الجسمانيّات و اتّصل بالملأ الأعلى فبالحرىّ أن يتبدّل الأرض و السماوات بالنسبه إليه فيصير عالم الأجسام و الجسمانيّات أرضا له و عالم المفارقات سمائه.

الثانى:

مجاز أنّ هذه الموجودات المشار إليها لمّا كانت مقهوره بلجام الإمكان فى قبض القدره الإلهيّه كان ما نسب إليها من الانشقاق و الانفطار و الارجاج و النسف و غيرها امورا ممكنه فى نفسها و إن امتنعت بالنظر إلى الأسباب الخارجيّه فعبّر عمّا يمكن بالواقع مجازا.و حسنه فى العربيّه معلوم،و فائدته التهويل بما بعد الموت و التخويف للعصاه بتلك الأهوال .

الثالث:

استعاره قالوا:يحتمل أن يريد بالأرض القوابل للجود الإلهىّ استعاره فعلى هذا إماده السماء عباره عن حركاتها و اتّصالات

كواكبها الّتى هى أسباب معدّه

ص:۶۸

لقوابل هـذا العالم،و انفطارها إفاضه الجود بسـبب تلك المعـدّات على القوابل، و ارجاج الأرض إعـداد الموادّ لإعاده أمثال هذه الأبـدان أو لنوع آخر بعـد فنـاء النوع الإنسـانىّ،و قلع الجبـال و نسـفها و دقّهـا إشـاره إلى زوال موانع الاسـتعدادات لنوع آخر إن كان،أولا عاده بناء هذا النوع استعاره.و وجهها أنّ الأرض بنسف الجبال يسـتوى سطحها و يعتدل فكذلك قوابل الجود يستعدّ و يعتدل لأن يفاض عليها صوره نوع اخرى لأبناء هذا النوع.

الرابع:

قـالوا:يحتمـل أن يريـد بالسـماء سـماء الجود الإلهىّ،و بالأرض عالم الإنسان.فعلى هـذا يكون إماده السـماء عباره عن ترتيب كلّ اسـتحقاق لقابله فى القضاء الإلهىّ،و الفطر عباره عن الفيض،و ارجاج الأرض و إرجافها عباره عن الهرج و المرج الواقع بين أبناء نوع الانسان،و قلع جبالها و نسـفها و دكّ بعضـها بالبعض عباره عن إهلاك الجبابره و المعانـدين للناموس الإلهىّ و قتل بعضـهم ببعض.كلّ ذلك بأسـباب قهريّه مستنده إلى هيبه جلال اللّه و عظمته،و إخراج من فيها و تجديدهم إشاره إلى ظهور ناموس آخر مجـدّد لهـذا النـاموس و المتّبع لـه إذن قـوم آخرون هـم كنـوع جديـد،و تمييزهـم فريقيـن منعم عليهم و منتقم منهم ظـاهر فـإنّ المسـتعدّين لاتّبـاع النـاموس الشـرعىّ و القـائلين بـه هـم المنعـم عليهم المثـابون، و التـاركين له المعرضـين عنه هم المنتقم منهم المعاقبون ،فأمّا صفه الفريقين و ما أعدّ لكلّ منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز و وصفته هذه الألفاظ الكريمه.

و على تقـدير التأويلات السابقه لمن عـدل عن الظواهر فثواب أهل الطاعه جوار بارئهم و ملاحظه الكمال المطلق لهم،و خلودهم فى داره:بقائهم فى تلك النعمه غير جائز عليهم الفناء كما تطابق عليه الشرع و البرهان ،و كونهم و لا متغيّرى الأحوال و لا فزعين و لا ـ ينالهم سـقم و لا خطر و لا يشخصـهم سـفر فلأنّ كلّ ذلك من لواحق الأبـدان و الكون فى الحياه الـدنيا فحيث زالت عوارضـها و لواحقها ،و أمّا جزاء أهل المعصيه فإنزالهم شرّ دار،و هى جهنّم الّتى هى أبعد بعيد عن جوار اللّه ،و غلّ أيديهم إلى أعناقهم إشاره إلى قصور قواهم العقليّه عن تناول ثمار المعرفه ،و اقتران

النواصی بالأقدام إشاره إلی انتکاس رؤسهم عن مطالعه أنوار الحضره الإلهیّه ، استعاره و إلباسهم سرابیل القطران :استعار لفظ السرابیل للهیئات البدنیّه المتمکّنه من جواهر نفوسهم،و وجه المشابهه اشتمالها علیها و تمکّنها منها کالسربال للبدن، و نسبتها إلی القطران إشاره إلی شدّه استعدادهم للعذاب،و ذلک أنّ اشتغال النار فیما یمسح بالقطران أشدّ ،و نحوه قوله تعالی «سَرابِیلُهُمْ مِنْ قَطِرانٍ » (۱)و کذلک مقطّعات النیران :إشاره إلی تلک الهیئات الّتی تمکّنت من جواهر نفوسهم،و نسبتها إلی النار لکونها ملبوس أهلها فهی منها کما قال تعالی «قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِیابٌ مِنْ نارٍ» (۲)و لمّا کان سبب الخروج من النار هو الخروج إلی اللّه من المعاصی بالتوبه،و الرجوع إلی تدبّر الآیات و العبر النوافع.و کان البدن و حواسّه أبواب الخروج إلی اللّه فبعد الموت تغلق تلک الأبواب فلا جرم یبقی الکفّار وراء طبق تلک الأبواب فی شدائد حراره ذلک العذاب ، استعاره و لهب النار و لجبها و أصواتها الهایله :استعاره لأوصاف النار المحسوسه المستلزمه للهیبه و الخوف حسّا للنار المعقوله الّتی هی فی الحقیقه أشدّ-نعوذ باللّه منها-و إنّما عدل إلی المحسوس للغفله عن صفات تلک النار و عدم تصوّر أکثر الخلق لها إلاّ من هذه الأوصاف المحسوسه ، کنایه و کونها لا یظعن مقیمها کنایه عن التخلید و ذلک فی حقّ الکفّار ، استعاره و لفظ الأسیر و الفدیه استعاره ،و کذلک لفظ الکبول استعاره لقیود الهیئات البدنیّه المتمکّنه من جواهر نفوس الکفّار فکما لا ینفصم القید الوثیق من الحدید و لا ینفکّ المکبّل به کذلک النفوس المقیّده بالهیئات الردیئه البدنیّه عن المشی فی بیداء جلال اللّه و عظمته و التنزّه فی جنان حظائر قدسه و مقامات أصفیائه ،و لمّا کان الأجل مفارقه البدن لم یکن لهم بعد موتهم أجل،إذ لا أبدان بعد الأبدان و لا خلاص من العذاب للزوم الملکات الردیئه لأعناق نفوسهم،و تمکّنها منها.فهذا ما عساهم یتأوّلونه أو یعبّرون به عن الأسرار الّتی یدّعونها تحت هذه العبارات الواضحه الّتی وردت الشریعه بها.لکنّک قد علمت أنّ العدول إلی هذه التأویلات و أمثالها مبنیّ علی امتناع المعاد البدنیّ،و ذلک ممّا

۱- (۱) ۵۱-۱۴

۲- (۲) ۲۰-۲۲.

صرّحت به الشـريعه تصـريحا لا يجوز العدول عنه،و نصوصا لا يحتمل التأويل، و إذا حملنا الكلام على ما وردت به الشريعه فهذا الكلام منه عليه السّلام أفصح ما يوصف به حال القيامه و المعاد.و التعرّض لشرحه يجرى مجرى إيضاح الواضحات.و باللّه التوفيق.

الفصل الرابع و منها فى ذكر النبى صلى اللّه عليه و آله و سلم:

اشاره

قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَ صَغَّرَهَا- وَ أَهْوَنَ بِهَا وَ هَوَّنَهَا- وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً- وَ بَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً- فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ- وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ- وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ- لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً- أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً- بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً- وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً- وَ دَعَا إِلَى الْجَنَّهِ مُبَشِّراً- نَحْنُ شَجَرَهُ النُّبُوَّهِ- وَ مَحَطُّ الرِّسَالَهِ- وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَهِ- وَ مَعَادِنُ الْعِلْمِ وَ يَنَابِيعُ الْحُكْمِ- نَاصِرُنَا وَ مُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَهَ- وَ عَدُوُّنَا وَ مُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَهَ

اللغه

أقول: الرياش: اللباس .

المعنى

و الفصل اقتصاص لحال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أوصافه الحميده ليبنى عليها ممادح نفسه بعد.فتحقيره للدنيا و تصغيرها و تهوينها إشاره إلى ما كان يجذب الخلق به عنها من ذكر مذامّها و تعديد معايبها،و إهوانه بها إشاره إلى زهده فيها ،و علمه بإزواء اللّه إيّاها عنه اختيارا إشاره إلى أنّ زهده فيها كان عن علم منه باختيار اللّه له ذلك و تسبّب أسبابه و هو وجه مصلحته ليستعدّ نفسه بذلك لكمال النبوّه و القيام بأعباء الخلافه الأرضيّه و بسطها لغيره احتقارا لها،و قد عرفت معنى الاختيار من اللّه لخلقه غير مرّه .فكان إعراضه عنها بقلبه إماته ذكرها عن

نفسه،و محبّته لأن تغيب زينتها عن عينه لئلاّ يتّخذ منها رياشا و لا يرجو فيها مقاما جذبا للعنايه الإلهيّه له عن الالتفات إلى الالتقاط إلى الكمالات المعلومه له،و عن أن ينحطّ لمحبّتها عن مقامه الّذى قضت العنايه الإلهيّه بنظام العالم بسببه .ثمّ أعقب ذلك بذكر ثلاثه أحوال هى ثمره النبوّه الّتى هى ثمره الزهد المشار اليه،و هى تبليغ رساله ربّه إعذارا إلى خلقه أن يقولوا يوم القيامه: «إِنّا كُنّا عَنْ هـذا غافِلِينَ » ، و النصح لهم إنذارا بالعذاب الأليم فى عاقبه الإعراض عن اللّه ،و دعائه إلى الجنّه مبشّرا لمن سلك سبيل اللّه و نهجه المستقيم بما أعدّ له فيها من النعيم المقيم .ثمّ عقّب اقتصاص تلك الممادح بالإشاره إلى فضيله نفسه،و ذلك منه فى معرض المفاخره بينه و بين مشاجريه كمعاويه فأشار إلى فضيلته من جهه اتّصاله بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم إذ كان من البيت الّذى هو شجره النبوّه و محطّ الرساله و معدن العلم و ينبوع الحكمه بأفضل مكان بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم كما سبق بيانه فى بيان فضائله، استعاره و لفظ الشجره و المعادن و الينابيع مستعار كما سبق ،و إذا كان من تلك الشجره كما علمت و لكلّ غصن من الشجره قسط من الثمره بحسب قوّته و قربه من الأصل و عنايه الطبيعه به علمت مقدار فضيلته و نسبتها إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

و قوله بعد ذلك : ناصرنا و محبّنا.إلى آخره.

ترغيب فى نصرته و محبّته و جذب إليها بالوعد برحمه اللّه و إفاضه بركاته و تنفير عن عداوته و بغضه بلحوق سطوه اللّه،و لعلّ ذلك هو غايته هنا من ذكر فضيلته.و باللّه التوفيق و العصمه.

۱۰۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

:إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ- إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى- الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الْجِهَادُ فِی سَبِيلِهِ- فَإِنَّهُ ذِرْوَهُ الْإِسْلَامِ- وَ كَلِمَهُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَهُ- وَ إِقَامُ الصَّلَاهِ فَإِنَّهَا الْمِلَّهُ- وَ إِيتَاءُ الزَّكَاهِ فَإِنَّهَا فَرِيضَهٌ وَاجِبَهٌ- وَ صَوْمُ شَهْرِ

رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّهٌ مِنَ الْعِقَابِ- وَ حَجُّ؟الْبَيْتِ؟ وَ اعْتِمَارُهُ- فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَ يَرْحَضَانِ الذَّنْبَ- وَ صِلَهُ الرَّحِمِ- فَإِنَّهَا مَثْرَاهٌ فِي الْمَالِ وَ مَنْسَأَهٌ فِي الْأَجَلِ- وَ صَدَقَهُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَهَ- وَ صَدَقَهُ الْعَلَانِيَهِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَهَ السُّوءِ- وَ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ- أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ- وَ ارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ- وَ اقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ- وَ اسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ وَ تَعَلَّمُوا؟الْقُرْآنَ؟ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ- وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ- وَ اسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ- وَ أَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ- وَ إِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ- كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ- بَلِ الْحُجَّهُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَ الْحَسْرَهُ لَهُ أَلْزَمُ- وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ

اللغه

أقول: ذروه الشیء: أعلاه .و الملّه: الدين :و الجنّه: الوقايه .و يرحضان بفتح الحاء: يغسلان .و الرحض: الغسل .و المثراه: المكثره،و هی محلّ كثره المال و الثروه .و المنسأه: محلّ النسأ،و هو التأخير .و الإفاضه فی الذكر:

الاندفاع فيه .و الهدی: ضدّ الإضلال،و هو مصدر .

و قد أشار عليه السّلام فی هذا الفصل إلی أنّ أفضل الوسائل الموصله إلی اللّه سبحانه

اشاره

هو الإيمان

الكامل فالإيمان باللّه هو التصديق بوجوده،و هو إشاره إلی أصل الإيمان.

ثمّ له لواحق و كمالات:

اشاره

أحدها:التصديق برسوله

.و إنّما قدّمه على سائر العبادات لأنّه أصل لها لا تصحّ بدونه .

الثانى:الجهاد فى سبيله

،و قد عرفت فضائل الجهاد فيما سلف،و أشار إلى وجه فضيلته بكونه ذروه الإسلام، استعاره و استعار لفظ الذروه له ملاحظه لشبهه فى العلوّ و المرتبه فى الإسلام بالسنام للبعير و إنّما قدّمه على الصلاه لكون سالكه على يقين من لقاء اللّه و قوّه من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقى نفسه إلى التهلكه الحاضره الّتى ربّما يغلب على ظنّه أو يتيقّنها،و لأنّه الأصل الأعظم فى جمع العالم على الدين .

الثالث:

مجاز إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه كلمه الإخلاص ،و هى كلمه التوحيد المستلزمه لنفى الشركاء و الأنداد و هى معنى الإخلاص و لذلك اضيفت إليه،و وجه فضيلتها كونها «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها» فإنّ العقول السليمه البريّه عن شوائب العلائق البدنيّه و عوارض التربيه شاهده و مقرّه بما اخذ عليها من العهد القديم من توحيد صانعها و براءته عن الكثره،و أطلق عليها اسم الفطره و إن كانت الفطره عليها مجازا إطلاقا لاسم الملزوم على لازمه .

الرابع:

مجاز إطلاقا لاسم الكلّ على الجزء إقامه الصلاه ،و إنّما جعلها الملّه و إن كانت بعض أركان الدين لأنّها الركن القوىّ من أركانه فأطلق عليها ذلك اللفظ إطلاقا لاسم الكلّ على الجزء مجازا.

و أعلم أنّ للصلاه فضائل و أسرار يجب التنبيه عليها:أمّا فضيلتها فقد ورد فيها أخبار كثيره بعد تأكيد القرآن الكريم للأمر بها كقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:الصلاه عمود الدين من تركها فقد هدم الدين،و قوله:مفتاح الجنّه الصلاه،و قوله فى فضل إتمامها:إنّ الرجلين من امّتى يقومان فى الصلاه و ركوعهما و سجودهما واحد و إنّما بين صلاتيهما ما بين السماء و الأرض،و قوله:أمّا يخاف الّذى يحوّل وجهه فى الصلاه أن يحوّل اللّه وجهه وجه حمار،و قوله:من صلّى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشیء من الدنيا غفر اللّه له ذنوبه.و أمّا أسرارها فيقسم إلى عامّه و إلى خاصّه،

ص:۷۴

و أمّا العامّه فقد بيّنّا فيما سلف فى ذكر الحجّ فى الخطبه الاولى السرّ العامّ لجميع العبادات،و هى كونها متمّمه للغرض الثانى من أغراض العارف من الرياضه و معينه على تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه و تمرينها على موافقتها،و إذا لاح لك هذا السرّ فقد علمت أنّ جميع الآيات و الأخبار الوارده فى فضلها يرجع معناها إليه كنهيها عن الفحشاء و المنكر فى قوله تعالى «إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ» إذ كان سببهما القوّه الروعيّه[التروّعيّه خ]إذا خرجت عن حكم العقل فإذا كانت الصلاه هى الّتى توجب دخولها تحت حكم العقل و العقل ناه عن الفحشاء و المنكر فقد كانت الصلاه هى السبب فى الانتهاء فكانت ناهيه،فظهر أيضا معنى كونها عماد الدين.إذ قال:بنى الإسلام على خمس.فكلّ منها عماد بحسب شرائطه فمن أخلّ بها فقد هدم بنيانه الّذى يصعد به إلى اللّه،و كذلك كونها مفتاحا للجنّه.إذ بها ينفتح باب من أبواب الوصول إلى اللّه،و لذلك ظهر التفاوت الّذى يشير إليه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى صلاه الرجلين من امّته فإنّه إذا كانت فائده الصلاه هو الالتفات إلى اللّه تعالى بقمع الشيطان و كان أحد الرجلين فى صلاته خاشعا لخشيه اللّه مستحضرا لعظمته،و الآخر غافل عن هذه الجهه قد صرف الشيطان وجه قلبه إلى غير القبله فأين أحدهما من الآخر،و كذلك ما أشار إليه من التخويف لمن يحوّل وجهه فى الصلاه فإنّه نهى منه عن الغفله عن الالتفات إلى اللّه و ملاحظه عظمته فى حال الصلاه فإنّ الملتفت يمينا و شمالا ملتفت عن اللّه و غافل عن مطالعه أنوار كبريائه،و من كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفله عليه فيتحوّل وجه قلبه كوجه قلب الحمار فى قلّه عقليّته للامور العلويّه و عدم إكرامه بشىء من العلوم و القرب إلى اللّه،و كذلك غفران ذنب المصلّى بسبب تركه حديث نفسه بشىء من الدنيا فإنّه فى تلك الحال يلتفت إلى اللّه تعالى غافل عن غيره،و الالتفات إليه هو روح العباده و خلاصتها،و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:إنّما فرضت الصلاه و امر بالحجّ و الطواف و اشعرت المناسك لإقامه ذكر اللّه فإذا لم يكن فى قلبك المذكور الّذى هو المقصود و المبتغى عظمته،و لا هيبته فما فيه ذكرك.و عن عايشه قالت:كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم

يحدّثنا و نحدّثه فإذا حضرت الصلاه فكأنّه لم يعرفنا و لم نعرفه شغلا باللّه عن كلّ شىء.و كان علىّ عليه السّلام إذا حضر وقت الصلاه يتململ و يتزلزل و يتلوّن فيقال له:مالك يا أمير المؤمنين؟فيقول:جاء وقت أمانه عرضها اللّه على السماوات و الأرض «فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها» ،و كان علىّ بن الحسين عليهما السّلام إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه فيقول أهله:ما هذا الّذى يعتادك عند الوضوء؟فيقول:ما تدرون بين يدى من أقوم.و كلّ ذلك إشاره إلى استحضار عظمه اللّه و الالتفات إليه حال العباده و الانقطاع عن غيره،و أمّا ما يخصّها من الأسرار فقد علمت أنّ الصلاه ليس إلاّ ذكر و قراءه و ركوع و سجود و قيام و قعود:أمّا الذكر فظاهر أنّه محاوره و مناجاه للّه تعالى و غايتها استلزام الالتفات إليه،و تذكّر ما ينجذب القوى الشيطانيّه تحت قياد العقل و يستمرّ تعوّدها بذلك و هو المقصود من القرائه و الأذكار و الحمد و الثناء و التضرّع و الدعاء،و ليس المقصود منه الحرف و الصوت امتحانا للّسان بالعمل و إن حصلت الغفله فإنّ تحريك اللسان بالهذيان خفيف على الإنسان لا كلفه فيه من حيث إنّه عمل،و سنبيّن حال الذكر و فضيلته و فائدته فى موضع أليق به «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى،و أمّا الركوع و السجود و القيام و القعود فالغرض بها التعظيم للّه تعالى المستلزم للالتفات إليه و ذكره أيضا.إذ لو جاز أن يكون معظّما للّه بفعله و هو غافل عنه لجاز أن يعظّم صنما موضوعا بين يديه و هو غافل عنه،و يؤيّد ذلك ما روى عن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه و شماله متعمّدا فى الصلاه فلا صلاه له،و قال عليه السّلام:إنّ العبد ليصلّى الصلاه لا يكتب له سدسها و لا عشرها و إنّما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها،و لمّا عرفت أنّ الأصل من أركانها هو الالتفات إلى اللّه تعالى فاعلم أنّ الالتفات إليه مستلزم للتذكّر و التفهّم لأنّ الالتفات إليه إنّما يراد لمطالعه كبريائه و عظمته،و المطالعه ليس إلاّ الفكر الّذى هو عين البصيره و حدقه العقل الإنسانىّ.ثمّ إنّ التذكّر و التفهّم مستلزم للتعظيم فإنّ مطالعه عظمه اللّه أعظم من أن لا يعظّمها العارف بها،و التعظيم مستلزم للخوف و الرجاء فإنّا نجد عند تصوّر عظمه ملك من ملوك الدنيا وجدانا ضروريّا أنّا

نتقهر عن مكالمته و محاورته و نلزم معه السكون و الخضوع و ربّما يتبع ذلك رعده البدن و تعثّم اللسان،و منشأ كلّ ذلك الخوف الحادث عن تصوّر عظمته فكيف يتصوّر جبّار الجبابره و ملك الدنيا و الآخره،و كذلك الرجاء فإنّا عند تصوّر عظمه اللّه نتصوّر أنّ الكلّ منه و ذلك باعث على رجائه،خصوصا و قد تأكّد ذلك بالآيات الوارده فى باب الخوف و الرجاء،و كذلك يستلزم الحياء لأنّ المتصوّر لعظمه الآمر لا يزال مستشعرا تقصيرا و متوهّما ذنبا و ذلك الاستشعار و التوهّم يوجب الحياء من اللّه سبحانه .

الخامس:

إيتاء الزكاه ،و هى ركن قوىّ من أركان الدين،و أشار إلى وجه فضلها بكونها فريضه واجبه.قال قطب الدين الراوندى:أراد بالفريضه السهم المنقطع من المال للفقراء المستحقّين المسمّى زكاه.قال:و هو عرف شرعىّ لأنّ الفريضه بمعنى الواجب فإنّ كلّ العبادات الواجبه كذلك،و لأنّ الفرض و الواجب بمعنى فيكون قوله:فريضه واجبه.تكرارا،و أقول:ما ذكره وجه حسن،و هو إشاره إلى بعض أسرارها كما نبيّنه،و لهذه العباده مع السرّ العامّ الشامل لجميع العبادات و هو الالتفات إلى اللّه تعالى و محبّته أسرار:

الأوّل:أنّ المراد بكلمه الشهاده التوحيد المطلق و إفراد المعبود بالتوجّه إليه و ذلك لا يتمّ إلّا بنفى كلّ محبوب عداه فإنّ المحبّه لا يحتمل الشركه، و التوحيد باللسان قليل الفائده فى الباطن و إنّما تمتحن درجه الحبّ بمفارقه المحبوبات،و الأموال محبوبه عند الخلق لأنّها آله تمتّعهم بالدنيا و انسهم بها و نفرتهم عن الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم فى المحبوب و استنزلوا عن المال الّذى هو معشوقهم كما قال تعالى «إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ» و لمّا فهم الناس هذا المعنى انقسموا أقساما:فطائفه أخلصوا فى حبّ معشوقهم و وفوا بعهده فبذلوا أموالهم و لم يدّخروا منها شيئا حتّى قيل لبعضهم:

كم تجب من الزكاه فى مائتى درهم؟قال:أمّا على العوّام فبحكم الشرع خمسه دراهم، و أمّا علينا فيجب بذل الجميع،و منهم من قعد عن هذه المرتبه و أمسكوا أموالهم

ص:٧٧

و راقبوا مواقيت الحاجه و مواسم الخيرات و جعلوا قصدهم فی الادّخار الإنفاق علی قصد الحاجه دون التنعّم،و صرف الفاضل عن الحاجه إلی وجوه البرّ،و هؤلاء لا یقتصرون علی واجب الزکاه کالنخعیّ و الشعبیّ و مجاهد،و قیل للشعبیّ:هل فی المال حقّ سوی الزکاه؟فقال:نعم أما سمعت قوله تعالی «أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ» الآیه و استدلّوا بقوله تعالی «وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ» و لم یجعلوا ذلک مخصوصا بآیه الزکاه بل هو داخل فی حقّ المسلم علی المسلم،و معناه أنّه یجب علی المؤسر مهما وجد محتاجا أن یزیل حاجته بما یفضل عن مال الزکاه،و منهم من اقتصر علی أداء الواجب من الزکاه من غیر زیاده و لا نقصان و هی أدون الرتب و قد اقتصر مع العوامّ علی ذلک لجهلهم بسرّ البذل و بخلهم المال و ضعف حبّهم للآخره،و یلزم لهذا السرّ تطهیر ذوی الأموال عن رذیله البخل فإنّها من المهلکات قال علیه السّلام:

ثلاث مهلکات:شحّ مطاع،و هوی متّبع،و إعجاب المرء بنفسه،و وجه کونه مهلکا أنّه إنّما یصدر عن محبّه المال و قد علمت أنّ الدنیا و الآخره ضرّتان بقدر ما یقرّب من إحداهما یبعّد من الاخری فکانت محبّه المال صارفه عن التوجّه إلی اللّه و مبعّده منه،و ذلک یستلزم الهلاک الاخروی کما بیّناه،و إنّما تزول هذه الرذیله بتعوّد البذل.إذ حبّ الشیء لا ینقطع إلاّ بقهر النفس علی مفارقته بالتدریج حتّی یصیر ذلک عاده فالزکاه بهذا المعنی طهور:أی تطهّر صاحبها عن خبث البخل المهلک و إنّما طهارته بقدر بذله و فرحه و استبشاره بصرفه فی جنب اللّه طاعه و محبّه له و ملاحظه لحذف کلّ محبوب عداه من سمت القبله.

السرّ الثانی:شکر النعمه فإنّ للّه علی العبد نعمه فی نفسه و شکرها العبادات البدنیّه،و نعمه فی ماله و شکرها العبادات المالیّه،و لیس أحد أخسّ و أبعد عن رحمه اللّه ممّن ینظر إلی فقیر قد ضیّق علیه الرزق ثمّ اضطرّ إلیه فلم یسمح نفسه بأن یؤدّی شکر اللّه تعالی علی ما أغناه عن السؤال و أحوج غیره إلیه بعشر ماله أو بربع عشره.

السرّ الثالث:یتعلّق بإصلاح المدن و تدبیر أحوال أهلها و هو أن جعل اللّه هذا الفرض فی أموال الأغنیاء شرکه للفقراء لأن یسدّ به خلّتهم،و إلیه أشار علیه السّلام بکونه

فريضه واجبه،و فى هذا السرّ سرّان:أحدهما:أن يكون ذلك عونا لهؤلاء على عباده اللّه كى لا يشتغلوا بالطلب عنها.الثانى:أن تنكسر همّهم عن حسد أهل الأموال و السعى بالفساد فى الأرض فلا ينتظم أمر المدنيّه،و تكون قلوبهم ساكنه إلى ذلك القدر معلّقه به مستمدّه من اللّه تعالى بالدعاء فى حفظه متألّفه مع أهل الأموال منجذبه إليهم فيتمّ بذلك أمر المشاركه و المعاونه و الانس و المحبّه الموجبات للالفه الموجبه لنظام العالم و قوام أمر الدين و بقاء نوع الإنسان لما لأجله وجد .

السادس:

صوم شهر رمضان .و تخصيصه بكونه جنّه من العقاب مع أنّ سائر العبادات كذلك لما أنّه أشدّها وقايه،و بيان ذلك أنّه مستلزم لقهر أعداء اللّه الّتى هى الشّياطين المطيفه بالإنسان فإنّ وسيله الشيطان هى الشهوات و إنّما يقوّى الشهوه و يثيرها الأكل و الشرب،و لذلك قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاربه بالجوع،و قال صلى اللّه عليه و آله و سلم لعايشه:داومى قرع باب الجنّه فقالت:بماذا؟قال:بالجوع.فكان الصوم على الخصوص أشدّ قمعا للشيطان و أسدّ لمسالكه و تضييق مجاريه،و لمّا كان العقاب إنّما يلحق الإنسان و يتفاوت فى حقّه بالشدّه و الضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان و بعده منه و كانت هذه العباده أبعد بعيد عن الشيطان كان بسببها أبعد بعيد عن العقاب فلذلك خصّت بكونها وقايه منه.و اعلم أنّ هذه العبادات و إن كانت عدميّه إلّا أنّها ليست عدما صرفا بل عدم ملكه يحرّك من الطبيعه تحريكا شديدا يتبّه صاحبه أنّه على جمله من الأمر ليس هذرا فيتذكّر سبب ما ينويه من ذلك و أنّه التقرّب إلى اللّه سبحانه كما هو غايه للسرّ العامّ للعبادات .

السابع:

حجّ البيت و اعتماره ،و قد سبقت منّا الإشاره إلى أسراره فى الخطبه الاولى.و الّذى ذكره هاهنا كونهما ينفيان الفقر و يغسلان الذنب فجمع فيه بين منفعه الدنيا و منفعه الآخره:أمّا منفعه الدنيا فكونهما ينفيان الفقر و ذلك بسبب التجاره الحاصله فى موسم الحجّ و قيام الأسواق بمكّه حينئذ،و أمّا منفعه الآخره لكونهما يغسلان الذنب عن لوح النفس كما علمته فى أسرار العبادات و هى هذه المنافع

المشار إليها فی القرآن الكريم بقوله «لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ» قال أكثر المفسّرين:

هی منافع الدنيا من التجاره و هو المنقول عن سعيد بن جبير و ابن عبّاس فی روايه أبی رزين عنه،و منهم من جعلها عامّه فی منافع الدنيا و الآخره كالتجاره و الثواب، و هو المنقول عن مجاهد و ابن عبّاس فی روايه عطاء عنه .

الثامن:

صله الرحم ،و ذكر من فوائدها أمرين:

أحدهما:كونها مثراه فی المال،و ذلك من وجهين:أحدهما:أنّ العنايه الإلهيّه قسّمت لكلّ حیّ قسطا من الرزق يناله مدّه الحياه الدنيا و تقوم به صوره بدنه فإذا أعدّت شخصا من الناس للقيام بأمر جماعه و كلّفته بإمدادهم و معونتهم وجب فی العنايه إفاضته أرزاقهم على يده و ما يقوم بإمدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوی أرحام أو مرحومين فی نظره حتّى لو نوى قطع أحد منهم فربّما نقص ماله بحسب رزق ذلك المقطوع،و ذلك معنى كونه مثراه للمال.الثانی:أنّ صله الرحم من الأخلاق الحميده الّتی يستمال بها طباع الخلق فواصل رحمه مرحوم فی نظر الكلّ فيكون ذلك سببا لإمداده و معونته من ذوی الإمداد و المعونات كالملوك و نحوهم فكانت صله الرحم مظنّه لزياده المال .

و الثانی: كونه منسأه للأجل و هو من وجهين:أحدهما:أنّ صله الرحم توجب تعاطف ذوی الأرحام و توازرهم و معاضدتهم لواصلهم فيكون عن أذى الأعداد أبعد و فی ذلك مظنّه تأخيره و طول عمره.الثانی:أنّ مواصله ذوی الأرحام توجب تعلّق هممهم ببقاء واصلهم و إمداده بالدعاء و يكون دعائهم له و تعلّق هممهم ببقائه من شرائط بقائه و إنساء أجله فكانت مواصلتهم منسأه فی أجله .

التاسع:

صدقه السرّ .و ذكر من فوائدها كونها تكفّر الخطيئه،و إنّما خصّها بذلك مع أنّ سائر العبادات كذلك لكونها أبعد عن الرياء و مخالطه ما لا يراد به إلّا وجه اللّه تعالى فكان الإخلاص فيها للّه أتمّ فكانت أولى بالتقريب من اللّه و بمحو الخطيئه .

العاشر:

صدقه العلانيه ،و ذكر من فوائدها أنّها تدفع ميته السوء،و بيان

ذلک أنّ صدقه العلانیه تستلزم الشهره بفعل الخیرات و توجب الذکر الجمیل للمتصدّق،و لمّا کانت میتات السوء کالحرق و الغرق و الصلب و القتل و نحو ذلک من الأحوال الشنیعه الّتی تکثر نفره الناس عن الموت علیها.و کان قلیلا ما یقع شیء منها بقصد من الناس لمن أحبّوه و اشتهر بالرحمه و استجلاب قلوب الفقراء بالصدقه و الإیثار.فلا جرم کانت تلک الصدقه مظنّه الدفع لمیتات السوء .

الحادی عشر:

صنایع المعروف ،و ذکر من فوائدها أنّها تقی مصارع الهوان، و تقریره قریب ممّا قبله.إذ کان اصطناع المعروف مستلزما لتألّف قلوب الخلق و جامعا لهم علی محبّه المصطنع فقلّما یقع من ذلک نسیبهم فی مصرع هوان .

ما یؤکّد الإیمان فی القلوب

ثمّ لمّا فرغ من تعداد کمالات الإیمان أمر بما یؤکّده فی القلوب و یثبّته و هی امور :

أحدها:الاندفاع فی ذکر اللّه.و هو من مؤکّدات الإیمان به،و رغّب فیه بکونه أحسن الذکر،و ذلک لما یستلزمه من الحصول علی الکمالات المسعده فی الآخره و الوصول إلی اللّه کما سنبیّن فائدته و فضیلته فی موضع التوبه .

الثانی:الرغبه فیما وعد المتّقین من ثواب الآخره و أنواعه.و هو أیضا من مؤکّدات طاعته و العمل له ،و لمّا کان الخلف فی خبره تعالی محالا کان وعده أصدق الوعود .

الثالث:الاقتداء بهدی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم .

الرابع:اتّباع سنّته.و لمّا کان أفضل الأنبیاء کانت سنّته أشرف السنن و الاقتداء به و اتّباع سنّته أهدی الطرق إلی اللّه .

استعاره الخامس:تعلّم القرآن.و ظاهر کونه من مؤکّدات الإیمان باللّه و رسوله ،و استعار له لفظ الربیع ،و وجه المشابهه کون القرآن جامعا لأنواع العلوم الشریفه و الأسرار العجیبه اللطیفه الّتی هی متنزّه القلوب کما أنّ زمن الربیع محلّ الأزهار الرایقه الّتی هی مستمتع النظر و مطرح السرور .

السادس:الاستشفاء بنوره،و ظاهر کونه شافیا للقلوب من ظلمه الجهل .

السابع:حسن تلاوته.و ذلک لأنّ حسن تلاوته مظنّه تفهّم معانیه و تدبّرها،

و بحسن تلاوته تظهر فايدته و تحصل منفعه قصصه،و إنّما يكون أنفع القصص إذا تلى حقّ تلاوته كما سبق بيانه .ثمّ أكّد الأوامر المذكوره بالأعمال الّتى عدّدها ممّا ينبغى أن يعمل على وفق العلم بالتنبيه على نقصان العالم الّذى لا يعمل بعلمه فسوّى أوّلا بينه و بين الجاهل العادل عن سواء سبيل اللّه،و وجه التسويه اشتراكهما فى ثمره الجهل و هو الجور عن قصد السبيل و فى عدم الانتفاع بفائده العلم و ثمرته و هى الأعمال الصالحه.ثمّ جعل حال العالم أخسّ لثلاثه أوجه :

أحدها:أنّ الحجّه عليه أعظم لأنّ للجاهلين أن يقولوا:إنا كنّا عن هذا غافلين.و ليس للعالم ذلك،و روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:العلم علمان:علم على اللسان فذلك حجّه اللّه على بن آدم،و علم فى القلب فذلك العلم النافع.أى الّذى يستلزم الطاعه بالعمل .

الثانى:أنّ الحسره له ألزم.و ذلك أنّ النفوس الجاهله غير عالمه بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتحصيل فإذا فارقت أبدانها فهى و إن كانت محجوبه عن ثمار الجنّه و ما أعدّ اللّه فيها لأوليائه العلماء إلاّ أنّها لمّا لم تجد لذّتها و لم تطعم حلاوه المعارف الإلهيّه لم تكن لها كثير حسره عليها و لا أسف على التقصير فى تحصيلها بخلاف العارف بها العالم بنسبتها إلى اللذّات الدنيويّه فإنّه بعد المفارقه إذا علم و انكشف له أنّ الصارف له و المانع عن الوصول إلى حضره جلال اللّه هو تقصيره فى العمل بما علم مع علمه بمقدار ما فاته من الكمالات و الدرجات كان أسفه و حسرته على ذلك أشدّ الحسرات.و جرى ذلك مجرى من علم قيمه جوهره ثمينه يساوى جمله من المال ثمّ اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه حتّى فاتته فإنّه يعظم حسرته عليها و ندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها .

مجاز الثالث:أنّه يكون عند اللّه ألوم ،و أشدّيّه اللائمه بعد المفارقه مجاز فى انقطاع لسان حاله عن العذر فى معصيته عن علم و إنّما يكون ألوم لأنّ إقدام العالم على المعصيه الّتى علم قبحها إنّما يكون عن نفس فى غايه الانقياد للنفس الأمّاره بالسوء و الطاعه لإبليس و جنوده طاعه تفضل على طاعه الجاهل و انقياده لقيام الصارف فى حقّ العالم

و هو علمه بقبحها و ترجّح الداعى إليها عليه و عدم الصارف فى حقّ الجاهل.و لا شكّ أنّ أشدّيه اللائمه تابعه لأشدّيه الانقياد لإبليس خصوصا مع العلم بما يستلزم متابعته من الهلاك.و ظاهر إذن كونه ألوم عند اللّه .و باللّه التوفيق و العصمه.

۱۰۸-و من خطبته له عليه السّلام

اشاره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّى أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا- فَإِنَّهَا حُلْوَهٌ خَضِرَهٌ- حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَ تَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَهِ- وَ رَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَ تَحَلَّتْ بِالْآمَالِ- وَ تَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا- وَ لَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا- غَرَّارَهٌ ضَرَّارَهٌ حَائِلَهٌ زَائِلَهٌ- نَافِدَهٌ بَائِدَهٌ أَكَّالَهٌ غَوَّالَهٌ- لَا تَعْدُو- إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّهِ أَهْلِ الرَّغْبَهِ فِيهَا وَ الرِّضَاءِ بِهَا- أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ- «كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً» - لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِى حَبْرَهٍ- إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَهً- وَ لَمْ يَلْقَ فِى سَرَّائِهَا بَطْناً- إِلاَّ مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً- وَ لَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَهُ رَخَاءٍ- إِلاَّ هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَهُ بَلَاءٍ- وَ حَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَهً- أَنْ تُمْسِىَ لَهُ مُتَنَكِّرَهً- وَ إِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَ احْلَوْلَى- أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى- لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً- إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً- وَ لَا يُمْسِى مِنْهَا فِى جَنَاحِ أَمْنٍ- إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ- غَرَّارَهٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا فَانِيَهٌ- فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا

لاَ خَيْرَ فِی شَیْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلاَّ التَّقْوَی- مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَکْثَرَ مِمَّا یُؤْمِنُهُ- وَ مَنِ اسْتَکْثَرَ مِنْهَا اسْتَکْثَرَ مِمَّا یُوبِقُهُ- وَ زَالَ عَمَّا قَلِیلٍ عَنْهُ- کَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ- وَ ذِی طُمَأْنِینَهٍ إِلَیْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ- وَ ذِی أُبَّهَهٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِیراً- وَ ذِی نَخْوَهٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِیلاً- سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ وَ عَیْشُهَا رَنِقٌ- وَ عَذْبُهَا أُجَاجٌ وَ حُلْوُهَا صَبِرٌ- وَ غِذَاؤُهَا سِمَامٌ وَ أَسْبَابُهَا رِمَامٌ- حَیُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ- وَ صَحِیحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ- مُلْکُهَا مَسْلُوبٌ- وَ عَزِیزُهَا مَغْلُوبٌ- وَ مَوْفُورُهَا مَنْکُوبٌ- وَ جَارُهَا مَحْرُوبٌ- أَ لَسْتُمْ فِی مَسَاکِنِ- مَنْ کَانَ قَبْلَکُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً- وَ أَبْقَی آثَاراً وَ أَبْعَدَ آمَالاً- وَ أَعَدَّ عَدِیداً وَ أَکْثَفَ جُنُوداً- تَعَبَّدُوا لِلدُّنْیَا أَیَّ تَعَبُّدٍ- وَ آثَرُوهَا أَیَّ إِیْثَارٍ- ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَیْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ- وَ لاَ ظَهْرٍ قَاطِعٍ- فَهَلْ بَلَغَکُمْ أَنَّ الدُّنْیَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْیَهٍ- أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَهٍ- أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَهً- بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ- وَ أَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ- وَ ضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ- وَ عَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ وَ وَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ- وَ أَعَانَتْ عَلَیْهِمْ رَیْبَ الْمَنُونِ- فَقَدْ رَأَیْتُمْ تَنَکُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا- وَ آثَرَهَا وَ أَخْلَدَ لَهَا- حَتَّی ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ- وَ هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلاَّ السَّغَبَ- أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلاَّ الضَّنْکَ- أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلاَّ الظُّلْمَهَ- أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلاَّ النَّدَامَهَ- أَ فَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ إِلَیْهَا

تَطْمَئِنُّونَ- أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ- فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا- وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا- فَاعْلَمُوا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ- بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَ ظَاعِنُونَ عَنْهَا- وَ اتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا- «مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً» - حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ- فَلاَ يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً- وَ أُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلاَ يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً- وَ جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ- وَ مِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَ مِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ- فَهُمْ جِيرَةٌ لاَ يُجِيبُونَ دَاعِياً- وَ لاَ يَمْنَعُونَ ضَيْماً وَ لاَ يُبَالُونَ مَنْدَبَةً- إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا- وَ إِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا- جَمِيعٌ وَ هُمْ آحَادٌ وَ جِيرَةٌ وَ هُمْ أَبْعَادٌ- مُتَدَانُونَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ- وَ قَرِيبُونَ لاَ يَتَقَارَبُونَ- حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ- وَ جُهَلاَءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ- لاَ يُخْشَى فَجْعُهُمْ- وَ لاَ يُرْجَى دَفْعُهُمْ- اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً- وَ بِالسَّعَهِ ضِيقاً وَ بِالْأَهْلِ غُرْبَهً- وَ بِالنُّورِ ظُلْمَهً فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا- حُفَاهً عُرَاهً قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ- إِلَى الْحَيَاهِ الدَّائِمَهِ وَ الدَّارِ الْبَاقِيَهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ»

اللغه

أقول: الحبره: السرور .و الفجعه: الرزيّه .و غوّاله: أى تأخذ على غرّه.

و أوبى: أمرض .و الغضاره: طيب العيش .و قوادم الطير: مقاديم ريش جناحه .و أوبقه:

أهلكه .و الابّهه: العظمه .و رنق: كدر .و رمام: باليه منقطعه .و المحروب:

مسلوب المال .و أرهقتهم: غشيتهم .و فدحه الأمر: اغتاله و أثقله .و القارعه: الداهيه الشديده .و ضعضعتهم: أذلّتهم .و المناسم: أخفاف الإبل .و السغب: الجوع .و الأجنان:

جمع جنن جمع جنّه و هى الستر .

ص:٨٥

و اعلم أنّ مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا و التنفير عنها بذكر معايبها،

اشاره

و فيه نكت :

فالأولى:

استعاره استعار لفظ الحلاوه و الخضره المتعلّقين بحّسى الذوق و البصر لما يروق النفس منها و يلذّ،و وجه المشابهه المشاركه فى الالتذاذ به،و إنّما خصّ متعلّق هذين الحسّين لأكثريّه تأديتهما إلى النفس و الالتذاذ بواسطتهما دون سائر الحواسّ .

الثانيه:

وصف الدنيا بكونها محفوفه بالشهوات.و فى الخبر:حفّت الجنّه بالمكاره،و حفّت النار بالشهوات.قال أصحاب المعانىّ:و فى ذلك تنبيه على أنّ النار هى الدنيا،و محبّتها بعد المفارقه هو سبب عذابها.قلت:إنّ ذلك غير مفهوم من كلامه عليه السّلام،و أمّا معنى الخبر فجاز أن يراد فيه النار المعقوله فيكون قريبا ممّا قالوا،و جاز أنّ يراد بالنار المحسوسه،و يكون المعنى على التقديرين أنّ النار إنّما تدخل بالانهماك فى مشتهيات الدنيا و لذّاتها و الخروج فى استعمالها عمّا ينبغى إلى ما لا ينبغى فكأنّها لذلك محفوفه و محاطه بالشهوات لا يدخل إليها إلاّ منها. استعاره و أراد بالعاجله اللذّات الحاضره الّتى مالت القلوب إلى الحياه الدنيا بسببها فاشبهت المرأه المتحبّبه بما لها و جمالها .فاستعير لها لفظ التحبّب ،و كذلك قوله: راقت بالقليل :

أى اعجبت بزينتها القليله بالنسبه إلى متاع الآخره كميّه و كيفيّه ،و كذلك تجلّيها بالآمال الكاذبه المنقطعه و بزينتها ممّا هو فى نفس الأمر غرور و باطل فإنّه لو لا الغرور و الغفله عن عاقبتها لما زانت فى عيون طالبيها .

الثالثه:

استعاره بالكنايه استعار لها أوصاف المحتاله الخدوع ،و هى كونها غرّاره و غوّاله:

أى كثيره الاستغفال لأهلها و الخداع لهم،و وصف السبع العقور لكونها أكّاله لهم، و كنّى بالأوّلين عن كونها كالمخادع فى كونها سببا لغفلتهم عمّا خلقوا لأجله بالاشتغال بها و الانهماك فى لذّاتها ،و بالأكّاله عن كونها كالسبع فى إفنائهم بالموت و طحنهم تحت التراب .

الرابعه:

معنى قوله: لا تعدوا .إلى قوله: مقتدرا أنّ غايه صفائها للراغبين فيها و الراضين بها و موافقتها لهم لا يتجاوز المثل.و هو:أن تزهر فى عيونهم و تروقهم

محاسنها ثمّ عن قليل تزول عنهم فكأنّها لم تكن.كما هو معنى المثل المضروب لها فى القرآن الكريم «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ» (۱)الآيه .

الخامسه:

كنايه كنّى بالعبره عن الحزن المعاقب للسرور ، استعاره و تخصيصه البطن بالسرّاء و الظهر بالضرّاء ،و يحتمل أمرين:أحدهما:أن يريد بطن المجنّ و ظهره،و ذلك من العاده فى حال الحرب أن يلقى الإنسان ظهر المجنّ،و فى حال السلم أن يلقى المجنّ فيكون بطنه ظاهرا.فجرى المثل به فى حقّ المتنكّرين و المخاصمين بعد سلم.فقيل:قلّب له ظهر المجنّ.كما قال علىّ عليه السّلام لابن عبّاس فى بعض كتبه إليه:قلّبت لابن عمّك ظهر المجنّ.فكذلك استعمل هاهنا لقائها للمرء ببطنها فى إقبالها عليه و لقائه منها ظهرا فى إدبارها عنه و محاربتها له.الثانى:يحتمل أن يريد بطنها و ظهرها.و ذلك أنّ العاده فيمن يلقى صاحبه بالبشر و السرور أن يلقاها بوجهه و بطنه و فيمن يلقاه بالتنكير و الإدبار أن يلقى بظهره مولّيا عنه فاستعير ذلك للدنيا و عبّر به عن إقبالها و إدبارها .

السادسه:

و إنّما خصّ منها بالجناح.لأنّ الجناح محلّ التغيّر بسرعه فتبّه به على سرعه تغيّراتها،و إنّما خصّ الخوف بالقوادم من الجناح لأنّ القوادم هى رأس الجناح و هى الأصل فى سرعه حركته و تغيّره و هو فى مساق ذمّها و التخويف منها فحسن ذلك التخصيص،و مراده أنّه و إن حصل فيها أمن فهو فى محلّ التغيّر السريع و الخوف إليه أسرع لتخصيصه بالقوادم .

السابعه:

لا خير فى شىء من أزوادها إلاّ التقوى.استثنى ما هو المقصود من خلق الدنيا و أشار إلى وجود هذا النوع فيها و هو التقوى الموصل إلى اللّه سبحانه،و إنّما كان من أزواد الدنيا لأنّه لا يمكن تحصيله إلاّ فيها،و قد سبقت الإشاره إليه فى قوله:

فتزوّدوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا.و ظاهر أنّه لا خير فيها عداه من أزوادها لفنائه و مضرّته فى الآخره .

الثامنه:

من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه :أى من الزهد فيها،و قد عرفت

۱- ۱) ۴۳-۱۸.

كيفيّه الأمان من عذاب اللّه ،و من استكثر منها استكثر ممّا يوبقه و هو ملكات السوء الحاصله عن حبّ قيناتها و ملذّاتها الفانيه الموجبه للهلاك بعد مفارقتها و زوالها .

التاسعه:

استعاره استعار لفظ العذب و الحلو للذّاتها،و لفظى الاجاج-و هو المالح- و الصبر لما يشوب لذّاتها من الكدر بالأمراض و التغيّرات،و وجه الاستعارات الاشتراك فى الالتذاذ و الإيلام .

العاشره:

استعاره بالكنايه استعار لفظ الغذاء ،و كنّى به عن لذّاتها أيضا،و لفظ السمام له.

و وجه الاستعاره ما يستعقب الانهماك فى لذّاتها من الهلاك فى الآخره كما يستعقبه شرب السمّ ،و السمام:جمع سمّ .ثمّ أعقب التحذير منها بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممّن كان أطول أعمارا و أشدّ بأسا من تغيّراتها و تنكّراتها لهم مع شدّه محبّتهم و تعبّدهم لها.و السؤال على سبيل الإنكار عن دوام سرورها لهم و حسن صحبتها إيّاهم ،و صرّح بعده بالإنكار استعاره بقوله: بل أرهقتهم بالفوادح ،و استعار لها لفظ الإرهاق و التضعضع و التعفير و الوطى و إعانه ريب المنون عليهم،و أسند إليها أفعال الأحياء ملاحظه تشبهها بالمرأه المتزيّنه لخداع الرجال عن أنفسهم و أموالهم و نحو ذلك .

الحادى عشر:

لمّا فرغ من ذمّها و التنفير عنها بتعديد مذامّها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن إيثارهم لها بهذا المذامّ و اطمينانهم إليها و حرصهم عليها .

ثمّ عاد إلى ذمّها مجملا بقوله: بئست الدار لمن لم يتّهمها :أى لمن اعتقد بصحبتها و أنّها مقصوده بالذات فركن إليها فإنّها بذلك الاعتبار مذمومه فى حقّه إذ كانت سبب هلاكه فى الآخره .فأمّا المتّهم لها بالخديعه و الغرور فإنّه يكون فيها على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت محموده له إذ كانت سبب سعادته فى الآخره .ثمّ شرع فى الأمر بالعمل على وفق العلم بمفارقتها،و ذلك أنّ ترك العمل للآخره إنّما يكون للاشتغال بالدنيا فالعالم بضروره مفارقتها له و ما أعدّ لتاركى العمل من العذاب الأليم إذا نبّه على تلك الحال كان ذلك صارفا له عنها و مستلزما للعمل لغيرها ،و أكدّ التنبيه على مفارقتها بالتذكّر بأحوال المفارقين لها بعد مفارقتها المضادّه للأحوال المعتاده للأحياء الّتى ألفوها و استراحوا إليها .إذ كان من عادتهم إذا حملوا أن

يسمّوا ركبانا،و إذا نزلوا أن يسمّوا ضيفانا ،و إذا تجاوروا أن يجيبوا داعيهم و يمنعوا عنه الضيم،و أن يفرحوا إن جادهم الغيث ،و يقنطوا إن قحطوا منه،و أن يتزاوروا فى التدانى و يحلموا عند وجود الأضغان،و يجهلوا عند قيام الأحقاد و يخشوا و يرجوا .

فسلبت عنهم تلك الصفات و عرفوا بأضداد تلك السمات .

الثانيه عشر:

استعاره بالكنايه فجاءوها كما فارقوها :أى أشبه مجيئهم إليها و وجودهم فيها و خروجهم منها يوم مفارقتهم لها ،و وجه الشبه كونهم حفاه عراه،و هو كنايه عن النفر منها،و دلّ على ذلك استشهاده بالآيه الكريمه .و موضع قوله: قد ظعنوا عنها.

النصب على الحال.كما انتصب حفاه عراه،و العامل فارقوها.و لا يقدّر مثله بعد جاءوها و إن قدّر مثل الحالين السابقين.قال الإمام الوبرىّ-رحمه اللّه عليه-:فراقهم من الدنيا إن خلقوا منها و مجيئهم إليها إن دفنوا فيها قال اللّه تعالى «هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ» .ثم قلت:و كان الحامل لهذا الإمام على هذا التأويل أنّه لو كان مراده مجيئهم إليها هو دخولهم فيها حين الولاده مع أنّه فى ظاهر الأمر هو المشبّه و مفارقتهم هى المشبّه به لانعكس الفرض.إذا المقصود تشبيه المفارقه بالمجىء و ذلك يستلزم كون المشبّه هو المفارقه و المشبّه به هو المجىء لكن ينبعى أن يعلم أن المشابهه إذا حصلت بين الشيئين فى نفس الأمر جاز أن يجعل أحدهما أصلا و الآخر فرعا، و جاز أن يقصد أصل المساواه بينهما من دون ذلك فحمله هنا على الوجه الثانى أولى من التعسّف الّذى ذكره.فأمّا الآيه فإنّ-من-فيها لبيان الجنس فلا تدلّ على المفارقه و الانفعال.و باللّه التوفيق.

۱۰۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

ذكر فيها ملك الموت

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً- أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً- بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى

ص:۸۹

الْجَنِينَ فِی بَطْنِ أُمِّهِ- أَ یَلِجُ عَلَیْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا- أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا- أَمْ هُوَ سَاکِنٌ مَعَهُ فِی أَحْشَائِهَا- کَیْفَ یَصِفُ إِلَهَهُ- مَنْ یَعْجَزُ عَنْ صِفَهِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ

المعنی

أقول:هذا الفصل من خطبه طویله ذکره فی معرض التوحید و التنزیه للّه تعالی عن اطّلاع العقول البشریّه علی کنه وصفه فقدّم التنبیه بالاستفهام علی سبیل الإنکار عن الإحساس به فی دخوله منازل المتوفّین و ذلک قوله : هل تحسّ به.إلی قوله:

أحدا .و نبّه باستنکار الإحساس به علی أنّه لیس بجسم.إذ کان کلّ جسم من شأنه أن یحسّ بإحدی الحواسّ الخمس.ثمّ عن کیفیّه توفّیه للجنین فی بطن امّه و هو استفهام من قبیل تجاهل العارف بالنسبه إلیه،و ذلک قوله : بل کیف یتوفّی الجنین.

إلی قوله:فی أحشاها .و جعل الحقّ من هذه الأقسام فی الوسط و هو إجابتها بإذن ربّها لیبقی الجاهل فی محلّ الحیره متردّدا .ثمّ لمّا بیّن أنّ ملک الموت لا یتمکّن الإنسان من وصفه نبّه علی عظمه اللّه سبحانه بالنسبه إلیه،و أنّه إذا عجز الانسان عن وصف مخلوق مثله فبالأولی أن یعجز عن صفه خالقه و مبدعه الّذی هو أبعد الأشیاء عنه مناسبه،و تقدیر البیان بذلک التنبیه أنّ العبد عاجز عن صفه مخلوق مثله لما بیّناه من العجز عن صفه ملک الموت و حاله،و کلّ من عجز من صفه مخلوق مثله فهو من صفه خالق ذلک المخلوق و مبدعه أشدّ عجزا.و لنشر إشاره خفیفه إلی حقیقه الموت و إلی ما عساه یلوح من وصف ملک الموت «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالی.

فنقول:أمّا حقیقه الموت:فاعلم أنّ الّذی نطقت به الأخبار و شهد به الاعتبار أنّ الموت لیس إلاّ عباره عن تغیّر حال،و هو مفارقه الروح لهذا البدن الجاری مجری الآله لذی الصنعه،و أنّ الروح باقیه بعده کما شهدت به البراهین العقلیّه فی مظانّها، و الآثار النبویّه المتواتره.و معنی مفارقتها له هو انقطاع تصرّفها فیه لخروجه عن حدّ الانتفاع به فما کان من الامور المدرکه لها تحتاج فی إدراکه إلی آله فهی متعطّله

عنه بعد مفارقه البدن إلى أن تعاد إليه فى القبر أو يوم القيامه،و ما كان مدركا لها لنفسها من غير آله فهو باق معها يتنعّم به و يفرح أو يحزن من غير حاجه إلى هذه الآله فى بقاء تلك العلوم و الإدراكات الكلّيه لها هناك.و قد ضرب للمفارقه الّتى سمّيناها بالموت مثلا،فقيل:كما أنّ بعض أعضاء المريض متعطّل بحسب فساد المزاج يقع فيه أو بحسب شدّه تعرّض للأعصاب فتمنع نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعمله لبعض الأعضاء دون ما استقصى عليها منها فكذلك الموت عباره عن استقصاء جميع الأعضاء كلّها و تعطّلها،و حاصل هذه المفارقه يعود إلى سلب الإنسان عن هذه الأعضاء و الآلات و القينات الدنيويّه من الأهل و المال و الولد و نحوها، و لا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء عن الإنسان أو يسلب هو عنها.إذ كان المولم هو الفراق،و قد يحصل ذلك بنهب مال الرجل و سبى ذريّته،و قد يحصل بسلبه و نهبه عن ماله و أهله.فالموت فى الحقيقه هو سلب الانسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر فإن كان له فى هذا العالم شىء يأنس به و يستريح إليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسّره عليه فى الآخره و تصعب شقاوته فى مفارقته،و يكون سبب عظم خطره عنده ضعف تصوّره لما اعدّ للأبرار المتّقين فى الآخره ممّا يستحقر فى القليل منه أكثر نفائس الدنيا.فأمّا إن كانت عين بصيرته مفتوحه حتّى لم يفرح إلاّ بذكر اللّه و لم يأنس إلاّ به عظم نعيمه و تمّت سعادته.إذ خلّى بينه و بين محبوبه فقطع علائقه و عوائقه الشاغله له عنه و وصل إليه و انكشف له هناك ما كان يدركه من السعاده بحسب الوصف انكشاف مشاهده كما يشاهد المستيقظه من نومه صوره ما رآه فى النوم.

و الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

إذا عرفت ذلك فاعلم أن ملك الموت عباره عن الروح المتولّى لإفاضه صوره العدم على أعضاء هذا البدن و لحال مفارقه النفس له،و لعلّه هو المتولّى لإفاضه صوره الوجود عليها لكنّه بالاعتبار الأوّل يسمّى ملك الموت.ثمّ لمّا كانت النفوس البشريّه إنّما تدرك المجرّدات ما دامت فى هذا العالم و تستثبتها بأن تستصحب القوّه المتخيّله معها فيتحاكى ما كان محبوبا منها للنفس و مستبشرا بلقائه بصوره بهيّه كتصورّها

لجبرئیل فی صوره دحیه الکلبیّ و غیره من الصور البهیّه الحسنه،و ما کان مستکرها مخوفا منفورا من لقائه بصوره هائله لاجرم اختلف رؤیه الناس لملک الموت فمنهم من یراه علی صوره بهیّه و هم المستبشرون بلقاء اللّه الّذین قلّت رغبتهم فی الدنیا و رضوا بالموت لیصلوا إلی لقاء محبوبهم و فرحوا به لکونه وسیله إلیه کما روی عن إبراهیم علیه السّلام أنّه لقی ملکا فقال له:من أنت؟فقال:أنا ملک الموت.فقال له:أ تستطیع أن ترینی الصوره الّتی تقبض فیها روح المؤمن؟قال:نعم أعرض عنّی فأعرض عنه فإذا هو شابّ فذکر من حسنه و ثیابه(شبابه خ)و طیب ریحه فقال:یا ملک الموت لو لم یلق المؤمن من البشری إلاّ حسن صورتک لکان حسبه،و منهم من یراه علی صوره قبیحه هائله المنظر و هم الفجّار الّذین أعرضوا عن لقاء اللّه «وَ رَضُوا بِالْحَیاهِ الدُّنْیا وَ اطْمَأَنُّوا بِها» کما روی عن إبراهیم علیه السّلام أیضا أنّه قال لملک الموت:فهل تستطیع أن ترینی الصوره الّتی تقبض فیها روح الفاجر؟فقال:لا تطیق ذلک.فقال:بلی قال:فأعرض عنّی فأعرض عنه.ثمّ التفت إلیه فإذا هو رجل أسود قائم الشعر منتن الریح أسود الثیاب یخرج من فیه و مناخره النار و الدخان فغشی علی إبراهیم علیه السّلام.

ثمّ أفاق،و قد عاد ملک الموت إلی حالته الاولی فقال:یا ملک الموت لو لم یلق الفاجر عند موته إلاّ هذه الصوره لکفته.و باللّه التوفیق.

۱۱۰-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

وَ أُحَذِّرُکُمُ الدُّنْیَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَهٍ- وَ لَیْسَتْ بِدَارِ نُجْعَهٍ- قَدْ تَزَیَّنَتْ بِغُرُورِهَا- وَ غَرَّتْ بِزِینَتِهَا- هَانَتْ عَلَی رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلاَلَهَا بِحَرَامِهَا- وَ خَیْرَهَا بِشَرِّهَا وَ حَیَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَ حُلْوَهَا بِمُرِّهَا- لَمْ یُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَی لِأَوْلِیَائِهِ- وَ لَمْ یَضِنَّ بِهَا عَلَی أَعْدَائِهِ- خَیْرُهَا زَهِیدٌ وَ شَرُّهَا عَتِیدٌ- وَ جَمْعُهَا یَنْفَدُ وَ مُلْکُهَا یُسْلَبُ

وَ عَامِرُهَا يَخْرَبُ- فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ- وَ عُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ- وَ مُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ- اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ وَ اسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ- وَ أَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ- آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ- إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَ إِنْ ضَحِكُوا- وَ يَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَ إِنْ فَرِحُوا- وَ يَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَ إِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا- قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ- وَ حَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ- فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَهِ- وَ الْعَاجِلَهُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَهِ- وَ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ- مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ- وَ سُوءُ الضَّمَائِرِ- فَلَا تَوَازَرُونَ وَ لَا تَنَاصَحُونَ- وَ لَا تَبَاذَلُونَ وَ لَا تَوَادُّونَ- مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ- وَ لَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَهِ تُحْرَمُونَهُ- وَ يُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ- حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ- وَ قِلَّهِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ- كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ وَ كَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ- وَ مَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ- إِلَّا مَخَافَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ- قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَ حُبِّ الْعَاجِلِ- وَ صَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَهً عَلَى لِسَانِهِ- صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَ أَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ

اللغه

أقول:يقال:هذا منزل قلعه بضمّ القاف: أي لا يصلح للاستيطان .و النجعه بضمّ النون: طلب الكلاء .و العتيد: المهيّأ المعدّ .و اللعقه بالضمّ: اسم لما تأخذه الملعقه .

و فی هذا الفصل نکت :

فالاولی:التحذیر من الدنیا و الاستدراج إلی ترکها بذکر معایبها

،و ذلک من أوّل الفصل إلی قوله: انقطاع السیر .فأشار أوّلاً إلی أنّها لا تصلح للاستیطان کنایه و طلب الکلاء ،و کنّی به عمّا ینبغی أن یطلب من الخیرات الباقیه الّتی هی محلّ الأمن و السرور الدائم .

و ثانیا إلی أنّ زینتها سبب لاستغفالها الخلق و الاغترار بها سبب لاستحسانها.

فإن قلت:فقد جعل الزینه سببا للغرور،و الغرور سببا للزینه و ذلک دور.

قلت:إنّما جعل الزینه سببا للاستغرار،و الغرور سببا لاستحسانها و عدم التنبّه لمعایبها.فلا دور .

و ثالثا:أنّها هانت علی ربّها :أی لم تکن العنایه الآلهیّه إلیها بالذات فلم تکن خیرا محضا بل کان کلّ ما فیها ممّا یعدّ خیرا مشوبا بشرّ یقابله،و ذلک بحسب الممکن فیها و زهاده خیرها بالنسبه إلی خیر الآخره .

الثانیه:التأدیب بأوامر:

أحدها:أن یجعلوا فرائض اللّه علیهم من جمله ما یطلبونه منه،و الغرض أن تصیر محبوبه لهم کمحبّتهم لما یسألونه من مال و غیره فیواظبوا علی العمل بها.الثانی :أن یسألوه أداء حقّه عنهم،و ذلک بالإعانه و التوفیق و الإعداد لذلک کما سألهم أداء حقّه،و الغرض أیضا أن یصیر الأداء مهمّا لهم محبوبا إلیهم،و نحوه فی الدعاء المأثور:أللّهمّ إنّک سألتنی من نفسی ما لا أملکه إلاّ بک فأعطنی منها ما یرضیک عنّی.الثالث :أن یسمعوا داعی الموت آذانهم:أی یقصدون سماع کلّ لفظ یخوّف الموت و أهواله،و ذلک بالجلوس مجالس الذکر و محاضره الزاهدین فی الدنیا،و فائده ذکر الموت تنغیص اللذّات الدنیویّه کما قال علیه السّلام:

أکثروا ذکر هادم اللذّات .

الثالثه:شرح حال الزاهدین فی الدنیا

لیهتدی من عساه أن ینجذب إلی اللّه إلی

كيفيّه طريقتهم فيقتدى بهم.فذكر لهم أوصافا:الأوّل:أنّهم تبكى قلوبهم و إن ضحكوا،و ذلك إشاره إلى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من اللّه فإن ضحكوا مع ذلك فمعامله مع الخلق.الثانى :أنّهم يشتدّ حزنهم و إن فرحوا.و هو قريب ممّا قبله.الثالث :أنّه قد يكثر لبعضهم متاع الحياه الدنيا و لكنّهم يتمرّدون على أنفسهم فيتركون الالتفات إليها بالزينه و طاعتها فيما تدعوهم إليه من متاع الحياه الدنيا الحاضره و إن غبطهم غيرهم بما قسّم لهم من رزق .

الرابعه:تعنيف السامعين على ما هم عليه من الأحوال المضرّه فى الآخره

، و ذلك بالغفله عن ذكر الأجل و استحضارهم للآمال الكاذبه و غيرها من الأحوال المذكوره.إلى آخر الفصل ،و محلّ-تدركونه و تحرمونه و يفوتكم-النصب على الحال ،و-قلّه صبركم-عطف على وجوهكم:أى حتّى يتبيّن ذلك الفلق فى وجوهكم و فى قلّه صبركم عمّا غيّب عنكم منها.

و قوله : و ما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه.إلى آخره.

أى ما يمنع أحدكم من لقاء أخيه لعيبه و لأئمته عليه إلاّ الخوف منه أن يلقاه بمثله لمشاركته إيّاه فيه كما صرّح به فى قوله:تصافيتم على رفض الآجل.إلى آخره، استعاره و استعار لفظ اللعقه لما ينطق به من شعار الإسلام و الدين كالشهادتين و نحوهما من دون ثبات ذلك فى القلب و رسوخه و العمل على وفقه ،و-صنيع-نصب على المصدر:

أى صنعتم صنيعا مثل صنيع من أحرز رضا سيّده بقضاء ما أمره به،و وجه التشبيه الاشتراك فى الترك و الإعراض عن العمل .و باللّه التوفيق.

۱۱۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ- وَ النِّعَمَ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آلاَئِهِ- كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلاَئِهِ- وَ نَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ- عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ- السِّرَاعِ

إِلَى مَا نُهِيتْ عَنْهُ- وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ- وَ أَحْصَاهُ كِتَابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ- وَ كِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ- وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ- وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ- إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ وَ يَقِينُهُ الشَّكَّ- وَ نَشْهَدُ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- ص شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَ تَرْفَعَانِ الْعَمَلَ- لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ- وَ لَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَ بِهَا الْمَعَاذُ- زَادٌ مُبْلِغٌ وَ مَعَاذٌ مُنْجِحٌ- دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ- وَ وَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ- فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَ فَازَ وَاعِيهَا- عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ- وَ أَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ- حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَ أَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ- فَأَخَذُوا الرَّاحَهَ بِالنَّصَبِ وَ الرِّيَّ بِالظَّمَإِ- وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ- وَ كَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَاحَظُوا الْأَجَلَ- ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَ عَنَاءٍ وَ غِيَرٍ وَ عِبَرٍ- فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ- لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ- وَ لَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ- وَ الصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ- وَ النَّاجِيَ بِالْعَطَبِ- آكِلٌ لَا يَشْبَعُ وَ شَارِبٌ لَا يَنْقَعُ- وَ مِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ- وَ يَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ- ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى- لَا مَالاً

ص:۹۶

حمِلَ و لاَ- بِنَاءً نَقلَ- و مِنْ غيرِهَا أنَّکَ تری الْمرْحُومَ مَغْبُوطاً- و الْمَغْبُوطَ مرْحُوماً- لَیْسَ ذَلِکَ إِلاَّ نَعِیماً زَلَّ و بُؤْساً نَزَلَ- و مِنْ عِبَرِهَا أنَّ الْمَرْءَ یُشْرِفُ عَلَی أَمَلِهِ- فَیَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ- فَلاَ- أَمَلٌ یُدْرَکُ- و لاَ مُؤَمَّلٌ یُتْرَکُ- فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا- و أَظْمَأَ رِیَّهَا و أَضْحَی فَیْئَهَا- لاَ جَاءٍ یُرَدُّ و لاَ مَاضٍ یَرْتَدُّ- فَسُبْحَانَ اللَّهِ- مَا أَقْرَبَ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ- و أَبْعَدَ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ لاِنْقِطَاعِهِ عَنْهُ- إِنَّهُ لَیْسَ شَیْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاَّ عِقَابُهُ- و لَیْسَ شَیْءٌ بِخَیْرٍ مِنَ الْخَیْرِ إِلاَّ ثَوَابُهُ- و کُلُّ شَیْءٍ مِنَ الدُّنْیَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِیَانِهِ- و کُلُّ شَیْءٍ مِنَ الْآخِرَهِ عِیَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ- فَلْیَکْفِکُمْ مِنَ الْعِیَانِ السَّمَاعُ- و مِنَ الْغَیْبِ الْخَبَرُ- و اعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْیَا- و زَادَ فِی الْآخِرَهِ- خَیْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَهِ- و زَادَ فِی الدُّنْیَا- فَکَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ و مَزِیدٍ خَاسِرٍ- إِنَّ الَّذِی أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِی نُهِیتُمْ عَنْهُ- و مَا أُحِلَّ لَکُمْ أَکْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَیْکُمْ- فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا کَثُرَ و مَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ- قَدْ تَکَفَّلَ لَکُمْ بِالرِّزْقِ- و أُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ- فَلاَ یَکُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَکُمْ طَلَبُهُ- أَوْلَی بِکُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَیْکُمْ عَمَلُهُ- مَعَ أَنَّهُ و اللَّهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّکُّ- و دَخَلَ الْیَقِینُ- حَتَّی کَأَنَّ الَّذِی ضُمِنَ

لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ- وَ كَأَنَّ الَّذِى فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ- فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَ خَافُوا بَغْتَهَ الْأَجَلِ- فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَهِ الْعُمُرِ- مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَهِ الرِّزْقِ- مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِىَ غَداً زِيَادَتُهُ- وَ مَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ- لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ- الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِى وَ الْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِى- فَ «اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ»

اللغه

أقول: لا توسى: أى لا تداوى .و لا ينقع: لا يسكن عطشه .و أضحى: برز لحرّ الشمس .

و فى الخطبه لطائف:

الاولى:أنّه صدّر الخطبه بحمد اللّه تعالى باعتبارين :

أحدهما:وصله حمد حامديه بإفاضه نعمه عليهم

.كما قال تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» و سرّه أنّ العبيد يستعدّ بشكر النعمه .

الثانى:وصله النعم الّتى يفيضها على عباده

بإفاضه الاعتراف بها على أسرار قلوبهم،و قد علمت:أنّ الاعتراف بالنعم هى حقيقه الشكر فظهر إذن معنى وصله النعم بالشكر،و إنّ الشكر و التوفيق له نعم اخرى كما سبقت الإشاره إليه فى الخطبه الاولى،و يحتمل أن يريد الشكر منه تعالى لعباده الشاكرين كما قال تعالى و «اللّهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ» و ظاهر أنّ وصله نعمه بشكره فى نهايه التفضّل و الإنعام فإنّ الإحسان المتعارف يستتبع الشكر من المحسن إليه فأمّا من المحسن فذلك تفضّل آخر و رتبه أعلى .

الثانيه:أنّه نبّه بتسويته بين حمده على النعماء و حمده على البلاء

تنبيها منه على وجوب ذلك لأنّ النعمه قد تكون بلاءا من اللّه كما قال تعالى «وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً» و البلاء منه أيضا نعمه يستحقّ به الثواب الآجل،و سبب النعمه

نعمه،و بهذا الاعتبار يجب الشكر على البلاء أيضا كما يجب على النعماء.إذ الكلّ نعمه .

الثالثه:نبّه على وجوب استعانته تعالى على النفوس

،و ذكر ما لأجله الاستعانه عليها و هو كونها بطاء عمّا امرت به من سائر التكاليف.و ذلك لحاجه النفوس إلى مقاومه الطبيعه سراعا إلى ما نهيت عنه من المعاصى،و ذلك لموافقتها مقتضى الطبيعه .

الرابعه:نبّه على وجوب طلب المغفره من اللّه لكلّ ذنب صغير أو كبير

ممّا أحاط به علمه و أحصاه كتابه المبين و لوحه المحفوظ-جبرئيل الأمين-علما أحاط بكلّ شىء و كتابا غير مغادر لشىء .

الخامسه:إنّما خصّ إيمان من عاين الغيوب و وقف على الموعود

:أى وقف على ما وعد به المتّقون بعين الكشف لكونه أقوى درجات الإيمان فإنّ من الإيمان ما يكون بحسب التقليد،و منه ما يكون بحسب البرهان و هو علم اليقين،و أقوى منه الإيمان بحسب الكشف و المشاهده و هو عين اليقين،و ذلك هو الإيمان الخالص فيه و بحسب الإخلاص فيه يكون نفى الشرك،و بحسب يقينه يعنى اعتقاد أنّ الأمر كذا مع اعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون إلّا كذا يكون نفى الشكّ،و قد علمت أنّه عليه السّلام من أهل هذه المرتبه .

السادسه:كون الشهادتين تصعدان القول و ترفعان العمل

،و ذلك أنّ إخلاص الشهادتين أصل لقبول الأقوال و الأعمال الصالحه لا يصعد إلى اللّه قول و عمل لا تكونان أصلا له،و أشار إلى ذلك بقوله : لا يخفّ ميزان توضعان فيه و لا يثقل ميزان ترفعان عنه .و قد أشرنا إلى معنى الوزن فيما سبق و سنزيده بيانا «إِنْ شاءَ اللّهُ» تعالى .

السابعه:أراد بكون تقوى اللّه هى الزاد

أنّها الزاد المبلّغ و أنّ بها المعاد:

أى المعاد المنجح،و لذلك أوردهما تفسيرا .

الثامنه:أراد بأسمع داع

أشدّ الداعين إسماعا و تبليغا و هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أراد بخير واع المسارعين إلى داعى اللّه الّذين هم أفضل القوابل الإنسانيّه .

التاسعه:وصف ما يستلزم تقوى اللّه من الآثار فی أولياء اللّه

،و وصف الليالی بالسهر،و الهواجر بالظماء لكونهما ظرفين.فالليالی لقيام الصلاه و النهار للصوم فكان مجازا من باب إطلاق صفه المظروف علی الظرف،و هو كقولهم:نهاره صائم و ليله قائم ،و أخذهم الراحه:أی فی الآخره بالنصب:أی بتعب الأبدان من القيام ، و الریّ من عين تسمّی سبيلا بالاستعداد بظمأ الصيام ،و الفاء فی فبادروا و لاحظوا للتعليل فإنّ استقراب الأجل مستلزم للعمل له و لما بعده ،و كذلک تكذيب الأمل و انقطاعه ملازم لملاحظه الأجل .

العاشره.ذكر مذامّ الدنيا إجمالا

،و هو كونها دار فناء و عناء و غير و عبر.

ثمّ أعقب ذلک الإجمال بتفصيل كلّ جمله و ذلک إلی قوله: و لا مؤمّل يترک . استعاره مرشحه و استعار لفظ الإيتار لإيتار الدهر،و رشّح بذكر القوس،و وجه الاستعاره أنّ الدهر كما يرمی بمصائبه المستنده إلی القضاء الإلهیّ الّذی لا يتغيّر كما يرمی الرامی الّذی لا يخطیء ،و كذلک استعار لفظ الجراح لنوائب الدهر لاشتراكهما فی الإيلام،و رشّح بذكر عدم المداواه ، استعاره و كذلک استعار له لفظ الآكل و الشارب عديمی الشبع و الریّ،و وجه المشابهه كونه يأتی علی الخلق فيفنيهم كما يأتی الآكل و الشارب المذكوران علی الطعام و الشراب فيفنيانهما ،و أراد بالمرحوم الّذی يری مغبوطا أهل المسكنه و الفقر الّذی يتبدّل فقرهم بالغنی فيغبطون،و بالمغبوط الّذی يری مرحوما أهل الغنی المتبدّلين به فقرا بحسب تصاريف الدهر فيصيروا فی محلّ الرحمه،و قوله :

ليس ذلک إلّا نعيما زلّ :أی عن المغبوطين و بؤسا نزل بهم .

الحاديه عشر:نسب الغرور إلی سرورها و الظماء إلی ريّها و الضحی إلی فيئها،

و أتی بلفظ التعجّب، كنايه و كنّی بريّها عن استتمام لذّاتها ،و بفيئها عن الركون إلی قنياتها و الاعتماد عليها،و وجه هذه النسب أنّ سرورها و فيئها هی الصوارف عن العمل للآخره و الملفتات عن الإقبال علی اللّه فكان سرورها أقوی سبب للغرور بها،و ريّها و فيئها أقوی الأسباب لظماء منهمک فيها من شراء الأبرار و أوجب لأبراره إلی حرّ الجحيم فلهذه النسبه جازت إضافه الغرور و الظماء و الضحی إلی سرورها و ريّها و فيئها و

ص:١٠٠

قوله : لا جاء يردّ :أی من آفات الدهر کالموت و القتل و نحوهما ، و لا ماض یرتدّ :

أی من الأموات و الفائت من القنیات .

الثانیه عشر:قوله:أنّه لیس شیء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه.إلی قوله:سماعه.

یحتمل أن یرید الشرّ و الخیر المطلقین،و یکون ذلک للمبالغه.إذ یقال للأمر الشریف و الشدید:هذا أشدّ من الشدید و أجود من الجیّد،و یحتمل أن یرید شرّ الدنیا و خیرها فإنّ أعظم شرّ فی الدنیا مستحقر فی عقاب اللّه،و أعظم خیر فیها مستحقر بالنسبه إلی ثواب اللّه .ثمّ أکّد ذلک بأعظمیّه أحوال الآخره بالنسبه إلی أحوال الدنیا.و مصداق کلامه علیه السّلام أنّ أعظم شرّ یتصوّر الإنسان بالسماع و یستهوله و یستنکره ممّن یفعله صوره القتل و الجراح فإذا وقع فی مثل تلک الأحوال و شاهدها و اضطرّ إلی المخاصمه و المحاربه سهل علیه ما کان یستصعبه منها و هان فی عینه ذلک الوقع و الخوف،و کذلک لا یزال الإنسان یتخوّف المثول بین یدی الملوک و یتصوّر عظمتهم و بطشهم إلی أن یصل إلی مجالسهم فإنّه یجد من نفسه زوال ذلک الخوف.فکانت مشاهده ما کان یتصوّره شرّا عظیما أهون عنده من وصفه و السماع له، و کذلک حال الخیر فإنّ الإنسان لا یزال یحرص علی تحصیل الدرهم و الدینار و غیرهما من سائر مطالب الدنیا،و یکون قلبه مشغولا بتحصیله فرحا بانتظار وصوله فإذا وصل إلیه هان علیه.و هو أمر وجدانیّ،و أمّا أحوال الآخره فالّذی یسمعه من شرورها و خیراتها إنّما یلاحظها بالنسبه إلی خیرات الدنیا و شرورها،و ربّما کانت فی اعتبار أکثر الخلق أهون من خیرات الدنیا و شرورها لقرب الخلق من المحسوس و قرب الدنیا منهم و ذوقهم لها دون الآخره مع قیام البرهان العقلیّ علی ضعف الأحوال الحاضره من خیر و شرّ بالقیاس إلی أحوال الآخره فلذلک کان عیان أحوالها أعظم من سماعها .و إذا کانت الحال کذلک فینبغی أن یکتفی من العیان بالسماع، و من الغیب بالخبر حیث لا یمکن الاطّلاع علی الغیب و مشاهده العیان لتلک الأحوال فی هذه العالم .ثمّ نبّه علی أفضلیّه الآخره بأنّ ما زاد فیها ممّا یقرّب إلی اللّه تعالی فإن استلزم نقصان الدنیا من بذل مال أو جاه خیر من العکس.و بیان هذه الخیریّه

کون خیرات الدنیا فی معرض الزوال مشوبه بالأوجاع و الأوجال(الأوحال خ) و کون تلک باقیه علی کلّ حال مع کونها فی نهایه الکمال ،و ضرب المثل بأکثریّه المنقوص من الدنیا الرابح فی الآخره،و هم أولیاء اللّه و أحبّائه الّذین اشتری منهم أنفسهم و أموالهم «بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّهَ» ،و بأکثریّه المزید الخاسر «الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِیمٍ» .ثمّ أکّد الحثّ علی سلوک طریق الآخره ببیان اتّساعها بالنسبه إلی طریق الدنیا.فقال : إنّ الّذی امرتم به أوسع من الّذی نهیتم عنه ،و ذلک ظاهر فإنّ کبائر ما نهینا عنه خمس:القتل.و فی الحلم و العفو و الصبر الّتی هی من أشرف الأخلاق المحموده سعه عنه.ثمّ الظلم.و فی العدل و الاقتصار علی تناول الامور المباحه الّتی هی أکثر و أوسع سعه عنه.ثمّ الکذب الّذی هو رأس النفاق و علیه یبتنی خراب العالم.و فی المعاریض و الصدق الّذی هو بضدّه فی عماره العالم مندوحه عنه.ثمّ الزنا.و لا شکّ أنّ فی سائر وجوه النکاحات مع کثرتها و سلامتها عن المفاسد اللازمه عن الزنا سعه عنه.ثمّ شرب الخمر الّتی هی امّ الخبائث و منشأ کثیر من الفساد.و فی ترکها إلی ما ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ أفعالها الّتی تدّعی کونها محموده من سائر الأشربه و غیرها معدل عنها و سعه.و کذلک قوله : و ما أحلّ لکم أکثر ممّا حرّم علیکم فانّ الواجب و المندوب و المباح و المکروه یصدق علی جمیعها اسم الحلال،و هی أکثر من الحرام الّذی هو قسم واحد من الأحکام ثمّ لمّا نبّه علی وجه المصلحه فی ترک المنهیّ و المحرّم أردف ذلک بالأمر بترکهما لأنّ العقل إذا لاحظ طریقا مخوفا واحدا بین طرق کثیره آمنه اقتضی العدول عن المخوفه لضرورته .

الثالثه عشر:نبّه بالنهی عن ترجیح طلب الرزق علی الاشتغال بفرائض اللّه،

و علی أنّ الاشتغال بها أولی بکون الرزق مضمونا.فالسعی فی تحصیله یجری مجری تحصیل الحاصل.ثمّ أردف ذلک بما یجری مجری التوبیخ للسامعین علی ترجیحهم طلب الرزق علی الاشتغال بالفرائض فأقسم أنّ ذلک منهم عن اعتراض الشکّ لهم فیما تیقّنوه من تکفّل اللّه سبحانه بأرزاقهم و وعده و ضمانه لهم بقوله «وَ فِی السَّماءِ»

«رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ» أى فى سماء جوده،و قد علمت أنّ الجدّ فى طلب الرزق يستند إلى ضعف التوكّل على اللّه و هو مستند إلى ضعف اليقين فيه و سوء الظنّ به،و ذلك يستلزم استناد العبد إلى نفسه و توكّله عليها.و جعلهم فى طلب الرزق كمن تيقّن المضمون له مفروضا طلبه عليه،و المفروض عليه طلبه موضوعا عنه.مبالغه فى قلّه احتفالهم بفرائض اللّه عليهم و اشتغالهم عنها بطلب الدنيا .

الرابعه عشر:نبّه على وجوب المحافظه على العمر بالعمل فيه للآخره

،و على أولويّه مراعاته بالنسبه إلى مراعاه طلب الرزق بكون العمر لا يرجى من رجعته ما يرجى من رجعه الرزق فإنّ العمر فى تقضّ و نقصان ،و ما فات منه غير عائد بخلاف الرزق فإنّه يرجى زيادته و جبران ما نقص منه فى الماضى،و لمّا كان العمر الّذى من شأنه أن لا يعود ما فات منه طرفا للعمل و يفوت بفواته وجب تدارك العمل بتداركه،و قوله : الرجاء مع الجائى.يريد الرزق،و اليأس مع الماضى .يريد العمر.

و هو مؤكّد لما قبله .

الخامسه عشر:أنّه ختم بالآيه اقتباسا من نور القرآن

،و وجه هذه الاقتباس أنّه لمّا كان الكلام فى معرض جذب السامعين إلى العمل الّذى هو سبب تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه الّذى هو جزء من الرياضه،و كان التقوى عباره عن الزهد فى الدنيا الّذى حقيقته حذف الموانع الداخليّه و الخارجيّه عن القلب الّذى هو الجزء الثانى من الرياضه،و كان الإسلام هو الدين الحقّ المركّب من ذينك الجزئين لا جرم حسن إيراد الآيه المشتمله على الأمر بالتقوى و الموت على الإسلام بعد الأمر بالعمل ليكون ذلك أمرا بإكمال الدين و إتمامه.و باللّه التوفيق.

۱۱۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى الاستسقاء

اَللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا- وَ اغْبَرَّتْ أَرْضُنَا وَ هَامَتْ دَوَابُّنَا- وَ تَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا- وَ عَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلاَدِهَا- وَ مَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا-

ص:۱۰۳

وَ الْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا- اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّهِ- وَ حَنِينَ الْحَانَّهِ- اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِی مَذَاهِبِهَا- وَ أَنِينَهَا فِی مَوَالِجِهَا- اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْکَ- حِينَ اعْتَکَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ- وَ أَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجُودِ- فَکُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ- وَ الْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ نَدْعُوکَ حِينَ قَنِطَ الْأَنَامُ- وَ مُنِعَ الْغَمَامُ وَ هَلَکَ السَّوَامُ- أَلاَّ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا- وَ لاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا- وَ انْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَکَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ- وَ الرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ- وَ النَّبَاتِ الْمُونِقِ سَحّاً وَابِلاً- تُحْيِی بِهِ مَا قَدْ مَاتَ- وَ تَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ- اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْکَ مُحْيِيَهً مُرْوِيَهً- تَامَّهً عَامَّهً طَيِّبَهً مُبَارَکَهً- هَنِيئَهً مَرِيعَهً- زَاکِياً نَبْتُهَا ثَامِراً فَرْعُهَا نَاضِراً وَرَقُهَا- تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِکَ- وَ تُحْيِی بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِکَ- اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْکَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا- وَ تَجْرِی بِهَا وِهَادُنَا- وَ يُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا- وَ تُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا- وَ تَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا- وَ تَنْدَی بِهَا أَقَاصِينَا- وَ تَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا- مِنْ بَرَکَاتِکَ الْوَاسِعَهِ- وَ عَطَايَاکَ الْجَزِيلَهِ- عَلَی بَرِيَّتِکَ الْمُرْمِلَهِ وَ وَحْشِکَ الْمُهْمَلَهِ- وَ أَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَهً مِدْرَاراً هَاطِلَهً- يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ- وَ يَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ- غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا- وَ لاَ جَهَامٍ عَارِضُهَا- وَ لاَ قَزَعٍ رَبَابُهَا- وَ لاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا- حَتَّی يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ-

وَ يَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ- فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا- وَ تَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَ أَنْتَ «الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ» قال الشريف:قوله عليه السّلام«انصاحت جبالنا»أى:تشققت من المحول، يقال:انصاح الثوب،إذا انشق.و يقال أيضا:انصاح النبت و صاح و صوّح إذا جفّ و يبس.و قوله«و هامت دوابنا»أى:عطشت،و الهيام:العطش و قوله«حدابير السنين»جمع حدبار:و هى الناقه التى أنضاها السير فشبه بها السنه التى فشا فيها الجدب،قال ذو الرمه:- حدابير ما تنفكّ إلّا مناخه على الحسف أو نرمى بها بلدا قفرا

و قوله«و لا قزع ربابها»:القزع:القطع الصغار المتفرقه من السحاب، و قوله«و لا شفان ذهابها»فإن تقديره:و لا ذات شفان ذهابها،و الشفان:

الريح البارده،و الذهاب:الأمطار اللينه،فحذف«ذات»لعلم السامع به.

اللغه

و أقول: اعتكرت: اختلطت و ازدحمت .و المخائل: جمع مخيله للسحابه الّتى ترجى المطر .و المبتئس: الحزين .و المنبعق و المنبعج: السحاب المنصبّ بشدّه .

و الربيع هنا:المطر .و السقيا بالضمّ: الاسم من السقى .و المريع : المخصب .

و النجاد: جمع نجد و هو المرتفع من الأرض .و الضواحى: النواحى البارزه:أى أهل نواحينا .و المرمله: قليله المطر .و المخضله: الرطبه .و الودق: القطر .

و الجهام: المظلم الّذى لا ماء فيه .و الخلّب: الّتى يكذب الظنّ فيها .و المسنتون:

الّذين أصابتهم شدّه السنه .

المعنى

و اعلم أنّه نبّه بقوله. ندعوك عن لا تؤاخذنا بأعمالنا و لا تأخذنا بذنوبنا.

على أنّ للذنوب و الأعمال الخارجه عن أوامر اللّه تأثير فى رفع الرحمه.و سرّ ذلك

أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من قبله و إنّما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد و قلّته و كثرته،و ظاهر أنّ المقبلين على الدنيا المرتكبين لمحارم اللّه معرضون عنه غير متلقّين لآثار رحمته بل مستعدّون لضدّ ذلك أعنى سخطه و عذابه بحسب استعدادهم بالانهماك فى محارمه و الجور عن سبيله،و حرىّ بمن كان كذلك أن لا تناله بركه، و لا يفاض عليه أثر رحمه ،و نصب سحّا و وابلا على الحال و العامل انشر ،و أراد بالسماء المخضله هنا السحاب،و العرب تقول:كلّ ما علاك فهو سماءك،و معنى إنزاله إرسال مائه و إدراره،و يحتمل أن يريد بالسماء المطر نفسه،و نحوه أنزل علينا الغيث،و قد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل أيضا،و وجه مناسبته للآيه ظاهر.و باللّه التوفيق.

۱۱۳-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَرْسَلَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ- وَ شَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ- فَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ- غَيْرَ وَانٍ وَ لاَ مُقَصِّرٍ- وَ جَاهَدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ- غَيْرَ وَاهِنٍ وَ لاَ مُعَذِّرٍ- إِمَامُ مَنِ اتَّقَى وَ بَصَرُ مَنِ اهْتَدَى

اللغه

أقول: الواهن: الضعيف .و المعذّر بالتشديد: المقصّر .

المعنى

و اعلم أنّ الأوصاف الّتى ذكرها للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ظاهره،و قد سبقت الإشاره إليها غير مرّه فأمّا كونه إمام من اتّقى فلاستناد أهل التقوى إليه فى كيفيّه سلوك سبيل اللّه الّتى هى التقوى ،و قد استعار لفظ البصر له.و وجه المشابهه كونه سببا لاهتداء الخلق إلى سبيل الرشاد كما يهتدى صاحب البصيره فى طريقه المحسوس.

و باللّه التوفيق.

القسم الثانى مِنْهَا

اشاره

وَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ- إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ- تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ- وَ تَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ- وَ لَتَرَكْتُمْ

أَمْوَالَكَمْ لاَ حَارِسَ لَهَا- وَ لاَ خَالِفَ عَلَيْهَا- وَ لَهَمَّتْ كُلَّ امْرِئٍ نَفْسُهُ- لاَ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا- وَ لَكِنَّكَمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ- وَ أَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ- فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ- وَ تَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ- وَ لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ- وَ أَلْحَقَنِی بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِی مِنْكُمْ- قَوْمٌ وَ اللَّهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ- مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ- مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ- مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ- مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَهِ- وَ أَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّهِ- فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَهِ- وَ الْكَرَامَهِ الْبَارِدَهِ- أَمَا وَ اللَّهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ- غُلاَمُ؟ثَقِيفٍ؟ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ- يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ- وَ يُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ- إِيهٍ؟أَبَا وَذَحَهَ؟ قال الشريف:أقول:الوذحه:الخنفساء،و هذا القول يرمىء به إلى الحجاج،و له مع الوذحه حديث ليس هذا موضوع ذكره.

اللغه

أقول: الصعدات: جمع الصعد،و هو جمع صعيد و هو وجه الأرض.

و اللدم و الالتدام: ضرب الوجه و نحوه .و رأى ميمون: مبارك .و قدما بضمّ القاف و الدال: أى تقدّموا و لم ينثنوا .و الوجيف: ضرب من السير فيه قوّه .و الوذحه:

كما قيل-كنيه للخنفساء.و لم ينقل ذلك فى المشهور من كتب اللغه و إنّما المشهور أنّها القطعه من بعر الشاه تنعقد على أصواف أذنابها و تتعلّق بها .

المعنى

و هذا الفصل من خطبه له بالكوفه يستنهض فيها أصحابه إلى حرب الشام، و يتبرّم من تقاعدهم عن صوته.فتبّههم أوّلا على جهلهم بما سيقع من الفتن فى الإسلام ممّا غاب عنهم علمه-و علمه هو من اللّه و رسوله-بحيث لو تصوّروا ما علمه منها لاحتال كلّ منهم فى الخلاص لنفسه،و لهاموا على وجه الأرض باكين من تقصيرهم فى أعمالهم

على وفق أوامره الّتى بها يكون نظام العالم إلى الأبد،و الأمن من تلك الفتن لو فعلوها .و لكنّهم نسوا ما ذكّروا به من آيات اللّه و أمنوا التحذير فضلّت عنهم آراؤهم الصالحه الّتى يكون بها نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتّت امورهم و غلبه العدوّ على بلادهم،و قيل:أراد بما طوى عنهم غيبه و علمه هو ما يلقى المقصّرون من أهوال الآخره.و الأوّل أنسب لسياق الكلام .ثمّ عقّب ذلك بالتبرّم منهم و طلب فراقهم و اللحاق بإخوانه من أولياء اللّه مباركى الآراء،ثقال الحلوم لا يستخفنّهم جهل الجهّال،ملازمى الصدق و نصيحه الدين من شأنهم ترك البغى على أنفسهم و غيرهم ،مضوا على الطريقه الحميده،سالكين لمحجّه اللّه غير ملتفتين عنها فوصلوا إلى الثواب الدائم و النعيم المقيم.و قرينه الظفر تخصّص العقبى بالثواب.و العرب تصف النعمه و الكرامه بالبرد .ثمّ بيّن لهم بعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمه ممّا طوى عنهم غيبه و هى فتنه الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن ملك بن كعب بن الأخلاف-قوم من ثقيف-و كان ضعيف العين،دقيق الصوت،ذيّالا:أى طويل الذيل يصحبه تبخترا،ميّالا:أى يكثر التمايل كبرا، استعاره بالكنايه و أخبر أنّه يأكل خضرتهم ،و كنّى بها عمّا هم عليه من الابّهه و سلامه النفوس و الأموال و حسن الأحوال و بأكله لها عن إزاله تلك و تغييرها إلى أضدادها،و لفظ الأكل مستعار لذلك،و وجه الاستعاره ظاهر ، استعاره و كذلك استعار الشحمه لثرائهم و قوّتهم و وصف الإذابه لإفناء ذلك بالقتل و الإهانه،و مصداق ذلك المشهور من فعله بأهل العراق كما سبق بيانه فى ذكر الكوفه . استعاره بالكنايه ثمّ قال : إيه أبا وذحه .و كلمه إيه اسم من أسماء فعل الأمر يستدعى بها الحديث المعهود من الغير-إن سكنت-و إن نوّنت كانت لاستدعاء قول أو فعل ما،و قيل:التسكين للوقف و التنوين للدرج فأمّا تلقيبه عليه السّلام له بأبى وذحه فروى فى سبب ذلك أنّه كان يوما يصلّى على سجّاده له فدبّت إليه خنفساء.فقال:نحوّها عنّى فإنّها وذحه من وذح الشيطان.و روى أنّه قال:قاتل اللّه قوما يزعمون أنّ هذه من خلق اللّه.فقيل له:ممّا هى؟فقال:

من وذح إبليس،و كأنّه شبّهها بالوذحه المتعلّقه بذنب الشاه فى حجمها أو شكلها

فاستعار لها لفظها و نسبته لها إلى إبليس لاستقذاره إيّاه و استكراهه لصورتها أو لأنّها تشوّشه فى الصلاه،و روى أبو علىّ بن مسكويه:أنّه نحّاها بقصبته و قال:لعنك اللّه وذحه من وذح الشيطان،و نقل بعض الشارحين و دجه بالدال و الجيم،و كنّى بذلك عن كونه سفّاكا للدماء قطّاعا للأوداج ،و فيه بعد.

۱۱۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِى رَزَقَهَا- وَ لاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِى خَلَقَهَا- تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ- وَ لاَ تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِى عِبَادِهِ- فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ انْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ

أقول:مدار هذا الفضل على التوبيخ بالبخل بالأموال و الأنفس

،و فى قوله:

للّذى رزقها و خلقها.استدراج حسن فإنّ البخيل إنّما يستقبح بذله لملاحظه أمرين:

أحدهما:خوف الفقر،و الثانى:أنّه كثيرا ما يتوهّم الأشحّاء أن لا مستحقّ للمال إلاّ هم فيكون ذلك و أمثاله عذرا لهم مع أنفسهم فى عدم البذل،و كذلك الشحيح بنفسه إنّما يشحّ بها خوف الموت و أن لا يكون له من هذه الحياه عوض يساويها فإذا علم أنّ بذل المال لرازقه إيّاه بعد أن يكون حسن الظنّ به زال عذره فى البخل لعلمه بتعويضه خيرا منه و بأنّه أحقّ منه.إذ كان المملوك و ما يملك لمولاه،و كذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه أنّ الطالب لبذلها هو الأحقّ بها و أنّه القادر على أن يوصله إلى ما هو خير له من هذه الحياه الفانيه،و فى انقطاع ما يتوهّمونه عذرا فى البخل بالمال و النفس يكون سهوله بذلهما فى سبيل اللّه.

و قوله : تكرمون باللّه على عباده.

أى تفخرون و تشرفون على الخلق بأنّكم أهل طاعه اللّه و عباده .ثمّ لا تكرمونه فيما يدعوكم إليه و لا تجيبون داعيه فى إكرام عباده و الالتفات إلى فقرائهم باليسير ممّا رزقكم .ثمّ أمرهم باعتبار نزولهم منازل الدارجين،و انقطاعهم عن أوصل

ص:۱۰۹

إخوانهم تنبيها لهم على أنّهم أمثالهم فى اللحاق بمن سلف و الانقطاع عمّن يبقى، و روى عن أصل إخوانكم:أى أقربهم أصلا إليكم،و فائده هذا الاعتبار تذكّر الموت و العمل لما بعده.

۱۱۵–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ- وَ الْإِخْوَانُ فِى الدِّينِ- وَ الْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ- وَ الْبِطَانَهُ دُونَ النَّاسِ- بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ وَ أَرْجُو طَاعَهَ الْمُقْبِلِ- فَأَعِينُونِى بِمُنَاصَحَهٍ خَلِيَّهٍ مِنَ الْغِشِّ- سَلِيمَهٍ مِنَ الرَّيْبِ- فَوَاللَّهِ إِنِّى لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ

اللغه

أقول: الجنن: جمع جنّه و هى ما استترت به من سلاح .و بطانه الرجل:

خاصّته .

و قد اشتمل هذا الفصل على استماله طباع أصحابه إلى مناصحته فى الحرب.

فمدحهم بكونهم من أهل الدين .ثمّ بالشجاعه .ثمّ بإعلامهم أنّهم من أهل خاصّته الّذين يعتمد عليهم فى ضرب المدبر و طاعه المقبل،و طلب منهم الإعانه بمناصحه صادقه سليمه من الشكّ فى صحّه إمامته و أنّه أولى بالأمر من غيره فلذلك أقسم أنّه كذلك.و قد سبق بيانه.

۱۱۶–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السّلام:أ مخرسون أنتم؟فقال قوم منهم:يا أمير المؤمنين،إن سرت سرنا معك،فقال عليه السّلام مَا بَالُكُمْ لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ وَ لَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ- أَ فِى مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِى أَنْ

أَخْرُجَ- وَ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ- مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ- وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ- وَ لاَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَ الْمِصْرَ- وَ بَيْتَ الْمَالِ وَ جِبَايَةَ الْأَرْضِ- وَ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ- وَ النَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ- ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى- أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ- وَ إِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي- فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا- وَ اضْطَرَبَ ثِفَالُهَا- هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ- وَ اللَّهِ لَوْ لاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ- وَ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ- لَقَرَّبْتُ رِكَابِي- ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَطْلُبُكُمْ- مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شَمَالٌ- إِنَّهُ لاَ غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ- مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ- لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ- الَّتِي لاَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلاَّ هَالِكٌ- مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ

اللغه

أقول: الكتيبه: الجيش .و القدح: السهم قبل أن يراش .و الجفير: كالكنانه أوسع منها .و ثقال الرحى: الجلد الّذى يوضع عليه ليسقط عليه الدقيق .و حمّ الأمر: قدر .

و مدار هذا الفصل على الدعاء عليهم

مصدّرا بالاستفهام عن حالهم القبيحه الّتى هم عليها من مخالفته على سبيل الإنكار عليهم .ثمّ عمّا أشاروا به من خروجه بنفسه إلى الحرب منكرا لذلك أيضا.ثمّ على الإشاره إلى من ينبغى أن يخرج عوضا له .ثمّ بيّن وجه المفسده فى خروجه بنفسه و هو تركه للمصالح الّتى عدّدها ممّا يقوم به أمر الدوله و نظام العالم.و قبح ذلك ظاهر.

استعاره و شبّه خروجه معهم بالقدح فی الجفیر.و وجه الشبه أنّه کان قد نفذ الجیش قبل ذلک و أراد أن یجهز من بقی من الناس فی کتیبه اخری فشبّه نفسه فی خروجه فی تلک الکتیبه وحده مع تقدّم أکابر جماعته و شجعانها بالقدح فی الجفیر الفارغ فی کونه یتقلقل.و فی العرف أن یقال للشریف إذا مشی فی حاجه ینوب فیها من هو دونه،و ترک المهامّ الّتی لا تقوم إلّا به:ترک المهمّ الفلانیّ و مشی یتقلقل علی کذا .ثمّ استعار لنفسه لفظ القطب ملاحظه لدوران الإسلام و مصالحه علیه کما تدور الرحی علی قطبها و ذلک هو وجه الاستعاره،و استلزم ذلک تشبیهه الإسلام و أهله بالرحی،و أنّه إذا أهملها بخروجه إلی الحرب اضطربت کاضطراب الرحی و خروج مدارها و استحارته عن الحرکه المستدیره إلی المستقیمه ،و لمّا بیّن وجه المفسده فی رأیهم حکم بردائته،و أکّد ذلک بالقسم البارّ .ثمّ أقسم أنّه لو لا رجائه لقاء اللّه بالشهاده فی لقاء العدوّ لو قدّر له ذلک لفارقهم غیر متأسّف علیهم و لا طالب للعود إلیهم أبدا تبرّما من سوء صنیعهم و کثره مخالفتهم لأوامره.و باللّه التوفیق.

۱۱۷-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

تَاللّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِیغَ الرِّسَالاَتِ- وَ إِتْمَامَ الْعِدَاتِ وَ تَمَامَ الْکَلِمَاتِ- وَ عِنْدَنَا؟أَهْلَ الْبَیْتِ؟ أَبْوَابُ الْحُکْمِ وَ ضِیَاءُ الْأَمْرِ- أَلاَ وَ إِنَّ شَرَائِعَ الدِّینِ وَاحِدَهٌ وَ سُبُلَهُ قَاصِدَهٌ- مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَ غَنِمَ- وَ مَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَ نَدِمَ- اعْمَلُوا لِیَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ- وَ تُبْلَی فِیهِ السَّرَائِرُ- وَ مَنْ لاَ یَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ- فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ وَ غَائِبُهُ أَعْوَزُ- وَ اتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِیدٌ- وَ قَعْرُهَا بَعِیدٌ وَ حِلْیَتُهَا حَدِیدٌ- وَ شَرَابُهَا صَدِیدٌ-

ص:۱۱۲

أَلاَ وَ إِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ- يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ- خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لاَ يَحْمَدُهُ

المعنى

أقول:صدّر الفصل بذكر فضيلته و هى علمه بكيفيّه تبليغ الرسالات و أدائها،و علمه بإتمام اللّه تعالى ما وعد به المتّقين فى دار القرار.فتمام وعده أن لا خلف فيه،و تمام إخباره أن لا كذب فيها،و تمام أوامره و نواهيه اشتمالها على المصالح الخاصّه و الغالبه.

و هكذا ينبغى أن يكون أوصياء الأنبياء و خلفائهم فى أرض اللّه و عباده .ثمّ أردف ذلك بالاشاره إلى فضل أهل البيت عامّا،و أراد بضياء الأمر أنوار العلوم الّتى يبتنى عليها الأمور و الأعمال الدينيّه و الدنيويّه،و ما ينبغى أن يهتدى الناس به فى حركاتهم من قوانين الشريفه و ما يستقيم به نظام الأمر من قوانين السياسات و تدبير المدن و المنازل و نحوها.إذ كان كلّ أمر شرع فيه على غير ضياء من اللّه و رسوله أو أحد أهل بيته و خلفائه الراشدين فهو محلّ التيه و الزيغ عن سبيل اللّه، استعاره و استعار لفظ الشرائع و هى موارد الشاربه لأهل البيت.و وجه الاستعاره كونهم موارد لطلاّب العلم كما أنّ الشرائع موارد طلبه الماء،و كونها واحده إشاره إلى أنّ أقوالهم لا- تختلف فى الدين بل لمّا علموا أسراره لم تختلف كلمتهم فيه فكلّهم كالشريعه الواحده ،و كذلك استعار لهم لفظ السبل ،و وجه المشابهه كونهم موصلين إلى المطالب على بصيره و قصد كما يوصل الطريق الواضح.

و قوله : من أخذ بها لحق.

أى من أخذ عنهم و اقتدى بهم لحق بالسابقين من سالكى سبيل اللّه و ندم على تفريطه بتخلّفه.و قيل:أراد بشرائع الدين وسيله قوانينه الكلّيّه فإنّ أىّ قانون عمل به منها فإنّه مستلزم لثواب اللّه فهى واحده فى ذلك و موصل إلى الجنّه من غير جور و لا عدول و ذلك معنى كونها قاصده،و الأوّل أظهر لكونه فى معرض ذكر فضيلتهم .

و لمّا كان غرض الخطيب من إظهار فضيلته قبول قوله شرع فى الأمر بالعمل ليوم القيامه.و الذخائر:الأعمال الصالحه.و معنى قوله : و من لا ينفعه حاضر لبّه.إلى قوله:

ص:۱۱۳

أعوز :أن اعتبروا حال حضور عقولكم فإنّها إن لم ينفعكم الآن كانت أعوز و أعجز عن نفعكم إذا عزبت عند حضور الموت و مقاساه أهواله و ما بعده من أحوال الآخره .

ثمّ أكّد التخويف بمناقشه الحساب بالتخويف بالنار،و أراد بحليتها من الحديد ما أعدّ فيها للعصاه من الأغلال و الأصفاد و المقامع و السلاسل الّتى تشبه الحليه .

و قوله: ألا و إنّ اللسان.إلى آخره.

تنبيه لهم على طلب الذكر الجميل من الناس فى العقبى و تهوين للمال،و قد سبقت الاشاره إلى هذا فى قوله:أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض.

۱۱۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

و قد قام إليه رجل من أصحابه فقال:نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها، فلم ندر أى الأمرين أرشد؟فصفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَکَ الْعُقْدَهَ- أَمَا وَ اللَّهِ لَوْ أَنِّی حِینَ أَمَرْتُکُمْ- بِمَا أَمَرْتُکُمْ بِهِ حَمَلْتُکُمْ عَلَى الْمَکْرُوهِ- الَّذِی یَجْعَلُ اللَّهُ فِیهِ خَیْراً- فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَیْتُکُمْ- وَ إِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُکُمْ- وَ إِنْ أَبَیْتُمْ تَدَارَکْتُکُمْ لَکَانَتِ الْوُثْقَى- وَ لَکِنْ بِمَنْ وَ إِلَى مَنْ- أُرِیدُ أَنْ أُدَاوِیَ بِکُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِی- کَنَاقِشِ الشَّوْکَهِ بِالشَّوْکَهِ- وَ هُوَ یَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا- اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِیِّ- وَ کَلَّتِ النَّزَعَهُ بِأَشْطَانِ الرَّکِیِّ- أَیْنَ الْقَوْمُ الَّذِینَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ- وَ قَرَءُوا؟الْقُرْآنَ؟ فَأَحْکَمُوهُ-

ص:۱۱۴

وَ هِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا- وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا- وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا- وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً- وَ صَفّاً صَفّاً بَعْضٌ هَلَكَ وَ بَعْضٌ نَجَا- لاَ يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ- وَ لاَ يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتَى- مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ- خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ- ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ- صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ- عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَهُ الْخَاشِعِينَ- أُولَئِكَ إِخْوَانِى الذَّاهِبُونَ- فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ- وَ نَعَضَّ الْأَيْدِى عَلَى فِرَاقِهِمْ- إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّى لَكُمْ طُرُقَهُ- وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَهً عُقْدَهً- وَ يُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَهِ الْفُرْقَهَ- فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ- وَ اقْبَلُوا النَّصِيحَهَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ- وَ اعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

اللغه

أقول: الضلع بفتح الضاد و سكون اللام: الميل و الهوى .و الداء الدوىّ:

الشديد-وصف بما هو من لفظه .و الذوىّ: اسم فاعل من دوى إذا مرض .و النزعه:

المستقون .و الركىّ: جمع ركيه و هى البئر .و مره: جمع مارهه و هى العين الّتى فسدت:أى عيونهم مارهه .و سنّى له كذا: حسّنه و سهّله .و عقلت عليه كذا :

أى حبسته عليه .

المعنى

و كان هذا الكلام منه عليه السّلام بصفّين حين أمرهم بالحكومه بعد أن نهاهم عنها، و السبب أنّ معاويه لمّا أحسّ بالعجز و ظفر علىّ عليه السّلام به ليله الهرير راجع عمرو بن العاص.فقال:إنّى خبأت لك رأيا لمثل هذا الوقت و هو أن تأمر أصحابك برفع المصاحف على الأرماح و يدعوا أصحاب علىّ إلى المحاكمه إلى كتاب اللّه فإنّهم إن فعلوا افترقوا و إن لم يفعلوا افترقوا،و كان الأشتر صبيحه تلك الليله قد أشرف على الظفر فلمّا أصبحوا رفعوا المصاحف الكبيره بالجامع الأعظم على عشره أرماح و هم يستغيثون:معاشر المسلمين اللّه فى إخوانكم فى الدين حاكمونا إلى

کتاب اللّه،اللّه اللّه فی النساء و البنات.فقال أصحاب علیّ علیه السّلام:إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحونا إلی کتاب اللّه فالرأی النفیس کشف لکربه عنهم فغضب علیه السّلام من هذا الرأی.فقال:إنّها کلمه حقّ یراد بها باطل.کما سبق القول فیه.فافترق أصحابه فریقین:منهم من رأی رأیه علیه السّلام فی الإصرار علی الحرب،و منهم من رأی ترک الحرب و الرجوع إلی الحکومه و کانوا کثیرین فاجتمعوا إلیه علیه السّلام.

فقالوا:إن لم تفعل قتلناک کما قتلنا عثمان فرجع إلی قولهم و أمر بردّ الأشتر عن الحرب.ثمّ کتبوا کتاب الصلح و طافوا به فی أصحابه علیه السّلام و اتّفقوا علی الحکومه فخرج بعض أصحابه من هذا الأمر و قالوا:کنت نهیتنا عن الحکومه ثمّ أمرتنا بها فما ندری أیّ الأمرین أرشد.و هذا یدلّ علی أنّک شاکّ فی إمامه نفسک.فصفق بإحدی یدیه علی الاخری فعل النادم غضبا من قولهم،و قال : هذا جزاء من ترک العقده :أی عقده الأمر الّذی عقده و أحکمه و هو الرأی فی الحرب و الإصرار علیها،و الّذی کان أمرهم به هو البقاء علی الحرب،و هو المکروه الّذی یجعل اللّه فیه خیرا من الظفر و سلامه العاقبه .و قوّمتکم :أی بالقتل و الضرب و نحوه،و کذلک معنی قوله: تدارکتکم .

و قوله: لکانت الوثقی .

أی الفعله المحکمه .

و قوله: و لکن بمن؟ أی بمن کنت أستعین علیکم، و إلی من ؟أی إلی من أرجع فی ذلک .

و قوله: ارید أن اداوی بکم.

أی ارید أن اداوی ما بی من بعضکم ببعض، و أنتم دائی .فأکون فی ذلک کناقش الشوکه بالشوکه و هو یعلم أنّ ضلعها معها ،و هذا مثل تضربه العرب لمن یستعان به فی إصلاح من یراد إصلاحه و میله إلی المستعان علیه یقال:لا تنقش الشوکه بالشوکه فإنّ ضلعها معها.یقول:إنّ استعانتی ببعضکم فی إصلاح بعض کنقش الشوکه بالشوکه،و وجه المشابهه أنّ طباع بعضکم یشبه طباع بعض و یمیل

إليها كما تشبه الشوكه الشوكه و تميل إليها فربّما انكسرت معها فى العضو و احتاجت إلى منقاش آخر .ثمّ رجع إلى الشكايه إلى اللّه،و أراد بالداء الدوىّ ما هم عليه من الاعتياد المخالفه لأمره و تثاقلهم عن صوته،و بالأطبّاء نفسه.فإنّ داء الجهل و ما يستلزمه أعظم من سائر الأدواء المحسوسه،و فضل أطبّاء النفوس على أطبّاء الأبدان بقدر شرف النفوس على الأبدان،و هى استعاره تكاد أن تكون حقيقه ،و كذلك استعاره لفظ النزعه له مثل ضربه لنفسه معهم فكأنّهم عن المصلحه فى قعر بئر عميق قد كلّ هو من جذبهم إليها .ثمّ أخذ فى السؤال عن إخوانه من أكابر الصحابه الّذين بذلوا جهدهم فى نصره الدين و أعرضوا عن الدنيا استفهاما على سبيل التوبيخ لفقدهم،و هذا كما يقول أحدنا إذا وقع فى شدّه أين أخى عنّى ؟ثمّ وصفهم بالأوصاف الحميده ترغيبا للسامعين فى مثل حالهم و إزراءً عليهم حيث لم يكونوا بهذه الأوصاف، و ذلك بطريق المفهوم .

و قوله: أولادها.

نصب بإسقاط الجارّ.إذ الفعل و هو قوله:و لهوا.غير متعدّى إلى مفعولين بنفسه،و فى الخبر:لا توله والده بولدها.و تولّههم لها بركوبهم إيّاها عند خروجهم للجهاد .

و قوله: و أخذوا بأطراف الأرض.

أى أخذوها بأطرافها،و زحفا زحفا و صفّا صفّا :مصدران موكّدان بمثليهما قاما مقام الحال .

و قوله: لا يبشّرون بالأحياء و لا يعزّون عن القتلى[الموتى خ].

أى كانوا فى تلك الحال غير ملتفتين إلى حيّهم و لا مراعين و لا محافظين على حياته حتّى يبشّرون ببقائه أو يجزعون لموته فيعزّون عليه بل مجرّدون للجهاد فى سبيل اللّه،و لعلّهم يفرحون بقتل من يقتلونه فى سبيله و إن كان ولدا لوالده أو بالعكس ،و إنّما كان السهر موجبا لصفره اللون لأنّه يهيّج الحراره و يفسد السحنه و ينجف البدن و يكثر فيه المرّه،و الصفره من توابع ذلك لا سيّما فى الأبدان النحيفه كما عليه أهل المدينه و مكّه و الحجاز .و غبره الخاشعين قشف الزاهدين الخائفين

من اللّه لعدم تحلّيهم بالدنيا ، استعاره و استعار لفظ الظماء للشوق إليهم ملاحظه لشبههم بالماء فى شدّه الحاجه إليه فنزل الشوق إليهم،و الحاجه إلى لقائهم منزله العطش إلى الماء فأعطاه لفظه ،و أراد بعقده الدين ما احكم منه من القوانين و القواعد،و بحلّ الشيطان لها تزيينه ترک قانون قانون.و سنّه الاجتماع عقده عقدها الشارع لما سبق فيها من المصالح و أكّدها.فكانت الفرقه حلاّ لتلک العقده،و نزعات الشيطان حركاته بالإفساد ،و نفثاته إلقائه الوسوسه فى القلوب مرّه بعد اخرى ،و عنى بمن أهدى إليهم النصيحه نفسه.و باللّه التوفيق.

۱۱۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله للخوارج و قد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومه،

فقال ع أَ كُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا؟صِفِّينَ؟- فَقَالُوا مِنَّا مَنْ شَهِدَ- وَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ- قَالَ فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ- فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ؟صِفِّينَ؟ فِرْقَةً- وَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً- حَتَّى أُكَلِّمَ كُلاًّ مِنْكُمْ بِكَلاَمِهِ- وَ نَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلاَمِ- وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي- وَ أَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ- فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا- ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ع بِكَلاَمٍ طَوِيلٍ- مِنْهُ أَ لَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَ غِيلَةً- وَ مَكْراً وَ خَدِيعَةً إِخْوَانُنَا وَ أَهْلُ دَعْوَتِنَا- اسْتَقَالُونَا وَ اسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ- وَ التَّنْفِيسُ عَنْهُمْ- فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ- وَ بَاطِنُهُ عُدْوَانٌ- وَ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَ آخِرُهُ نَدَامَةٌ- فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ- وَ الْزَمُوا

طَرِيقَتَكَمْ- وَ عَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَوَاجِذِكُمْ- وَ لاَ تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ- إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَ إِنْ تُرِكَ ذَلَّ- وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَهُ وَ قَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا- وَ اللَّهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا- وَ لاَ حَمَّلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا وَ وَ اللَّهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ- وَ إِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- وَ إِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَ الْأَبْنَاءِ- وَ الْإِخْوَانِ وَ الْقَرَابَاتِ- فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَهٍ وَ شِدَّهٍ- إِلاَّ إِيمَاناً وَ مُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ- وَ تَسْلِيماً لِلْأَمْرِ- وَ صَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ- وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلاَمِ- عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَ الاِعْوِجَاجِ- وَ الشُّبْهَهِ وَ التَّأْوِيلِ- فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَهٍ يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعَثَنَا- وَ نَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّهِ فِيمَا بَيْنَنَا- رَغِبْنَا فِيهَا وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا

اللغه

أقول: التنفيس: التفريج ،

المعنى

و أكثر هذا الفصل ظاهر مما سبق .

و قوله: هذا أمر ظاهره إيمان.

أى رفع أولئك للمصاحف و طلبهم للحكومه فإنّ ظاهره منهم الاجتهاد فى الدين بالرجوع إلى كتاب اللّه،و باطنه منهم عدوان:أى حيله للظلم و الغلبه ، و أوّله رحمه منكم لهم برجوعكم إلى قولهم، و آخره ندامه لكم عند تمام الحيله عليكم فأقيموا على شأنكم :أى ما كنتم عليها من الاجتهاد فى الحرب .و الناعق إشاره إلى طالبى الحكومه أو المشير عليهم بذلك الرأى و هو عمرو بن العاص،و أخرجه فى أوصاف إبليس.

ص:۱۱۹

و قوله بعد ذلك : و لقد كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إلى قوله:مضض الجراح استدراج لهم بشرح حاله و حال الصحابه.حيث كانوا فى الجهاد مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على الحاله الّتى شرحها لعلّهم يتأسّون بالماضين فيها.

و قوله : و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل إخواننا فى الإسلام.إلى آخره.

تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه و جواب عنه و هو أن يقولوا:إنّما فعل إخواننا السابقون ما فعلوا ليقينهم بما هم عليه من الدين الحقّ و تيقّنهم ضلال الكفّار و المحاربين لهم فأمّا نحن فإنّما نقاتل بعضنا بعضا فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا إلينا و دعونا إلى المحاكمه إلى كتاب اللّه فأجاب بما معناه إنّا إنّما نقاتل فى مبدء الأمر و منتهاه دعوه إلى الإسلام و رغبه فى رسوخ قواعده ففى المبدأ قاتلنا لتحصل ماهيّته فى الوجود،و فى الثانى قاتلنا لحفظ ماهيّته و بقائها،و حيث دخل فيه من الزيغ و الاعوجاج و الشبهه و التأويل ما دخل فإذا طمعنا فى خلّه محموده يجمع اللّه بها تفرّقنا و نتقارب بها إلى ما بقى فيما بيننا من الإسلام و الدين رغبنا فيها و قاتلنا طمعا فى تحصيلها،و كأنّه عنى بالخصله رجوع محاربيه إلى طاعته و اتّفاقهم عليه،و هذا الكلام فى قوّه صغرى قياس ضمير احتجّ عليهم به،و تقديرها إنّكم حين قلت لكم إنّ رفعهم للمصاحف خدعه منهم أجبتمونى بهذا الجواب،و تقدير الكبرى و كلّ من أجاب بهذا الجواب فليس له أن ينكر الحكومه،إذ كان قد رضى بها.فينتج أنّه ليس لهم أن يأبوا الحكومه.و باللّه التوفيق.

۱۲۰-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

قاله لأصحابه فى ساعه الحرب

وَ أَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ- رَبَاطَهَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ- وَ رَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً- فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ- الَّتِى فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ- كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ- فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ- إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ

ص:۱۲۰

لاَـ يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ- وَ لاَـ يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ- إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ- وَ الَّذِى نَفْسُ ؟ابْنِ أَبِى طَالِبٍ؟ بِيَـدِهِ- لَأَلْفُ ضَـرْبَهٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ- مِنْ مِيتَهٍ عَلَى الْفِرَاشِ

اللغه

أقول: نجدته: شجاعته .و التذبيب: الدفع و المنع .

المعنى

و قـد أمرهم فى هـذا الفصل بمساعـده بعض لبعض فى الحرب و منع بعضـهم عن بعض منعا صادقا كما يمنع عن نفسه،و بذلك يكون انعقـاد الاجتمـاع و تعاون الهمم حتّى يكون الجميع كنفس واحـده،و بـذلك يكون الظفر و الغلبه و استمال ذوى النجـده بذكر فضيله تخصّهم دون من يذبّون عنه استثاره لنجدتهم و تعطيفا لهم.

و قوله : إنّ الموت طالب حثيث.إلى قوله:إنّ أكرم الموت القتل:

تسـهيل للقتـل و المـوت بـذكر أنّه لابـدّ،و تسـهيل للحرب عليهم.أمّـا أنّ أكرم المـوت القتـل فـأراد القتـل فى سبيـل اللّه،و ذلك لاستلزامه الـذكر الجميل فى الـدنيا و الثواب الـدائم فى الاخرى .ثمّ أكّد ذلك بالقسم لألف ضـربه بالسـيف أهون من ميته على الفراش.و صـدق ذلـك فى حقّ من نظر إلى الـدنيا بعين الاسـتحقار فى جنب نعيم الأبـد فى الآخره و الـذكر الجميل فى الـدنيا و حصلت له ملكه الشجاعه ظاهر.

و باللّه التوفيق.

۱۲۱-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ- تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ- لاَـ تَأْخُـذُونَ حَقّاً وَ لاَـ تَمْنَعُونَ ضَـيْماً- قَـدْ خُلِّيتُمْ وَ الطَّرِيقَ- فَالنَّجَاهُ لِلْمُقْتَحِمِ وَ الْهَلَكَهُ لِلْمُتَلَوِّمِ

اللغه

أقول: كشيش الضباب: حكّ جلودها بعضها بالبعض عند الازدحام .و التلوّم:

الانتظار و التوقّف ،

المعنی

و أشار بهذا الکلام إلی أنّه ستلحقهم غلبه من العدوّ و تعضّهم الحروب بحیث یعضّون[یضعفون خ]و یأخذون فی الهرب و التخفیّ فلا ینتفع بهم فی أخذ حقّ أو دفع ضیم، استعاره و وصف الکشیش مستعار لهم باعتبار هیئاتهم فی الحید عن العدوّ و الهرب منه،و هو وجه الشبه بکشیش الضباب .

و قوله: قد خلّیتم و الطریق.

أی و طریق الآخره . فالنجاه للمقتحم :أی مقتحمها و المبادر إلی سلوکها ، و الهلکه للمتوقّف عن ذلک.و الطریق منصوب علی المفعول معه.

۱۲۲-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی حث أصحابه علی القتال

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَ أَخِّرُوا الْحَاسِرَ- وَ عَضُّوا عَلَی الْأَضْرَاسِ- فَإِنَّهُ أَنْبَی لِلسُّیُوفِ عَنِ الْهَامِ- وَ الْتَوُوا فِی أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّهِ- وَ غُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَ أَسْکَنُ لِلْقُلُوبِ- وَ أَمِیتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ- وَ رَایَتَکُمْ فَلاَ تُمِیلُوهَا وَ لاَ تُخِلُّوهَا- وَ لاَ تَجْعَلُوهَا إِلاَّ بِأَیْدِی شُجْعَانِکُمْ- وَ الْمَانِعِینَ الذِّمَارَ مِنْکُمْ- فَإِنَّ الصَّابِرِینَ عَلَی نُزُولِ الْحَقَائِقِ- هُمُ الَّذِینَ یَحُفُّونَ بِرَایَاتِهِمْ- وَ یَکْتَنِفُونَهَا حِفَافَیْهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا- لاَ یَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَیُسْلِمُوهَا- وَ لاَ یَتَقَدَّمُونَ عَلَیْهَا فَیُفْرِدُوهَا أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ وَ آسَی أَخَاهُ بِنَفْسِهِ- وَ لَمْ یَکِلْ قِرْنَهُ إِلَی أَخِیهِ- فَیَجْتَمِعَ عَلَیْهِ قِرْنُهُ وَ قِرْنُ أَخِیهِ- وَ ایْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَیْفِ الْعَاجِلَهِ- لاَ تَسْلَمُوا مِنْ

سَيْفِ الْآخِرِهِ- وَ أَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ- إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَهَ اللَّهِ وَ الذُّلَّ اللَّازِمَ وَ الْعَارَ الْبَاقِيَ- وَ إِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ- وَ لاَ مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ يَوْمِهِ- الرَّائِحُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ- الْجَنَّهُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي- الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ- وَ اللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ- اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ- وَ شَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَ أَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ- دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ- وَ ضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ وَ يُطِيحُ الْعِظَامَ- وَ يُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَ الْأَقْدَامَ- وَ حَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ- وَ يُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلاَئِبُ- وَ حَتَّى يُجَرَّ بِبِلاَدِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ- وَ حَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ- وَ بِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ قال الشريف:أقول:الدعق:الدق،أى:تدق الخيول بحوافرها أرضهم، و نواحر أرضهم:متقابلاتها،يقال:منازل بنى فلان تتناحر،أى:تتقابل أقول:هذا الكلام.قاله بصفّين.

اللغه

أمور: أشدّ حركه و نفوذا .و الجأش: روعه القلب و اضطرابه عند الخوف .

و الذمار: ما وراء الرجل ممّا يجب عليه حمايته ،و حفافا الشىء: جانباه .و لهاميم العرب: أجوادهم .و الموجده: الغضب .و أبسلهم: أسلمهم للهلكه .و العوالى: جمع عاليه:الرمح،و هو ما دخل منه إلى ثلثه .و النسيم: النفس .و المنسر : القطعه من الجيش ،و كذلك الخميس: الجيش .و النواحر: جمع نحيره و هى آخر ليله من

ص:۱۲۳

الشهر مع يومها كأنّها تنحر الشهر المستقبل فيكون مراده بنواحر أرضهم أقاصيها.

و أعنان مساربهم: أقطارها و ما اعترض منها .و مساربهم: مراعيهم واحدتها مسربه و هكذا مسارحهم: واحدتها مسرحه .

المعنى

و قد أمرهم بأوامر فى مصلحه الحرب و كيفيّتها و نهاهم مناهى :

فأوّلها:الأمر بتقديم الدارع و تأخير الحاسر.و المصلحه فيه ظاهره .

الثانى:العضّ على الأضراس.و حكمته ما سبق فى قوله:معاشر المسلمين استشعروا الخشيه،و فى قوله لابنه محمّد بن الحنفيّه:تزول الجبال و لا تزل،و قد كرّره هنا أيضا .

الثالث:الالتواء فى أطراف الرماح.و علّته ما ذكر،و هو أنّه إذا التوى الإنسان مع الرمح حال إرساله كان الرمى به أشدّ،و ذلك لحركه صدر الإنسان بعد التوائه مع حركه يده حين الإرسال فكانت حركته أشدّ و أقوى نفوذا .

الرابع:غضّ الأبصار.و فائدته ما ذكر من كونه أربط لاضطراب القلب و أسكن،و ضدّ ذلك مدّ البصر إلى القوم فإنّه مظنّه الخوف و الفشل و علامه لهما عند العدوّ .

الخامس:إماته الأصوات.و فائدته أيضا طرد الفشل،إذ كانت كثره اللغط (اللفظ خ)و الصياخ علامه لخوف الصائخ،و ذلك مستلزم لطمع العدوّ فيه و جرئته عليه .

السادس:قوله: و رايتكم فلا تميلوها .فإنّ إمالتها ممّا يظنّ به العدوّ تشويشا و اضطراب حال فيطمع و يقدم،و لأنّها إذا اميلت تغيب عن عيون الجيش فربّما لا يهتدى كثير منهم للوجه المطلوب.

السابع: و لا تخلّوها .و سيفسّر هو التخليه .

الثامن: لا تجعلوها.إلى قوله:منكم .و ذلك أنّها أصل نظام العسكر و عليها يدور و بها يقوى قلوبهم ما دامت قائمه فيجب فى ترتيب الحرب أن يكون حاملها أشجع القوم .و قوله: فإنّ الصابرين.إلى قوله:فيفردوها .تخصيص لمن يحفظ الراية و يحفّها بوصف الصبر على نزول الحقائق:أى الشدائد الحقّه المتيقّنه الّتى

لا ـ شکّ فی نزولها،کی یسارعوا إلی حفظها و الإحاطه بها رغبه فی تلک المحمده ،و بیّن بقوله: لا ـ یتأخّرون عنها.إلی قوله:فیفردوها .معنی التخلیه الّتی نهاهم عنها، و قوله:فیسلموها و یفردوها.نصب الفعلان بإضمار أن عقیب الفاء فی جواب النفی .

التاسع:قوله: أجزء امرؤ قرنه.

العاشر: آسی أخاه بنفسه فعلان ماضیان فی معنی الامر،و التقدیر و لیجزی امرؤ قرنه و هو خصمه و کفوه فی الحرب:أی لتقاومه و لیواس أخاه بنفسه فی الذبّ عنه و لا یفرّ من قرنه اعتمادا علی أخیه فی دفعه فیجتمع علی أخیه قرنه و قرن أخیه.

ثم ذکّرهم عدم الفائده فی الفرار.إذ کانت غایه الفرار السلامه من الموت و هو لا بدّ منه کقوله تعالی «قُلْ لَنْ یَنْفَعَکُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا ـ تُمَتَّعُونَ إِلاّ ـ قَلِیلاً» (1)استعاره و استعار لفظ سیف الآخره للموت.و وجه المشابهه کونهما مبطلین للحیاه.و إنّما کان سیف الآخره لأنّها غایته .ثمّ مدحهم بأوصاف یستقبح معها الفرار، و هی کونهم أجود العرب و السنام الأعظم ، استعاره و استعار لهم لفظ السنام لمشارکتهم إیّاه فی العلوّ و الرفعه .ثمّ أکّد تقبیح الفرار بذکر معایبه،و أنّه لا فائده فیه أیضا:أمّا معایبه فکونه یستلزم غضب اللّه فإنّ الفارّ من الجهاد فی سبیله عاص لأمره و العاصی له مستحقّ لغضبه و عقابه .ثمّ کونه مستلزما للذّل اللازم و العار الباقی فی الأعقاب و هو ظاهر ،و أمّا أنّه لا فائده فیه فلأنّ الفارّ لا یزاد فی عمره لفراره.

إذ علمنا أنّه بفراره لم یبلغ إلاّ أجله المکتوب له فکان بقائه فی مدّه الفرار من عمره لازیاده فیه و إنّ له یوما فی القضاء الإلهیّ لا یحجز بینه و بینه فرار.و فیه تخویف بالموت .و قوله: رائح إلی اللّه کالظمآن یرد الماء .استفهام عمّن یسلک سبیل اللّه و یروح إلیه کما یروح الظمآن استفهاما علی سبیل العرض لذلک الرواح، و وجه الشبه القوّه فی السیر و السعی الحثیث ، مجاز تسمیه باسم غایته و أشار بقوله: الجنّه تحت أطراف العوالی .إلی أنّ مطلوبه الرواح إلی اللّه بالجهاد و جذب إلیه بذکر الجنّه،و خصّها بجهه تحت لأنّ دخول الجنّه غایه من الحرکات بالرماح فی سبیل اللّه و تلک الحرکات

ص:125

1- 1) 16-33.

إنّما هی تحت العوالی،و قد أطلق لفظ الجنّه علی تلک الأفعال الّتی هی غایه منها مجازا تسمیه باسم غایته .ثمّ أعقب ذلک بدعاء اللّه علی محاربیه إن ردّوا دعوته الحقّ بالتفریق و الإهلاک .ثمّ حکم بأنّهم لن یزولوا عن مواقفهم دون ما ذکر حکما علی سبیل التهدید و الوعید لهم.و الطعن الدراک:المتدارک. کنایه و کنّی بخروج النسیم منه عن کونه بخرق الجوف و الأمعاء بحیث یتنفّس المطعون من الطعنه ، و روی النسم،و روی القشم بالقاف و الشین المعجمه و هو اللحم و الشحم و هو بعید.

و باللّه التوفیق.

۱۲۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فی التحکیم

إِنَّا لَمْ نُحَکِّمِ الرِّجَالَ- وَ إِنَّمَا حَکَّمْنَا؟الْقُرْآنَ؟ هَذَا؟الْقُرْآنُ؟- إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَیْنَ الدَّفَّتَیْنِ- لاَ یَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ- وَ إِنَّمَا یَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ- وَ لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ- إِلَی أَنْ نُحَکِّمَ بَیْنَنَا؟الْقُرْآنَ؟- لَمْ نَکُنِ الْفَرِیقَ الْمُتَوَلِّیَ- عَنْ کِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَی- وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرَّسُولِ» - فَرَدُّهُ إِلَی اللَّهِ أَنْ نَحْکُمَ بِکِتَابِهِ- وَ رَدُّهُ إِلَی؟الرَّسُولِ؟ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ- فَإِذَا حُکِمَ بِالصِّدْقِ فِی کِتَابِ اللَّهِ- فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ- وَ إِنْ حُکِمَ بِسُنَّهِ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- فَنَحْنُ أَوْلاَهُمْ بِهِ- وَ أَمَّا قَوْلُکُمْ- لِمَ جَعَلْتَ بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُمْ أَجَلاً فِی التَّحْکِیمِ- فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِکَ لِیَتَبَیَّنَ الْجَاهِلُ- وَ یَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ- وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ یُصْلِحَ فِی هَذِهِ الْهُدْنَهِ- أَمْرَ هَذِهِ

ص:۱۲۶

الْأَمَّهِ- وَ لاَ تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا- فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ- وَ تَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ- إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ- مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ- وَ إِنْ نَقَصَهُ وَ كَرَثَهُ مِنَ الْبَاطِلِ- وَ إِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَ زَادَهُ- فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ- وَ مِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ- اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى- عَنِ الْحَقِّ لاَ يُبْصِرُونَهُ- وَ مُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ لاَ يَعْدِلُونَ بِهِ- جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ- نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ- مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا- وَ لاَ زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا- لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ- أُفٍّ لَكُمْ- لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً يَوْماً أُنَادِيكُمْ- وَ يَوْماً أُنَاجِيكُمْ- فَلاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ- وَ لاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ أقول:هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لأمر الحكمين و خدعه عمرو بن العاص لأبى موسى.

اللغه

كرثه الأمر. اشتدّ عليه .و أوزع له بكذا فهو موزع: إذا أغرى به .و نكّب بتشديد الكاف: جمع ناكب و هو العادل عن الطريق كباذل و بذّل .و زوافر الرجل:

أنصاره و عشيرته .و الحشّاش: جمع حاشّ و هو موقد النار،و كذلك الحشاش بكسر الحاء و تخفيف الشين كنائم و نوّام و نيام،و قيل:هو ما يحشّ به النار:أى يوقد .

و البرح بسكون الراء: الشدّه و الأذى.يقال:لقيت منه برحا بارحا،و روى ترحا و هو الحزن .

المعنى

و هذا الفصل من أوله.إلى قوله: أولاهم به .جواب له عن شبهه التحكيم للخوارج عن أمره بالحرب بعد أن رضى بالتحكيم.و تقدير الشبهه أنّك رضيت بتحكيم رجلين فى هذا الأمر و عاهدت على ذلك،و كلّ من رضى بأمر و عاهد عليه فليس له أن ينقض عهده .فقدح فى صغرى هذه الشبهه بقوله: إنّا لم نحكّم الرجال :

أی لکونها رجالا، و إنّما حکّمنا القرآن لکن لمّا کان القرآن لا بدّ له من ترجمان یبیّن مقاصده ،و دعانا القوم إلی حکم القرآن و لم نکن نحن الفریق الکاره لکتاب اللّه،المتولّی عنه بعد أمره تعالی بالرجوع إلیه و إلی رسوله فی الکتاب و السنّه فیما اشتبه أمره بقوله «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ» الآیه .فإذا حکم بالصدق عن علم بکتابه فنحن أحقّ الناس به:أی أولاهم باتّباعه و أولاهم بأن ینصّ علی کون الأمر لنا کما فی قوله تعالی «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ» .إلی قوله: «حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» (۱)و ظاهر کون اولئک بعد عقد الإمامه بغاه علیه فوجب بنصّ الکتاب قتالهم، و کذلک الآیات الدالّه علی وجوب الوفاء بالعهود و العقود و کان هو أولی بالحقّ الّذی یجب قتالهم علیه فکان الحاکم لهم مخطئا مخالفا لکتاب اللّه غیر عامل به فوجبت مخالفه حکمه ،و إن حکم بسنّه رسول اللّه فنحن أولی الناس برسول اللّه للقرابه و للعمل بسنّته لموافقتها الکتاب و نصّه علی وجوب متابعه الإمام العادل فکان الحاکم لغیره مخالفا للسنّه أیضا.فصارت خلاصه هذا الجواب أنّا لم نرض بتحکیم الرجلین و لکن بتقدیر حکمهما بکتاب اللّه الّذی هما ترجمان عنه و هو الحاکم الّذی دعانا الخصم إلیه و حیث خالفاه لم یجب علینا قبول قولهما .

و قوله :و أمّا قولکم.إلی قوله:لأوّل الغیّ.

فتقدیر سؤال آخر لهم مع جوابه،و ذلک أنّهم حین اتّفقوا علی التحکیم کتبوا کتاب الصلح و ضربوا لحکم الحکمین أجلاً مدّه سنه،و صوره الکتاب:هذا ما تقاضی علیه علیّ بن ابی طالب و معاویه بن أبی سفیان قاضی علیّ بن أبی طالب علی أهل العراق و من کان معه من شیعته من المؤمنین و المسلمین،و قاضی معاویه بن أبی سفیان علی أهل الشام و من کان من شیعته من المؤمنین و المسلمین إنّما ننزل عند حکم اللّه تعالی و کتابه و لا یجمع بیننا إلا إیّاه،و إنّ کتاب اللّه سبحانه بیننا من فاتحته إلی خاتمته نحیی ما أحیی القرآن و نمیت ما أمات القرآن.فإن وجد الحکمان ذلک فی کتاب اللّه اتّبعاه،و إن لم یجداه أخذا بالسنّه العادله غیر المفرّقه،

۱- ۱) ۹-۴۹.

و الحكمان عبد اللّه و عمرو بن العاص،و قد أخذ الحكمان من علىّ و معاويه و من الجندين أنّهما آمنان على أنفسهما و أموالهما و الامّه لهما أنصار،و على الّذى يقضيان عليه و على المؤمنين و المسلمين من الطائفتين عهد اللّه أن يعمل بما يقضيان عليه ممّا وافق الكتاب و السنّه،و إنّ الأمن و الموادعه و وضع السلاح متّفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم،و على كلّ واحد من الحكمين عهد اللّه ليحكمنّ بين الأمّه بالحقّ لا بما يهوى،و أجل الموادعه سنه كامله فإن أحبّ الحكمان أن يعجّلا الحكم عجّلاه،و إن توفّى أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لا يألو الحقّ و العدل و إن توفّى أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممّن يرتضون أمره و يحمدون طريقته.اللّهم إنّا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصحيفه و أراد فيها إلحادا و ظلما.

و شهد فيه من أصحاب علىّ عليه السّلام عشره،و من أصحاب معاويه عشره.فذلك معنى الأجل فى التحكيم.و تقدير هذا السؤال إنّك حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينك و بينهم أجلا،و ما الحكمه فى ذلك .فأجاب إنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل :

أى فى وجه الحقّ، و يتثبّت العالم :أى فى أمره بحيث يخلص من الشبهه ،و رجاء إصلاح هذه الامّه بهذا الصلح .

استعاره و قوله: و لا تؤخذ بأكظامها فتعجل.إلى آخره.

فعبّر بأخذ الكظم عن الأخذ بغته و على غرّه،و هؤلاء القوم لمّا أخذوا لأوّل شبهه عرضت من رفع المصاحف و هو أوّل الغىّ و لم يتثبّتوا فى أمرهم أشبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم يتمكّن من الاستراحه إلى التنفيس فاستعير وصف الكظم لهم .

و قوله: إنّ أفضل الناس.إلى قوله:و زاده.

جذب إلى الحقّ و إن أدّى إلى الغايه المذكوره و تنفير عن الباطل و إن استلزم الغايه المذكوره بذكر الأفضليّه عند اللّه.

و قوله: من الباطل .متعلّق بأحبّ إليه.

و قوله: و إن نقصه و كرثه .

اعتراض بينهما.و الحكم فى هذه القضيّه ظاهر الصدق.إذ كان ملازم الحقّ

أتقى الخلق،و الأتقى أفضل عند اللّه تعالى كما قال تعالى «إِنَّ أَكْرَمَكَمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ » (۱).

و قوله: فأين يتاه بكم؟ يريد إلى أىّ غايه يكون هذا التيه الّذى أخذتم فيه،و فيه تنبيه على أنّ ذلك التيه فعل الغير بهم . و من أين اتيتم؟ :أى من أىّ وجه دخلت عليكم الشبهه.و يشبه هذا السؤال تجاهل العارف.إذ كان يعلم وجه الداخل عليهم .ثمّ أعقب ذلك التعنيف لهم بالأمر بالمسير إلى أهل الشام.و وصفهم بالحيره عن الحقّ و العمى عنه و الإغراء بالجور عن طريق اللّه بحيث لا مثل للجور عندهم،و بجفاوه الطباع عن فهم كتاب اللّه و نبوء الأفهام عنه و بعدولهم عن طريقه كلّ ذلك إغراء بهم .

و قوله: ما أنتم بوثيقه:أى بعروه وثيقه.إلى آخره و هو عتاب لهم و تضجّر منهم على قلّه طاعته .

و قوله: يوما اناديكم.

أى أدعوكم إلى النصره و أستغيث بكم، و يوما اناجيكم :أى اعاتبكم و اجادلكم على تقصيركم .

و قوله فلا أحرار صدق عند النداء.

لأنّ الحرّ من شأنه إجابه الداعى و الوفاء بالوعد و لستم كذلك ، و لا إخوان ثقه عند النجاء لأنّ أخا الثقه إذا زلّ و عوتب من أخيه انعتب،و إذا أحوج و اعتذر إليه رجع إلى صفاء الاخوّه لمكان وثاقتها و لستم من ذلك فى شىء.و باللّه التوفيق.

۱۲۴-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لما عوتب على التسويه فى العطاء

أَ تَأْمُرُونِّى أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ- فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ- وَ اللّهِ لاَ أَطُورُ بِهِ

۱- ۱) ۱۳-۴۹.

مَا سَمَرَ سَمِيرٌ- وَ مَا أَمَّ نَجْمٌ فِی السَّمَاءِ نَجْماً- لَوْ كَانَ الْمَالُ لِی لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ- فَكَيْفَ وَ إِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ- أَلَا وَ إِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِی غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَ إِسْرَافٌ- وَ هُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِی الدُّنْيَا- وَ يَضَعُهُ فِی الْآخِرَهِ- وَ يُكْرِمُهُ فِی النَّاسِ وَ يُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ- وَ لَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِی غَيْرِ حَقِّهِ وَ لاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ- إِلاَّ حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ- وَ كَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ- فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً- فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَلِيلٍ- وَ أَلْأَمُ خَدِينٍ

اللغه

أقول: لا أطور به: أى لا أقرّبه .و السمير: الدهر.يقال:لا أفعله ما سمر سمير:

أى الدهر كلّه،و كذلك لا أفعله ما سمر ابنا سمير:أى الدهر كلّه ،و ابناه: الليل و النهار .و الخدين: الصديق .

المعنى

و التسويه فی العطاء من سنّه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان أبو بكر كذلك على تلك السنّه فلمّا فضّل من بعدهما أهل السابقه و الشرف فی العطاء على غيرهم اعتاد المفضّلون بذلك إلى زمانه عليه السّلام و لمّا كان سالكا مسالك الرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مقتفيا أثر سنّته لم يمكنه إلاّ التسويه فطلب المفضّلون عادتهم من التفضيل عند ولايته لهذا الأمر فقال الكلام .

فقوله: أ تامرونّی أن أطلب النصر بالجور، جواب لمن أشار عليه بالتفضيل،و كأنّ المشير قال له:إن فضّلت هؤلاء كانوا معك بقلوبهم و نصروك.فأجابهم بذلك.و الجور:العدول عن سبيل اللّه بالتفضيل حيث كان خارجا عن سنّه الرسول .ثمّ أقسم أنّه لا يقرب التفضيل أبدا،و أنّ المال لو كان له لكان من العدل أن يسوّى بينهم فيه فكيف و المال للّه و لهم،و وجه ذلك أنّ التسويه هی العدل الّذی تجتمع به النفوس على النصره و تتألّف الهمم على مقاومه العدوّ دون التفضيل

ص:۱۳۱

المستلزم لانكسار قلوب المفضولين مع كثرتهم.فلو كان المال له مع كونه بطباع البشريّه الميّاله إلى شخص دون شخص لم يسوّ بينهم فكيف و المال للّه الّذى تساوى نسبه الخلق إليه و ما لهم الّذى فرضه اللّه لهم على سواء،و هو كالاعتذار الحاسم لمادّه الطمع فى التفضيل .

ثمّ نبّه على قبح وضع المال فى غير أهله و على غير وجهه.و غير أهله:هم غير المفروض لهم،و غير وجهه:غير حقّه الّذى يفرضه الشارع،و أشار إلى وجوه المفاسد ففى غير أهله تبذير،و فى غير وجهه إسراف،و عرفت أنّهما طرفا الإفراط و التفريط من فضيله السخاء .و قوله: يرفع صاحبه فى الدنيا.

أى يحصل له بالتبذير ذكر الكرم بين العوامّ و الغاغه،و من لا يعرف حقيقه الكرم، و يضعه فى الآخره .إذ كان به على رذيله ،و كذلك يكرمه عند الناس و يهينه عند اللّه ،و أمّا حكمه عليه السّلام بأنّ الواضع لماله فى غير حقّه و عند غير أهله محروم شكرهم و لغيره ودّهم و على تقدير وقوع الزلّه منه الّتى يحتاج فيها إلى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك أمر يحصل بالاستقراء و ربّما بلغ التجربه،و أمّا سرّ ذلك فيحتمل أن يكون لأنّهم لمّا كانوا غير أهل لوضع المعروف لم يكونوا أهلا للاعتراف به إمّا لجهلهم و غفلتهم أو لاعتقادهم أنّ المسدى إليهم غير أهل لشكرهم،و أنّهم على مرتبته و أحقّ بالمال منه.و أكثر ما يكون عدم الشكر من هؤلاء لنظر كلّ منهم إلى أنّ غيره من المسدى إليه غير أهل،و أنّه هو أحقّ فيرى نفسه دائما مبخوس الحظّ من باذل المعروف فلا يزال متسخّطا عاتبا عليه ذامّا للزمان،و حينئذ لا يتحقّق اعترافه بنعمه الباذل فإذا أصابه من غيره أدنى معروف أو لم يصبه بل سمع مدح أحد و شكر الناس له ساعد على مدحه و أظهر فضله،و قال:إنّه ممّن يضع المعروف فى أهله فيكون ذلك كالمستنهض لهمه الباذل أو كالمزرى عليه و المغاير له،و كنّى بزلّ النعل عن خطائه و عثاره فى المصائب.و باللّه التوفيق.

۱۲۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أيضا للخوارج.

ص:۱۳۲

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّی أَخْطَأْتُ وَ ضَلَلْتُ- فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّهَ أُمَّهِ؟مُحَمَّدٍ ص؟ بِضَلَالِی- وَ تَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَئِی- وَ تُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِی- سُیُوفُكُمْ عَلَی عَوَاتِقِكُمْ- تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَ السُّقْمِ- وَ تَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ یُذْنِبْ- وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ رَجَمَ الزَّانِیَ الْمُحْصَنَ- ثُمَّ صَلَّی عَلَیْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ- وَ قَتَلَ الْقَاتِلَ وَ وَرَّثَ مِیرَاثَهُ أَهْلَهُ- وَ قَطَعَ السَّارِقَ وَ جَلَدَ الزَّانِیَ غَیْرَ الْمُحْصَنِ- ثُمَّ قَسَمَ عَلَیْهِمَا مِنَ الْفَیْءِ وَ نَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ- فَأَخَذَهُمْ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِذُنُوبِهِمْ- وَ أَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِیهِمْ- وَ لَمْ یَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ- وَ لَمْ یُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَیْنِ أَهْلِهِ- ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ- وَ مَنْ رَمَی بِهِ الشَّیْطَانُ مَرَامِیَهُ وَ ضَرَبَ بِهِ تِیهَهُ- وَ سَیَهْلِكُ فِیَّ صِنْفَانِ- مُحِبٌّ مُفْرِطٌ یَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَی غَیْرِ الْحَقِّ- وَ مُبْغِضٌ مُفْرِطٌ یَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَی غَیْرِ الْحَقِّ- وَ خَیْرُ النَّاسِ فِیَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ- وَ الْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ- فَإِنَّ یَدَ اللَّهِ عَلَی الْجَمَاعَهِ- وَ إِیَّاكُمْ وَ الْفُرْقَهَ- فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّیْطَانِ- كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ- أَلَا مَنْ دَعَا إِلَی هَذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ- وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِی هَذِهِ- فَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِیُحْیِیَا مَا أَحْیَا؟الْقُرْآنُ؟- وَ یُمِیتَا مَا أَمَاتَ؟الْقُرْآنُ؟-

ص:۱۳۳

وَ إِحْيَاؤُهُ الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ- وَ إِمَاتَتُهُ الِافْتِرَاقُ عَنْهُ- فَإِنْ جَرَّنَا؟الْقُرْآنُ؟ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ- وَ إِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا- فَلَمْ آتِ لاَ أَبَا لَكَمْ بُجراً- وَ لاَ خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ- وَ لاَ لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ- إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ- أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَلاَّ يَتَعَدَّيَا؟الْقُرْآنَ؟ فَتَاهَا عَنْهُ- وَ تَرَكَا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ- وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ- وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَهِ بِالْعَدْلِ- وَ الصَّمْدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا

اللغه

أقول: البجر: الشرّ و الأمر العظيم .و الختل: الخديعه .و الصمد: القصد .

المعنى

و هذا الفصل مشاجره مع الخوارج و هو منع لشبههم الّتى بها كفّروا أصحابه عليه السّلام و صورتها إنّكم ضللتم بالتحكيم،و كلّ ضالّ كافر ينتج أنّهم كفّار .

فقوله: فإن أبيتم.إلى قوله:و ضللت.

يجرى مجرى تسليم جدل لما منعه أوّلا-فى الفصول السابقه من صغرى شبههم و بين أنّ التحكيم لم يكن منه خطأ و لا ضلالا.فكأنّه يقول:وهب أنى أخطأت كما زعمتم .

و قوله: فلم تضلّلون عامّه امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضلالى.

منع لصغرى هذه الشبهه .

و قوله: و تكفّرونهم بذنوبى.إلى قوله:بمن لم يذنب.

منع للكبرى.فكأنّه يقول:و هب أنّكم ضلّلتموهم بضلالى فلم تكفّرونهم، و تقتلون بسبب تكفيرهم المذنب و غير المذنب .

و قوله: و قد علمتم.إلى قوله:بين أهله.

استشهاد عليهم بفعل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيمن أخطأ،و أنّه لم يكفّرهم بذنوبهم بل أجرى عليهم أحكام الإسلام،و لم يسلبهم اسمه،و هذا الاستشهاد يجرى مجرى

ذکره مستند المنع.و الزانی الّذی رجمه هو المحصن،و لم یمنعه استحقاقه الرجم صدق الإسلام علیه و لحوق أحکامه له من الصلاه علیه و توریث ماله لأهله ،و کذلک الباقون من أهل الکبائر من الأمّه لم یمنعهم ذلک من إجراء أحکام الإسلام علیهم، و صدق اسمه المنافی لصدق الکفر علیهم،و ضمیر الاثنین فی نکحا یرجع إلی السارق و الزانی:أی لم یمنعهم استحقاق القطع و الجلد من حصّتهما من الفیء و لا من نکاح المسلمات ،و ضمائر الجمع فی قوله:فأخذهم اللّه بذنوبهم.إلی قوله:بین أهله راجعه إلی کلّ من جری ذکره من المذنبین،و الکلام المذکور حکایه لحالهم، و الضمیر فی أهله یرجع إلی الإسلام .ثمّ لمّا فرغ من بیان غلطهم ذمّهم و نسبهم إلی الانفعال عن الشیطان.إذ کانت وساوسه مبادی الأغلاط و الشبه .ثمّ عقّب ذلک بالإخبار عن هلاک من سلک طریق الإفراط فی حبّه أو بغضه لخروجهما عن الحقّ و العدل إلی الباطل و الجور،و إفراط الحبّ أن جعل إلهاً کالمنسوب إلی النصیریّه و نحوهم من الغلاه،و إفراط البغض أن نسب إلی الکفر کالمنقول عن الخوارج ، و جعل خیر الناس فیه حالاً-النمط الأوسط فی المحبّه،و هم أهل العدل فیه.و النمط الأوسط الجماعه من الناس أمرهم واحد،و فی الحدیث خیر هذه الامّه النمط الأوسط یلحق بهم التالی و یرجع إلیهم الغالی.فالتالی هو المقصّر الواقف فی طرف التفریط، و الغالی هو العابر إلی طرف الإفراط.و أمر بلزوم ذلک النمط و لزوم طریقه السواد الأعظم:أی أکثر المسلمین المتّفقین علی رأی واحد،و رغّب فی لزوم طریقتهم بأنّ ید اللّه علی الجماعه فتجوّز بلفظ الید فی قدره اللّه و حراسته للجماعه.إذ کانوا أمنع و أبعد عن الانفعال للعدوّ،و آمن من الغلط و الخطاء لکثره آرائهم و اتّفاقها فلا تکاد تتّفق علی أمر لا مصلحه فیه مع کثرتها و اختلافها ،و حذّر من الفرقه و الشذوذ عن الجماعه بأنّ الشاذّ من الناس:أی المتفرّد المستبدّ برأیه للشیطان:

أی محلّ تطرّق الشیطان لانفراده،و شبّه ذلک بالشاذ من الغنم،و وجه الشبه کون انفراده محلاً-لتطرّق الهلاک إلیه باستغواء الشیطان له کمان أنّ الشاه المنفرده فی مظنّه الهلاک لانفرادها و وحدتها للذئب .ثمّ أمر بقتل من دعا إلی هذا الشعار

و هو مفارقه الجماعه و الاستبداد بالرأی.

کنایه و قوله: و لو کان تحت عما متی هذه.

مبالغه فی الکلام کنّی بها عن أقصی القرب من عنایته:أی و لو کان ذلک الداعی إلی هذا الحدّ من عنایتی به ،و قیل:أراد و لو کان ذلک الداعی أنا.

مجاز و قوله : و إنّما حکّم الحکمان.

اعتذار عن شبهه التحکیم،و أسند إلیهما لفظی الإحیاء و الإماته مجازا باعتبار کونهما فی الاجتماع علیه و العمل به مظهرین لمنفعته و فایدته کما یفعله موجد الحیاه،و کونهما فی ترکه و الإعراض عنه سببا لبطلان منفعته و عدم منفعته کما یفعله ممیت الشیء و مبطل حیاته .

فلم آت-لا أبالکم-بجراً:إلی آخر.

لمّا بیّن وجه عذره فی التحکیم أنکر أن یکون فعله ذلک مشتملا علی قصد شرّ أو خدیعه لهم أو تلبیسا علیهم فی التحکیم من غیر اتّفاق منهم و مراجعه لهم بل إنّما کان ذلک عن اجتماع آراء قومهم علی اختیار حکمین اخذت علیهما الشرائط المعدوده فی کتاب الصلح،و فی نسبته اختیار الحکمین إلی ملائهم،و نسبه أخذ العهد علیها فی اتّباع الکتاب إلی نفسه أو إلی جماعه هو أحدهم تنبیه علی أنّ أخذ العهد علیهما کان منه أو بشرکته دون تعیینهما للحکومه لما نقل إنّه کان غیر راض بنصب أبی موسی نائبا عنه،و إنّما اکره علی ذلک و کان میله و اختیاره فی ذلک لابن عبّاس.

و تلخیص الکلام:أنّا إنّما رضینا بالحکمین بشرط أن یعملا بکتاب اللّه،و المشروط بشرط عدم عند عدم ذلک الشرط .فحیث خالفا الشرط عمدا بعد أن سبق استثناؤنا علیهما سوء رأیهما وجبت مخالفتهم.و انتصب سوء رأیهما لأنّه مفعول به عن سبق.و باللّه التوفیق و العصمه.

۱۲۶-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

فیما یخبر به عن الملاحم بالبصره

یَا؟أَحْنَفُ؟ کَأَنِّی بِهِ وَ قَدْ سَارَ بِالْجَیْشِ- الَّذِی لاَ یَکُونُ لَهُ غُبَارٌ وَ لاَ

لَجبٌ- وَ لاَ قَعْقَعَهُ لُجُم وَ لاَ حَمْحَمَهُ خَيْلٍ- يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ- كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ يومئ بذلك إلى؟صاحب الزنج؟ثُمَّ قَالَ ع- وَيْلٌ لِسِـكَكِكُمُ الْعَامِرَهِ وَ الـدُّورِ الْمُزَخْرَفَهِ- الَّتِي لَهَا أَجْنِحَهٌ كَأَجْنِحَهِ النُّسُورِ- وَ خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَهِ- مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لاَ يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ- وَ لاَ يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ- أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا- وَ قَادِرُهَا بِقَدْرِهَا وَ نَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا

اللغه

أقول: الملحمه: الوقعه العظيمه .

المعنى

و هذا الفصل من خطبه له عليه السّلام بالبصره بعد وقعه الجمل ذكرنا منها فصولا فيما سبق،و الخطاب مع الأحنف بن قيس لأنّه كان رئيسا ذا عقل و سابقه فى قومه، و كان اسمه صخر بن قيس بن معاويه بن حصن بن عباد بن مرّه بن عبيد بن تميم، و قيل:اسمه الضحّاك،و كنيته أبو بحر.و بسببه كان إسلام بنى تميم حين دعاهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يجيبوا.فقال لهم الأحنف:إنّه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق و ينهاكم عن ملاعبها فأسلموا.و أسلم الأحنف و شهد مع علىّ عليه السّلام صفّين و لم يشهد الجمل مع أحد الفريقين،و الضمير فى قوله : كأنّى به .لصاحب الزنج و اسمه علىّ بن محمّد علوىّ النسب،و الجيش المشار إليه هم الزنج،و واقعتهم بالبصره مشهوره و أخبارهم و بيان أحوالهم و تفصيل واقعتهم يشتمل عليها كتاب منفرد فى نحو من عشرين كرّاسه فليطلب علمها من هناك ،و أمّا وصف ذلك الجيش بالأوصاف المذكوره فلأنّ الزنج لم يكونوا أهل خيل و لا جند من قبل حتّى يكون بالأوصاف المشار إليها، استعاره بالكنايه و إثارتهم التراب بأقدامهم كنايه عن كونهم حفاه فى الأغلب سائرين بالأقدام فهى[من اعتياد الحفاه-خ-]باعتبار الحفاء و مباشره الأرض بالخشب و نحوه فكانت مظنّه إثاره التراب عوضا من حوافر الخيل،و وجه شبهها بأقدام النعام أنّ أقدامهم فى الأغلب قصار

عراض منتشره الصدور و مفرّقات الأصابع فهى من عرضها لا يتبيّن لها طول فأشبهت أقدام النعام فى بعض تلك الأوصاف ، استعاره ثمّ أخبر بالويل لمحالّ البصره و دورها المزوّقه من اولئك،و استعار لدورها لفظ الأجنحه ،و أراد بها القطانيّات الّتى تعمل من الأخشاب و البوارى بارزه عن السقوف كالوقايه للمشارف و الحيطان عن آثار الأمطار و هى أشبه الاشياء فى هيئتها و صوره وضعها بأجنحه كبار الطير كالنسور ،و كذلك استعار لفظ خراطيم الفيله للميازيب الّتى تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل و تطلى بالقار يكون نحوا من خمسه أزرع أو أزيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان من أذى السيل أيضا،و هى أشبه الأشياء فى صورتها بخراطيم الفيله ،و أمّا وصفه لهم بأنّه لا يندب قتيلهم و لا يفتقد غايبهم.قال بعض الشارحين:ذلك وصف لهم بشدّه البأس و الحرص على الحرب و القتال و أنّهم لا يبالون بالموت و لا يأسفون على من فقد منهم.

و أقول:و الأشبه أنّ ذلك لكونهم لا اصول لهم و لا أهل لأكثرهم من امّ أو أخت أو غير ذلك ممّن عادته أن ينوح و يندب قتيله و يفتقد غائبه لكون أكثرهم غرباء فى البصره فمن قتل منهم لا يكون له من يندبه و من غاب لا يكون له من يفتقده.

و قوله : أنا كابّ الدنيا لوجهها.

إشاره إلى زهده فيها،و تنبيه على فضيلته.يقال:كببت فلانا لوجهه إذا تركته و ما التفت إليه ، و قادرها بقدرها :أى معامل لها بمقدارها،و لمّا كان مقدارها حقيرا عنده كان التفاته إليها التفاتا حقيرا حسب ضروره البقاء فيها،و كذلك ناظرها بعينها :أى معتبرها بالعين الّتى ينبغى أن تعتبر بها الدنيا من كونها غرّاره غدّاره حائله إلى غير ذلك من أوصافها،و أنّها مزرعه الآخره و طريق إليها غير مطلوبه لذاتها.و باللّه التوفيق.

١٢٧-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

يؤمى به إلى وصف الأتراك

ص:١٣٨

كَأَنِّى أَرَاهُمْ قَوْماً- كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَهُ- يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَ الدِّيبَاجَ- وَ يَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ- وَ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ- حَتَّى يَمْشِىَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ- وَ يَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ- فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ- لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ عِلْمَ الْغَيْبِ- فَضَحِكَ ع وَ قَالَ لِلرَّجُلِ وَ كَانَ كَلْبِيّاً يَا أَخَا؟كَلْبٍ؟ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ- وَ إِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِى عِلْمٍ- وَ إِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَهِ- وَ مَا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ- «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ» الْآيَهَ- فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِى الْأَرْحَامِ- مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ قَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ- وَ سَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ- وَ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ- وَ مَنْ يَكُونُ فِى النَّارِ حَطَباً- أَوْ فِى الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً- فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِى لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ- وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ- عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ ص فَعَلَّمَنِيهِ- وَ دَعَا لِى بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِى- وَ تَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِى

اللغه

أقول: المجانّ بالفتح: جمع مجنّ بكسر الميم و هو الترس .و المطرقه بفتح الراء و التخفيف: الّتى تطبق و تخصف كطبقات النعل.يقال:أطرقت بالجلد إذا ألبست .

و السرق بفتح السين و الراء: شقق الحرير واحدتها سرقه.قال أبو عبيده:هى البيض منها،و هو فارسىّ معرّب أصله سره:أى جيّد كالاستبرق الغليظ من الديباج .

و يعتقبون الخيل: يحتبسونها و يرتبطونها .و استحرّ القتل و حرّ: أى اشتدّ .

المعنى

تشبيه و اعلم أنّه عليه السّلام من عادته إذا أراد الإخبار عن أمر سيكون فإنّه يصدّره بقوله: كأنّى كما سبق من إخباره عليه السّلام عن الكوفه كأنّى بك يا كوفه،و كقوله:

كأنّى به و قد نعق بالشام.و وجه ذلک أنّ مشاهدته بعين بصيرته لمّا افيض على نفسه القدسيّه من أنوار الغيب على سبيل الإلهام بواسطه الاستاد المرشد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تشبّه المشاهده بعين البصر فى الجلاء و الظهور الخالى عن الشکّ فلذلک حسن حرف التشبيه صدرا ،و ضماير الجمع فى الفصل تعود إلى الأتراک،و شبّه وجوههم بالتروس المطبقه،و وجه الشبه فى تشبيهها بالتروس الاستداره و العظم و الانبساط،و فى كونها مطرقه الخشونه و الغلظه و هو تشبيه للمحسوس بالمحسوس ،و أمّا وصفه لهم بمراعاه لبس السرق و الديباج،و اعتقاب الخيل فاعتبار أحوال الترک تشهد بصدقه ، و أمّا إخباره عن استحرار القتل إلى الغايه المذكوره حين ظهورهم فممّا يشهد بصدقه التواريخ بالوقايع المشهوره بينهم و بين العرب و غيرهم من المسلمين فى أيّام عبد اللّه بن الزبير،و فى أيّام قتيبه بن مسلم،و يكفى فى صدق ذلک إلى الغايه المذكوره ما شهدناه من وقايع التتار مع المسلمين و قتلهم إيّاهم بالعراقين و خراسان و غيرها من البلاد فأمّا جوابه عليه السّلام للكلبىّ إنّ ذلک ليس بعلم غيب،و إنّما هو تعلّم من ذى علم،و تعديده للمعلومات بعلم الغيب الّذى لا يعلمها إلاّ اللّه سبحانه فحقّ و صدق،و قد نبّهنا على الفرق بين علم الغيب و الإخبار عن المغيبات فى المقدّمات لكن ينبغى أن يعلم أنّ التعلّم الحاصل له من قبل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم ليس على سبيل أنّ كلّ ما القى إليه صور جزئيّه و وقايع جزئيّه بل معناه هو إعداد نفسه القدسيّه على طول الصحبه من حيث كان طفلا إلى أن توفّى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لهذه العلوم بالرياضه التامّه،و تعليم كيفيّه السلوک و أسباب تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه حتّى استعدّت نفسه الشريفه للانتقاش بالامور الغيبيّه،و انتقشت فيها الصور الكلّيّه فأمكنه الإخبار عنها و بها،و لذلک قال: كنايه و دعا لى بأن يعيه صدرى و تضطمّ عليه جوانحى :أى يضبطه قلبى و يشتمل عليه،و كنّى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه و لو كانت تلک العلوم صورا جزئيّه لم يحتج إلى مثل هذا الدعاء فإنّ فهم الصور الجزئيّه و ضبطها و الإخبار عنها ممكن لكلّ الصحابه من العوامّ و غيرهم،و إنّما الصعب المحتاج إلى الدعاء بأن يعيه الصدر و يستعدّ الأذهان لقبوله

هو القوانين الكلّيه،و كيفيّه انشعابها و تفصيلها و أسباب تلك الامور المعدّه لإدراكها حتّى إذا استعدّت النفس بها أمكن أن ينتقش بالصور الجزئيّه من مفيضها كما سبقت الاشاره إليه.

١٢٨-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فی ذكر المكائيل و الموازين.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَ مَا تَأْمُلُونَ- مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ- وَ مَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ أَجَلٌ مَنْقُوصٌ- وَ عَمَلٌ مَحْفُوظٌ- فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ وَ رُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ- وَ قَدْ أَصْبَحْتُمْ فِی زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً- وَ الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالاً- وَ الشَّيْطَانُ فِی هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً- فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ- وَ عَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَ أَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ- اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ- فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً- أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَهَ اللَّهِ كُفْراً- أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً- أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً- أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَ صُلَحَاؤُكُمْ- وَ أَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَ سُمَحَاؤُكُمْ- وَ أَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِی مَكَاسِبِهِمْ- وَ الْمُتَنَزِّهُونَ فِی مَذَاهِبِهِمْ- أَ لَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً- عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّهِ- وَ الْعَاجِلَهِ الْمُنَغِّصَهِ- وَ هَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِی حُثَالَهٍ- لَا تَلْتَقِی بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ- اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ وَ ذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ- فَ «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» - ظَهَرَ

ص:١۴١

الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ- وَ لَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ- أَ فَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ- وَ تَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ- هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ- وَ لَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ- لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ- وَ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ

اللغه

أقول: أثوياء: جمع ثوىّ على فعيل و هو الضيف .و الدائب: المجدّ فى العمل .

و الكدح: العمل .و الوقر: الصمم .و الحثاله: الثقل،و كأنّه الردىّ من كلّ شيء .

المعنى

و قد نفّر عليه السّلام عن الدنيا بذكر عدّه من معايبها:

أحدها:

استعاره مرشحه كونهم فيها ضيفانا ،و استعار لهم لفظ الضيف و كذلك لما يأملون منها و وجه الاستعاره مشابهتهم للضيف فى تأجيل الإقامه و انقطاع وقته و قرب رحيله،و مؤجّلون ترشيح للاستعاره .

الثانيه:

استعاره مرشحه كونهم مدينون فيها ،و استعار لفظ المدين باعتبار وجوب الفرائض المطلوبه منهم و عهد اللّه المأخوذ عليهم أن يرجعوا اليه طاهرين عن نجس الملحدين، و رشّح بذكر المقتضين لما أنّ شأن المدين أن يقتضى فيه الدين .ثمّ لمّا ذكر كونهم مؤجّلين و مدينين كرّر ذكر الأجل بوصف النقصان،و لا شكّ فى نقصان ما لا يبقى، و ذكر العمل الّذى خالصه و صالحه هو الدين المقتضى منهم بوصف كونهم محفوظا عليهم ليجذب بنقصان الأجل إلى العمل،و بحفظ العمل إلى إصلاحه و الإخلاص فيه.

و أجل و عمل:خبران حذف مبتدئهما:أى أجلكم أجل منقوص،و عملكم عمل محفوظ .

و نبّه بقوله: فربّ دائب مضيّع،و ربّ كادح خاسر :أنّ العمل و إن قصد فيه الصلاح أيضا إلاّ أنّه قد يقع على وجه الغلط فيحصل بذلك انحراف عن الدين و ضلال عن الحقّ فيضيّع العمل و يخسر الكدح كدأب الخوارج و نحوهم فربما دخل الكادح فى قوله تعالى «هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ»

«يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً» (۱)و ذلک ککدح أهل الکتاب و نحوهم .

و قوله: و قد أصبحتم:إلی قوله:إقبالا.

شکایه للزمان و ذمّ له،و هو کقوله:إنّا قد أصبحنا فی زمن کنود،و دهر عنود.و ذلک لأخذ الزمان فی البعد عن وقت ظهور الشریعه و طراوتها و جرأه الناس علی هتک الدین و ارتکاب مناهی اللّه ،و کذلک طمع الشیطان فی هلاکهم:أی فی هلاک دینهم الّذی یکون غایته هلاکهم فی الآخره ،و أشار إلی أنّ ذلک الوقت هو أوان قوّه عدّته و عموم مکیدته و إمکان عمله فما ظنّک بزماننا هذا و ما بعده، استعاره و استعار لفظ الفریسه لمطاوعی الشیطان و المنفعلین عنه،و وجه الاستعاره بلوغه منهم مراده و تصریفه لهم لغایه هلاکهم کالأسد مع فریسته .

و قوله: اضرب بطرفک.إلی قوله:و قرا.

شرح لما أجمله أوّلا من ازدیاد إقبال الشرّ و إدبار الخیر،و کفر الغنیّ ترکه و إعراضه عن شکر نعم اللّه سبحانه علیه .

و قوله: بحقّ اللّه متعلّق بالبخل.

أی:أنّ البخیل یقصد ببخله بحقّ اللّه علی مستحقّه توفیر المال و الزیاده فیه .

تجاهل العارف و قوله: أین خیارکم:إلی قوله:مذاهبهم.

سؤال من باب تجاهل العارف تنبیها لهم علی ما صار و إلیه من الفناء و فراق الدنیا،و علی أنّه لم یبق فیهم من اولی الأعمال الصالحه أحد لعلّهم یرجعون إلی لزوم الأعمال الصالحه ،و أراد بالأحرار الکرماء ،و المتورّعون فی مکاسبهم الملازمون للأعمال الجمیله فیها من التقوی و المسالمه و إخراج حقوق اللّه تعالی ، و المتنزّهون فی مذاهبهم الممتنعون عن ولوج أبواب المحارم و الشبهات فی مسالکهم و حرکاتهم .

و قوله: أ لیس.إلی قوله:المنغّصه.

سؤال علی سبیل التقریر لما نبّههم علیه من فراق الدنیا و دناءتها بالنسبه

ص:۱۴۳

۱- ۱) ۱۰۴-۱۸.

إلى عظيم ثواب الآخره و تنغيصها بالآلام و نحوها حتّى قال بعض الحكماء:إنّ كلّ لذّه فى الدنيا فإنّما هى خلاص من ألم .

و قوله: و هل خلقتم.إلى قوله:عن ذكرهم.

سؤال على سبيل التقرير لما ذكر أيضا، استعاره و استعار لفظ الحثاله لرعاع الناس و همجهم.

و قوله: لا تلتقى بذمّهم الشفتان.

أى إنّهم أحقر من أن يشتغل الإنسان بذمّهم.و انتصب استصغارا و ذهابا على المفعول له ، اقتباس و حسن اقتباس القرآن هاهنا لما أنّ هذه الحال الّتى الناس عليها من فقد خيارهم و بقاء شرارهم مصيبه لحقتهم،و من آداب اللّه للصابرين على نزول المصائب أن يسلّموا أنفسهم و أحوالهم إليه فيقولوا عندها:إنّا للّه و إنّا إليه راجعون كما قال سبحانه «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ» الآيه .ثمّ حكم على سبيل التوجّع و الأسف بظهور الفساد و بنفى المنكر المغيّر للفساد المزدجر عنه تنبيها لهم على أنّهم و إن كان فيهم من ينكر و يزجر إلاّ أنّه لا يغيّر ما ينكره و لا يزدجر عن مثله،و ذلك من قبايح الأعمال و الرياء فيها .

و قوله: أ فبهذا.

أى بأعمالكم هذه المدخوله و بتقصيركم.و مجاوره اللّه:الوصول إليه و المقام معه فى جنّته الّتى هى مقام الطهاره عن نجاسات الهيئات البدنيّه و مقام تنزيه ذات اللّه تعالى و طهارتها عن اتّخاذ الشركاء و الأنداد،و هو استفهام على سبيل الإنكار و لذلك عقبّه بقوله: هيهات .إلى آخره،و لمّا كان ذلك يجرى مجرى الزهد الظاهر مع النفاق فى الباطن أعنى أعمالهم المدخوله من إنكار المنكر و ارتكابهم نبّههم على أنّ فعلهم كخداع اللّه عن جنّته،و صرّح بأنّ اللّه لا يخدع لعلمه بالسرائر و أنّه لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته:أى الطاعه الحقيقيّه الخالصه دون الظاهره .ثمّ ختم بلعن الآمرين بالمعروف مع تركهم للعمل به،و الناهين عن المنكر المرتكبين له لأنّهم منافقون مغرون بذلك لمن يقتدى بهم و النفاق مستلزم اللعن و البعد عن رحمه اللّه.و باللّه التوفيق.

ص:۱۴۴

۱۲۹-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لأبی ذر رحمه اللّه لما اخرج إلی الربذه

یَا؟أَبَا ذَرٍّ؟ إِنَّکَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ- إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوکَ عَلَی دُنْیَاهُمْ وَ خِفْتَهُمْ عَلَی دِینِکَ- فَاتْرُکْ فِی أَیْدِیهِمْ مَا خَافُوکَ عَلَیْهِ- وَ اهْرُبْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَیْهِ- فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَی مَا مَنَعْتَهُمْ- وَ مَا أَغْنَاکَ عَمَّا مَنَعُوکَ- وَ سَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً وَ الْأَکْثَرُ حُسَّداً- وَ لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرَضِینَ کَانَتَا عَلَی عَبْدٍ رَتْقاً- ثُمَّ اتَّقَی اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً- لَا یُؤْنِسَنَّکَ إِلَّا الْحَقُّ- وَ لَا یُوحِشَنَّکَ إِلَّا الْبَاطِلُ- فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْیَاهُمْ لَأَحَبُّوکَ- وَ لَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوکَ

المعنی

أقول:أبوذرّ:اسمه جندب بن جناده،و هو من بنی غفار قبیله من کنانه، و أسلم بمکّه و لم یشهد بدرا و لا الخندق لأنّه حین أسلم رجع إلی بلاد قومه فأقام حتّی مضت[قامت خ]هذه المشاهد.ثمّ قدم المدینه علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کانّ یتولّی علیّا و أهل بیته،و هو الّذی قال الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حقّه:ما أقلّت الغبراء و لا أظلّت الخضراء علی ذی لهجه أصدق من أبی ذرّ،و روی ابن المعمّر عنه قال:رأیت أباذرّ آخذا بحلقه باب الکعبه و هو یقول:أنا أبوذرّ الغفاریّ فمن لم یعرفنی فأنا جندب صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یقول:مثل أهل بیتی کمثل سفینه نوح من رکبها نجی و من تخلّف عنها غرق.و کان قد أخرجه عثمان إلی الربذه،و هی موضع قریب إلی المدینه.و اختلف فی سبب إخراجه فروی عن زید بن وهب أنّه قال:قلت لأبی ذرّ-رحمه اللّه علیه-و هو بالربذه:ما أنزلک هذا المنزل؟ قال:اخبرک أنّی کنت بالشام فی أیّام معاویه فذکرت قوله تعالی «وَ الَّذِینَ یَکْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّهَ وَ لا یُنْفِقُونَها فِی سَبِیلِ اللّهِ» الایه (۱)فقال معاویه هذه نزلت فی أهل

ص:۱۴۵

۱- ۱) ۳۴-۹.

الکتاب.قلت:بل فینا و فیهم.فکتب معاویه إلی عثمان یشکومنّی فی ذلک فکتب إلیّ أن أقدم علیّ فقدمت علیه فامثال الناس علیّ کأنّهم لم یعرفونی فشکوت ذلک إلی عثمان فخیّرنی فقال:أنزل حیث شئت فنزلت الربذه.و هذا قول من نزّه عثمان عن ظلم أبی ذرّ و نفیه.إذ کان خروجه إلی الربذه باختیاره،و قیل:بل کان یغلّظ القول فی إنکار ما یراه منکرا و فی حقّ عثمان،و یقول:لم تبق أصحاب محمّد علی ما عهد.و ینفرّ بهذا القول و أمثاله عنه.فأخرجه لذلک،و خطابه علیه السّلام لأبی ذرّ ألیق بالقول الثانی.

فقوله : إنّک عضبت للّه.

شهاده له أنّ إنکاره لما ینکره إنّما یقصد به وجه اللّه تعالی.

و قوله : إنّ القوم خافوک علی دنیاهم.

أی علی أمر الخلافه بالتنفیر عنهم، و خفتهم علی دینک باجتناب موافقتهم و أخذ عطائهم علی غیر السنّه.

و قوله : فاترک.إلی قوله:منعوک.

أی اترک لهم دنیاهم و انج بدینک فما أحوجهم إلی دینک و أغناک عن دنیاهم.

و قوله : ستعلم من الرابح غدا و الأکثر حسّدا.

أشار به إلی یوم القیامه،و ظاهر کون تارک الدنیا أربح من المقبل علیها.و أکثریّه الحسّد من لواحق أکثریّه الربح.

و قوله : و لو أنّ السماوات.إلی قوله:مخرجا.

بشاره له بخلاصه ممّا هو فیه من ضیق الحال بسبب الإخراج،و شرط فی ذلک تقوی اللّه إشارهً إلی قوله تعالی «وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» (۱)قال ابن عبّاس قرء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «وَ مَنْ یَتَّقِ اللّٰهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» ،قال:من شبهات الدنیا،و من غمرات الموت و شدائد یوم القیامه.و ظاهر کون التقوی عند استشعارها سببا قاطعا لطمع المتّقی من الدنیا و قیناتها،و هو مستلزم لراجیه من مجاذبه النفس الأمّاره

۱- ۱) ۲-۶۵.

بالسوء عن الوقوع فی شبهات الدنیا،و هی فی استلزام الخلاص من غمرات الموت و شدائد یوم القیامه أظهر، کنایه و کنّی علیه السّلام بالغایه المذکوره و هی رتق السماوات و الأرض علی العبد عن غایه الشدّه مبالغه لیتبیّن فضل التقوی ،ثمّ أمره بالاستیناس بالحقّ وحده،و الاستیحاش من الباطل وحده.و أکّد الحصر فی الموضعین بقوله:

وحده.تنفیرا عن أن یستوحش من حقّ ما فیترک و ینفر عنه و إن صعب و شقّ علی النفس،أو یستأنس بباطل ما فیفعل أو یسکت علیه و إن لذّ لها .و نبّه علی علّه بغضهم و إخافتهم له و هو عدم مشارکتهم فی دنیاهم و الانفراد بالإنکار و غلظه القول علیهم، کنایه و کنّی بالقرض من الدنیا عن الأخذ .و باللّه التوفیق.

۱۳۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

أَیَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَهُ وَ الْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَهُ- الشَّاهِدَهُ أَبْدَانُهُمْ وَ الْغَائِبَهُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ- أَظْأَرُکُمْ عَلَی الْحَقِّ- وَ أَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَی مِنْ وَعْوَعَهِ الْأَسَدِ- هَیْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِکُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ- أَوْ أُقِیمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ- اللَّهُمَّ إِنَّکَ تَعْلَمُ- أَنَّهُ لَمْ یَکُنِ الَّذِی کَانَ مِنَّا مُنَافَسَهً فِی سُلْطَانٍ- وَ لاَ الْتِمَاسَ شَیْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ- وَ لَکِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِینِکَ- وَ نُظْهِرَ الْإِصْلاَحَ فِی بِلاَدِکَ- فَیَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِکَ- وَ تُقَامَ الْمُعَطَّلَهُ مِنْ حُدُودِکَ- اَللَّهُمَّ إِنِّی أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ- وَ سَمِعَ وَ أَجَابَ- لَمْ یَسْبِقْنِی إِلاَّ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِالصَّلاَهِ- وَ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ یَنْبَغِی أَنْ یَکُونَ الْوَالِی عَلَی الْفُرُوجِ- وَ الدِّمَاءِ وَ الْمَغَانِمِ

وَ الْأَحْكَامِ- وَ إِمَامِهِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ- فَتَكُونَ فِی أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ- وَ لاَ الْجَاهِلُ فَیُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ- وَ لاَ الْجَافِی فَیَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ- وَ لاَ الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَیَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ- وَ لاَ الْمُرْتَشِی فِی الْحُكْمِ- فَیَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ- وَ یَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ- وَ لاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّهِ فَیُهْلِكَ الْأُمَّهَ

اللغه

أقول: أظأركم: أعطفكم .و وعوعه الأسد: صوته .و سرار العدل: ما خفی منه ،و النهمه: الحرص علی الدنیا .

المعنی

و قد أیّه بالنفوس بصفه الاختلاف:أی اختلاف الأهواء و القلوب المتشتّته:

أی المتفرّقه عن مصالحها و ما خلقت لأجله .و أراد بغیبه عقولهم ذهولها عن رشدها، و إصابه وجه الحقّ بانصرافها عن دعائه إلی ما ینبغی ، تشبیه و شبّه نفارهم بنفور المعزی من صوت الأسد ،و وجه التشبیه شدّه نفارهم عن الحقّ ،ثمّ استبعد إظهاره للعدل و إقامه الدین بمثلهم علی ما هم علیهم من قلّه طاعته .ثمّ عقّب ذلك باستشهاد اللّه سبحانه علی أنّ قصده بمنافسته فی أمر الخلافه لم یكن فی سلطان و لا لفضل حطام دنیویّ ،و لكن للغایه الّتی ذكرها من ردّ معالم الدین و هی الآثار الّتی یهتدی بها و كذا سائر ما عدّده من المصالح .ثمّ تلا ذلك الاستشهاد باستشهاده علی أنّه أوّل من أناب.أی رجع إلی اللّه تعالی عمّا لعلّه كان یعدّ فی حقّه ذنبا،و سمع:أی أطاع اللّه و أجاب:أی داعی اللّه .ثمّ استثنی سبق الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلی الدین بالصلاه و ذلك أمر معلوم من حاله،و إنّما یقول خصمه:إنّه حین تبع الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم كان طفلا لا اعتداد بإسلامه.و سنذكر ذلك فی موضعه من الخطبه المسمّاه بالقاصعه، و غرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الإشاره إلی الرذائل الّتی ینبغی أن یكون الإمام منزّها عنها تقریر فضیلته ،و نبّه علی أنّ فیه من الفضائل ما یقابل تلك الرذائل بتعدیدها و نفیها عن الإمام الوالی لامور المسلمین،و الإشاره إلی وجوه المقاصد اللازمه عنها،و تذكیرهم بما علموه من ذلك بقوله.و قد علمتم.إلی آخره:

أمّا البخيل فلشدّه حرصه على ما فى أيدى الناس من الرعيّه و قد عرفت ما يستلزمه من نفارهم عنه و عدم انتظام الأحوال به ،و أمّا الجاهل فلأنّه لجهله بقوانين الدين و تدبير امور العالم ضالّ و ضلاله يستلزم ضلال من اقتدى به و ذلك ضدّ مقصود الشارع ،و أمّا الجافى فلأنّ جفاءه يستلزم النفره و الانقطاع عنه و ذلك ضدّ الالفه و الاجتماع المطلوب للشارع ،و أمّا الخائف من الدول فيخصّص بعنايته من يخافه دون غيره و ذلك ظلم لا ينتظم معه نظام العالم ،و أمّا المرتشى فى الحكم فلظلمه و ذهابه بالحقوق و الوقوف فيها على الحيف دون المقاطع الحقّه.فترى أحد هؤلاء إذا أراد فصل قضيّه دافع بها طويلا و صعّب الحقّ و عرّض بغموضه و أشار بالصلح بين الخصمين مع ظهور الحقّ لأحدهما و كانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحقّ من فواته ليجنح إلى الاصلاح[الصلح.خ]و الرضى ببعض حقّه مع أنّه قد يأخذ منه رشوه أيضا،و ربّما كانت فى المقدار كرشوه المبطل منهما.و لهم فى ذلك حيل يعرفها من عاناهم. «وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ » ،و أمّا المعطّل للسنّه فلتضييعه قوانين الشريعه و إهمالها المستلزم لفساد النظام فى الدنيا و الهلاك الدائم فى الاخرى.و باللّه التوفيق.

۱۳۱–و من كلام له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَ أَعْطَى- وَ عَلَى مَا أَبْلَى وَ ابْتَلَى- الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّهٍ- وَ الْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَهٍ- الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ- وَ مَا تَخُونُ الْعُيُونُ- وَ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ- وَ أَنَّ؟مُحَمَّداً ص؟ نَجِيبُهُ وَ بَعِيثُهُ- شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلاَنَ وَ الْقَلْبُ اللِّسَانَ

المعنى

أقول:الضمير فى قوله : نحمده .يعود إلى اسم اللّه فى كلام سابق لم يذكر، و قد علّم شكر اللّه تعالى على أخذه و إعطائه و على إبلائه بالخير و ابتلائه بالشرّ،

ص:۱۴۹

و نبّه بذلك على وجوب شكر اللّه تعالى فى طوارى السرّاء و الضرّاء و حالتى الشدّه و الرخاء ،فأمّا وصفه له بالباطن و الحاضر و العالم فقد سبق شرحه غير مرّه و مصداق الوصفين الأوّلين قوله تعالى «يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى» (١)،و مصداق الأخيرين قوله تعالى «يَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ» (٢)و كذلك سبقت الإشاره إلى سرّ الشهادتين.و نجيبه و بعيثه :منتخبه و مبعوثه.فعيل بمعنى مفعول.

و قوله : شهاده يوافق فيها.إلى آخره.

أى شهاده خالصه من النفاق و الرياء.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منه:

اشاره

:فَإِنَّهُ وَ اللَّهِ الْجِدُّ لاَ اللَّعِبُ- وَ الْحَقُّ لاَ الْكَذِبُ- وَ مَا هُوَ إِلاَّ الْمَوْتُ قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيهِ- وَ أَعْجَلَ حَادِيهِ- فَلاَ يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ- فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ- مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَ حَذِرَ الْإِقْلاَلَ- وَ أَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَ اسْتِبْعَادَ أَجَلٍ- كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ- وَ أَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ- مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا- يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ- حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ- وَ إِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ- أَ مَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً- وَ يَبْنُونَ مَشِيداً وَ يَجْمَعُونَ كَثِيراً- كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً- وَ مَا جَمَعُوا بُوراً- وَ صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ- وَ أَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ- لاَ فِي حَسَنِهٍ يَزِيدُونَ- وَ لاَ مِنْ سَيِّئَهٍ يَسْتَعْتِبُونَ- فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ- وَ فَازَ عَمَلُهُ

١- ١) ۶-٢٠

٢- ٢) ٢٠-۴٠.

فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا- وَ اعْمَلُوا لِلْجَنَّهِ عَمَلَهَا- فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكَمْ دَارَ مُقَامٍ- بَلْ خُلِقَتْ لَكَمْ مَجَازاً- لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ- فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ- وَ قَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ

اللغه

أقول: المشيد: المعلّى .و الاهتبال فى الأمر: السعى فى إحكامه،و هبلها مصدر مضاف إلى ضمير التقوى مؤكّد للفعل:أى احكموها إحكاما .و الأوفاز: جمع وفزه و هى العجله ،

المعنى

و الضمير فى قوله: فإنّه .إمّا أن يرجع إلى مذكور سابق أو إلى معنى كلامه و هو التحذير و الإنذار ،و كذلك الّذى فى قوله: و ما هو إلاّ الموت .يحتمل أن يعود إلى ملفوظ به سابق و يحتمل أن يعود إلى المعنىّ بالتحذير منه و الإنذار به:أى و ما الّذى احذّركم هجومه عليكم إلاّ الموت،و أسمع و أعجل محلّهما النصب على الحال من معنى الإشاره.

و قوله : فلا يغرّنّك إلى قوله:و أمن العواقب.

أى فلا يغرّنّك من نفسك الأمّاره بالسوء و سوستها و استغفالها لك عن ملاحظه الموت برؤيه سواد الناس:أى كثرتهم .إذ كثيرا ما يرى الإنسان الميّت محمولا فيتداركه من ذلك رقّه و روعه.ثمّ يعاوده الوسواس الخنّاس و يأمره باعتبار كثره المشيّعين له من الناس و أن يجعل نفسه من الأحياء الكثيرين بملاحظه شبابه و صحّته و يأمره باعتبار أسباب موت ذلك الميّت من القتل و سائر الأمراض و باعتبار زوال تلك الأسباب فى حقّ نفسه،و بالجمله فيبعّد فى اعتباره الموت بكلّ حيله.فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخديعه،و أسند الغرور إلى سواد الناس لأنّه مادّته.ثمّ نبّههم بقوله : و قد رأيت.إلى قوله:يستعتبون .على كذب تلك الخديعه مشاهده،و الواو فى قوله :و قد.واو الحال،و من فى قوله:من جمع.بدل البعض من الكلّ من قوله:من كان قبلك.و المعنى أنّه كما نزل بأولئك الموت و أزعجهم عن أوطانهم فكذلك أنتم.

و قوله : طول أمل .نصب على المفعول له.

أى فعلوا ذلك لأجل طول الأمل،و يحتمل أن يكون مصدرا سدّ مسدّ الحال،و يحتمل أن يكون ظرفا و العامل أمن،و قيل:هو بدل من قوله:من كان قبلك:أى رأيت طول أمل من كان قبلك،و يروى بطول أمل.و أعواد المنايا:

النعوش،و يتعاطى به الرجال الرجال :أى يسلّمه الحاملون له بعضهم إلى بعض،و الخطاب بالكاف لنوع المخاطب أو لشخص على طريقه قولهم:إيّاك أعنى و اسمعى يا جاره.

و قوله: أما رأيتم؟ استفهام على سبيل التقرير،و إنّما كانوا لا يستطيعون زياده فى حسنه و لا استعتابا من سيّئه لأنّ محلّ الأعمال هى الدنيا دون ما بعدها.

و قوله : فمن أشعر التقوى قلبه.

أى من اتّقى تقوى حقيقه برزت تؤدته:أى ظهرت عليه آثار الرحمه الإلهيّه فى السكينه و الوقار و الحلم و الأناه عن التسرّع إلى مطالب الدنيا ،و علمت راحته فى الآخره،و فاز عمله فيها بالجزاء الأوفى .ثمّ أمرهم بإحكام التقوى:أى أن تتّقوا اللّه تقوى حقيقيّه فإنّها الّتى يستحقّ بها الثواب الدائم ،و أن يعملوا للجنّه عملها الّتى تستحقّ به .ثمّ نبّههم على وجوب العمل للجنّه بالتصريح بما لأجله خلقت الدنيا،و أنّها لم تخلق دار إقامه بل طريقا يعبر بها إلى الآخره كما يعبر المسافرون، و يتزوّد منها الأعمال الصالحه الموصله إلى الجنّه ،و أمرهم أن يكونوا فيها على سرعه فى قطع عقباتها و عجل فى الارتحال عنها لأنّ التأنّى فيها يستلزم الالتفات إلى لذّاتها و الغفله عن المقصد الحقّ، استعاره و استعار لفظ الظهور و هى الركوب لمطايا الآخره و هى الأعمال الصالحه،و تقريبها للزيال هو العنايه الإلهيّه بالأعمال المقرّبه إلى الآخره المستلزمه للبعد عن الدنيا و الإعراض عنها و مفارقتها .

۱۳۲-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ انْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَهُ بِأَزِمَّتِهَا- وَ قَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرَضُونَ

مَقَالِيدَهَا- وَ سَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَهُ- وَ قَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَهَ- وَ آتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَهُ

اللغه

أقول: المقاليد: المفاتيح جمع مقلد بكسر الميم .و اليانع من التمار: المدرك .

و هذا الفصل يشتمل على تمجيد اللّه سبحانه و إظهار عظمه سلطانه.

فانقياد الدنيا و الآخره له بأزمّتها:دخولها ذلّ الإمكان و الحاجه إليه .

و قوله: و قذفت إليه السماوات و الأرضون مقاليدها.

كقوله تعالى «لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» (۱)قال ابن عبّاس و مقاتل:

المراد بمفاتيح السماوات و الأرض الرزق و الرحمه،و قال الليث:القلاد:

الخزانه.و مقاليد السماوات و الأرض خزائنهما، مجاز و أقول:لفظ القذف مجاز فى تسليمها و انقيادها بزمام الحاجه و الإمكان إلى قدرته مع جميع ما هى سبب فى وجوده فى هذا العالم ممّا هو رزق و رحمه للخلق ، استعاره و كذلک لفظ المفاتيح على رأى ابن عبّاس استعاره للأسباب المعدّه للأرزاق و الرحمه،و تلک الأسباب كحركات السماوات و اتّصالات بعض الكواكب ببعض و كاستعدادات الأرض للنبات و غيره، و وجه الاستعاره أنّ هذه الأسباب باعدادها الموادّ الأرضيّه تفتح بها خزائن الجود الإلهىّ كما تفتح الأبواب المحسوسه بمفاتيحها،و كلّها مسلّمه إلى حكمه و جريانها بمشيئته،و على قول الليث فلفظ الخزائن استعاره فى موادّها و استعدادتها،و وجه الاستعاره أنّ تلک الموادّ و الاستعدادات تكون فيها بالقوّه و الفعل جميع المحدثات من الأرزاق و غيرها كما يكون فى الخزائن ما يحتاج إليه .و سجود الأشجار الناضره له بالغدوّ و الآصال:خضوعها و ذلّها تحت قدرته و حاجتها إلى جوده ،و نسب قدح النيران إليها لما أنّها السبب المادّىّ و إن كان القدح حقيقه فى فعال السبب الفاعلىّ القريب،و جعل ذلک له تعالى لأنّه الفاعل الأوّل.

استعاره و قوله : و آتت.إلى آخره.

ص:۱۵۳

۱- ۱) ۶۳-۳۹.

فأراد بكلماته أوامره و أحكام قدرته المعبّر عنها بقوله:كن،و إطلاق الكلمات عليها استعاره وجهها نفوذ تلك الأحكام فى المحكومات كنفوذ الأوامر القوليّه فى المأمورات ،و أراد بإتيان الثمار دخولها طوعا فى الوجود المعبّر عنه بقوله تعالى «فَيَكُونُ»

.و باللّه التوفيق و العصمه.

القسم الثانى منها:

اشاره

وَ كِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ- نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ- وَ بَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ- وَ عِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ

أقول:هذا الفصل كأنّه فى معرض التوبيخ على ترک أوامر اللّه و مخالفه أحكامه

، و يشبه أن يكون الواو للحال كأنّه يقول:تفعلون كذا استعاره بالكنايه مرشحه-مجاز و كتاب اللّه بين أظهركم ناطق ،و كونه بين أظهرهم كنايه عن وجوده بينهم مع أنّ من شأنه أن يستند إليه، و استعار لفظ الناطق للكتاب باعتبار أن المكتوب يعبّر عن المقصود كما أنّ الناطق كذلك،و لفظ اللسان و أنّه لا يعيا ترشيح للاستعاره كنّى بها عن بيان الكتاب على مرور الأوقات،و يحتمل أن يريد باللسان نفسه عليه السّلام مجازا.إذ كان هو لسان الكتاب الّذى لا يفتر و لا يقصر عن بيان مقاصده ، استعاره و كذلك استعار لفظ البيت باعتبار كونه حافظا لحافظيه و العاملين به كما يحفظ البيت أهله،و أركانه:قواعده الكلّيّه الّتى يبنى عليها نظام العالم من الأوامر و النواهى و المواعظ و الحكم،و تلك القواعد لا تكاد تنهدم فى وقت من الأوقات.إذ الحكم الكلّيّه صالحه لجميع الأوقات ، مجاز إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه و كونه عزّا مجاز إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه.إذ كان حفظه و العمل به مستلزما للعزّ الدائم الّذى لا يعرض له ذلّ،و أعوانه هم اللّه و ملائكته و رسله و أولياؤه.

و أولئك أعوان لا خوف عليهم و لا انهزام لجمعيّتهم من أمر .و باللّه التوفيق.

القسم الثالث منها:

اشاره

:أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَهٍ مِنَ الرُّسُلِ- وَ تَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ- فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ وَ خَتَمَ بِهِ الْوَحْیَ- فَجَاهَدَ فِی اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَ الْعَادِلِينَ بِهِ

اللغه

أقول: قفّى به: اتّبع به من قبله .

و غرض الفصل الثناء على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم .

فقوله: أرسله .إلى قوله: الألسن.

بيان لبعض أمارات النبوّه فإنّ منها الزمان المتطاول الّذى تندرس فيه الشريعه السابقه و القوانين الّتى بها نظام العالم و يحتاج الخلق إلى قوانين مجدّده لنظام أحوالهم.و حينئذ تجب بعثه رسول.و كان الفتره بين عيسى و محمّد عليهما السّلام ستّه مأئه و عشرين سنه ،و منها تنازع الألسن و اختلاف الخلق فى الآراء و المذاهب و قلّه الاتّفاق على قانون شرعىّ جامع لهم.

فقوله : فقفّى به الرسل.

كقوله تعالى «وَ قَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ» (۱).

و قوله: و ختم به الوحى.

كقوله «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» و هذا الختام مستفاد من الشريعه و ليس للعقل فى الحكم بانقطاع الرسل فيما بعد مجال بل ذلك من الامور الممكنه عنده.و المدبرون عن اللّه:المعرضون عن اتّباع أوامره و نواهيه.و العادلون به:الجاعلون له عديلا و هو النّد و المثل كالمشركين-تعالى عمّا يقولون علوّا كبيرا- استعاره و نسبه المجاهده إلى اللّه تعالى استعاره،و وجهها أنّه تعالى رمى بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المشركين كما يرمى المجاهد بنفسه و أعوانه مجاهديه .و باللّه التوفيق.

القسم الرابع منها:

اشاره

:وَ إِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى- لاَ يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً- وَ الْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ- وَ يَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا- فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ- وَ الْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ- وَ الْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ- وَ الْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ

اللغه

أقول: الشاخص: الذاهل و المسافر،و الشاخص أيضا الّذى يرفع بصره إلى الشىء و يمدّه إليه .

ص:۱۵۵

۱- ۱) ۸۱-۲.

و هذا الفصل مع قلّه ألفاظه يشتمل على لطائف :

فالاولى:

استعاره أنّ الدنيا منتهى بصر الأعمى شيئا .و استعار لفظ الأعمى للجاهل كقوله تعالى «فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (۱)و وجه الاستعاره أنّ الجاهل لا يدرک بعين بصيرته الحقّ كما لا يدرك الأعمى من المبصرات ،و أشار بقوله: لا يبصر من ورائها شيئا إلى جهله بأحوال الموت و ما بعده من سعاده الآخره و شقاوتها.

فإن قلت:إنّه أثبت للأعمى العمى،و أثبت أنّه يبصر الدنيا و ذلک نوع مناقضه.

قلت:إنّه لمّا أراد بالأعمى أعمى البصيره و هو الجاهل استعاره لم يكن فى إثبات البصر الحسّى له و نظر الدنيا به مناقضه،و يحتمل أن يريد ببصره أيضا بصر بصيرته استعاره،و ظاهر أن منتهى بصر بصيره الجاهل التصرّف فى أحوال الدنيا و كيفيّه تحصيلها و التمتّع بها دون أن يفيده عبره لما ورائها من أحوال الآخره .

الثانيه:

استعاره بالكنايه قوله: و البصير ينفذها بصره .استعار لفظ البصير للعالم،و نفوذ بصره كنايه عن إدراكه ما وراء الدنيا من أحوال الآخره و علمه أنّها دار القرار .

الثالثه:

التجنيس التامّ-المطابقه قوله: فالبصير منها شاخص :أى راحل مسافر قد جعلها طريقا له إلى الآخره ، و الأعمى إليها شاخص :أى متطلّع إليها بعين بصيرته و وهمه و إن كان أعمى عن مصالحه الحقيقيّه و عن آفاتها و طرقها المخوفه،و فى هذه الكلمه مع الّتى قبلها من أقسام البديع التجنيس التامّ و المطابقه بين الأعمى و البصير .

الرابعه:

قوله: و البصير منها متزوّد :أى بالتقوى و الأعمال الصالحه فى سفره إلى اللّه تعالى ، و الأعمى لها متزوّد :أى متّخذ للذّاتها و قيناتها زادا له فى قطعها مدّه عمره قد جعل ذلک هو الزاد الحقيقىّ و الكمال الّذى ينبغى له و هى فى البديع كالّتى قبلها.و باللّه التوفيق.

۱- ۱) ۴۵-۲۲.

القسم الخامس منها

اشاره

:وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ- إِلاَّ وَ يَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ- وَ يَمَلُّهُ إِلاَّ الْحَيَاهَ فَإِنَّهُ لاَ يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَهً- وَ إِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَهِ الْحِكْمَهِ- الَّتِي هِيَ حَيَاهٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ- وَ بَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ- وَ سَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ- وَ رِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَ فِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَ السَّلاَمَهُ- كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ- وَ تَنْطِقُونَ بِهِ وَ تَسْمَعُونَ بِهِ- وَ يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ- وَ يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ- وَ لاَ يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ- وَ لاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ- قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ- وَ نَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ- وَ تَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْآمَالِ- وَ تَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ- لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ وَ تَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ- «وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ» عَلَى نَفْسِي وَ أَنْفُسِكُمْ

اللغه

أقول: الدمن: ما تلبّد من آثار الناس و ما اسوّد و هو جمع دمنه :و الغلّ:

الغشّ و الحقد .

المعنى

و قد استثنى الحياه ممّا يشبع منه و يملّ ثمّ علّل عدم ملال الحياه بفقدان الراحه فى الموت.قال بعض الشارحين:إنّ فقدان الراحه فى الموت مخصوص بأهل الشقاوه فى الآخره فأمّا أولياء اللّه و عباده الصالحون فلهم فى الموت الراحه الكبرى كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:ليس للمؤمن راحه دون لقاء اللّه.و قال بعضهم:بل يحمل على العموم مراعاه لظاهر الكلام و ذلك من وجهين:

أحدهما:أنّ بالموت يفوت متجر الآخره و ينقطع الاستعداد لكمال أشرف ممّا حصل عليه الميّت و إن كان وليّا فلا جرم لا يجد الراحه الّتى تلحقه بما يفوته من ذلك الكمال.

ص:۱۵۷

الثانی:أنّ النفوس البشریّه لمّا لم یکن معارفها ضروریّه و لم یتمکّن ما دامت فی هذه الأبدان من الاطّلاع علی ما بعد الموت من سعاده أو شقاوه فبالحریّ أن لا تجد لها راحه تتصوّرها فی الموت.قال:و ذلک لا ینافی الخبر:لیس للمؤمن راحه دون لقاء اللّه:أمّا علی الوجه الأوّل فلأنّ الراحه الحاصله من الکمال الفائت بالموت لا تحصل له و إن حصل علی راحه ما بحسب طاعته السابقه،و أمّا علی الثانی فلأنّ المؤمن لا یجد له ما دام فی الدنیا راحه فی الموت و ذلک لا ینافی أن تحصل له الراحه عند لقاء اللّه کما نقل أنّ الحسن علیه السّلام لمّا آن سفره إلی الآخره بکی فقال له أخوه الحسین علیه السّلام:ما لی أراک تکاد تجزع مع یقینک بأنّک تقدم حیث تقدم علی جدّک و أبیک.فقال:نعم یا أخی لا شکّ فی ذلک إلاّ أنّنی سالک مسلکا لا أسلکه من قبل.و أقول:إن کان مراده علیه السّلام بقوله:لا یجد فی الموت راحه:أی فی نفس الموت مع قطع النظر عن غیره من أحوال الآخره فالحقّ قول من عمّم فقدان الراحه فی حق الجمیع.إذ الموت من حیث هو موت لا راحه فیه لأحد من الناس کافّه،و إن کان مراده فقدان الراحه فی الموت و ما بعده فالحقّ التخصیص بأهل الشقاوه الدائمه.فإنّ شدّه محبّه الحیاه و نقصانها متفاوته بحسب تصوّر زیاده الراحه فی الآخره و نقصانها، و ذلک ظاهر عند اعتبار أهل الدنیا المقبلین علیها بالکلّیّه،و أهل الآخره المقبلین علیها بالکلّیّه،و من بینهم من طبقات السالکین .

و قوله: و إنّما ذلک.

أی الأمر الّذی هو أحقّ بأن لا یملّ و لا یشبع منه بمنزله الحکمه :أی ما کان بمنزله الحکمه،و الحکمه فی لسان الشریعه هی العلم النافع فی الآخره، و قد یطلق علی ما هو أعمّ من ذلک.ثمّ ذکر لها أوصافا:

الأوّل:أنّها حیاه للقلب المیّت،و قد مرّ أنّ القلب فی عرف العارفین هی النفس الإنسانیّه، استعاره و استعار للحکمه لفظ الحیاه ،و وجه المشابهه کون الحیاه بها وجود القلب و بقائه کما أنّ الحکمه بها بقاء الإنسان و سعادته فی الدارین،و کذلک استعار لفظ المیّت للقلب الجاهل باعتبار أنّه غیر مطّلع علی وجوه مصالحه و مفاسده

فی الدارین غیر مهتد لانتفاع أو دفع تضرّر کالمیّت.

الثانی :استعار لفظ البصر للحکمه،و وصف العمیاء لعین الجاهل.ثمّ یجوز أن یکون لفظ العین أیضا استعاره فی بصیره الجاهل،و یجوز أن یکون المراد حقیقته، و وجه الاستعاره الاولی:أنّ بالحکمه یبصر الإنسان مقاصده و یهتدی وجوه مصالحه الدنیویّه و الاخرویّه کما یهتدی البصیر بعینه وجوه مسالکه و مقاصده،و وجه الثانیه:أنّ بصیره الجاهل لا تهتدی لتلک الوجوه کما لا تهتدی العین العمیاء إلی شیء، و وجه الثالثه:أنّ بصر الجاهل تابع لبصیرته فإقدامه و إحجامه و تصرّفاته المنسوبه إلی حسّ البصر و غیره تابعه لما یتصوّره،و لمّا کانت تلک التصرّفات غیر نافعه فی الأکثر بل قد یکون ضارّه لا جرم أشبهت عینه الباصره الّتی وقع بها سوء ذلک التصرف العین العمیاء فاستعیر لها لفظها و کذلک استعار لفظ السمع و لفظ الصّماء للاذن،و وجه الاستعارات ما سبق فإنّ المراد بالسمع إدراک البصیره.و الاذن یحتمل أن یراد بها البصیره استعاره،أو الاذن المحسوسه ،و کذلک استعار لفظ الرّی للحکمه،و لفظ الظمآن للجاهل،و وجه الاولی:أنّ الحکمه تملأ النفس و تجدها شفاء لها من داء الجهل کما یملأ الماء جوف الظمآن و ینقع غلّته و یشفی من ألم الظماء،و وجه الثانیه:أنّ الجاهل یلحقه ألم الجهل و یکون سببا لموته فی الآخره کما یلحق الظمآن ألم الظمأ .

الثالث:أنّ فیها الغنی کلّه و السلامه،و أراد بالغنی غنی النفس عن کلّ شیء و کمالها بها فإنّ غایه الحکمه الوصول إلی الحقّ سبحانه و الغرق فی بحار معرفته و فی ذلک غنی العارفین عن کلّ شیء،و أراد بالسلامه سلامه النفوس من عذاب الجهل.إذ ثبت فی اصول الحکمه أنّه السبب الأکبر فی الهلاک الاخرویّ .

قوله: کتاب اللّه.

خبر مبتدأ:إمّا خبر ثان لذلک،و ما کان بمنزله الحکمه خبر أوّل،أو لمبتدأ محذوف تقدیره و هو کتاب اللّه،و یحتمل أن یکون عطف بیان لما کان بمنزله الحکمه و ذکر له أوصافا:

ص:۱۵۹

الأوّل:قوله: تبصرون به .إشاره إلى اشتمال الكتاب على الحكمه،و وجه شبهه بها أنّ به إبصار الجاهلين لمقاصدهم الدنيويّه و الاخرويّه لما فيه من الحكمه.

الثانى:و كذلك ينطقون به.

الثالث:و يسمعون به .

الرابع:قوله: ينطق بعضه ببعض .أى يفسّر بعضه ببعض كالمبيّن المفسّر للمجمل،و المقيّد المبيّن للمطلق،و المخصّص المبيّن للعامّ .

الخامس: و يشهد بعضه على بعض :أى يستشهد ببعضه على أنّ المراد بعض آخر و هو قريب ممّا قبله .

السادس:قوله: و لا يختلف فى اللّه .أى لمّا كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلّيّه الّتى بها يكون صلاح حال نوع الإنسان فى معاشه و معاده و كانت غايه ذلك الجذب إلى اللّه سبحانه و الوصول إلى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف فى الدلاله على هذه المقاصد بل كلّه متطابق الألفاظ على مقصود واحد و هو الوصول إلى الحقّ -سبحانه-بصفه الطهاره عن نجاسات هذه الدار و إن تعدّدت الأسباب الموصله إلى ذلك المقصود .

السابع:قوله: و لا يخالف بصاحبه عن اللّه .أى لا يجوز بالمهتدين بأنواره فى سلوك سبيل اللّه عن الغايه الحقيقيّه و هو اللّه-سبحانه -.

استعاره و قوله: قد اصطلحتم.إلى آخره.

توبيخ للسامعين على ارتكاب رذائل الأخلاق،و استعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن إنكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر كالغشّ و الحقد و الحسد،و اشتراكهم فى تلك الرذائل .

و قوله: و نبت المرعى على دمنكم.

يضرب مثلا للمتصالحين فى الظاهر مع غلّ القلوب فيما بينهم،و وجه مطابقه المثل أنّ ذلك الصلح سريع الزوال لا أصل له كما يسرع جفاف النبات فى الدمن .

و قوله: تصافيتم على حبّ الآمال.

إشاره إلى وجه الصلح الّذى ذكره و لذلك اسقط حرف العطف هنا .

و قوله: و تعاديتم فى كسب الأموال.

إشاره إلى وجه الغلّ الّذى أشار إليه:أمّا الأوّل:فلأنّ الجامع للناس فى الظاهر هو ما يؤمّل كلّ من صاحبه من الانتفاع به أو دفع شرّه فيما هو بصدده من المأمولات الدنيويّه و إن انطوى له على غلّ كما هو المتعارف فى زماننا،و أمّا الثانى:فلأنّ الأحقاد و العداوات أغلب ما تكون على مجاذبه أموال الدنيا و قيناتها .

و قوله: لقد استهام بكم الخبيث.

أى اشتدّ عشقه لكم و لازمكم،و أراد بالخبيث إبليس،و ذلك تنبيه على ما يظهر منهم من آثار وسوسته و ملازمتهم لما ينهون عنه،و كذلك قوله: و تاه بكم الغرور :أى استغفلكم فتهتم فى استغفاله لكم عن سواء سبيل اللّه،و الغرور هو الشيطان كما قال تعالى «وَ لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ » (1).ثمّ ختم باستعانه اللّه تعالى له و لهم على النفوس الأمّاره بالسوء:أمّا فى حقّه عليه السّلام ففى دوامها مقهوره لعقله،و أمّا فى حقّهم قهرها و قمعها.و باللّه التوفيق.

١٣٣-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

و قد شاوره عمر بن الخطاب

فى الخروج إلى غزو الروم بنفسه

وَ قَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ- لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَهِ- وَ سَتْرِ الْعَوْرَهِ وَ الَّذِى نَصَرَهُمْ- وَ هُمْ قَلِيلٌ لاَ يَنْتَصِرُونَ- وَ مَنَعَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لاَ يَمْتَنِعُونَ- حَيٌّ لاَ يَمُوتُ- إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ- فَتَلْقَهُمْ فَتُنْكَبْ- لاَ تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ

ص:١٦١

١- ١) ٣٤-٣١.

كَانِفَهُ دُونَ أَقْصِى بِلَادِهِمْ- لَيسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ- فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَباً- وَ احْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَ النَّصِيحَهِ- فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ- وَ إِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى- كُنْتَ رِدْءاً لِلنَّاسِ وَ مَثَابَهً لِلْمُسْلِمِينَ أقول:ذلك حين خرج قيصر الروم فى جماهير أهلها إلى المسلمين،و انزوى خالد بن الوليد فلازم بيته و صعب الأمر على أبى عبيده بن الجرّاح.و شرحبيل بن حسنه و غيرهما من امراء سرايا الإسلام.

اللغه

و حوزه كلّ شىء: بيضته و جمعيّته .و كنفه: حفظه و آواه .و المحرب بكسر الميم: الرجل صاحب حروب .و حفز كذا: أى دفعه.و حفزه ضمّه إلى غيره .

و أظهر اللّه على فلان: نصر عليه .و الرده: العون .و المثابه: المرجع.

المعنى

كنايه-استعاره و قوله: و قد توكّل اللّه.إلى قوله:لا يموت.

صدر لهذه النصيحه و الرأى،نبّه فيه على وجوه التوكّل على اللّه و الاستناد إليه فى هذا الأمر،و خلاصتها أنّه ضمن إقامه هذا الدين و إعزاز حوزه أهله، و كنّى بالعوره عن هتك الستر فى النساء،و يحتمل أن يكون استعاره لما يظهر عليهم من الذلّ و القهر لو اصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك بإفاضه النصر عليهم،و هذا الحكم من قوله تعالى «وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً » (۱).

و قوله: و الّذى نصرهم.إلى آخر الصدر.

احتجاج فى هذه الخطابه يشبه أن يكون تمثيلا،و تلخيصه أنّ الّذى نصرهم حال قلّتهم حىّ لا يموت فهو ينصرهم حال كثرتهم.فأصل التمثيل هو حال قلّتهم و فرعه حال كثرتهم،و حكمه النصر و علّه ذلك الحكم هو حياته الباقيه الّتى لا يعاقبها موت .

ص:۱۶۲

۱- ۱) ۲۴-۵۴.

و قوله: إنّک متی تسر.إلی آخره.

نفس الرأی و خلاصه المشوره بعدم خروجه بنفسه،و وجه هذا الرأی تجویز النکبه و انقهاره عند ملاقات العدوّ مع أنّه یومئذ ظهر المسلمین الّذین یلجؤن إلیه.فلو انکسر لم تبق لهم کانفه قوام یحوطهم،و لا جمع یستندون إلیه .ثمّ بإخراج من یقوم مقامه من أهل النجده ممّن عرف بکثره الوقایع و الحروب فیکون علی بصیره فی أمر الحرب،و أن یضمّ إلیه أهل البلاء:أی المختبرون فی النصیحه و المجرّبون فی الوقائع .ثمّ استنتج من هذا الرأی أنّه إن نصر اللّه المسلمین فذاک الّذی تحبّ ،و إن تکن الاخری:أی الانکسار و عدم الانتصار کان للمسلمین ظهر یستندون إلیه و مأمن یأوون إلیه.

۱۳۴-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قد وقعت مشاجره بینه و بین عثمان فقال المغیره ابن أخنس لعثمان:أنا أکفیکه.فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام:

یَا ابْنَ اللَّعِینِ الْأَبْتَرِ- وَ الشَّجَرَهِ الَّتِی لاَ أَصْلَ لَهَا وَ لاَ فَرْعَ- أَنْتَ تَکْفِینِی- فَوَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ- وَ لاَ قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ- اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاکَ ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَکَ- فَلاَ أَبْقَی اللَّهُ عَلَیْکَ إِنْ أَبْقَیْتَ أقول:هذه المشاجره کانت فی زمن ثوران الفتنه علی عثمان فی خلافته،و کان الناس یستسفرونه علیه السّلام إلیه.

اللغه

و الأبتر: کلّ أمر انقطع من الخیر أثره .و النوی: المقصد الّذی ینویه المسافر من قرب أو بعد .و النوی: لغه فی النأی:و هو البعد .

المعنی

استعاره بالکنایه و قد ذمّ المغیره بسقوط الأصل،و لعنه .و استعار لبیته لفظ الشجره ،و کنّی بنفی أصلها و فرعها عن سقوط بیته و دناءته و حقارته فی الناس .ثمّ استفهمه عمّا

ادّعى من الكفايه له استفهاما على سبيل الإنكار و الاستحقار له ،و أقسم أنّ اللّه لا يعزّ من هو ناصره،و إنّما يعزّ اللّه من نصره أولياء اللّه و أهل عنايته،و من لم يعزّ اللّه لم يقم من نهضته كقوله تعالى «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِی يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ » (۱).ثمّ دعا عليه بإبعاد اللّه مقصده .

و قوله: أبلغ جهدک.

أى فى الأذى فلا أبقى اللّه عليک إن أبقيت،أى لارعاک و لا رحمک إن راعيتنى.

يقال:أبقيت على فلان إذا راعيته و رحميته.

۱۳۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّایَ فَلْتَهً- وَ لَيْسَ أَمْرِی وَ أَمْرُكُمْ وَاحِداً- إِنِّی أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَنِی لِأَنْفُسِكُمْ- أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِی عَلَى أَنْفُسِكُمْ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ- حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهاً

اللغه

أقول: الفلته: الأمر يقع بغير تدبّر و لا رويّه .و الحزامه: الحلقه من الشعر يجعل فى أنف البعير .

المعنى

و مفهوم قوله: لم تكن بيعتكم إيّاى فلته .أنّها لمّا كانت عن تدبّر و اجتماع رأى منكم لم يكن لأحدكم بعدها أن يخالف أو يندم عليها،و فيه تعريض ببيعه أبى بكر حيث قال عمر فيها:كانت بيعه أبى بكر فلته وقى اللّه شرّها .

و قوله: و ليس أمرى و أمركم واحدا.

إشاره إلى الاختلاف بين حركاته و مقاصدهم .ثمّ بيّن الفرق بقوله: إنّى اريدكم للّه :أى إنّما اريد طاعتكم لإقامه دين اللّه،و إقامه حدوده، و أنتم تريدوننى

ص:۱۶۴

۱- ۱) ۱۵۴-۳.

لأنفسكم :أى لحظوظ أنفسكم من العطاء و التقريب و ساير منافع الدنيا .ثمّ لمّا وبّخهم بذلك أيّه بهم،و طلب منهم الإعانه على أنفسهم:أى بالطاعه له و امتثال أوامره . استعاره مرشحه فأقسم لينصفنّ المظلوم و ليقودنّ الظالم بخزامته ، استعاره و كذلك استعار لفظ المنهل للحقّ.و وجه الاستعار كونه موردا يشفى به ألم المظلوم كما يشفى به ألم العطشان.

و باللّه التوفيق.

۱۳۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى معنى طلحه و الزبير

القسم الأول

اشاره

وَ اللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً- وَ لاَ جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نِصْفاً- وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَماً هُمْ سَفَكُوهُ- فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ- وَ إِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَهُ إِلاَّ قِبَلَهُمْ- وَ إِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ- وَ إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَ لاَ لُبِسَ عَلَيَّ- وَ إِنَّهَا لَلْفِئَهُ الْبَاغِيَهُ فِيهَا الْحَمَأُ وَ الْحُمَّهُ- وَ الشُّبْهَهُ الْمُغْدِفَهُ وَ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ- وَ قَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ- وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ- لاَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ- وَ لاَ يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ

اللغه

أقول: النصف: النصفه .و الطلبه بكسر اللام: المطلوب .و الحمأ: الطين الأسود المنتن كما قال تعالى «مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ» (۱)و يروى الحما بألف مقصوره.

و الحمه بضمّ الحاء و تخفيف الميم و فتحها: اسم العقرب .و المغدفه بالدال و الفاء :

ص:۱۶۵

۱- ۱) ۲۶-۱۵.

المظلمه.يقال:أغدف الليل إذا اشتدّ ظلامه،و روى:المغدفه بفتح الدال:الخفيّه.

و أصله أنّ المرأه تغدف وجهها بالقناع .و زاح الباطل: انحرف .و نصابه: أصله و مقرّه .و لافرطنّ: لأملأنّ .و الشغب بالتسكين: المشاغبه و تهييج الشرّ .

و الماتح بنقطتين من فوق: المستقى،و بنقطتين من تحت:الّذى يملأ الدلو فى البئر .

و العبّ: الشرب .و الحسى بكسر الحاء و سكون السين: الماء الّذى يشربه الرمل فينتهى إلى أرض صلبه تحفظه ثمّ يحفر عنه فيستخرج .

المعنى

و اعلم أنّ قوله: و اللّه .إلى قوله: و لا لبس علىّ .قد تقدّم تفسيره فى قوله:

ألا ـ و إنّ الشيطان قد ذمّر حزبه.و فى فصل قبله بروايه اخرى فلا ـ حاجه إلى إعادته . استعاره و أمّا قوله: و إنّها للفئه الباغيه فيها الحمأ و الحمه .فقال بعض الشارحين:

فى تعريف الفئه بالألف و اللام تنبيه على أنّه كان عنده علم من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه ستبغى عليه فئه من غير تعيين لها.فلمّا خرجت هذه الفئه علمها بإماراتها،و قد سبق أيضا تفسير الحمأ و الحمه على بعض الروايات،و أمّا على هذه الروايه فاستعاره للغلّ و الفساد الّذى كان فى صدور هذه الفئه،و وجه الاستعاره استلزامه لتكدير الإسلام و إثاره الفتنه بين المسلمين كما تكدّر الحمأ الماء و تخبثه،و استلزامه للأذى و القتل كما يستلزم ذلك سمّ العقرب،و أشار بالشبهه المغدفه إلى شبهتهم فى الطلب بدم عثمان،و استعار لها وصف الظلمه لعدم اهتداء أكثر الخلق فيها حتّى قتلوا بسببها كما لا يهتدى فى الليل المظلم استعاره مرشحه و قوله: و إنّ الأمر لواضح.إلى قوله:شغبه.

نفى لتلك الشبهه عن نفسه و ولايته،و أنّ الحقّ واضح فى حاله لا أصل للباطل فيه و لا لسان يشغب به،و لفظه اللسان استعاره،و الشغب ترشيح لها .و باقى الفصل قد تقدّم تفسيره أيضا فى الفصل المذكور.

القسم الثانى منه

اشاره

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلاَدِهَا- تَقُولُونَ الْبَيْعَهَ الْبَيْعَهَ- قَبَضْتُ كَفِّى فَبَسَطْتُمُوهَا- وَ نَازَعْتُكُمْ يَدِى فَجَاذَبْتُمُوهَا- اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا

قَطَعَانِی وَ ظَلَمَانِی- وَ نَکَثَا بَیْعَتِی وَ أَلَّبَا النَّاسَ عَلَیَّ- فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَ لاَ تُحْکِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا- وَ أَرِهِمَا الْمَسَاءَهَ فِیمَا أَمَّلاَ وَ عَمِلاَ- وَ لَقَدِ اسْتَثْبَتُّهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ- وَ اسْتَأْنَیْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ- فَغَمَطَا النِّعْمَهَ وَ رَدَّا الْعَافِیَهَ

اللغه

أقول: العوذ: جمع عوذه و هی الناقه المسنّه .و المطافیل: جمع مطفل بضم المیم و هی قریبه العهد بالنتاج .و التألیب: التحریص .و أبرمت الأمر: أحکمته .

و استثبتّهما بالثاء المعجمه بثلاث نقط: طلبت رجوعهما،و یروی بالتاء من التوبه .

و استأنیت: انتظرت .

المعنی

و هذا الفصل احتجاج علی طلحه و الزبیر و من تابعهما علی نکث بیعته .

تشبیه فقوله: فأقبلتم.إلی قوله:فجاذ بتموها.

یجری مجری صغری قیاس ضمیر من الشکل الأوّل،و تلخیصها أنّکم اجتهدتم علیّ فی طلب البیعه حتّی بایعتکم و أخذت عهودکم.و تقدیر الکبری و کلّ من اجتهد اجتهادکم إلی تلک الغایه فیجب علیه الوفاء بعهده.و الصغری مسلّمه منهم.و برهان الکبری الکتاب «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» (۱)و «أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ» (۲)الآیه،و قد شبّه إقبالهم علیه طالبین للبیعه بإقبال مسنّات النوق علی أطفالها،و وجه التشبیه شدّه الإقبال و الحرص علی مبایعته، و خصّ المسنّات لأنّها أقوی حنّه علی أولادها ،و نصب البیعه علی الإغراء،و فائده التکریر فی الإغراء تأکید الأمر الدالّ علی شدّه الاهتمام بالمأمور به.و قال بعض الشارحین:فایده التکرار دلاله المنصوب الأوّل علی تخصیص الأمر الأوّل بالحال،و دلاله الثانی علی تخصیص الأمر الثانی بالمستقبل:أی خذ البیعه فی الحال و خذها للاستقبال.قال:و کذلک قوله:اللّه اللّه:أی أتّقوا اللّه فی الحال و اتّقوه فی الاستقبال.

و أقول:إنّ ذلک غیر مستفاد من اللفظ بإحدی الدلالات .

۱- ۱) ۱-۵.

۲- ۲) ۹۳-۱۶.

و قوله: اللّهم إلى قوله: علىّ.

شكايه إلى اللّه منهم فى امور ثلاثه:قطع رحمه و ظلمهما له بمطالبتهما له بغير حقّ لهما عنده.ثمّ نكث بيعته.ثمّ جمع الناس على قتاله .

و قوله: فاحلل.

دعاء عليهما بأمور ثلاثه:أن يحلّ ما عقدا من العزوم الفاسده الّتى فيها هلاك المسلمين ،و أن لا يحكم ما أبرماه من الإغراء فى حربه ،و أن يريهما المسئاه فى آمالهما و أعمالهما:أى عكس أغراضهما فيهما.و استجابه دعاءه ظاهره بقتلهما.

و قوله : و لقد استثبتّهما.إلى قوله:الوقاع.

إظهار لعذره مع الناس فى حقّهما قبل وقاع الحرب بتأنّيه فيه فى حقّهما، و استعطافه لهما فى الرجوع إلى الحقّ و استتابته لهما من ذنبهما فى نكث البيعه.

و قوله: فغمطا.إلى آخره.

بيان لجوابهم عن إعذاره إليهم و هو مقابلتهم نعمه اللّه:أى قسمهما من الفىء بالاحتقار لها و النظر عليها.إذ كان أحد الأسباب الباعثه لهما على منافرته هو التسويه بينهم و بين غيرهم فى العطاء،و كذلك مقابلتهم للسلامه و العافيه من بلاء الحرب و الشقاق و هلاك الدين و النفس فى عاقبه فعلهما بردّهما لهما و الإصرار على الحرب و المنابذه من غير نظر فى عاقبه أمرها.و باللّه التوفيق.

۱۳۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر الملاحم

القسم الأول

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى- إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى- وَ يَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى؟الْقُرْآنِ؟- إِذَا عَطَفُوا؟الْقُرْآنَ؟ عَلَى الرَّأْيِ
أقول:الإشاره فى هذا الفصل إلى وصف الإمام المنتظر فى آخر الزمان الموعود به فى الخبر و الأثر .

فقوله: يعطف الهوى على الهدى أى يردّ النفوس الحايره عن سبيل اللّه المتّبعه لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسده و مذاهبها المختلفه إلى سلوك سبيله و اتّباع أنوار هداه،و ذلك إذا ارتدّت تلك النفوس عن اتّباع أنوار هدى اللّه فى سبيله الواضح إلى اتّباع أهوائها فى آخر الزمان،و حين ضعفت الشريعه و زعمت أنّ الحقّ و الهدى هو ذلك .

و كذلك قوله: و يعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأى :أى يردّ على كلّ رأى رآه غيره إلى القرآن فيحملهم على ما وافقه منها دون ما خالفه،و ذلك إذا تأوّل الناس القرآن و حملوه على آرائهم و ردّوه إلى أهوائهم كما عليه أهل المذاهب المتفرّقه من فرق الإسلام كلّ على ما خيل إليه،و كلّ يزعم أنّ الحقّ الّذى يشهد به القرآن هو ما رآه و أنّه لا حقّ وراه سواه.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا- مَمْلُوءَهً أَخْلاَفُهَا حُلْواً رَضَاعُهَا عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا- أَلاَ وَ فِی غَدٍ وَ سَيَأْتِی غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ- يَأْخُذُ الْوَالِی مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا- وَ تُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا- وَ تُلْقِی إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا- فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَهِ- وَ يُحْيِی مَيِّتَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّهِ

اللغه

أقول: أخلاف الناقه . حلمات ضرعها .و أفاليذ: جمع الجمع لفلذه،و هى القطعه من الكبد و جمعها فلذ .

المعنى

كنايه فقوله: حتّى تقوم الحرب بكم على ساق.إلى قوله:عاقبتها.

كأنّه غايه لتخاذلهم عن طاعته فى أمر الحرب و لقاء العدوّ.كأنّه يقول:

إنّكم لا تزالون متخاذلين متقاعدين حتّى يشتدّ العدوّ و يقوم بكم الحرب على ساق.و قيامها على الساق كنايه عن بلوغها الغايه فى الشدّه،و بدوّ نواجدها

ص:۱۶۹

کنایه عمّا یستلزمه من الشدّه و الأذی،و هو من أوصاف الأسد عند غضبه.لأنّه حاول أن یستعیر لها لفظ الأسد فأتی بوصفه.

و قال بعض الشارحین:بدوّ النواجد فی الضحک:أی تبلغ بکم الحرب الغایه کما أنّ غایه الضحک أن تبدو النواجد.فهی أقصی الأضراس.فکنّی بذلک عن إقبالها.

قلت:هذا و إن کان محتملا إلاّ أنّ الحرب مظنّه إقبال الغضب لا إقبال الضحک.فکان الأوّل أنسب.

و کذلک قوله : مملوّه أخلافها .استعاره لوصف الناقه لحال استعداد الحرب و استکمالها عدّتها و رجالها کاستکمال ضرع الناقه اللبن.

استعاره بالکنایه و قوله : حلوا رضاعها.

استعاره لوصف المرضع لها،و کنّی بحلاوه رضاعها عن إقبال أهل النجده فی أوّل الحرب علیها.فکلّ منهم یحبّ أن یناجز قرنه و یستحلی مغالبته کما یستحلی الراضع لبن امّه،و کذلک استعار لفظ العلقم لعاقبتها،و وجه الاستعاره المشابهه بین المرارتین الحسیّه و العقلیّه ،و المنصوبات الأربعه:بادیا،و مملوّه،و حلوا، و علقما.أحوال.و المرفوعات بعد کلّ منها فاعله،و إنّما ارتفع عاقبتها عن علقما مع أنّه اسم صریح لقیامه مقام اسم الفاعل کأنّه قال:مریره عاقبتها.

و قوله : ألا و فی غد .إخبار عن بعض الامور الّتی ستکون.

و قوله: و سیأتی غد بما لا تعرفون.

المراد به تعظیم شأن الموعود بمجیئه.و بیان لفضیلته علیه السّلام بعلم ما جهلوه.

و هو جمله اعتراضیّه کقوله تعالی «فَلاٰ أُقْسِمُ بِمَوٰاقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ» (1)فقوله:و إنّه لقسم.اعتراض.

و قوله : یأخذ الوالی من غیرها عمّالها.

یشبه أن یکون قد سبقه ذکر طائفه من الناس ذات ملک و إمره فأخبر علیه السّلام

۱- ۱) ۷۵-۵۶.

أنّ الوالى من غير تلك الطائفه-يؤمى به إلى الإمام المنتظر-يأخذ عمّالها على مساوى أعمالها:أى يؤاخذهم بذنوبهم.

استعاره مرشحه-مجاز و قوله : و تخرج الأرض أفاليذ كبدها.

استعار لفظ الكبد لما فى الأرض من الكنوز و الخزائن،و وجهها مشابهه الكنوز للكبد فى العزّه و الخفاء،و رشّح بذكر الأفاليذ.و قد ورد ذلك فى الخبر المرقوع،و من لفظه:و قادت له الأرض أفلاذ كبدها.و فسّر بعضهم قوله تعالى «وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقالَها» بذلك.فأمّا كيفيّه ذلك الإخراج:فقال بعض المحقّقين:

هو إشاره إلى أنّ جميع ملوك الأرض تسلّم إليه مقاليد ممالكها طوعا و كرها و تحمل إليه الكنوز و الذخائر،و أسند الإخراج إلى الأرض مجازا لأنّ المخرج أهلها .و استبعد أن يكون الأرض بنفسها هى المخرجه لكنوزها.و لأهل الظاهر أن يقولوا إنّ المخرج يكون هو اللّه تعالى،و يكون ذلك من معجزات الإمام و لا مانع.

مجاز-كنايه و قوله : و تلقى إليه سلما مقاليدها.

أسند أيضا لفظ الإلقاء إلى الأرض مجازا لأنّ الملقى للمقاليد مسالما هو أهل الأرض،و كنّى بذلك عن طاعتهم و انقيادهم أجمعين لأوامره و تحت حكمه، و سلما مصدر سدّ مسدّ الحال. استعاره ثمّ أخبر أنّه سيريهم عدل سيرته،و أنّه يحيى ميّت الكتاب و السنّه .و لفظ الميّت استعاره لما ترك منهما فانقطع أثره و الانتفاع به كما ينقطع أثر الميّت.

فإنّ قلت:قوله:و يريكم.يدلّ على أنّ المخاطبين يدركون المخبر عنه و يرون عدله مع أنّكم قلتم أنّه يكون فى آخر الزمان فكيف وجه ذلك.

قلت:خطاب الحاضرين من الامّه كالعامّ لكلّ الامّه،و ذلك كسائر خطابات القرآن الكريم مع الموجودين فى عصر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّه يتناول الموجودين إلى يوم القيامه ثمّ يخرج المخاطبون بدليل العاده.إذ من عادتهم أن لا تمتدّ أعمارهم إلى وقت ظهوره فبقى الموجودون فى زمانه.و باللّه التوفيق.

القسم الثالث منها:

اشاره

كَأَنِّى بِهِ قَدْ نَعَقَ؟بِالشَّامِ؟- وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِى ضَوَاحِى؟كُوفَانَ؟- فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ- وَ فَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّءُوسِ- قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ وَ ثَقُلَتْ فِى الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ بَعِيدَ الْجَوْلَهِ عَظِيمَ الصَّوْلَهِ- وَ اللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِى أَطْرَافِ الْأَرْضِ- حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِى الْعَيْنِ- فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ- حَتَّى تَئُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا- فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَهَ وَ الْآثَارَ الْبَيِّنَهَ- وَ الْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِى عَلَيْهِ بَاقِى النُّبُوَّهِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ- إِنَّمَا يُسَنِّى لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ

اللغه

أقول: نعق الغراب و نعق الراعى بغنمه بالعين و الغين: صاح .و فحص المطر التراب : قلّبه ،و الفحص: البحث .و كوفان: اسم للكوفه .و ضواحيها: نواحيها البارزه .و الضروس: الناقه السيّئه الخلق تعضّ حالبها .و فغرت فاغرته: انفتح فوه.

و أكّد الفعل بذكر الفاعل من لفظه .و يسنّى: يسهّل .و العقب بكسر القاف:

مؤخّر القدم .

المعنى

اشاره

و قد أخبر فى هذا الفصل أنّه سيظهر رجل بهذه الصفات.قال بعض الشارحين:

هو عبد الملك بن مروان،و ذلك لأنّه ظهر بالشام حين جعله أبوه الخليفه من بعده و سار لقتال مصعب بن الزبير إلى الكوفه بعد أن قتل مصعب المختار بن أبى عبيده الثقفىّ فالتقوا بأرض مسكن-بكسر الكاف-من نواحى الكوفه.ثمّ قتل مصعبا و دخل الكوفه فبايعه أهلها و بعث الحجّاج بن يوسف إلى عبد اللّه بن الزبير بمكّه فقتله و هدم الكعبه،و ذلك سنه ثلاث و سبعين من الهجره،و قتل خلقا عظيما من العرب فى وقايع عبد الرحمن بن الأشعث،و رمى الناس بالحجّاج بن يوسف،

و فى الفصل

لطايف:

الاولى:

مجاز أطلق لفظ النعيق لظهور أوامره و دعوته بالشام مجازا ، استعاره و كذلك استعار لفظ الفحص لقلبه أهل الكوفه بعضهم على بعض و نقصه لحالاتهم الّتى كانوا عليها . تشبيه ثمّ شبّه عطفه و حمله عليها بعطف الناقه الضروس ،و وجه التشبيه شدّه الغضب و الحنق و الأذى الحاصل منها .

الثانيه:

كنايه فرشه الأرض بالرءوس كنايه عن كثره قتله فيها،و ذلك ممّا يشهد به التواريخ . استعاره بالكنايه و فغر :فيه استعاره ببعض أوصاف السبع الضارى كنّى به عن شدّه إقدامه على القتل و إقباله على الناس بشدّه الغضب و الأذى ، كنايه و كذلك ثقل وطأته فى الأرض كنايه عن شدّه بأسه و تمكّنه فى الأرض .

الثالثه:

كنايه بعد جولته كنايه عن اتّساع ملكه و جولان خيله و رجله فى البلاد البعيده،و بعيد و عظيم حالان،و من روى بالرفع فهما خبرا مبتدأ محذوف .

الرابعه:

لمّا فرغ من صفاته العامّه بيّن لهم ما سيفعله معهم من التشريد و الطرد فى أطراف البلاد،و أكّد ذلك بالقسم البارّ،و ذلك إشاره إلى ما فعله عبد الملك و من ولى الأمر من ولده فى باقى الصحابه و التابعين،و أحوالهم معهم فى الانتقاض و الاحتقار و الطرد و القتل ظاهره، تشبيه و شبّه البقيّه منهم بالغبار الّذى يكون فى العين من الكحل ،و وجه التشبيه الاشتراك فى القلّه .

الخامسه:

أخبر أنّهم لا يزالون كذلك:أى بالحال الموصوفه مع عبد الملك و من بعده من أولاده حتّى تعود إلى العرب عوازب أحلامها:أى ما كان ذهب من عقولها العمليّه فى نظام أحوالهم،و العرب هم بنو العبّاس و من معهم من العرب أيّام ظهور الدوله كقحطبه بن شبيب الطائىّ و ابنيه حميد و الحسن،و كبنى زريق أبى طاهر بن الحسين و إسحاق بن إبراهيم المصعبىّ و من فى عدادهم من خزاعه و غيرهم من العرب من شيعه بنى العبّاس.و قيل:إنّ أبا مسلم أصله عربىّ.و كلّ هؤلاء كانوا مستضعفين مقهورين مقمورين فى دوله بنى أميّه لهم ينهض منهم ناهض إلى أن أفاء اللّه تعالى عليهم ما كان عزب عنهم من حميّاتهم فغاروا للدين و للمسلمين من جور بنى مروان و أقاموا الأمر و أزالوا تلك الدوله.

فإن قلت:إنّ قوله:تؤوب.يدلّ على أنّ انقطاع تلك الدوله بظهور العرب و عود عوازب أحلامها،و عبد الملك مات و قامت بنوه بعده بالدوله،و لم يزل الملك عنه بظهور العرب فأين فايده الغايه؟ قلت:إنّ تلك الغايه ليست غايه لدوله عبد الملك بل غايه من كونهم لا يزالون مشرّدين فى البلاد،و ذلك الانقهار و إن كان أصله من عبد الملك إلاّ أنّه استمرّ فى زمن أولاده إلى حين انقضاء دولتهم فكانت غايته ما ذكر،و قال بعض الشارحين فى الجواب:إنّ ملك أولاده ملكه و ما زال الملك عن بنى مروان حتّى آبت إلى العرب عوازب أحلامها.و هذا جواب من لم يتدبّر كلامه عليه السّلام،و لم يتتبّع ألفاظ الفصل حتّى يعلم أنّ هذه الغايه لأىّ شىء منه فيلحقها به .ثمّ أمرهم بلزوم سنن اللّه و رسوله القائمه فيهم من بعده و آثاره البيّنه فيهم و عهده القريب بينهم و بينه.و وجّه عليهم ذلك الأمر فى الحال و عند نزول تلك الشدائد بهم:أى إذا نزل بكم منه ما وصف فلتكن وظيفتكم لزوم ما ذكرت .ثمّ نبّههم على ما فى سهوله المعاصى و فى تسهيل نفوسهم الأمّاره بالسوء عليهم طرق المحارم من المحذور و هو أن تنقاد لها النفوس العاقله فتضلّها عن سبيل اللّه و يقودها الضلال إلى الهلاك الاخروىّ.و باللّه التوفيق.

۱۳۸-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى وقت الشورى

لَنْ يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَهِ حَقٍّ- وَ صِلَهِ رَحِمٍ وَ عَائِدَهِ كَرَمٍ- فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَ عُوا مَنْطِقِي- عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ- تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ وَ تُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّهً لِأَهْلِ الضَّلاَلَهِ- وَ شِيعَهً لِأَهْلِ الْجَهَالَهِ

المعنى

أقول:هذا من جمله كلام قاله عليه السّلام لأهل الشورى،و قد ذكرنا طرفا من أخبارها .

ص:۱۷۴

فقوله: لن يسرع أحد.إلى قوله:و عائده كرم.

تقرير لفضيلته ليسمع قوله،و لذلك قال بعده:فسمعوا قولى و عوا منطقى، و ذكر فضائل ثلاثا:الدعوه إلى الحقّ الّذى لن يسارعه أحد إليها إلاّ سرعه.و هى ثمره العداله،و صله الرحم،و عائده الكرم.و هما فضيلتان تحت ملكه العفّه.و الّذى أمرهم بسماعه هو التنبيه على عاقبه أمر الخلافه،و ما يقع فيها من الهرج و المرج بعدهم بناء على ما حضر من الخبط و الاختلاط فيها فكأنّه يقول:إذا كان حال هذا الأمر هذه الحال من الخبط و مجاذبه من لا يستحقّه[لمن يستحقّه خ]و التغلّب فيه على أهله فعسى أن ترونه بعد هذا اليوم بحال يختصم الناس فيه بالسيوف و تخان فيه العهود،و هو إشاره إلى ما علمه من حال البغاه و الخوارج عليه و الناكثين لعهد بيعته .

فقوله: حتّى يكون بعضهم أئمّه لأهل الضلاله و شيعه لأهل الجهاله .غايه للتغالب على هذا الأمر،و أشار بالأئمّه إلى طلحه و الزبير،و بأهل الضلاله إلى أتباعهم،و بأهل الجهاله إلى معاويه و رؤساء الخوارج و سائر امراء بنى اميّه،و بشيعه أهل الجهاله إلى أتباعهم.و باللّه التوفيق.

۱۳۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى النهى عن غيبه الناس

وَ إِنَّما يَنْبَغِى لِأَهْلِ الْعِصْمَهِ وَ الْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِى السَّلاَمَهِ- أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَ الْمَعْصِيَهِ- وَ يَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ- وَ الْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ- فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِى عَابَ أَخَاهُ وَ عَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ- أَ مَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ- مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى عَابَهُ بِهِ- وَ كَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ- فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ- فَقَدْ عَصَى

اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِی الْكَبِيرِ- وَ عَصَاهُ فِی الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ- يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَعْجَلْ فِی عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ- فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ وَ لاَ تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ- فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ- فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ- وَ لْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِیَ بِهِ غَيْرُهُ

المعنى

أقول:أهل العصمه هم الّذين أعانهم اللّه سبحانه على قهر نفوسهم الأمّاره بالسوء حتّى صارت أسيره فى أيدى نفوسهم العاقله فحصلوا من ذلک على ملكه ترک الذنوب و الانزجار عن ولوج أبواب المحارم،و اولئک هم الّذين اصطنع اللّه إليهم السلامه من الانحراف عن سبيله و الوقوع فى مهاوى الهلاک.فنبّههم أوّلا على ما ينبغى لهم و هو أن يرحموا أهل الذنوب.و حصول تلک الرحمه منهم باعتبارهم حال العصاه و وقوعهم فى مهاوى الهلاک.و من عاده عباد اللّه الرحمه لمن يرونه فى مهلكه بإنقاذه و إعانته على الخروج منها،و أن يكون الشكر هو الغالب عليهم و الحاجز لهم،و ذلک باعتبارهم عند مشاهده أهل المعاصى لما أنعم اللّه به عليهم من إعانته لهم على قهر شياطينهم الّتى هى موادّ الذنوب .

و قوله:فكيف بالغايب.

شروع فى تنبيه من هو دون أهل العصمه ممّن يرتكب كبيره أو صغيره على ما ينبغى له من ترک الغيبه فكأنّه قال:فهذا هو ما ينبغى لأهل العصمه فكيف يليق بغيرهم ممّن يعيب أخاه و يعيّره ببلواه بل ينبغى لمثله أن يترک الغيبه و يشكر اللّه بالطريق الأولى.و ذلک باعتبار ستر اللّه عليه من ذنوبه ما هو أعظم ممّا عيّر أخاه به.

و تلک نعمه اللّه يجب شكره عليها ،و أشار بموضع ستر اللّه عليه إلى النعمه المصطنعه

عنده و هی تأهیله و إعداده له،و الاستفهام علی سبیل الإنکار أخذ بالتعجّب من ذمّ العائب لأخیه علی ذنب.و هو فی صوره احتجاج علیه فی ارتکابه لهذا الذنب،و ذلک قوله: و کیف یذمّه.إلی قوله:یا عبد اللّه .فکأنّه یقول:لا یجوز لأحد أن یعیب أخاه لأنّه إمّا أن یکون بذنب قد رکب العائب مثله أو أکبر منه أو أصغر.فإن کان بذنب قد رکب مثله أو أکبر کان له فی عیبه لنفسه شغل عن عیب غیره ،و إن کان ارتکب أصغر منه فهو ممنوع علی تقدیر جرأته علی الغیبه و صدوره عنه لأنّها من الکبایر،و إنّما قال:هی أکبر ما عند اللّه.إمّا مبالغه أو لأنّ المفاسد الّتی یشتمل علیها ارتکاب سایر المنهیّات جزئیّه و مفسده الغیبه کلّیّه لأنّه لمّا کان من المقاصد المهمّه للشارع اجتماع النفوس علی همّ واحد و طریقه واحده و هی سلوک سبیل اللّه بسایر وجوه الأوامر و النواهی و لن یتمّ ذلک إلاّ بتعاون هممهم و تصافی بواطنهم و اجتماعهم علی الالفه و المحبّه حتّی یکونوا بمنزله عبد واحد فی طاعه مولاه، و لن یتمّ ذلک إلاّ بنفی الضغائن و الأحقاد و الحسد و نحوه،و کانت الغیبه من کلّ منهم لأخیه مشیره لضغنه و مستدعیه منه مثلها فی حقّه لا جرم کانت ضدّ المقصود الکلّیّ للشارع فکانت مفسده کلّیّه،و لذلک أکثر اللّه تعالی و رسوله من النهی عنها کقوله تعالی «وَ لا یَغْتَبْ بَعْضُکُمْ بَعْضاً» (۱)حتّی استعار لما یقترضه الغائب من عرض أخیه لفظ اللحم و زاده تقبیحا و تکریها بصفه المیّت فقال «أَ یُحِبُّ أَحَدُکُمْ أَنْ یَأْکُلَ لَحْمَ أَخِیهِ مَیْتاً» و قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:إیّاکم و الغیبه فإنّ الغیبه أشدّ من الزنا إنّ الرجل یزنی فیتوب اللّه علیه و إنّ صاحب الغیبه لا یغفر له حتّی یغفر له صاحبه،و عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مررت لیله اسری بی فرأیت قوما یخمشون وجوههم بأظافیرهم فسألت جبرئیل عنهم.فقال:هؤلاء الّذین یغتابون الناس،و فی حدیث البراء بن عاذب:خطبنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتّی أسمع العواتق فی بیوتهنّ.فقال:ألا لا تغتابوا المسلمین و لا تتبعوا عوراتهم فمن تتّبع عوره أخیه تتّبع اللّه عورته و من تتّبع اللّه عورته یفضحه فی جوف بیته .ثمّ نهی عن الاستعجال و التسرّع إلی العیب،و نبّه علی

۱- ۱) ۱۲-۴۹.

وجوب ذلك الاحتمال[لانتهاء-خ-]باحتمال أن يكون الذنب الّذى يعيب أخاه به مغفورا له و إن كان كبيرا،و ذلك لاحتمال أن يكون حاله لم تتمكّن من جوهر نفسه ، و نهى عن أن يأمن على نفسه صغير معصيه يرتكبها لاحتمال أن يعذّب عليها لصيرورتها ملكه متمكّنه من جوهر نفسه .ثمّ عاد إلى الأمر بالكفّ عن العيب باعتبار ما يعلم الإنسان من عيب نفسه،و أن يكون الشكر للّه دأبه على السلامه من التورّط فى مورد الهلكه الّذى سلكه صاحب الذنب و ابتلاه اللّه به.

و اعلم أن تعريف الغيبه يعود إلى ذكر الإنسان بما يكره نسبته إليه ممّا يعدّ نقصانا فى العرف ذكرا على سبيل قصد الانتقاص و الذمّ سواء كان ذلك النقصان عدم كمال بدنىّ كالعور و العمى،أو نفسانىّ كالجهل و الشره و الظلم،أو عدم كمال من خارج كسقوط الأصل و دناءه الآباء.و احترزنا بالقيد الأخير فى تعريفها و هو قصد الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا أو لاستدعاء الرحمه من السلطان فى حقّ الزمن و الأعمى بذكر نقصانهما.ثمّ الغيبه قد تكون باللسان و هى الحقيقيّه،و قد تكون بالإشاره و غيرها من ساير ما يعلم به انتقاص أخيك و التنبيه على عيبه،و تسمّى غيبه مجازا لقيامها مقام الغيبه.و لها أسباب غائيّه:

أحدها:شفاء الغيظ.فانّ الإنسان كثيرا ما يشفى غيظه بذكر مساوى من غاظه.

الثانى:المباهاه و التفاضل كما يقول من يتعاطى الإنشاء و الشعر:كلام فلان ركيك و شعره بارد.

الثالث:اللعب و الهزل و ترجيه الوقت فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين.

الرابع:أن يستشعر من غيره أنّه سيذمّه عند السلطان مثلا فيقصد سبقه بذكر مساويه ليسقط شهادته عنده عليه،و قد تكون لها غايات أخر.

و قد وردت الرخصه فى غيبه الفاسق المتجاهر بفسقه كالخمّار و المخنّث و العشّار الّذى ربّما يفتخر بعيبه و لا يستحيى منه.قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبه له.لكن تركها إلى السكوت أولى.و باللّه التوفيق.

۱۴۰–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ- مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَهَ دِينٍ وَ سَدَادَ طَرِيقٍ- فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ- أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِی الرَّامِی- وَ تُخْطِئُ السِّهَامُ وَ يُحِيلُ الْكَلاَمُ- وَ بَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ وَ شَهِيدٌ- أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَ الْحَقِّ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ قال الشريف:فسئل عليه السلام عن معنی قوله هذا،فجمع أصابعه و وضعها بين أذنه و عينه،ثم قال:الباطل أن تقول سمعت،و الحقّ أن تقول رأيت.

اللغه

أقول: أحاك الكلام يحيك: إذا عمل و أثّر و كذلك حاك،و روی:يحيل:أی يبطل و لا يصيب .

و هذا الفصل نهی عن التسرّع إلی التصديق بما يقال فی حقّ مستور الظاهر

المشهور بالصلاح و التديّن من العيب و القدح فی دينه،

و هو نهی عن سماع الغيبه بعد نهيه عنها نفسها،و إليها الإشاره بقوله تعالی «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَهٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ» (۱).ثمّ نبّه علی جواز الخطأ علی المتسرّعين إلی الغيبه بالمثل.فقال : أما إنّه قد يرمی الرامی و تخطیء السهام .و وجه مطابقه هذا المثل أنّ الّذی يرمی بعيب قد يكون بريئا منه فيكون الكلام فی حقّه غير مطابق و لا صائب كما لا يصيب السهم الّذی يرمی به فيخطئ الغرض .و علی الروايه بالكاف،و يحيك الكلام:أی أنّ السهم قد يخطیء فلا يؤثّر،و الكلام يؤثّر علی كلّ حال،و إن لم يكن حقّا فإنّه يسوّد العرض و يلوّثه فی نظر من لا يعرفه.

ص:۱۷۹

۱- ۱) ۶-۴۹.

و قوله: و باطل ذلک يبور و اللّه سميع و شهيد.

يجرى مجرى التهديد و تحقير ثمره ذلک القول الکاذب الّذى لا يبقى من مال أو جاه أو نحوهما بالنسبه إلى عظم عقوبه اللّه و غضبه الباقى فإنّ سمعه و شهادته مستلزمان لغضبه المستلزم لعقوبته.

و قوله: أما إنّه ليس بين الحقّ و الباطل إلاّ مقدار أربع أصابع.

فتفسيره الفعل المذکور ،و تفسير ذلک الفعل هو قوله: الباطل أن تقول:سمعت، و الحقّ أن تقول:رأيت .ثمّ هاهنا لطيفتان:

فالاولى:أنّ قوله:الباطل أن تقول سمعت.لا يستلزم الکلّيه حتّى يکون کلّ ما سمعه باطلاً فإنّ الباطل و المسموع مهملان.

الثانيه:أنّ الحقّ ليس هو قوله:رأيت.بل المرئىّ له،و الباطل هو قوله.

سمعت.بل القول المسموع له،و إنّما قوله:رأيت و سمعت.إخبار عن وصول المرئىّ و المسموع إلى بصره و سمعه فأقام هذين الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا.و باللّه التوفيق.

۱۴۱-و من کلام له عليه السّلام

اشاره

وَ لَيسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِى غَيْرِ حَقِّهِ- وَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلاَّ مَحْمَدَهُ اللِّئَامِ- وَ ثَنَاءُ الْأَشْرَارِ وَ مَقَالَهُ الْجُهَّالِ- مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ مَا أَجْوَدَ يَدَهُ- وَ هُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٌ- فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَهَ- وَ لْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَهَ وَ لْيَفُکَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَ الْعَانِىَ- وَ لْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَ الْغَارِمَ- وَ لْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَ النَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ- فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَکَارِمِ الدُّنْيَا- وَ دَرْکُ فَضَائِلِ الْآخِرَهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ :

المعنى

أقول:لمّا کان لواضع المعروف سواء کان فى أهله أو غير أهله ثناء من الناس

و مدح له بالكرم و البذل كان ممّا يتميّز به وضعه فى غير أهله عن وضعه فى أهله أنّ الأوّل إنّما يحصل به لواضعه الحمد من لئام الناس:أى ساقطى الاصول و السفهاء و الأشرار و الجهّال لعدم معرفتهم بوضع الأشياء فى مواضعها الّتى هى مقتضى العقل الّذى به نظام امور الدنيا و قوام نوع الإنسان فى الوجود مع أنّه فى الحقيقه و عند اولى الألباب العارفين بمواقع المعروف بخيل فى جنب اللّه تعالى،و أمّا الثانى:فتحصل له المحمده من الكلّ.فى الدنيا محمده مطابقه للحقّ مع الثواب الجزيل فى الاخرى فلا جرم أشار إلى الأوّل بقوله: فليس لواضع المعروف.إلى قوله:و هو عن ذات اللّه بخيل .

و قوله : ما أجو ديده.

متعلّق بمقاله:أى ذلك هو الأمر الّذى يقولونه ما دام منعما عليهم،و إنّما قيّد بهذا القيد لأنّ الجاهل قد يعتقد أنّ ما يسدى إليه حقّ له فربّما دام حمده بدوام ذلك الإنعام لكن ينقطع بانقطاعه،و أمّا الجاهل الشرير فكثيرا ما يعتقد أنّه إنّما يسدى إليه لشرّه و خوف أذاه فربّما يشكر المنعم ما دام منعما حتّى إذا انقطع إنعامه جعل شرّه عوض شكره استجلابا لذلك الإنعام المنقطع و استعاده له،و أمّا الثانى :فنبّه أوّلا على مواضع المعروف و أمر بوضعه فيها،و ذكر منها خمسه:

الأوّل :صله الرحم.

الثانى :حسن الضيافه.

الثالث :فكّ الأسير و العانى.و إنّما اختلف اللفظ.

و الرابع :إعطاء الفقير و الغارم و هو من عليه دين.

الخامس :الحقوق الواجبه على أهلها كالزكاه،و المستحبّه كالصدقات.

و أشار بالنوائب إلى ما يلحق الإنسان من المصادرات و الغرامات الّتى يفكّ بها الإنسان من أيدى الظالمين و ألسنتهم،و الإنفاق فى ذلك من الحقوق الواجبه على الإنسان.

و الفضايل الخمس داخله تحت فضيله الكرم،و الإشاره إلى ذلك بقوله: فمن آتاه اللّه.

إلى قوله:ابتغاء الثواب .و نبّه بهذه الغايه أعنى المفعول له على أنّ الإنفاق فى هذه الوجوه إنّما يكون وضعا للمعروف فى موضعه إذا قصد به وجه اللّه تعالى فأمّا إذا

قصد به الرياء و السمعه فهو و إن عدّ فى ظاهر الشريعه مجزيا إلّا أنّه غير مجز و لا مقبول فى باطنها ثمّ أشار بقوله : فإنّ فوزا بهذه الخصال.إلى آخره إلى ما يتميّز به وضع المعروف فى أهله و هو شرف مكارم الدنيا من الذكر الجميل بين الناس، و الجاه العريض، و درك فضايل الآخره و هى درجات الثواب الجزيل الموعود لأولى الفضايل النفسانيّه،و إنّما نكّر الفوز لأنّ تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الّذى يحصل بأىّ شخص كان من أشخاصه،و هذا و إن كان حاصلا مع الالف و اللام لتعريف تلك الطبيعه إلّا أنّ ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعه و المعهود الشخصىّ فكان موهما لفوز شخصىّ و لذلك كان الإتيان به منكّرا أفصح و أبلغ.و باللّه التوفيق.

۱۴۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى الاستسقاء.

أَلاَ وَ إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِى تُقِلُّكُمْ- وَ السَّمَاءَ الَّتِى تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ- وَ مَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ- وَ لاَ زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَ لاَ لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ- وَ لَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا- وَ أُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا- إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِى عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَهِ- بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَ حَبْسِ الْبَرَكَاتِ- وَ إِغْلاَقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ- وَ يُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَ يَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَ يَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ- وَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الاِسْتِغْفَارَ سَبَباً- لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَ رَحْمَهِ الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ- «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَ يُمْدِدْكُمْ» ،

«بِأَمْوالٍ وَ بَنِينَ» فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ- وَ اسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ وَ بَادَرَ مَنِيَّتَهُ- اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَ الْأَكْنَانِ- وَ بَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَ الْوِلْدَانِ- رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ وَ رَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ- وَ خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَ نِقْمَتِكَ اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَ لاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ- وَ لاَ تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ- وَ لاَ تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ- اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ- نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ- حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ وَ أَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ- وَ أَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ- وَ تَلاَحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ- اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلاَّ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ- وَ لاَ تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ وَ لاَ تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا- وَ لاَ تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا- اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَ بَرَكَتَكَ- وَ رِزْقَكَ وَ رَحْمَتَكَ وَ اسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً- تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ وَ تُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ- نَافِعَةَ الْحَيَا كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ- وَ تُسِيلُ الْبُطْنَانَ وَ تَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ- وَ تُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ

ص:۱۸۳

اللغه

أقول: أقلع عن خطيئته: إذا رجع عنها و تاب .و المثاور: المواثب .

و الزلفه: القربى و المنزله .و الواجم: الّذى اشتدّ حزنه حتّى سكت من الكلام .

و النافعه: المرويه .و القيعان: جمع قاع:و هو المستوى من الأرض .و البطنان: جمع البطن:و هو ما انخفض من الأرض .

المعنى

و اعلم أنّا بيّنا فيما سبق أنّ الجود الإلهىّ لا بخل فيه و لا منع من جهته، و إنّما يكون منع الكمالات فى هذه الحياه بعدم الاستعدادات لها فكلّ مستعدّ لأمر ملاق له و فايض عليه.إذا عرفت ذلك فاعلم أنّه عليه السّلام صدّر هذا الفصل بتنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمه اللّه الّتى ارتفعت عنهم بحبس المطر،و ذلك فى قوله : ألا و إنّ الأرض.إلى قوله:و بادر منيّته .فنبّههم أوّلا فى ذلك الصدر على أنّ الأرض الّتى هى كالأمّ للنبات و الزرع،و السماء الّتى هى كالأب مطيعتان لربّهم، و أشار بالسماء إلى السحاب أو إلى السماوات لكونها بحركاتها أسبابا معدّه لكلّ ما فى هذا العالم من الحوادث،و أشار بطاعتهما إلى دخولهما تحت حكم القدره الإلهيّه،و أشار بقوله : و ما أصبحتا.إلى قوله:ترجوا أنّه منكم .إلى لطيفه:و هى أنّ الحوادث الحادثه فى هذا العالم من العاليات ليست مقصوده بالذات لها فيكون ذلك منها لأجل توجّع للناس أو لأجل قرابه و منزله بينهم و بينها،و لا لخير ترجو أنّه منهم كما هو المتعارف من منافع الناس بعضهم لبعض لأنّ السماوات و الأرض غنيّه عنها لكنّ لمّا كانت السماوات متحرّكه دائما طلبا لكمالاتها اللائقه بها من واهبها -جلّ و علا-و مسخّره بأمره عرض عن هذه الحركات و الاتصالات إعداد الأرض لقبول النبات و الزرع و وجود الحيوانات الّتى هى أرزاق لها و بها قوام وجودها فكانت مصالح هذه الحيوانات إذن منوطه بتلك الحركات و جاريه على وفقها بإذن المدبّر العزيز الحكيم سبحانه،و إلى ذلك أشار بقوله : و لكن.إلى قوله:

فأقامتا ،و غرضه ممّا سبق إلى هاهنا أن يقرّر فى النفوس عظمه اللّه سبحانه و أنّ الأرزاق و أسبابها منسوبه إليه و منه حتّى تتوجّه النفوس إليه بالإقلاع عن الذنوب الّتى هى حجب لها عن إفاضه الرحمه عليها منه .ثمّ بيّن بعده أنّ اللّه سبحانه إنّما

يفعل ما يفعل من نقص الثمرات و حبس البركات و إغلاق خزائن الخيرات عن الخلق عند أعمالهم السيّئه ابتلاء لهم كقوله تعالى «وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ» (۱)و قد علمت معنى ابتلائه لهم .ثمّ بيّن أنّ غايه العنايه الإلهيّه من ذلک الابتلاء رفع حجب النفوس الّتی هی الذنوب و المعاصی و استعدادها بذلک لقبول رحمه اللّه بالتوبه و الإقلاع منها و الازدجار عنها و التذكّر للمبدأ الأوّل-جلّت عظمته-و ما أعدّ لأوليائه الأبرار فی دار القرار و لأعدائه الأشرار فی دار البوار .ثمّ بيّن لهم أنّ اللّه سبحانه جعل الاستغفار سببا لدرور الرزق و الرحمه،و لمّا كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب و سترها على العبد أن يفتضح بها و ذلک إنّما يكون بمحوها من لوح نفسه لا جرم كان المستغفر المخلص ماحيا لخطيئته باستغفاره عن لوح نفسه و بذلک يكمل استعداده لإفاضه رحمه اللّه عليه فی الدنيا بإنزال البركات و فی الآخره برفع الدرجات ،و إلى ذلک الإشاره بالشاهد العدل قوله تعالى «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً» (۲)الآيات،و قوله تعالى «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ» (۳)الآيه،و قوله «وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» (۴)و قوله: «وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً » (۵)ثمّ دعا لمن استقبل توبته و شرع فی الاستعداد بها،و لمن استقال خطيئته:أی طلب الإقاله من الإلزام بعاقبتها و ثمرتها و هو العقاب عليها و المؤاخذه بها،و لمن واثب منيّته و عاجلها قبل إدراكها له بالتوبه.كلّ ذلک تنبيه على الاستعداد و طلب له منهم.إذ كان لا يتمّ المطلوب بدونه،و لفظ الإقاله استعاره، و وجهها أنّ المخطئ كالمعاهد و الملتزم لعقاب اخرویّ بلذّه عاجله لما علم استلزام تلک اللذّه المنهیّ عنها للعقاب فهو يطلب للإقاله من هذه المعاهده[المعاصی-خ-] كما يطلب المشتری الإقاله من البيع.

ص:۱۸۵

۱- ۱) ۱۵۱-۲.

۲- ۲) ۹-۷۱.

۳- ۳) ۹۴-۷.

۴- ۴) ۷۱-۵.

۵- ۵) ۱۶-۷۲.

و قوله : اللّهم.إلى آخره.

لمّا قدّم الأمر بالاستعداد لرحمه اللّه رجع إليه فى استنزالها عليهم فقدّم فى الدعاء ما عادته أن يقدّم بين يدى الملوك من الكلام المرفق للطباع و الموجب للعفو و الرحمه.

فذكر الخروج من تحت الأستار و الأكنان الّتى ليس من شأنها أن يفارق إلّا لضروره شديده ،و كذلك عجيج البهائم و الولدان و أصواتها المرتفعه بالبكاء،و ذكر الغايه من ذلك و هى الرغبه فى رحمته و الرجاء لفضل نعمته و الخوف من عذابه و نقمته.و هذه جهات المساعى البشريّه .ثمّ سأل بعد ذلك المطالب:و هى السقيا و عدم الهلاك بالجدب، و أن لا يؤاخذهم بأفعال السفهاء من المعاصى المبعّده عن رحمته كقوله تعالى حكايه عن موسى عليه السّلام «أَ تُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنّا » (۱)ثمّ عاد إلى تكرير شكوى الجدب بذكر أسبابها الحامله عليها ليكون أقوم للعذر.و المقاحط:أماكن القحط أو سنى القحط،و ظاهر كون الجوع و العرى و ساير المسبّبات عن القحط فتنه:أى صارفه للقلوب عمّا يراد بها .ثمّ عاد إلى طلب إجابه دعائه.

و قوله : و لا تخاطبنا بذنوبنا :أى لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا ، و لا تقايسنا بأعمالنا :أى لا تجعل فعلك بنا مقايسا لأعمالنا السيّئه و مشابها لها و سيّئه مثلها .ثمّ عاد إلى طلب أنواع ما يطلب منه سبحانه بأتمّ ما ينبغى على الوجه الّذى ينبغى.إلى آخره.و هو ظاهر.و باللّه التوفيق.

۱۴۳-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ- وَ جَعَلَهُمْ حُجَّهً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ- لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّهُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ- فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ- أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَهً- لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ- وَ مَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ- وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً- فَيَكُونَ

ص:۱۸۶

۱- ۱) ۷-۱۵۴

الثَّوَابُ جَزَاءً وَ الْعِقَابُ بَوَاءً أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا- كَذِباً وَ بَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَ وَضَعَهُمْ- وَ أَعْطَانَا وَ حَرَمَهُمْ وَ أَدْخَلَنَا وَ أَخْرَجَهُمْ- بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَ يُسْتَجْلَى الْعَمَى- إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ ؟قُرَيْشٍ؟- غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ ؟هَاشِمٍ؟ لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ- وَ لاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ أقول:هذا الفصل منافره بينه و بين جمع من الصحابه الّذى كانوا ينازعونه الفضل.و البواء: الكفو .

فقوله: بعث رسله .إلى قوله: سبيل الحقّ.

كقوله تعالى «رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» (۱)و لسان الصدق هو لسان الشريعه الناطقه عن مصباح النبوّه المشتعل عن نور الحقّ سبحانه،و سبيل الحقّ هو الطريق الموصله إليه تعالى الّتى تطابقت على الهدايه إليها ألسنه الرسل و الأولياء.و صدّر الفصل بذلك لاشتماله على فضيله الأنبياء ليبنى عليه فضيله نبيّه.

و قوله : ألا إنّ اللّه .إلى قوله: بواء.

كلام يجرى مجرى التهديد لمن نافره باطّلاع اللّه على أسرارهم،و أنّ ما كلّفهم به إنّما هو ابتلاء منه لهم أيّهم أحسن عملا،و قد عرفت معنى ابتلاء اللّه لخلقه مرارا، و أراد بالكشفه الاختبار و الابتلاء أيضا .ثمّ عقّب ذلك بالاستفهام عن الّذين زعموا أنّهم أفضل منه،و ذلك أنّ قوما من الصحابه كان منهم من يدّعى الأفضليّه فى فنّ من العلم.فمنهم من كان يدّعى أنّه أفرض،و منهم من كان يدّعى أنّه أقرء، و منهم من كان يدّعى أنّه أعلم بالحلال و الحرام.و رووا أفرضكم زيد بن ثابت

۱- ۱) ۱۷۹-۲.

و أقرئكم أبىّ،و رووا مع ذلك أقضاكم علىّ .و ذلك الاستفهام على سبيل الإنكار عليهم و لذلك أردفه بالتكذيب لهم فيما ادّعوه من الأفضليّه .ثمّ إن كان ما رووه حقّا مع أنّ القضاء يحتاج إلى جميع ما ادّعوه فضيله لهم ثبت أنّه عليه السّلام أفضلهم لاستجماعه ما تفرّق فيهم من الفضايل فيهم،و إن لم يكن حقّا مع أنّ أنوار فضايله مستطيره فى آفاق الصدور فقد ظهر فضله عليهم،و ذلك وجه التكذيب لهم.ثمّ أشار إلى العلّه الحامله لهم على الكذب فيما ادّعوه،و هو قوله: أن رفعنا اللّه :أى رفع درجاتنا فى الدنيا و الآخره على الكافّه و وضعهم دوننا،و أن و ما بعدها نصب على المفعول له ، و أعطانا :أى الملك و النبوّه و حرّمهم ذلك،و كذلك أدخلنا بعنايته الخاصّه بنا فيما أعطانا و أخرجهم من ذلك .

استعاره مرشحه قوله: بنا يستطعى الهدى،و يستجلى العمى.

فاستعار لفظ العمى للجهل،و رشّح بذكر الاستجلاء ، كنايه و لمّا كانوا عليهم السّلام المعدّين لأذهان الخلق لقبول أنوار اللّه و المرشدين لنفوسهم إلى سبيل اللّه لا جرم كان بهم يستعطى الهدى من اللّه .إذ بواسطه استعدادهم يفاض على النفوس هداها،و بواسطه إعطائهم القوانين الشرعيّه الكلّيّه و الجزئيّه يستجلى الجهل من واهب ذلك الجلاء.و هو كنايه عن الاستعداد أيضا .

و قوله: إنّ الأئمّه من قريش .إلى آخره.

لفظ النصّ المشهور عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأئمّه من قريش و تخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم:أمّا على مذهب الشيعه فهو نصّ يجب اتّباعه كما يجب اتّباع نصّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لاعتقادهم عصمته،و أمّا على مذهب الباقين من المسلمين فواجب الاتّباع أيضا لقوله عليه الصلاه و السلام:إنّه لمع الحقّ و أنّ الحقّ معه يدور حيث دار.و مراده بذلك البطن:أمّا على مذهب الاثنى عشريّه فنفسه مع الأحد عشر من ولده بنصّ كلّ منهم على من بعدهم من كونهم معصومين،و أمّا على مذهب الباقين من الإماميّه فكلّ منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد إمامته . لا يصلح على سواهم :أى لا يكون لها صلاح على يد غيرهم،و لا يصلح الولاه غيرهم.

القسم الثانی منها:

اشاره

آثَرُوا عَاجِلًا وَ أَخَّرُوا آجِلًا- وَ تَرَكُوا صَافِياً وَ شَرِبُوا آجِناً- كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَ قَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ- وَ بَسِئَ بِهِ وَ وَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ- وَ صُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ- ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ- أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ- أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَهُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى- وَ الْأَبْصَارُ اللَّامِحَهُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى- أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَ عُوقِدَتْ عَلَى طَاعَهِ اللَّهِ- ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَ تَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ- وَ رُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّهِ وَ النَّارِ- فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّهِ وُجُوهَهُمْ- وَ أَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ- وَ دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَ وَلَّوْا- وَ دَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَ أَقْبَلُوا

اللغه

أقول: بسىء به: آلفه و استانس به .

المعنى

و اعلم أنّ ضمير الجمع فى آثروا و أخّروا و ما بعدهما ضمائر مهمله يصدق إطلاقها على الجماعه و إن كان المعنىّ بها بعضهم،و هذا الكلام يصدق على من تخلّف من الناس إلى زمانه ممّن هو غير مرضىّ الطريقه و إن كان معدودا من الصحابه بالظاهر كالمغيره بن شعبه و عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و معاويه و نحوهم من امراء بنى اميّه ممّن آثر عاجل الدنيا و ثاور إليه و أخّر آجل ثواب الاخرى فنبذه وراء ظهره و ترك ما وعد به من تلك اللذّات الصافيه عن كدورات الدنيا و العلايق البدنيّه إلى اللذّات الوهميّه الآجنه بشوب الأعراض و الأمراض و التغيّر و الزوال، استعاره مرشحه و استعار لفظ الآجن للذّات الدنيا ملاحظه لتشبيهها بالماء الّذى لا يسوغ شربه لتغيّر طعمه، و رشّح بذكر الشوب.

كنايه و قوله : كأنّى أنظر إلى فاسقهم.

يحتمل أن يريد فاسقا معيّنا كعبد الملك بن مروان و يكون الضمير عائدا

ص:١٨٩

إلى بنى أميّه و من تـابعهم،و يحتمل أن يريـد مطلق الفاسق:أى من يفسق من هؤلاء فيما بعـده و يكون بالصـفات الّتى ذكرها من صحبه المنكر و الفه له و موافقته لطبعه إلى غايه عمره،و كنّى عن تلك الغايه بشيب المفارق . و صبغت به خلائقه :

أى صار المنكر ملكه له و خلقا، اسـتعاره و استعار لفظ الازدياد تشبيها له بالبحر الطامى، و وجه التشبيه كونه عند غضبه لا يحفل بمـا يفعله فى النـاس من المنكرات كما لا حفله للبحر بمن غرق فيه ،و كـذلك شـبّه حركته فى المنكرات و الظلامات بوقع النار فى الحطب ،و وجه الشّبه كونه لا يبالى بتلك الحركات كما لا يبالى النار بما أحرقت .

ثمّ أخـذ يسئل عن العقول المسـتكمله بـأنوار اللّه، اسـتعاره و اسـتعار لفظ مصابيـح الهـدى :إمّا لأئمّه الـدين أو لقوانينه الكلّيّه .و الاستصـباح بهـا:الاقتـداء بهـا. اسـتعاره و الأبصـار اللامـحه إلى منـار التقوى :أى النـاظره إلى أعلام التقوى،و اسـتعاره لفظ المنار كاستعاره لفظ المصابيح .

ثمّ عن القلوب الّتى وهبهـا للّه أهلهـا:أى جعلوا هممهم مطالعه أنوار كبرياءه و التوجّه إلى كعبه وجوب وجوده . و عوقـدت على طـاعه اللّه :أى اخـذ خلفـاء اللّه عليهم العهـد بطـاعته و المواظبه عليهـا .ثمّ عاد إلى ذمّ السابقين و توبيخهم بازدحامهم على حطام الـدنيا، اسـتعاره و اسـتعار لفـظ الحطـام لمقتنيات الـدنيا،و وجه الاسـتعاره سـرعه فنائها و فسادها كما يسـرع فساد النبت اليابس و تكسـيره ،و بتشـاحّهم على الحرام:أى كلّ واحـد يشاحّ صاحبه على الحرام و يبخل به عليه ،و أشار بعلم الجنّه إلى قانون الشـريعه القايـد إلى الجنّه و بعلم النار إلى الوساوس المزيّنه لقينات الـدنيا.و العلم الأوّل بيد الدعاه إلى اللّه و هم الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و من بعـده من أوليـاء اللّه من أهل بيته و التابعين لهم بإحسان،و العلم الثانى بيـد إبليس و جنوده من شـياطين الجنّ و الإنس الـداعين إلى النار .ثمّ ذمّهم بصـرفهم وجوههم عن الجنّه و إقبالهم بأعمالهم على النار حين رفع العلمين من قبل الـدعاه:و إنّما قال:و أقبلوا بأعمالهم.و لم يقل بوجوههم.كما قال:

فصـرفوا وجوههم.لأنّ إقبالهم بوجوه نفوسـهم على لذّات الدنيا و اقتنائها يسـتلزم صـرفها عن الأعمال الموصله إلى الجنّه و ذلك يستلزم إعراضها عن الجنّه.ثمّ لمّا كانت الغايه الّتى يطلبها الإنسان من الدنيا هو الحصول على لذّاتها و كانت النار لازمه

للأعمال الموصله إلى تلك الغايه لزوما عرضيّا لم تكن النار غايه ذاتيّه قد أقبلوا بوجوههم عليها بل كان إقبالهم عليها بأعمالهم.إذ كانت هى المستلزمه لها .ثمّ أخبر فى معرض الذمّ لهم عن مقابلتهم لدعاء ربّهم لهم بالنفار عنه،و لدعاء الشيطان لهم باستجابتهم لدعوته و إقبالهم إليه.و فى قوله: و دعاهم.إلى آخره تنبيه أنّ الرافع لعلم الجنّه هو اللّه بأيدى خلفائه،و الرافع لعلم النار هو الشيطان بأيدى أوليائه.

و باللّه التوفيق.

۱۴۴-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّمَا أَنْتُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا- مَعَ كُلِّ جَرْعَهٍ شَرَقٌ وَ فِى كُلِّ أَكْلَهٍ غَصَصٌ- لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَهً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى- وَ لاَ يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ- إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ- وَ لَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَهٌ فِى أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ- وَ لاَ يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ- وَ لاَ يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ- وَ لَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَهٌ إِلَّا وَ تَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَهٌ- وَ قَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا- فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ

اللغه

أقول: الغرض: الهدف .

المعنى

استعاره و غرض هذا الفصل ذمّ الدنيا و تقبيحها بذكر معايبها لتخفّ الرغبات فيها و تنصرف إلى ما ورائها من الامور الباقيه.فاستعار لهم لفظ الغرض، و وجه الاستعاره كونهم مقصودين بسهام المنيّه من سائر الأمراض و الأغراض كما يقصد الغرض بالسهام ، مجاز فى الإفراد و التركيب و أسند الانتضال إلى المنايا مجازا لأنّ القاصد لهم بالأمراض هو فاعلها بهم.

فكان المجاز هاهنا فى الإفراد و التركيب . كنايه ثمّ كنّى بالجرعه و الأكله عن لذّات

الـدنيا،و بالشـرق و الغصـص عمّا فى كلّ منها من شوب الكـدورات اللازمه لها طبعا من الأمراض و المخاوف و سائر المنغّصات لها .

و قوله: لا تنالون نعمه إلاّ بفراق اخرى.

فيه لطف:و هو إشاره إلى أنّ كلّ نوع من نعمه فإنّما يتجدّد شخص منها و يلتذّ به بعد مفارقه مثله كلذّه اللقمه مثلا فإنّها تستدعى فوت اللـذّه باختهـا السـابقه،و كـذلك لـذّه ملبوس شخصـىّ أو مركوب شخصـىّ،و سـائر ما يعـدّ نعما دنيويّه ملتـذّا بها فإنّها إنّما تحصل بعد مفارقه ما سبق من أمثالها بل و أعمّ من ذلك فإنّ الإنسان لا يتهيّأ له الجمع بين الملاذّ الجسمانيّه فى وقت واحد بل و لا اثنين منها فإنّه حال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا أو حال ما هو فى لذّه الأكل لا يكون يلتذّ بمشروب،و حال ما يكون جالسا على فراشه الوثير لاـ يكون راكبـا المنزهه.و نحو ذلـك.و بـالجمله لاـ يكون مشـغولا بنوع من الملاـذّ الجسـمانيّه إلاّـ و هو تارك لغيره،و ما اسـتلزم مفارقه نعمه اخرى لا يعـدّ فى الحقيقه نعمه ملتذّا بها ،و كذلك قوله: و لا يعمّر معمّر منكم.إلى قوله:أجله .لأنّ السرور بالبقاء إلى يوم معيّن لا يصل إليه إلاّ بعد انقضاء ما قبله من الأيّام المحسوسه من عمره.

فإذا هـدم من عمره يوما فيكون لـذّته فى الحقيقه ببقائه مسـتلزما لقربه من الموت و ما اسـتلزم القرب من الموت فلا لـذّه فيه عند الاعتبار ،و كـذلك قوله: و لا تجدّد له زياده فى أكله إلاّ بنفاد ما قبلها من رزقه :أى من رزقه المعلوم أنّه رزقه و هو ما وصل إلى جوفه مثلا فإنّ ما لم يصل جاز أن يكون رزقا لغيره.و قد علمت أنّ الإنسان لا يأكل لقمه حتّى يفنى ما قبلها فهو إذن لا يتجدّد له زياده فى أكله إلاّ بنفاد رزقه السابق،و ما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا فى الحقيقه،و روى:اكله.

و يحتمل أن يريـد أنّه إذا تجـدّدت له جهه رزق فتوجّه فيها طالبا له كان ذلك التوجّه مسـتلزما لانصـرافه عمّا قبلها من الجهات و انقطاع رزقه من جهتها،و اللفظ مهمل يصـدق و لو فى بعض الناس فلا تجب الكلّيه ،و كذلك قوله: و لا يحيى له أثر إلاّ مات له أثر .و أراد بالأثر الذكر أو الفعل فإنّ ما كان يعرف به الانسان فى وقت

ما من فعل محمود أو مذموم أو ذكر حسن أو قبيح و يحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من الآثار و ينسى ،و كذلك لا يتجدّد له جديد من زيادات بدنه و نقصانه و أوقاته إلاّ بعد أن يخلق له جديد بتحلّل بدنه و معاقبه شيخوخته بشبابه و مستقبل أوقاته لسالفها ، استعاره و كذلك لا تقوم له نابته إلاّ بعد أن تسقط منه محصوده ،و استعار لفظ النابته لمن ينشأ من أولاده و أقربائه،و لفظ المحصوده لمن يموت من آبائه و أهله .و لذلك قال: و قد مضت اصول يعنى الآباء و نحن فروعها .

ثمّ استفهم على سبيل التعجّب عن بقاء الفرع بعد ذهاب أصله.و قد صرّح أبو العتاهيّه بهذا المعنى حيث قال:

كلّ حياه إلى ممات و كلّ ذى جدّه يحول

كيف بقاء الفروع يوما و ذوّب قبلها الاصول

القسم الثانى منها

اشاره

وَ مَا أُحْدِثَتْ بِدْعَهٌ إِلاَّ تُرِکَ بِهَا سُنَّهٌ- فَاتَّقُوا الْبِدَعَ وَ الْزَمُوا الْمَهْيَعَ- إِنَّ عَوَازِمَ الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا- وَ إِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا

اللغه

أقول: المهيع. الطريق الواسع .و العوازم: جمع عوزم و هى العجوز المسنّه .

المعنى

و المراد بالبدعه كلّ ما احدث ممّا لم يكن على عهد الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قد اشتمل هذا الفصل على وجه ترك البدعه،و برهان استلزام إحداث البدعه لترك السنّه أنّ عدم إحداث البدع سنّته لقوله صلى اللّه عليه و آله و سلم:كلّ بدعه حرام.فكان إحداثها مستلزما لترك تلك السنّه .ثمّ على أمرهم بتقوى البدع:أى خشيه عواقبها .

ثمّ بلزوم الطريق الواضح،و هى سبيل اللّه و شريعته ،و أراد بعوازم الامور:إمّا قديمها و هو ما كان عليه عهد النبوّه.و إمّا جوازمها و هى المقطوع بها دون المحدثات منها الّتى هى محلّ الشبهه و الشكّ.و يرجّح الأوّل المقابله بمحدثاتها.و جهه وصفها بكونها شرارا كونها محلّ الشبهه و خارجه عن قانون الشريعه فكانت مستلزمه للهرج و المرج و أنواع الشرور.و باللّه التوفيق.

ص:۱۹۳

۱۴۵-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

لعمر بن الخطاب

،و قد استشاره فى غزو الفرس بنفسه إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ- وَ لاَ خِذْلاَنُهُ بِكَثْرَةٍ وَ لاَ بِقِلَّةٍ- وَ هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِى أَظْهَرَهُ- وَ جُنْدُهُ الَّذِى أَعَدَّهُ وَ أَمَدَّهُ- حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ- وَ نَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ- وَ اللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ- وَ مَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ- يَجْمَعُهُ وَ يَضُمُّهُ- فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَ ذَهَبَ- ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً- وَ الْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنْ كَانُوا قَلِيلاً- فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلاَمِ- عَزِيزُونَ بِالاِجْتِمَاعِ- فَكُنْ قُطْباً وَ اسْتَدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ- وَ أَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ- فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ- انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ- أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ- إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا- هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ- فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وَ طَمَعِهِمْ فِيكَ- فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ- فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ- وَ هُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ- وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ- فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ- وَ إِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَ الْمَعُونَهِ

المعنى

أقول:اختلف الناقلون لهذا الكلام فى الوقت الّذى قاله لعمر فيه.فقيل:

إنّه قاله فى غزاه القادسيّه.و هو المنقول عن المدائنى فى كتاب الفتوح.و قيل:

فى غزاه نهاوند.و هو نقل محمّد بن جرير الطبرىّ.فأمّا وقعه القادسيّه فكانت سنه أربع عشره للهجره استشار عمر المسلمين فى خروجه فيها بنفسه فأشار عليه علىّ عليه السّلام بالرأى المسطور فأخذ عمر به و رجع عن عزم المسير بنفسه،و أمّر سعد بن أبى وقّاص على المسلمين.و يروى فى تلك الواقعه أنّ رستم أمير العسكر من قبل يزدجرد أقام بريدا من الرجال الواحد منهم إلى جانب الآخر من القادسيّه إلى المدائن كلّما تكلّم رستم بكلمه أدّاها بعضهم إلى بعض حتّى يصل إلى سمع يزدجرد،و قصص الواقعه مشهوره فى التواريخ،و أمّا وقعه نهاوند فإنّه لمّا أراد عمر أن يغزو العجم،و جيوش كسرى قد اجتمعت بنهاوند استشار أصحابه فأشار عثمان عليه بأن يخرج بنفسه بعد أن يكتب إلى جميع المسلمين من أهل الشام و اليمن و الحرمين و الكوفه و البصره و يأمرهم بالخروج،و أشار علىّ عليه السّلام بالرأى المذكور:و قال:أمّا بعد و إنّ هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه.الفصل.فقال:عمر أجل هذا الرأى،و قد كنت احبّ أن اتابع عليه فأشيروا علىّ برجل اولّيه ذلك الثغر.فقالوا:أنت أفضل رأيا.

فقال:أشيروا علىّ به و اجعلوه عراقيّا.فقالوا:له أنت أعلم بأهل العراق و قد وفدوا عليك فرأيتهم و كلّمتهم.فقال:أما و اللّه لاولينّ أمرهم رجلا يكون غدا لأوّل الأسنّه.قيل:و من هو؟فقال:النعمان بن مقرن.قالوا:هولها.و كان نعمان يومئذ بالبصره فكتب إليه عمر فولاّه أمر الجيش.

و لنرجع إلى المتن.فقوله: بحذافيره: أى بأسره .

و قوله: إنّ هذا الأمر .إلى قوله: بالاجتماع:

صـدر الكلام أورده ليبتنى عليه الرأى فقرّر فيه أوّلا أنّ هـذا الأمر:أى أمر الإسـلام ليس نصـره بكثره و لا خذلانه بقلّه ،و نبّه على صدق هذه الدعوى بأنّه دين اللّه الّذى أظهره و جنوده،و هى جنده الّذى أعدّه و أمدّه بالملائكه و الناس حتّى بلغ هذا

ص:۱۹۴

المبلغ ،و طلع فى آفاق البلاد حيث طلع .ثمّ وعدنا بموعود و هو النصر و الغلبه و الاستخلاف فى الأرض كما قال «وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» (۱)الآيه ،و كلّ وعد من اللّه فهو منجّز لعدم الخلف فى خبره .

و قوله: و ناصر جنده.

يجرى مجرى النتيجه.إذ من جمله وعده نصر جنده،و جنده هم المؤمنون.فالمؤمنون منصورون على كلّ حال سواء كانوا قليلين أو كثيرين . تشبيه ثمّ شبّه مكان القيّم بالأمر بمكان الخيط من العقد ،و وجه التشبيه هو قوله: يجمعه و يضمّه.إلى قوله:أبدا .

مجاز و قوله: لم يجتمع بحذافيره أبدا.

و ذلك أنّهم عند فساد نظامهم بقتل الإمام مثلا يقع بهم طمع العدوّ و ظفره فيكون ذلك سبب استيصالهم .ثمّ رفع عنه الشبهه فى عدم الحاجه إلى اجتماع كلّ العرب فى هذه الواقعه،و ذلك لكثرتهم بالإسلام و استقبال الدوله و عزّتهم باجتماع الرأى و اتّفاق القلوب الّذى هو خير من كثره الأشخاص،و أراد بالكثره القوّه و الغلبه مجازا إطلاقا لاسم مظنّه الشىء على الشىء .

استعاره مرشحه بالكنايه و قوله: فكن قطبا.

شروع فى الرأى الخاصّ بعمر.فأشار عليه أن يجعل نفسه مرجعا للعرب تؤل إليه،و تدور عليه ،و استعار له لفظ القطب و لهم لفظ الرحا ،و رشّح بالاستداره، و كنّى بذلك عن جعل العرب دربه دونه و حيطه له ،و لذلك قال: و أصلهم دونک نار الحرب .لأنّهم إن سلموا و غنموا فذلک الّذى ينبغى،و إن انقهروا كان هو مرجعا لهم و سندا يقوى ظهورهم به بخلاف شخوصه معهم فإنهم إن ظفروا فذلک و إن انقهروا لم يكن لهم ظهر يلجئون إليه كما سبق بيانه .

و قوله: فإنّک إن شخصت.إلى قوله:فيک.

بيان للمفسده فى خروجه بنفسه من وجهين:

ص:۱۹۶

۱- ۱) ۵۴-۲۴.

أحدهما:أنّ الإسلام كان فى ذلك الوقت غضّا،و قلوب كثير من العرب ممّن أسلم غير مستقرّه بعد فإذا انضاف إلى من لم يسلم منهم و علموا خروجه و تركه للبلاد كثر طمعهم و هاجت فتنتهم على الحرمين و بلاد الإسلام فيكون ما تركه ورائه أهمّ عنده بما يستقبله و يطلبه و يلتقى عليه الفريقان من الأعداء .

الثانى:أنّ الأعاجم إذا خرج إليهم بنفسه طمعوا فيه و قالوا المقاله.فكان خروجه محرّصا لهم على القتال و هم أشدّ عليه كلبا و أقوى فيه طمعا .

و قوله: فأمّا ما ذكرت من مسير القوم.إلى آخره.

فهو أنّه قال له:إنّ هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير إلى المسلمين و قصدهم إيّاهم دليل قوّتهم،و أنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم .فأجابه بأنّك إن كرهت ذلك فإنّ اللّه تعالى أشدّ كراهيّه ،و أقدر منك على التغيّر و الإزاله.و هذا الجواب يدور على حرف و هو أنّ مسيرهم إلى المسلمين و إن كان مفسده إلاّ أنّ لقائه لهم بنفسه فيه مفسده أكبر،و إذا كان كذلك فينبغى أن يدفع العظمى،و يكل دفع المفسده الاخرى إلى اللّه تعالى فإنّه كاره لها و مع كراهيّته لها فهو أقدر على إزالتها .

و قوله: و أمّا ما ذكرت من عددهم.إلى آخره.

فهو أنّ عمر ذكر كثره القوم و عددهم فأجابه عليه السّلام بتذكير قتال المسلمين فى صدر الإسلام فإنّه كان من غير كثره ،و إنّما كان بنصر اللّه و معونته فينبغى أن يكون الحال الآن كذلك.و هو يجرى مجرى التمثيل كما أشرنا إليه فى المشوره الأولى،و بوعد اللّه تعالى المسلمين بالاستخلاف فى الأرض و تمكين دينهم الّذى ارتضى لهم و تبديلهم بخوفهم أمنا كما هو مقتضى الآيه.

۱۴۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فَبَعَثَ اللَّهُ؟مُحَمَّداً ص؟ بِالْحَقِّ- لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَهِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ- وَ مِنْ طَاعَهِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ- ؟بِقُرْآنٍ؟ قَدْ بَيَّنَهُ

وَ أَحْكَمَهُ- لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ- وَ لِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ- وَ لِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ- فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ- مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ- وَ خَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ- وَ كَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلاَتِ- وَ احْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ- لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ- وَ لاَ أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ- وَ لاَ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ- وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ- إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ- وَ لاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ- وَ لاَ فِي الْبِلاَدِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ- وَ لاَ أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ- فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَ تَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ- فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَ أَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ- وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ- فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا فِيهِمْ- وَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَا مَعَهُمْ- لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى وَ إِنِ اجْتَمَعَا- فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَهِ- وَ افْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَهِ كَأَنَّهُمْ أَئِمَّهُ الْكِتَابِ- وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ- فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ- وَ لاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَ زَبْرَهُ- وَ مِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَهٍ- وَ سَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَهً وَ جَعَلُوا فِي الْحَسَنَهِ عُقُوبَهَ السَّيِّئَهِ-

وَ إِنَّمَا هَلَکَ مَنْ کَانَ قَبْلَکُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَ تَغَیُّبِ آجَالِهِمْ- حَتَّی نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِی تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَهُ- وَ تُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَهُ وَ تَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَهُ وَ النِّقْمَهُ أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفِّقَ- وَ مَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِیلًا هُدِیَ لِلَّتِی هِیَ أَقْوَمُ- فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَ عَدُوَّهُ خَائِفٌ- وَ إِنَّهُ لاَ یَنْبَغِی لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَهَ اللَّهِ أَنْ یَتَعَظَّمَ- فَإِنَّ رِفْعَهَ الَّذِینَ یَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ یَتَوَاضَعُوا لَهُ- وَ سَلاَمَهَ الَّذِینَ یَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ یَسْتَسْلِمُوا لَهُ- فَلاَ تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِیحِ مِنَ الْأَجْرَبِ- وَ الْبَارِئِ مِنْ ذِی السَّقَمِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّکُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ- حَتَّی تَعْرِفُوا الَّذِی تَرَکَهُ- وَ لَنْ تَأْخُذُوا بِمِیثَاقِ الْکِتَابِ حَتَّی تَعْرِفُوا الَّذِی نَقَضَهُ- وَ لَنْ تَمَسَّکُوا بِهِ حَتَّی تَعْرِفُوا الَّذِی نَبَذَهُ- فَالْتَمِسُوا ذَلِکَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ- فَإِنَّهُمْ عَیْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ- هُمُ الَّذِینَ یُخْبِرُکُمْ حُکْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ- وَ صَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَ ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ- لاَ یُخَالِفُونَ الدِّینَ وَ لاَ یَخْتَلِفُونَ فِیهِ- فَهُوَ بَیْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ

اللغه

أقول: الأوثان: الأصنام .و زبره: کتبه .و مثّلوا:بفتح المیم و الثاء : أی نکّلوا.

و الاسم المثله بضمّ المیم و سکون الثاء .و القارعه: الشدیده من شدائد الدهر .

المعنی

و مدار هذا الفصل علی بیان بعثه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بیان غایه البعثه،و السبب المعدّ للوصول إلی تلک الغایه،ثمّ بیان غایه تلک الغایه .و الإشاره إلی البعثه بقوله:

ص:۱۹۹

فبعث.إلى قوله:بالحقّ ،و أشار إلى غايتها بقوله: ليخرج إلى قوله:طاعته.

و قد علمت أنّ طاعته بسلوك الصراط المستقيم فى الدنيا و هو اتّباع الدين القيّم ، و العدول عن طاعه الشيطان الّتى هى بالخروج إلى أحد طرفى الإفراط و التفريط .

فأشار إلى سبب تلك الغايه بقوله: بقرآن قد بيّنه و أحكمه .و قد علمت اشتمال القرآن الكريم على الجواذب الإلهيّه إلى طاعه اللّه،و سلوك صراطه المستقيم ،و أشار إلى غايه تلك الغايه أعنى غايه طاعه اللّه بقوله: ليعلم العباد.إلى قوله:أنكروه.

و هى مسئلتان من امّهات العلم الإلهيّ:

الاُولى:معرفتهم له بعد جهلهم به .

و الثانيه:الإقرار به بعد جحدهم له و إثباتهم له بعد إنكارهم إيّاه.و المعنى واحد و إن اختلفت العبارتان و هو التصديق بودّه إلّا أن يحمل الإقرار على الإقرار باللسان و الجحد به،و يحمل الإثبات و الإنكار على إثباته بالقلب بعد الإنكار به و حينئذ يتغاير المعنيان ،و أشار بتجلّيه-سبحانه-فى كتابه إلى ظهوره لهم فى تذكيرهم فيه بما أراهم من عجائب مصنوعاته ،و بما خوّفهم به من وعيده ،و بتذكيرهم أنّه كيف محق من محق من القرون الماضيه بالعقوبات و احتصد من احتصد منهم بالنقمات.كلّ ذلك الظهور و الجلاء من غير رؤيه له.إذ تعالى عن إدراك الحواسّ. استعاره و قال بعض الفضلاء:

يحتمل أن يريد بتجلّيه فى كتابه ظهوره فى عجائب مصنوعاته و مكنوناته،و يكون لفظ الكتاب استعاره فى العلم،و وجه المشابهه كونه محلاّ قابلا لآثار الصنع المختلفه و عجائب الصور المنقوشه فيه كما أنّ الكتاب محلّ لنقش الحروف كلّ ذلك من غير رؤيه بحاسّه البصر له لتعاليه و تقدّسه عن ذلك .

و قوله: سيأتى.إلى قوله:المنكر.

إخبار عن زمان يأتى بعده بالصفات المذكوره،و قد رأيناه و رأته قرون قبلنا فإنّ خفاء الحقّ و ظهور الباطل عليه أمر ظاهر،و كون الحقّ لا شىء أخفى منه و الباطل لا شىء أظهر على سبيل المبالغه ،و كذلك لا أكثر من الكذب على اللّه و على رسوله.روى عن شعبه و كان إمام المحدّثين أنّه قال:تسعه أعشار الحديث كذب.

و عن الدارقطنى.ما الحديث الصحيح إلّا كالشعره البيضاء فى الثور الأسود .

و قوله: و ليس عند أهل.إلى آخره.

قد مرّ تفسيره فى الفصل الّذى يذمّ من يتصدّى للحكم بين الامّه و ليس له بأهل،و نبذ حمله الكتاب له:إعراض قرّائه عن تدبّر ما فيه و العمل به ،و تناسى حفظته أيضا:تعاميهم عن أمره و نواهيه و تغافلهم عن اتّباعها .

و قوله: فالكتاب.إلى قوله:و إن اجتمعا.

فأهل الكتاب الملازمون للعمل به.و حيث كان أهل ذلك الزمان المشار إليه غير ملتفتين إلى الكتاب كانوا أيضا غير ملتفتين إلى أهله و من يعمل به بل مؤذون لهم فيما يخالفونهم فيه ممّا يقتضيه أحكام الكتاب و يوجبه اتّباعه فكان إعراضهم عنهم إبعادا لهم و نفيا و طردا،و الطريق الّذى اصطحب فيه الكتاب و أهله هو طريق اللّه الواحد .و صدق إذن أنّه لا يؤويهما مؤو من أهل ذلك الزمان.اللّهم إلاّ إذا وافقتا غرضه لكن ذلك ليس للكتاب و للعامل به بل لموافقتهما الغرض .و كونهما فى الناس:أى بوجودهما،و كونهما ليسا فيهم لعدم اتّباعهما و إلغاء فائدتهما فأشبها ما ليس بموجود، و لأنّ فايده الموجود أن ينتفع به .و كذلك معهم بالمصاحبه الاتّفاقيّه فى الوجود، و ليسا معهم لأنّ ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب و أهله فكانا مضادّين لهم و إن اجتمعا فى الوجود .

و قوله: فاجتمع القوم على الفرقه.

أى اتّفقوا على مفارقه الاجتماع و ما عليه الجماعه أمّا فى وقته عليه السّلام فكالخوارج و البغاه،و أمّا فيما يستقبل من الزمان بعده فكالآخذين بالآراء و المذاهب المتفرّقه المحدثه فى الدين.و الاجتماع على الفرقه يلازم الافتراق عن الجماعه .

تشبيه و قوله: كأنّهم أئمّه الكتاب.

تشبيه لهم بالأئمّه له فى الجرأه على مخالفه ظواهره و الاختلاف فيه و تفريعه على حسب أغراضهم.إذ شأن الإمام مع المأموم ذلك مع أنّه إمامهم الّذى يجب أن يتّبعوه و يقتفوا أثره،و إذ خالفوه و نبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من تمسّكهم

به إلّا اسمه و علم خطّه و زبره دون اتّباع مقاصده .

و قوله: و من قبل ما مثّلوا بالصالحين.

إشاره إلى زمن بنى اميّه الكائن قبل زمن من يخبر عنهم.و تمثيل بنى اميّه بالصالحين من الصحابه و التابعين و حملهم لهم على المكروه،و نسبتهم لهم إلى الكذب على اللّه،و جعلهم لهم فى الحسنه عقوبه السيّئه ظاهر منهم.و وصفه لمن سيأتى فى ذلك الزمان بالأوصاف المذكوره لا ينافى وصف من قبلهم من بنى أميّه بمثل تلك الأوصاف.

و-ما-مع الفعل فى حكم المصدر و محلّها الرفع بالابتداء و خبرها-من قبل -.

و قوله: و إنّما هلك.إلى آخره.

تنبيه على وجوب تقصير الآمال فى الدنيا لاستلزام طلبها الهلاك الاخروىّ، و أشار إلى القرون الماضيه من قبل،و أراد الهلاك الاخروىّ،و جعل سبب هلاكهم طول آمالهم فى الدنيا الموجب للاستغراق فى لذّاتها المبعّده عن اللّه تعالى مع تغيّب آجالهم عنهم:أى غفلتهم عنها،و قلّه فكرهم فيها و عدم علمهم بتعيينها فإنّ استشعار الأجل موجب للإقلاع عن الانهماك فى اللذّات الحاضره،و منغّص لها .

و قوله: حتّى نزل بهم الموعود.إلى آخره.

ذكر غايه طول آمالهم.و الموعود هو الموت،و تردّ عنه المعذره:أى لا تقبل فيه معذره معتذر ،و ترفع عنه التوبه:أى ينسدّ بابها حين نزوله كقوله تعالى «وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لاَ الَّذِينَ» (1)الآيه ،و تحلّ معه القارعه:أى تنزل بمن نزل به الشدائد و الأهوال و تتبعها العقوبات الاخرويّه .ثمّ عاد إلى الرأى الصالح للسامعين فأيّه بهم و نبّههم على وجوب استنصاحه:أى اتّخاذه ناصحا فى قبول أوامره و نواهيه و اتّخاذ قوله دليلا إلى المطالب المهمّه فإنّ استنصاحه يستلزم التوفيق،و اتّخاذه دليلا يستلزم الهدى للّتى هى أقوم:أى للطريق الّتى هى أقوم الطرق .ثمّ نبّه على حسن جوار اللّه بالأمن الّذى هو غايه الجوار ،و على قبح عداوته بذكر الخوف الّذى

١- ١) ٢٢-۴.

هو غایه عداوه الملوک خصوصا جبّار الجبابره و ملک الدنیا و الآخره،و أراد بجواره القرب منه بالطاعه،و بعداوته البعد عنه بالمعصیه و مخالفه أوامره.و لا شکّ فی کون الأوّل أمنا من أهوال الآخره و فی کون الثانی فی محلّ الخوف و الخطر .

و قوله: و إنّه لا ینبغی لمن عرف إلی آخره.

إرشاد لهم إلی التواضع للّه و لمن ارشد إلی طریقه،و نهی عن التکبّر علیهم، و النفار عن قبول الحقّ منهم.و خاطب من یعرف عظمه اللّه لاحتقاره نفسه عند ملاحظته لنفسه و نسبته لها إلی جلال اللّه فهو أسرع انفعالا و أحقر فی نفسه أن یتکبّر علی اللّه ، و نبّه علی حسن التواضع له بذکر عظمته و رفعه للعالمین بعظمته.فإنّه لمّا کان هو العظیم المطلق و کلّ عظمه و رفعه لعظیم فمستفاده من جوده و القرب منه،و کانت العاده جاریه من الملوک فی حقّ من یتواضع لهم و یوفّیهم حقّهم من الإجلال و الإکرام و حسن الانقیاد أن یرفعوه و یعظّموه فبالحرّی أن یکون رفعه المتواضع للملک المطلق و العظیم المطلق لازمه عن التواضع له ،و کذلک العاده جاریه منهم بسلامه من استسلم لهم عن معرفته باقتدارهم فبالحرّی أن یکون سلامه المستسلم للّه عن العلم بغلبه قدرته و استیلاء سلطانه لازمه من استسلامه له . تشبیه و إذ أدّبهم بالتواضع للّه و لأولیائه ندبهم إلی قبول الحقّ منهم و عدم النفار منه الشبیه بنفار الصحیح من الأجرب، و الباریء من السقیم ،و وجه الشبه هو شدّه النفار .ثمّ عاد إلی تنفیرهم عن أئمّه الضلال،و ذلک بتنبیههم علی أنّهم لیسوا عارفین بالرشد و المعرفه الصحیحه ،و لا آخذین بمیثاق الکتاب ،و لا متمسّکین به الأخذ و التمسّک التامّ ما لم یعرفوا اولئک الضالّین.

و إنّما شرط معرفتهم للرشد بمعرفتهم لتارکه لأنّ المعرفه التامّه للرشد بل لکلّ شیء تستدعی معرفه ما علیها من الشکوک و الشبهات الّتی هی سبب التشکیک فیها و ترک العمل علی وفقها،و لمّا کان الرشد و هو الحقّ الّذی هو علیه و تابعوه،و کان التارک لذلک هم مخالفوه و خصومه فی الأمر من أئمّه الضلال لا جرم کان من تمام معرفه الحقّ الّذی فی یده و الرشد الّذی یدعو إلیه معرفه خصومه و أنّهم علی شبهه إذا عرفها طالب الحقّ تمّت معرفته بطریق الرشد فسلکها و نفر عمّن نکب،

و كذلك شرطه لأخذهم بميثاق الكتاب و العمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه:أى إنّ أخذهم بما يعمل به عليه السّلام منه لا يتمّ منهم إلاّ أن يعرفوا شبهه ناقضه و هو العامل بخلاف حكمه عليه السّلام على وفق الكتاب لشبهه حتّى إذا اطّلعوا على كيفيّه فسادها و ضلاله بها أخذوا بميثاق الكتاب على بصيره،و علموا أنّه ناقض له فنفروا عنه،و كذلك شرطه لتمسّكهم بالكتاب و لزومهم بميثاقه بمعرفه نابذه و أنّه ضالّ لتحصل النفره عنه فيتمّ التمسّك به و يتأكّد لزوم ميثاقه.و غايه كلّ ذلك التنفير عن أئمّه الضلال بمعرفتهم و معرفه ما هم عليه من الشبه و التبرّى منهم .

استعاره ثمّ بعد أن نبّه على تلك المعرفه أمر بالتماسها من عند أهلها،و الإشاره بهم إلى نفسه و أهل بيته عليهم السّلام ،و استعار لهم وصفى عيش العلم :أى حياته،و موت الجهل .و وجه الاستعاره الاولى:أنّ بهم يكون وجود العلم و الانتفاع به كما يكون بحياه الشىء الانتفاع به،و وجه الثانيه:أنّ بهم يكون عدم الجهل و عدم التضرّر به كما يكون بموت الشرير عدمه و عدم مضرّته .

و قوله: هم الّذين يخبركم حكمهم عن علمهم.

أى يدلّكم منطقهم بالحكمه،و سيرتهم على وفقها على كمال نفوسهم بالعلوم،و صمتهم عن منطقهم فإنّ لصمت المنطيق اللسن ذى الحكمه العزيزه وقتا و هيئه و حاله تكون قرائن دالّه على حسن منطقه و علمه بما يقول،و كذلك ظاهرهم عن باطنهم .

و قوله: لا يخالفون الدين.

إشاره إلى لزومهم لأوامر اللّه و طريق شريعته. و لا يختلفون فيه .إشاره إلى اتّفاق آرائهم على أحكامه عن كمال علومهم به.فإنّه لمّا كان طريقا واحدا و اتّفقوا على معرفته وجب أن لا يختلفوا فيه و لا يضلّ أحدهم عن حكم من أحكامه حتّى يخالف صاحبه فيه ..

و قوله: فهو بينهم شاهد صادق.

أى شاهد يستدلّون به على الأحكام و الوقايع النازله بهم و بغيرهم.لا يكذب

من حيث هو شاهد ، استعاره و صامت ناطق لكونه حروفا و أصواتا.و إنّما ينطق بألسنتهم فهو بمنزله الناطق.و اللفظان استعاره،وجهها الإفاده مع النطق به و عدمها مع السكوت عنه كافاده الناطق و عدم إفاده الصامت .

۱۴۷–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذكر أهل البصره

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ- وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ- لَا يَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ- وَ لَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ- كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ- وَ عَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ- وَ اللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِى يُرِيدُونَ- لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا- وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا- قَدْ قَامَتِ الْفِئَهُ الْبَاغِيَهُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ- فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَ قُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ- وَ لِكُلِّ ضَلَّهٍ عِلَّهٌ وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَهٌ- وَ اللَّهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ- يَسْمَعُ النَّاعِىَ وَ يَحْضُرُ الْبَاكِىَ

اللغه

أقول: متّ إليه بكذا: أى تقرّب إليه به .و الضبّ: الحقد و الغلّ .

و المحتسبون: طالبون الأجر و الثواب .و اللدم: ضرب الصدر باليد فعل الحزين ،

المعنى

و الضمير فى منهما راجع إلى طلحه و الزبير،و الأمر :أمر الخلافه،و ذلك حين خرجا إلى البصره مع عائشه ،و يعطفه إليه :يجذبه إلى نفسه و يزعم أنّه أحقّ به من صاحبه .

و قوله: لا يمتّان.إلى قوله:بسبب.

أى لا حجّه يعتذران إلى اللّه تعالى بها فى قتالهما له عليه السّلام و هلاك المسلمين فيما بينهم .

ص:۲۰۵

و قوله: كلّ واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه.

أى فى صدره غلّ عليه و عمّا قليل يظهر و ينكشف، استعاره و استعار لفظ القناع لظاهره الساتر لباطنه،و ذلك مثل يضرب لمن ينافق صاحبه و يظهر له الصداقه مع حسده و عقوقه له فى الباطن.و العرب تضرب بالضبّ المثل فى العقوق.فيقال:

أعقّ من ضبّ.و ذلك أنه ربّما يأكل حسوله .ثمّ أقسم لئن أصابوا بغيتهم لينزعنّ هذا و ليأتينّ عليه:أى يسعى كلّ منهم فى قتل صاحبه،و هذا ممّا لا شكّ فيه فإنّ العاده جاريه بعدم قيام الأمر برئيسين معا،و سرّه أنّ الطباع البشريّه متشاحّه على الكمال و يتفاوت ذلك التشاحّ بحسب تفاوت ذلك الكمال فى تصوّر قوّته و ضعفه و لا شىء فى نفوس طالبى الدنيا أعظم من الملك خصوصا فى نفس من يعتقد أنّه يقدر على تحصيل الآخره فيه أيضا فإنّ تحصيل الدنيا و الآخره هى أكمل الكمالات المطلوبه للإنسان.و لا شىء يقاوم هذا المطلوب فى النفوس.فهى تسعى فى تحصيله بكلّ ممكن من قتل الولد و الوالد و الأخ.و لذلك قيل:الملك عقيم.و قد نقل عن هذين الرجلين الاختلاف قبل إصابتهما و قبل وقوع الحرب فاختلفا فى الأحقّ بالتقديم فى الصلاه فأقامت عايشه محمّد بن طلحه و عبد اللّه بن الزبير يصلّى هذا يوما و هذا يوما إلى أن ينقضى الحرب.ثمّ إنّ عبد اللّه بن الزبير ادّعى أنّ عثمان نصّ عليه بالخلافه يوم الدار و احتجّ على ذلك باستخلافه له فى الصلاه،و احتجّ تاره بنصّ صريح ادّعاه.و طلب طلحه أن يسلّم الناس عليه بالإمره و أدلى إليها بالسميّه،و أدلى الزبير بأختها أسماء.فأمرت الناس أن يسلّموا عليهما بالإمره، و اختلفا فى تولّى القتال فطلبه كلّ واحد منهما أوّلا ثمّ نكل عنه.و أحوالهم فى ذلك ظاهره .

فقوله: قد قامت الفئه الباغيه.

إشاره إليهم و هم الناكثون الّذين نقل فيما سبق فيهم الخبر:امرت أن اقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين .

و قوله: فأين المحتسبون و قد سنّت لهم السنن .

ص:٢٠۶

أی أین طالبو الثواب من اللّه بعد وضوح الطریق،و روی:فأین المحسنون .

و قوله: و قدّم لهم الخبر.

أی أخبرهم الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن خروج فئه باغیه و ناکثه و مارقه.فبالحریّ أن یحذر هؤلاء أن یکونوا ممّن أخبر عنهم .

و قوله: و لکلّ ضلّه علّه.

أی لکلّ خروج عن سبیل اللّه علّه.و أشار إلی خروج هذه الفرقه عن الدین.

و تلک العلّه هی البغی و الحسد ،و کذلک لکلّ ناکث شبهه تغطّی عین بصیرته عن النظر إلی وجه الحقّ کطلبهم بدم عثمان.

و قوله : و اللّه لا أکون.إلی آخره.

أقسم أنّه لا یکون کذلک:أی إنّه بعد سماعه لغلبه هؤلاء و جلبهم علیه و تهدیدهم إیّاه لا ینام عنهم و یصبر لهم حتّی یوافوه فیکون فی الغرور کمن یسمع الضرب و البکاء الّذی هو مظنّه الخطر ثمّ لا یصدّق حتّی یجیء لمشاهده الحال و یحضر الباکی و قد کان الأولی به أن یکتفی بذلک السماع لظهور دلالته و یأخذ فی الاستعداد للعدوّ و الحرب منه.

۱۴۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قبل موته

أَیُّهَا النَّاسُ- کُلُّ امْرِئٍ لاَقٍ مَا یَفِرُّ مِنْهُ فِی فِرَارِهِ- اَلْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَ الْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ- کَمْ أَطْرَدْتُ اَلْأَیَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَکْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ- فَأَبَی اللَّهُ إِلاَّ إِخْفَاءَهُ هَیْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ- أَمَّا وَصِیَّتِی فَاللَّهَ لاَ تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً- وَ؟مُحَمَّداً ص؟ فَلاَ تُضَیِّعُوا سُنَّتَهُ- أَقِیمُوا هَذَیْنِ الْعَمُودَیْنِ-

ص:۲۰۷

وَ أَوْقِدُوا هٰذَیْنِ الْمِصْبَاحَیْنِ- وَ خَلاَکُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا- حُمِّلَ کُلَّ امْرِئٍ مِنْکُمْ مَجْهُودَهُ- وَ خُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَهِ- رَبٌّ رَحِیمٌ وَ دِینٌ قَوِیمٌ وَ إِمَامٌ عَلِیمٌ- أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُکُمْ- وَ أَنَا الْیَوْمَ عِبْرَهٌ لَکُمْ وَ غداً مُفَارِقُکُمْ- غَفَرَ اللّٰهُ لِی وَ لَکُمْ- إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَهُ فِی هٰذِهِ الْمَزَلَّهِ فَذَاکَ- وَ إِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا کُنَّا فِی أَفْیَاءِ أَغْصَانٍ- وَ مَهَبِّ رِیَاحٍ وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ- اضْمَحَلَّ فِی الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا وَ عَفَا فِی الْأَرْضِ مَخَطُّهَا- وَ إِنَّمَا کُنْتُ جَاراً جَاوَرَکُمْ بَدَنِی أَیَّاماً- وَ سَتُعْقَبُونَ مِنِّی جُثَّهً خَلاَءً- سَاکِنَهً بَعْدَ حَرَاکٍ وَ صَامِتَهً بَعْدَ نُطُوقٍ- لِیَعِظْکُمْ هُدُوِّی وَ خُفُوتُ إِطْرَاقِی وَ سُکُونُ أَطْرَافِی- فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِینَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِیغِ- وَ الْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ- وَدَاعِی لَکُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلاَقِی- غَداً تَرَوْنَ أَیَّامِی وَ یُکْشَفُ لَکُمْ عَنْ سَرَائِرِی- وَ تَعْرِفُونَنِی بَعْدَ خُلُوِّ مَکَانِی وَ قِیَامِ غَیْرِی مَقَامِی

اللغه

أقول: أطردت الأیّام: صیّرتها طریده لی .و شرد الجمل: ذهب لوجهه .

و دحضت القدم: زلفت .و اضمحلّ: فنی .و المخطّ: الأثر .

و هذا الفصل محلّ الوعظ و الاعتبار.

فأیّه بالناس و نبّههم علی لحوق ضروره الموت المنفور منه طبعا.و أحسن بقوله:فی فراره.فإنّه لمّا کان الإنسان دائما فارّا من الموت و متوقّیا له،و کان لابدّ منه.لا جرم کان ضروریّ اللقاء له فی فراره.

و الأجل قد یراد به غایه الحیاه الدنیا کما قال تعالی «فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا یَسْتَأْخِرُونَ» (1)و قد یراد به المدّه المضروبه للإنسان و هی مدّه عمره،و إیّاه عنی هاهنا بقوله :

ص:208

1- (1) 32-7.

و الأجل مساق النفس فإنّ مدّه بقائها فى هذا البدن هو مساقها إلى غايتها لا محلّ قرارها.

مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه و قوله : و الهرب منه موافاته.

فى غايه اللطف،و ذلك أنّ الفارّ من الموت مثلا- بالحركات و العلاجات و نحوها يستلزم حركاته فى ذلك فناء الأوقات و تصرّمها و قطع تلك الأوقات مستلزم لملاقاته و موافاته فأطلق لفظ الموافاه على الهرب مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه.

و قوله : كم أطردت الأيّام.

أى صيّرتها طريده لى أتّبع بعضها بعضا بالبحث و تعرّف مكنون هذا الأمر:

أى الّذى وقع له من القتل،و ذلك المكنون هو وقته المعيّن بالتفصيل و مكانه فإنّ ذلك ممّا استأثر اللّه تعالى بعلمه كقوله تعالى «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ» و قوله «وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» (1)و إن كان قد أخبره الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بكيفيّه قتله مجملا كما روى عنه أنّه قال:ستضرب على هذه-و أشار إلى هامّته-فيخضب منها هذه-و أشار إلى لحيته-.و عنه أنّه قال:أتعلم من أشقى الأوّلين؟قال:نعم عاقر الناقه.فقال له:أتعلم من أشقى الآخرين؟قال:لا.قال:من يضربك هاهنا فيخضب هذه.و أمّا بحثه هو فعن تفصيل الوقت و المكان و نحوهما من القرائن المشخّصه،و ذلك البحث إمّا بالسؤال من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مدّه حياته و كتمانه إيّاه أو بالفحص و التفرّس من قرائن أحواله فى سائر أوقاته مع الناس .فأبى اللّه إلاّ أن تخفى عنه تلك الحال.هيهات:أى بعد ذلك العلم فهو علم مخزون .ثمّ شرع فى الوصيّه فبدء بالأهمّ فالأهمّ فالأوّل:هو الإخلاص للّه بالإعراض عن كلّ ما سواه، و فى ذلك لزوم أوامره و نواهيه و سائر ما نطق به كتابه العزيز.الثانى :لزوم سنّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عدم إهمالها.و إنّما قدّم اسم اللّه على محمّد لما بيّنا أنّ الواجب فى علم البيان تقديم الأهمّ. استعاره مرشحه ثمّ أكّد القول فى الأمر باتّباع التوحيد المطلق و السنّه النبويّه، و استعار لهما لفظ العمودين و رشّح بذكر الإقامه ،و لفظ المصباحين و رشّح بذكر

۱- ۱) ۳۴-۳۱.

الإيقاد،و وجه الاستعاره الاولى أنّ مدار الإسلام و نظام امور المسلمين فى معاشهم و معادهم على توحيد اللّه و لزوم ما جاء به رسوله كما أنّ مدار الخيمه و قيامها بالعمد، و وجه الثانيه:أنّ توحيد اللّه و الاقتداء بما جاء به رسوله مستلزمان للهدايه فى طريقه من ظلمات الجهل قائدان إلى جواره فى جنّات النعيم و هو المطلوب الحقيقىّ كما يهدى المصباح فى الظلام على الطريق إلى المطلوب.

و قوله : و خلاكم ذمّ.

أى عداكم،و هى كلمه تجرى مجرى المثل:أى عند لزومكم لتوحيد اللّه و سنّه رسوله لا ذمّ عليكم،و أوّل من قالها قصير مولى جذيمه حين حثّ عمرو بن عدىّ ابن اخت جذيمه على ثاره من الزباء.فقال له عمرو:كيف لى بذلك و الزباء أمنع من عقاب الجوّ.فقال له قصير:اطلب الأمر و خلاك ذمّ.

و قوله: ما لم تشردوا.

استثناء من نفى لحوق الذمّ لهم:أى أوقدوا هذين المصباحين فما دمتم كذلك فلا ذمّ يلحقكم إلاّ أن تشردوا:أى تنفرّقوا عمّا أنتم عليه.ثمّ لمّا كان قد أمرهم بلزوم هذين الأمرين اللذين يدور عليهما التكليف بيّن لهم بقوله : حمل كلّ امرىء منكم.إلى قوله:الجهله .أنّ التكليف بذلك يتفاوت فكلّ امرء من العلماء و أهل النباهه و من هو بصدد العلم يحمل مجهوده و طاقته منه بالتنبيه على الأدلّه و تعليمها، و أمّا الجهّال كالنساء و أهل الباديه و الزنج و نحوهم من أهل الغباوه فتكليفهم دون ذلك و هو بالمحسوس من العبادات دون الأمر بالتفكّر فى مقاصدها .ثمّ ذكر وصف الرحمه للربّ لمناسبه ما سبق من ذكر التخفيف عن الجهله فى التكليف. و دين قويم :

لا عوج فيه و لا زيغ عن القصد الحقيقىّ. و إمام عليم :إشاره إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم العالم بكيفيّه سلوك طريق اللّه و مراحلها و منازلها،و الهادى فيها بما يقتضيه حكمته من القول و العمل،أو إلى نفسه لكونه وارث علمه و سالك مسالكه.و ربّ:خبر مبتدأ محذوف و تقديره و ذلك المكلّف ربّ رحيم،و يجوز أن يكون فاعلا لفعل يفسّره قوله:حمل و خفّف:أى يحملكم ربّ كقوله تعالى «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ»

«رِجالٌ » (۱)ثمّ ختم الوصیّه بالـدعاء لهم و له و بطلب المغفره .ثمّ تمّم بـالتنبیه لهم علی وجه الاعتبـار به،و هـو تصـرّف حالاـته بحسب الأزمـان فقـد کـان بالأـمس صـاحبهم فی الحرب و منـازعه الأـقران و صـاحب الأمر و النهی فیهم،و الیوم عبره لهم بحال مصرعه و ضعفه عن الحراک،و غدا مفارقهم بالموت.و کلّ هذه التغییرات محلّ الاعتبار یجب التنبیه لها.و أراد بغد إمّا حقیقه إن کان قد غلب علی ظنّه موته فی تلک الواقعه،أو ما یستقبل من الزمان و إن بعد،و هذا أرجح لقوله: کنایه إن ثبتت الوطأه فی هذه المزلّه :أی إن یکن لی ثبات فی الـدنیا و بقاء فی هـذه المزلّه:أی محلّ الزوال عن الحیاه فـذاک المرجوّ،و کنّی بثبات الوطأه عمّا ذکرناه ،و بدحض القدم عن عدم ذلک بالموت.

کنایه-استعاره و قوله فی جواب الشرط: فإنّا کنّا فی أفیاء أغصان.إلی قوله:مخطّها.

أی و إن نمت فإنّـا کنّا فی کـذا.و کنّی بالامور المـذکوره عن أحوال الـدنیا و ملـذّاتها و بقائه فیها و متاعه بها،و قیل:اسـتعار لفظ الأغصان للأرکان الأربعه من العناصر،و لفظ الأفیاء لما تستریح فیه النفوس من ترکیبها فی هذا العالم،و وجه الاستعاره الاولی:أنّ الأرکان فی مادّتها کالأغصان للشجره،و وجه الثانیه:

أنّ الأفیاء محلّ الاستراحه و اللـذه کما أنّ الکون فی هذا البدن حین صـحّه الترکیب و اعتدال المزاج من هذه الأرکان کذلک.و کـذلک اسـتعار لفـظ مهابّ الریاح للأبـدان،و لفظ الریاح للأرواح و النفحات الإلهیّه علیها فی هـذه الأبـدان،و وجه الاولی:قبول الأبدان لنفحات الجود کقبول مهابّ الریاح لها استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و وجه الثانیه:أظهر من أن یذکر.و کذلک لفظ الغمـام للأسـباب العلویّه من الحرکـات السـماویّه و الاتّصالات الکوکبیّه و الأرزاق المفاضه علی الإنسان فی هـذا العالم الّتی هی سبب بقائهـا،و وجههـا الاـشتراک فی الإفاضه و السـببیّته ، کنایه و کنّی بظلّها عمّا یستراح إلیه منها کما یقال:فلان یعیش فی ظلّ فلان:أی فی عیشه و عنایته ،و کنّی باضمحلال متلفّقها فی الجوّ عن تفرّق الأسباب العلویّه للبقاء و

۱- ۱) ۳۶-۲۴.

فنائها ،و بعفاء مخطّها فى الأرض عن فناء آثارها فى الأبدان ،و الضمير فى متلفّقها يعود إلى الغمام،و فى مخطّها يعود إلى مهابّ الرياح.

كنايه و قوله : فإنّما كنت جارا جاوركم بدنى أيّاما.

فيه تنبيه على أنّ نفسه القدسيّه كانت متّصله بالملأ الأعلى،و لم يكن لها ميل إلى البقاء فى الدنيا و مجاوره أهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط،و أيضا فإنّ المجاوره من عوارض الجسميّه فيحتمل أن يكون ذلك تنبيها منه على وجود أمر آخر غير البدن و هو النفس،و كنّى بالأيّام عن مدّه حياته الدنيا.

و قوله : و ستعقبون.

أى توجدون فى عاقبه أمركم منّى جثّه خاليه لا روح بها و لا حراك قد افقرت من تلك المعانى المعهوده لكم من العقل و النطق و القوّه فهى متبدّله بالحراك السكون،و بالنطق السكوت .ثمّ عاد إلى أمرهم بالاتّعاظ بذلك الهدوء و خفوت الأطراق و سكون الأطراف بالموت.

و قوله : فإنّه أوعظ للمعتبرين من المنطيق البليغ .صاحب اللسن و الفصاحه.

كلام حقّ فإنّ الطباع أكثر انفعالا و اعتبارا عن مشاهده ما فيه العبره من الوصف له بالقول المسموع،و لو بأبلغ عباره.ثمّ أخذ عليه السّلام فى توديعهم.

فقوله : و داعيكم.إنشاء لاخبر.

و قوله: وداع امرء مرصد للتلاقى.

أى معدّ و مهيّأ للقاء اللّه.

و قوله : غدا ترون أيّامى.إلى آخره.

تذكير لهم بفضيلته و تنبيه عليها ليثبت متّبعوه على اتّباعه،و الغافلون عن فضله و محلّه بينهم إذا فارقهم و ولّى أمرهم الظالمون بعده فلابدّ أن ينكشف لهم ما كان مغطّى عن أعين بصائرهم من لزومه للقصد فى سبيل اللّه ،و يعرفون منزلته و فضله حين مشاهده المنكرات ممّن يقوم مقامه خلفا فى الناس.و إنّ وقائعه و حروبه

و حرصه على هذا الأمر لم يكن لنيل دنيا بل لإقامه سنن العدل و رضا اللّه تعالى.

۱۴۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

فى الملاحم

القسم الأول

اشاره

وَ أَخَذُوا يَمِيناً وَ شِمَالاً ظَعْناً فِى مَسَالِكِ الْغَيِّ- وَ تَرْكاً لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ- فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ- وَ لاَ تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْغَدُ- فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ- وَ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ- يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ- وَ دُنُوٍّ مِنْ طَلْعَهِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ- أَلاَ وَ إِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِى فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ- وَ يَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ- لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً- وَ يُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً وَ يَصْدَعَ شَعْباً- وَ يَشْعَبَ صَدْعاً فِى سُتْرَهٍ عَنِ النَّاسِ- لاَ يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَ لَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ- ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ- تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ- وَ يُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِى مَسَامِعِهِمْ- وَ يُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَهِ بَعْدَ الصَّبُوحِ

اللغه

أقول: إبّان الشيء.بكسر الهمزه و تشديد الباء: وقته .و الربق بكسر الراء و تسكين الباء: حبل فيه عدّه عرى يشدّ به البهم .و الصدع: الشقّ .و الشعب:

إصلاحه .و الشحذ: التحديد .و القين: الحدّاد .و الغبوق: الشراب بالعشيّ .

و الصبوح: الشرب بالغداه .

المعنى

فقوله: و أخذوا يمينا و شمالا .إلى قوله: الرشد.

إشاره إلى من ضلّ من فرق الإسلام عن طريق الهدى الّتى عليها الكتاب

و السنّه و سلكوا طرفى الإفراط و التفريط منها كما قال عليه السّلام فيما قبل:اليمين و الشمال مضلّه و الطريق الوسطى هى الجادّه.و قد سبق تفسير ذلك مستوفى.و مسالك الغىّ:أطراف الرذائل من الفضايل الّتى عدّدناها كالحكمه و العفّه و الشجاعه و العداله و ما تحتها،و مذاهب الرشد:هى تلك الفضايل،و ظعنا و تركا مصدران قاما مقام الحال.

و قوله : فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد.

ذلك الاستعجال إشاره إلى ما كانوا يتوقّعونه من الفتن الّتى أخبر الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن وقوعها فى المستقبل،و كانوا فى أكثر الوقت يسألونه عليه السّلام عنها فقال:لا تستعجلوا ما هو كائن:أى لا بدّ من وقوعه و هو مرصد معدّ . و لا تستبطئوا ما يجىء به الغد:

أى من الفتن و الوقايع.

و قوله : فكم من مستعجل.إلى قوله:لم يدركه.

ذمّ للاستعجال و الاستبطاء لهذا الموعود كقوله «وَ عَسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ » (١)و ما أقرب اليوم من تباشير غد :أى من البشرى بغد.كقوله:غد ما غد ما أقرب اليوم من غد،و كقوله:و إن غدا للناظرين قريب .ثمّ أخذ فى تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال:هذا إبّان ورود كلّ موعود به أو وقت دنوّ ظهور ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل.

و قوله : ألا و إنّ من أدركها منّا.

أى من أدرك تلك الفتن من أهل بيته الأئمّه الأطهار استعاره مرشحه يسرى فيها بسراج المنير .و استعار لفظ السراج لكمالات نفسه الّتى استضاءت بها فى طريق اللّه من العلوم و الأخلاق الفاضله،و لفظ المنير ترشيح .و هو إخبار عن معرفته للحقّ و تمييزه من الباطل ،و أنّ تلك الفتن لا توقع له شبهه و لا تأثير لها فى عقيدته الصادقه الصافيه بل يتصرّف فيها منقادا لأنوار اللّه على صراطه المستقيم لا يلويه عنه ملو بل يقتفى فيه أثر آبائه الصالحين و يلتزم مكارم الأخلاق فيحلّ ما

١- ١) ٢-٢١٣

انعقد فيها و أشكل على الناس من الشبه ،و يفكّ ربق الشكّ من أعناق نفوسهم أو يفتدى فيها الأسرى فيفكّ ربق أسرهم و يعتقهم،و يصدع ما انشعب و التأم من ضلال يمكنه صدعه،و يشعب ممّا انصدع من أمر الدين ما أمكنه شعبه فى ستره عن الناس لا يبصر القائف أثره و لو تابع إليه نظره ،و ما زالت أئمّه أهل البيت عليهم السّلام مغمورين فى الناس لا يعرفهم إلّا من عرّفوه أنفسهم حتّى لو تعرّفهم من لا يريدون معرفته لهم لم يعرّفهم،و لست أقول لم يعرف أشخاصهم بل لا يعرف أنّهم أهل الحقّ و الأحقّون بالأمر.

استعاره و قوله : ثمّ ليشحذنّ فيها قوم.

أى فى أثناء ما يأتى من الفتن تشحذ أذهان قوم.و تعدّ لقبول العلوم و الحكمه كما يشحذ الحدّاد النصل،و لفظ الشحذ مستعار لإعداد الأذهان،و وجه الاستعاره الاشتراك فى الإعداد التامّ النافع فهو يمضى فى مسائل الحكمه و العلوم كمضىّ النصل فيما يقطع به،و هو وجه التشبيه المذكور .ثمّ أخذ فى تفسير ذلك الشحذه و الإعداد، فقال : تجلّى بالتنزيل أبصارهم :أى تعدّ بالقرآن الكريم و دراسته و تدبّره أبصار بصائرهم لإدراك الحكمه و أسرار العلوم و ذلك لاشتمال التنزيل الإلهىّ عليها ، و يرمى التفسير فى مسامعهم :أى يلقى إليهم تفسيره على وجهه من إمام الوقت. استعاره ثمّ عبّر عن أخذهم الحكمه و مواظبتهم على تلقّفها بعد استعدادهم لها بالغبوق و الصبوح ، و لفظ الصبوح و الغبوق مستعاران لكونهما حقيقتين فى الشرب المخصوص المحسوس.

و هؤلاء المشار إليهم بالاستعداد للحكمه و أخذها هم علماء الأمّه من جاء منهم قبلنا و من فى آخر الزمان من المستجمعين لكمالات النفوس السالكين لسبيل اللّه المرتضين فى نظره و نظر الأئمّه من ولده بعده.

القسم الثانى منها

اشاره

:وَ طَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْىَ وَ يَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ- وَ اسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ- وَ أَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ

حَرْبِهِمْ- لَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ- وَ لَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِی الْحَقِّ- حَتَّی إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّهِ الْبَلَاءِ- حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَی أَسْیَافِهِمْ- وَ دَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ حَتَّی إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ ص رَجَعَ قَوْمٌ عَلَی الْأَعْقَابِ- وَ غَالَتْهُمُ السُّبُلُ وَ اتَّکَلُوا عَلَی الْوَلَائِجِ- وَ وَصَلُوا غَیْرَ الرَّحِمِ- وَ هَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِی أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ- وَ نَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِی غَیْرِ مَوْضِعِهِ- مَعَادِنُ کُلِّ خَطِیئَهٍ وَ أَبْوَابُ کُلِّ ضَارِبٍ فِی غَمْرَهٍ- قَدْ مَارُوا فِی الْحَیْرَهِ وَ ذَهَلُوا فِی السَّکْرَهِ- عَلَی سُنَّهٍ مِنْ؟آلِ فِرْعَوْنَ؟- مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَی الدُّنْیَا رَاکِنٍ- أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّینِ مُبَایِنٍ

اللغه

أقول: الأمد: الوقت .و الاشتیال: الرفع .و الولیجه: البطانه،و هی خاصّه الرجل من أهله و عشیرته .و رصّ الأساس: إحکامه .و ماروا: تحرّکوا .

المعنی

و هذا الفصل یستدعی کلاما منقطعا قبله لم یذکره الرضیّ-رضوان اللّه علیه- قد وصف فیه فئه ضالّه قد استولت و ملکت و أملی لها اللّه سبحانه .

و قوله: و طال الأمد بهم لیستکملوا الخزی.

کقوله تعالی «إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً» (۱)و قوله تعالی «وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِکَ قَرْیَهً أَمَرْنا مُتْرَفِیها فَفَسَقُوا فِیها فَحَقَّ عَلَیْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِیراً» (۲).

کنایه و قوله : حتّی إذا اخلولق الأجل.

ای صار خلقا و هو کنایه عن بلوغهم غایه مدتهم المکتوبه بقلم القضاء الالهی فی اللوح المحفوظ.

۱- ۱) ۳-۱۷۲.

۲- ۲) ۱۷-۱۷.

و قوله : و استراح قوم إلى الفتن.

إشاره إلى من يعتزل الوقائع الّتى ستقع فى آخر الزمان من شيعه الحقّ و أنصاره.و يستريح إليها:أى يجد فى اشتغال القوم بعضهم ببعض راحه له فى الانقطاع و العزله و الخمول، استعاره و اشتيالهم عن لقاح حربهم :رفعهم لأنفسهم عن تهييجها،و استعار لفظ اللقاح بفتح اللام لإثاره الحرب ملاحظه لشبهها بالناقه.

و قوله : لم يمنّوا.

جواب قوله:حتّى إذا اخلولق.و الضمير فى يمنّوا قال بعض الشارحين:

إنّه عائد إلى العارفين الّذين تقدّم ذكرهم فى الفصل السابق يقول:حتّى إذا ألقى هؤلاء السلّم إلى هذه الفئه الضالّه و عجزوا و استراحوا من منابذتهم إلى فتنتهم تقيّه منهم أنهض اللّه أولئك الّذين خصّهم بحكمته و اطّلعهم على أسرار العلوم فنهضوا و لم يمنّوا على اللّه تعالى بالصبر فى طاعته.و فى روايه بالنصر:أى بنصرهم له .و لم يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم فى طلب الحقّ حتّى إذا وافق القدر الّذى هو وارد القضاء و تفصيله انقطاع مدّه هذه الفئه و ارتفاع ما كان شمل الخلق من بلائهم حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم،و فيه معنى لطيف يريد أنّهم أظهروا عقايد قلوبهم للناس و كشفوها و جرّدوها مع تجريد سيوفهم فكأنّهم حملوها على سيوفهم فترى فى غايه الجلاء و الظهور كما ترى السيوف المجرّده،و منهم من قال:أراد بالبصائر جمع بصيره و هى الدم فكأنّه أراد طلبوا ثارهم و الدماء الّتى سفكتها تلك الفئه فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محموله على أسيافهم المجرّده للحرب،و أشار بواعظهم إلى الإمام القائم.و أقول:يحتمل أن يريد بالضمير فى يمنّوا و ما بعده القوم الّذين استراحوا إلى الفتنه و اشتالوا عن لقاح الحرب،و ذلك أنّهم لم يفعلوا ذلك إلاّ لأنّه لم يؤذن لهم فى القيام حين استراحتهم و إلقائهم السلّم لهذه الفئه،و لم يتمكّنوا من مقاومتهم لعدم قيام القائم بالأمر فكانوا حين مسالمتهم صابرين على مضض من ألم المنكر الّذى يشاهدونه غير مستعظمين لبذل أنفسهم فى نصره الحقّ لو ظهر من يكون لهم ظهر يلجئون إليه حتّى إذا ورد القضاء الإلهىّ بانقطاع مدّه بلاء هذه

الفئه و ظهور من يقوم بنصر الحقّ و دعا إليه حمل هؤلاء بصائرهم على أسيافهم و قاموا لربّهم بأمر من يقوم فيهم واعظا و مخوّفا و داعيا،و هذا الحمل يرجّحه عود الضمير إلى الأقرب و هم القوم .

و قوله: حتّى إذا قبض اللّه و رسوله.إلى آخره.

هذا الفصل منقطع عمّا قبله لأنّ صريحه ذكر غايه الاقتصاص حال حياه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حال الناس قبله و بعده و معه،و ليس فى الكلام المتقدّم شىء من ذلك.اللّهم إلاّ أن يحمل من طال الأمد بهم فى الكلام المتقدّم على من كان أهل الضلال قبل الإسلام حتّى إذا اخلولق أجلهم و استراح قوم منهم إلى الفتن و الوقائع بالنهب و الغاره و اشتالوا عن لقاح حربهم:أى أعدّوا أنفسهم لها كما تعدّ الناقه نفسها بشول ذنبها للقاحها:أى برفعه،و تسمّى شائلا،و يكون الضمير فى قوله:لم يمنّوا راجعا إلى ذكر سبق للصحابه فى هذه الخطبه حين قام الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهم و بهم للحرب فلم يمنّوا على اللّه بصبرهم معه و فى نصره الحقّ،و لم يستعظموا بذل أنفسهم له حتّى إذا وافق وارد القضاء انقطاع مدّه البلاء بدوله الجاهليّه و الكفر حمل هؤلاء الّذين لم يمنّوا على اللّه بنصرهم بصائرهم:أى ما كانوا يخفونه من الإسلام فى أوّله على سيوفهم:أى كشفوا عقائدهم كما سبق القول فيه أو دمائهم و ثاراتهم من الكفّار، و دانوا لربّهم بأمر واعظهم و هو الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حينئذ يصلح قوله:حتّى إذا قبض اللّه رسوله.غايه لذلك الكلام على هذا التأويل.

و قوله: رجع قوم على الأعقاب.إلى آخره.

أمّا على المذاهب الإماميّه فإشاره إلى عدول الصحابه بالخلافه عنه و عن أهل بيته عليهم السّلام إلى الخلفاء الثلاثه،و أمّا على مذهب من صحّح إمامه الخلفاء الثلاثه فيحتمل أن يريد بالقوم الراجعين على الأعقاب من خرج عليه فى زمن خلافته من الصحابه كمعاويه و طلحه و الزبير و غيرهم،و زعموا أنّ غيره أحقّ بهامنه و من أولاده.

كنايه-مجاز فى المفرد-مجاز فى التركيب و الرجوع على الأعقاب كنايه عن الرجوع عمّا كانوا عليه من الانقياد للشريعه و أوامر اللّه و رسوله و وصيّته بأهل بيته ،و غيله السبل لهم كنايه عن اشتباه طرق الباطل

بالحقّ و استراق طرق الباطل لهم و إهلاكها إيّاهم،و هى الشبه المستلزمه للآراء الفاسده كما يقال فى العرف:أخذته الطريق إلى مضيق،و هى مجاز فى المفرد و المركّب:أمّا فى المفرد فلأنّ سلوكهم لسبل الباطل لمّا كان عن غير علم منهم بكونه باطلا ناسب الغيله فأطلق عليه لفظها،و أمّا فى المركّب فلأنّ إسناد الغيله إلى السبل ليس حقيقه.إذ الغيله من فعل العقلاء .و اتّكالهم على الولائج اعتماد كلّ من رأى منهم رأيا فاسدا على أهله و خواصّه فى نصره ذلك الرأى . و وصلوا غير الرحم :أى غير الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ترك المضاف إليه للعلم به.و كذلك هجروا السبب الّذى امروا بمودّته و لزومه يريد أهل البيت أيضا،و ظاهر كونهم سببا لمن اهتدى بهم فى الوصول إلى اللّه سبحانه كما قال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:خلّفت فيكم الثقلين:كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض لم يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

فاستعار لهم لفظ الحبل،و السبب فى اللغه الحبل و أمرهم بمودّته كما فى قوله تعالى «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّهَ فِى الْقُرْبى» (۱).

و قوله : و نقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه فى غير موضعه.

إشاره إلى العدول بأمر الخلافه عنه و عن أهل بيته إلى غيرهم،و صله غير الرحم خروج عن فضيله العداله إلى رذيله الظلم،و عدم مودّه اولى القربى رذيله التفريط من تلك الفضيله الداخله تحت العفّه،و كذلك نقل البناء عن موضعه دخول فى رذيله الظلم. استعاره ثمّ وصفهم وصفا إجماليّا بكونهم معادن كلّ خطيئه :أى إنّهم مستعدّون لفعل كلّ خطيئه،و مهيّئون لها.فهم مظانّها،و لفظ المعادن استعاره، و كذلك أبواب كلّ ضارب فى عمره ،و استعار لفظ الأبواب لهم باعتبار أنّ كلّ من دخل فى غمره جهاله أو شبهه يثير بها فتنه،و استعان بهم فتحوا له ذلك الباب و ساعدوه و حسّنوا له رأيه فكأنّهم بذلك أبواب له إلى مراده الباطل يدخل منها.

و قوله : قد ما روا فى الحيره.

أى تردّدوا فى أمرهم فهم حائرون لا يعرفون جهه الحقّ فيقصدونه،و ذهلوا:

ص:۲۱۹

۱- ۱) ۲۲-۴۲.

أی غـابت أذهـانهم فی سـكره الجهل فهم علی سـنّه من آل فرعون و طريقته،و إنّما نكّر السـنّه لأنّه يريـد بها مشابهتهم فی بعض طرائقهم،و آل فرعون أتباعه.

و قوله : من منقطع إلی الدنيا.إلی آخره.

تفصـيل لهم باعتبار كونهم علی سنّه من آل فرعون فمنهم المنقطع إلی الدنيا المنهمک فی لذّاتها المكبّ علی تحصيلها ،و منهم المفارق للدين المباين له و إن لم يكن له دنيا،و المنفصـله مانعه الخلوّ بالنسبه إلی المشار إليهم،و يحتمل أن يريد مانعه الجمع،و يشـير بمفـارق الـدين إلی من ليس براكن إلی الـدنيا ككـثير ممّن يـدعی الزهـد مع كونه جاهلاـ بـالطريق فتراه ينفر من الـدنيا و يحسب أنّه علی شیء مع أنّ جهله بكيفيّه سلوک سبيل اللّه يقوده يمينا و شمالا عنها.و باللّه التوفيق.

۱۵۰–و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ أَسْـتَعِينُهُ عَلَی مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ- وَ الِاعْتِصَام مِنْ حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ نَجِيبُهُ وَ صَفْوَتُهُ- لاَـ يُؤَازَی فَضْـلُهُ وَ لاَ يُجْبَرُ فَقْدُهُ- أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْـدَ الضَّلاَلَه الْمُظْلِمه- وَ الْجَهالَه الْغَالِبَه وَ الْجَفْوَه الْجَافِيَه- وَ النَّاسُ يَسْـتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ- وَ يَسْـتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ- يَحْيَوْنَ عَلَی فَتْرَهٍ وَ يَمُوتُـونَ عَلَی كَفْرَهٍ ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَـرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَـدِ اقْـتَرَبَتْ- فَـاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَهِ وَ احْـذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَهِ- وَ تَثَبَّتُوا فِی قَتَامِ الْعِشْوَهِ وَ اعْوِجَـاجِ الْفِتْنَهِ- عِنْـدَ طُلُوعِ جَنِينِهَـا وَ ظُهُورِ كَمِينِهَا- وَ انْتِصَابِ قُطْبِهَا وَ مَدَارِ رَحَاهَا- تَبْدَأُ فِی مَدَارِجَ خَفِيَّهٍ وَ تَئُولُ إِلَی فَظَاعَهٍ جَلِيَّهٍ-

شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وَ آثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ- يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَهُ بِالْعُهُودِ أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ- وَ آخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ يَتَنَافَسُونَ فِی دُنْيَا دَنِيَّهٍ- وَ يَتَكَالَبُونَ عَلَی جِيفَهٍ مُرِيحَهٍ- وَ عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ- وَ الْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ- وَ يَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ- ثُمَّ يَأْتِی بَعْدَ ذَلِکَ طَالِعُ الْفِتْنَهِ الرَّجُوفِ- وَ الْقَاصِمَهِ الزَّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَهٍ- وَ تَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَهٍ- وَ تَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا- وَ تَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا- مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَ مَنْ سَعَی فِيهَا حَطَمَتْهُ- يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِی الْعَانَهِ- قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وَ عَمِیَ وَجْهُ الْأَمْرِ- تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَهُ وَ تَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَهُ- وَ تَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا- وَ تَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا يَضِيعُ فِی غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ- وَ يَهْلِکُ فِی طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ- وَ تَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ وَ تَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ- وَ تَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ- يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ وَ يُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ- مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ كَاشِفَهٌ عَنْ سَاقٍ تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ- وَ يُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ وَ ظَاعِنُهَا مُقِيمٌ

اللغه

أقول: المداحر: جمع مدحر.و هی الامور الّتی بها يدحر:أی يطرد .

و مخاتلها: محالّ غروره الّتی يخيّل إلی الناس بها و يوهمهم أنّها نافعه .و البوائق :

ص:۲۲۱

جمع بائقه،و هی الداهیه .و القتام بفتح القاف: الغبار .و العشوه بکسر العین:

الأمر علی غیر بیان و وضوح .و الفظاعه: تجاوز الأمر الشدید الحدّ و المقدار .

و السلام بالکسر: الحجاره الصمّ واحدها سلمه بکسر السین .و المریحه: المنتنه .

و یتزایلون: یتفارقون .و نجومها: طلوعها .و أشرف لها: أی انتصب لدفعها .

و التکادم: التعاضّ بأدنی الفم .و العانه: القطیع من حمر الوحش .و المسحل: المبرد، و المسحل:حلقه تکون فی طرف شکیمه اللجام مدخله فی مثلها .و الوحدان: جمع واحد .و العبیط: الخالص الطریّ .

المعنی

و صدّر هذا الفصل باستعانه اللّه تعالی علی ما یدحر الشیطان و یزجر به.و ذلک هو العبادات و الأعمال الصالحه المستلزمه لطرده و زجره و تطویعه،و علی الاعتصام من حبائله و مخاتله.و هی الشهوات و اللذّات الدنیویّه،و استعار لها لفظ الحبایل و هی أشراک الصاید لمشابهتها إیّاها فی استلزام الحصول فیهما للبعد عن السلامه و الحصول فی العذاب ،و من ممادح الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کونه نجیبا للّه:أی مختارا، و روی نجیّه،و صفوه له من خلقه لا یوازی فضله :أی لا یحصل مثله فی أحد.

إذ کان کماله فی قوّتیه النظریّه و العملیّه غیر مدرک لأحد من الخلق،و من کان کذلک لم یجبر فقده إلّا بقیام مثله من الناس،و إذ لا مثل له فیهم فلا جبران لفقده.

استعاره-مجاز و قوله : أضاءت به البلاد بعد الضلاله.

أی ضلاله الکفر،و وصفها بالظلمه لعدم الاهتداء فیها للحقّ.و الوصف مستعار، و کذلک وصف الإضاءه به مستعار لاهتداء الخلق به فی معاشهم و معادهم،و إسناد الإضاءه إلی البلاد مجاز .أو الجهاله الغالبه علی أکثر الخلق،و أراد الجهل بالطریق إلی اللّه تعالی و بکیفیّه نظام المعاش ممّا بیّنه هو و کشفه بشریعته. و الجفوه الجافیه یرید غلظه العرب و ما کانوا علیه من قساوه القلوب و سفک الدماء،و وصفها بما اشتقّ منها مبالغه و تأکیدا لها،و أراد الجفوه القویّه . و الناس یستحلّون الحریم الواو للحال و العامل أضاءت و یستذلّون الحکیم ،و ظاهر من عاده العرب إلی الآن استذلال من عقل منهم و حلم عن الغاره و النهب و إثاره الفتن،و استنهاضه بنسبته

إلى الجبن و الضعف . و يحيون على فتره :أی على حاله انقطاع الوحى و الرسل، و تلک حال انقطاع الخير و موت النفوس بداء الجهل.و يموتون على كفره و هى الفعله من الكفر لأهل كلّ قرن حيث لا هادى لهم. استعاره ثمّ أخذ عليه السّلام فى إنذار السامعين باقتراب حوادث الوقايع المستقبله الّتى يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام،و استعار لفظ الغرض لهم،و لمّا كانت الفتن الحادثه كتدمير قوم و إهلاكهم مثلا بحسب استعدادهم لذلک و كان أكبر الأسباب المعدّه له هى الغفله عن ذكر اللّه بالانهماک فى نعم الدنيا و لذّاتها استعار للغفلات لفظ السكرات .ثمّ أمر باتّقائها،و حذّر من دواهى النقمات بسبب كفران النعم. استعاره ثمّ أمر بالتثبت أو التبيّن على الروايتين عند اشتباه الامور عليهم و ظهور الشبهه المثيره للفتن كشبهه قتل عثمان الّتى نشأت منها وقايع الجمل و صفّين و الخوارج،و استعار لفظ القتام لذلک الأمر المشتبه،و وجه المشابهه كون ذلک الأمر ممّا لا يهتدى فيه خائضوه كما لا يهتدى القائم فى القتام عند ظهوره و خوضه ، و اعوجاج الفتنه إتيانها على غير وجهها، حقيقت-استعاره و لفظ الجنين يحتمل أن يكون حقيقه:أی عند طلوع ما اجتنّ منها و خفى عليكم ،و كذلک كمينها :

أی ما كمن منها و استتر،و يحتمل أن يكون استعاره ،و عنّى بقطبها من تدور عليه من البغاه المنافرين استعاره.و انتصابه:قيامه لذلک الأمر، استعاره و كذلک استعار لفظ مدار الرحى لدورانها على من تدور عليه من أنصار ذلک القطب و عسكره الّذين تدور عليهم الفتنه .ثمّ أخبر أنّها تبدء فى مدارج خفيّه،و أراد بالمدارج صدور من ينوى القيام فيها و يقصد[يعقد على خ]إثارتها،و كان هذا إشاره إلى فتنه بنى أميّه،و قد كان مبدأها شبهه قتل عثمان،و لم يكن أحد من الصحابه يتوهّم خصوصيّه هذه الفتنه و إنّما كانوا علموا من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حدوث وقايع و فتن غير معيّنه الأزمان،و لا من يثيرها و يكون قطبا لها.فخفاء مدارجها كتمان معاويه و طلحه و الزبير و غيرهم لامورهم و ما عزموا عليه من إقامه الفتنه و الطمع فى الملک و الدوله حتّى آل ذلک الطمع إلى الامور القطعيّه الواضحه بعد الخفاء ، استعاره و استعار لفظ الشباب لقيامها و ظهورها فى الناس،و وجه المشابهه السرعه فى الظهور و لذلک أكّدها بتشبيه ذلک الظهور بشباب

الغلام :أی فی السرعه ،و مع سرعتها لها آثار فی هدم الإسلام کآثار الحجاره الصلب فی الجلد ،و وجه الشبه إفسادها للبین و لنظام المسلمین کإفساد الحجر ما یقع علیه بالرضّ و الکسر ،و أشار بالظلمه الّتی یتوارثونها إلی بنی امیّه بعهد الأب لابنه إلی آخرهم ، استعاره و ذکر قود أوّلهم لآخرهم إلی النار و الدخول فی الظلم و الضلاله و إثاره تلک الفتن،و استعار لفظ القود لتهیئه الأوّل منهم أسباب الملک لمن بعده و اقتداء آخرهم بأوّلهم فی ذلک ،و ضمیر المفعول فی یتوارثونها یرجع إلی تلک الفتنه .

ثمّ أشار إلی صفه حالهم فی إثاره تلک الفتن و توارثها و هی المنافسه فی الدنیا الدنیّه فی نظر العقلاء، استعاره و استعار لفظ التکالب لمجاذبه بعضهم لبعض علیها کالمجاذبه بین الکلاب علی المیته . استعاره مرشحه و استعار لها لفظ الجیفه ،و رشّح بذکر المریحه للتنفیر عنها،و وجهها کونها مستلزمه لأذی طالبها مهروبا منها العقلاء کالهرب من الجیفه المنتنه و الانزواء عنها . کنایه ثمّ أخبر بانقضائها عن قلیل،و کنّی عن ذلک بتبرّء التابع من المتبوع و القاید من المقود :أی یتبرّء کلّ من الفریقین من الآخر کما قال تعالی «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِینَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِینَ اتَّبَعُوا» (۱).و قوله «قالُوا ضَلُّوا عَنّا بَلْ لَمْ نَکُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَیْئاً» (۲)و ذلک التبرّء قیل عند ظهور الدوله العباسیّه فإنّ العاده جاریه بتبرّء الناس من الولاه المعزولین خصوصا عند الخوف ممّن تولّی عزل اولئک أو قتلهم فیتباینون بالبغضاء إذ لم تکن الفتهم و محبّتهم إلاّ لغرض دنیاویّ زال،و یتلاعنون عند اللقاء.و قیل ذلک یوم القیامه.

قوله: و عن قلیل.إلی قوله:عند اللقاء.

جمله اعتراضیّه مؤکّد بها معنی تعجبّه منهم فکأنّه قال:إنّهم علی تکالبهم علیها عن قلیل یتبرّء بعضهم من بعض،و ذلک أدعی لهم إلی ترک التکالب علیها .

کنایه و قوله: ثمّ یأتی بعد ذلک طالع الفتنه الرجوف ،و کان هذه الفتنه هی فتنه التتار إذ الدائره فیها علی العرب.و قال بعض الشارحین:بل ذلک إشاره إلی الملحمه الکائنه فی آخر الزّمان کفتنه الدّجال،و کنّی عن أهوالها و اضطراب أمر الإسلام

ص:۲۲۴

۱- ۱) ۱۶۱-۲.

۲- ۲) ۷۴-۴۰.

فیهـا بکونهـا رجوفـا:أی کثیره الرجف،و طالعهـا مقـدّماتها و أوائلها ، اسـتعاره بالکنایه و کنّی بقصـمها عن إهلاک الخلق فیها،و استعار لها لفظ الزحوف ملاحظه لشبهها بالرجل الشجاع کثیر الزحف فی الحرب إلی أقرانه:أی یمشی إلیهم قدما .ثمّ شرع فی بیـان أفعـال تلـک الفتنه بالنـاس من إزاغه قلوب قوم عن سبیـل اللّه تعـالی بعـد اسـتقامتها علیه ، و ضـلال رجال:أی هلاکهم فی الآخره بالمعاصـی بعـد سـلامه منها ،و اختلاف الأهواء عن إراده اللّه بهجومها ،و التباس الآراء الصـحیحه بالفاسـده عنـد ظهورها علی الناس فلا یعرفون وجه المصـلحه من غیره ،و من یطلع إلی مقاومتها و سـعی فی دفعها هلک ، استعاره و استعار لفظ التکادم إمّا لمغالبه مشیری هـذه الفتنه بعضـهم لبعض أو مغالبتهم لغیرهم،و شبّه ذلک بتکادم الحمر فی العانه،و وجه التشبیه المغالبه مع الإیمـاء:أی خلعهم ربق التکلیف من أعنـاقهم و کثره غفلتهم عمّـا یراد بهم فی الآخره ،و اسـتعار معقود الحبـل لما کان انبرم من دوله الإسـلام استعاره بالکنایه و اسـتعار لفظ الحبل للـدین،و کنّی باضـطرابه عن عدم اسـتقرار قواعد الدین عند ظهور أوّل هذه الفتنه ،و عمی وجه هـذا الأمر:أی عـدم الاهتـداء إلی وجه المصـلحه ،و أشار بالحکمه الّتی تغیض فیها إلی الحکمه الخلقیّه الّتی علیهـا مـدار الشـریعه و تعلیمها،و اسـتعار لفظ الغیض لعـدم ظهورها و الانتفاع بها و ینطق فیها الظلمه بالأمر و النهی،و ما یقتضـیه آراؤهم الخارجه عن العدل ، استعاره و استعار لفظ المسحل لما تؤذی به العرب و أهل البادیه،و وجه المشابهه اشتراک المبرد أو شکیمه اللجـام و مـا تؤذی به العرب من هـذه الفتنه فی الإیـذاء فکأنّها شـجاع ساق علیهم فـدقّهم بشـکیمه فرسه أو نحو ذلک ،و کذلک استعار لفظ الکلکل لما یدهم البدو منها ملاحظه لشبهها بالناقه التی برک علی الشیء فتستحقه .

استعاره بالکنایه و قوله: یضیع فی غبارها الوحدان و یهلک فی طریقها الرکبان.

کنایه عن عظمتها:أی لا یقاومها أحد و لا یخلص منها الوحدان و الرکبان، استعاره بالکنایه و لفظ الغبار مستعار للقلیل الیسیر من حرکه أهلهـا:أی أنّ القلیل من الناس إذا أرادوا دفعها هلکوا فی غبارها من دون أن یـدخلوا فی غمارها،و أمّا الرکبان و کنّی بهم عن الکثیر من الناس فإنّهم یهلکون فی طریقها و عند خوضها ،و قیل:أراد

بالوحدان فضلاء الوقت.إذ يقال:فلان واحد وقته،و بالغبار الشبه الّتی تغطی الحقّ عن أعینهم،و یکون الرکبان کنایه عن الجماعه أهل القوّه،و إذا کان هؤلاء یهلکون فی طریقها:أی عند الخوض لغمراتها فکیف بغیرهم ، کنایه و کنّی بمرّ القضاء عن القتل و الأسر و نحوهما ،و ظاهر کون الموارِدات الموذیه أو النافعه وارده عن القضاء الإلهیّ معلومه الکون ، استعاره بالکنایه و کذلک استعار وصف الحلب لها ملاحظه لشبهها بالناقه،و کنّی بذلک عن سفک الدماء فیها ،و منار الدین أعلامه و هم علماؤه و یحتمل أن یرید قوانینه الکلّیه ،و ثلمها عباره عن قتل العلماء و هدم قواعد الدین و ترک العمل به ،و عقد الیقین هو الاعتقاد الموصل إلی علم الیقین أو إلی عین الیقین و هو اعتقاد الشریعه و إیصال ذلک إلی جوار اللّه تعالی و القرب منه و نقضه هو ترک العمل علی وفقه من تغیّره و تبدّله ،و الأکیاس الهاربون منها هم العلماء و أهل العقول السلیمه و کلّ هذه الإشارات معلومه من فتنه من ذکرنا،و ظاهر کونهم أرجاس النفوس یرجس الشیطان أنجاسها بالهیئات البدنیّه،و الملکات الردیئه أنجاس الأبدان بحکم الشریعه ، استعاره بالکنایه و کنّی عن شدّتها و کونها محلّ المخاوف بوصف المرعاد و المبراق المستعارین ملاحظه لشبهها بالسحابه کثیره البروق و الرعود بوصف کشفها عن ساق عن إقبالها مجرّده کالمشمّر للحرب أو لأمر مهمّ ،و ظاهر کونها تقطع فیها الأرحام و یفارق علیها الإسلام ،و أشار بریّها إلی من یعتقد فی هذه الدوله أنّه ذو صلاح بریء من المعاصی و الآثام مع کونه لیس کذلک.إذ من الظاهر أنّ السالم فی هذه الفتنه من معصیه اللّه قلیل بل أقلّ من القلیل،و لعلّه عند الاستقراء لا یوجد،و أشار بظاعنها إلی من یعتقد أنّه متخلّف عنها و غیر داخل فیها و ظاهر کونه غیر منحرف عنها، و یحتمل أن یرید أنّ من ارتحل عنها خوفا لا ینجو منها،و باللّه التوفیق.

القسم الثانی منها:

اشاره

بَیْنَ قَتِیلٍ مَطْلُولٍ وَ خَائِفٍ مُسْتَجِیرٍ- یَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الْأَیْمَانِ وَ بِغُرُورِ الْإِیمَانِ- فَلاَ تَکُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَ أَعْلاَمَ الْبِدَعِ- وَ الْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَیْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَهِ- وَ بُنِیَتْ عَلَیْهِ أَرْکَانُ الطَّاعَهِ- وَ اقْدَمُوا عَلَی اللَّهِ مَظْلُومِینَ

وَ لاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ- وَ اتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَ مَهَابِطَ الْعُدْوَانِ- وَ لاَ تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ- فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَهَ- وَ سَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَهِ

اللغه

أقول:يقال: طلّ دم فلان فهو مطلول: إذا هدر و لم يطلب به .و يختلون:

يخدعون ،و اللعق: جمع لعقه،و هی اسم لما تناوله الملعقه مرّه .

المعنی

فقوله: بین قتیل .إلی قوله: مستجیر.

یشبه أن یکون صفه حال المتمسّکین بالدین فی زمان الفتنه الاولی .

و قوله: یختلون .إلی قوله: و بغرور الإیمان.

صفه حال استجلاب هؤلاء المقتولین:أی أنّهم یخدعون بإعطاء الأقسام و العهود الکاذبه و ذلک کخداع الحسین علیه السّلام عن نفسه و أصحابه،روی یختلون بالبناء للفاعل فیکون وصف حال أهل الفتنه و أتباعهم .ثمّ أخذ فی نهی السامعین أن یکونوا أنصارا للفتن الّتی یدرکونها،و أعلاما للبدع:أی رؤساء یشار إلیهم فیها ، و یقتدی بهم کما یشار إلی الأعلام البیّنه و یقتدی بها،و فی الخبر کن فی الفتنه کابن لبون لا ظهر فیرکب و لا ضرع فیحلب .

و قوله: و أقدموا علی اللّه مظلومین.

لیس المراد منه الأمر بالانظلام فإنّ ذلک طرف التفریط من فضیله العداله، و هی رذیله بل المراد إنّکم إذا کانت لکم مکنه من الظلم فلا تظلموا و لو استلزم ترک الظلم انظلامکم و هو کسر للنفوس عن رذیله الظلم خصوصا نفوس العرب فإنّها أکثر تطاولا إلی الظلم و أمنع عن قبول الانظلام و الانفعال عنه و إن استلزم الظلم کما أشار إلیه العربیّ.

و من لم یذد عن حوضه بسهامه یهدم و من لا یظلم القوم یظلم

و مدارج الشیطان :طرقه،و هی الرذائل الّتی یحسّنها و یقود إلیه،و کذلک مهابط العدوان محالّه الّتی یهبط فیها.و هی من طرق الشیطان أیضا ، کنایه و لعق الحرام

ص:۲۲۷

كنايه عمّا يكتسبه الإنسان من الدنيا و متاعها على غير الوجه الشرعىّ،و نبّه، باللعق على قلتها و حقارتها بالنسبه الى متاع الاخره مجاز و نبه على وجوب الانتهاء عمّا نهى عنه بقوله: فإنّكم بعين من حرّم عليكم.إلى آخره يقال:فلان من فلان بمرآ و مسمع و بعين منه إذا كان مطّلعا على أمره:أى فإنّ الّذى حرّم عليكم المعصيه و أوجب عليكم طاعته مطّلع عليكم و عالم بما تفعلون،و ذلك أردع لهم من النهى المجرّد،و لفظ العين مجاز فى العلم .

۱۵۱–و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ- وَ بِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ- وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لاَ شَبَهَ لَهُ- لاَ تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ وَ لاَ تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ- لاِفْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَ الْمَصْنُوعِ- وَ الْحَادِّ وَ الْمَحْدُودِ وَ الرَّبِّ وَ الْمَرْبُوبِ- الْأَحَدِ بِلاَ تَأْوِيلِ عَدَدٍ- وَ الْخَالِقِ لاَ بِمَعْنَى حَرَكَهٍ وَ نَصَبٍ- وَ السَّمِيعِ لاَ بِأَدَاهٍ وَ الْبَصِيرِ لاَ بِتَفْرِيقِ آلَهٍ- وَ الشَّاهِدِ لاَ بِمُمَاسَّهٍ وَ الْبَائِنِ لاَ بِتَرَاخِی مَسَافَهٍ- وَ الظَّاهِرِ لاَ بِرُؤْيَهٍ وَ الْبَاطِنِ لاَ بِلَطَافَهٍ- بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَ الْقُدْرَهِ عَلَيْهَا- وَ بَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ- مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ- وَ مَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ- وَ مَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ- وَ مَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ- عَالِمٌ إِذْ لاَ مَعْلُومٌ وَ رَبٌّ إِذْ لاَ مَرْبُوبٌ- وَ قَادِرٌ إِذْ لاَ مَقْدُورٌ

اللغه

أقول: المشاعر: الحواس.إذ هى محلّ الشعور .

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات من أوصافه ،

و فى الفصل أبحاث من العلم الإلهىّ:

الأوّل:الإشاره إلى وجوده تعالى الواجب

،و للناس فى إثباته طريقان:

إحداهما:إثبات وجوده بالنظر فى نفس الوجود،و قسمته إلى أقسام حاصره، و تقرير هذه الطريقه أن يقال:لا شكّ فى وجود موجود فذلك الموجود إن كان واجب الوجود فهو المطلوب و إن كان ممكنا افتقر إلى مؤثّر بناء على أنّ العلّه المحوجه إلى المؤثّر هى الإمكان،و ذلك الموجود إن كان ممكنا افتقر إلى غيره و لزم الدور أو التسلسل و كلاهما باطلان:أمّا الأوّل:فلأنّه لو افتقر كلّ واحد من الأمرين إلى الآخر باعتبار واحد لزم تقدّم كلّ منهما على المتقدّم على نفسه فيلزم تقدّمه على نفسه بمراتب،و أمّا الثانى:فلأنّه و لو كانت سلسله من علل و معلولات لا نهايه لها فى الوجود لكان مجموعها ممكنا لافتقاره إلى الأجزاء الّتى هى غيره و بمجموعها علّه تامّه فهى إمّا نفسه و هو محال بالبديهه أو أمر داخل فيه و هو باطل لأنّ العلّه التامّه للمركّب علّه أوّلا لأجزائه و إلاّ لتوقّف على علّه أجزائه فلم تكن علّه تامّه له بل هى مع علّه أجزائه هذا خلف،و إذا كانت علّه المركّب علّه أوّلا لأجزائه لزم كون ذلك الجزء المؤثّر فى المجموع مؤثّرا فى نفسه أوّلا و فى علله السابقه فيلزم تقدّمه على نفسه بمراتب غير متناهيه و ذلك باطل بالبديهه فبقى أن يكون المؤثّر فى ذلك المجموع إمّا أمرا خارجا عنه أو ما يتركّب من الداخل و الخارج عنه لكنّ القسم الثانى أيضا باطل لأنّ الداخل لمّا كان جزءا من العلّه المركّبه فله تقدّم عليها،و هى متقدّمه على مجموع الممكنات فلها تقدّم عليه، و على أجزائه فجزئها كذلك فله تقدّم على نفسه و على علله و هو باطل فبقى الأوّل لكن الموجود الخارج عن كلّ الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود،و هو المطلوب،و هذه طريق العلّيّين الّذين يستدلّون به على مخلوقاته و يسمّونه برهان اللمّ.

و أمّا الطريق الثانيه:فهى الاستدلال بالنظر فى المخلوقات و طبائعها و إمكانها و تكثّرها و قبولها للتغيّر و التركيب على مباديها.ثمّ على المبدأ الأوّل-جلّت

عظمته-و هى طريق الطبيعيّين و هى الّتى أشار إليها عليه السّلام بقوله: الدالّ على وجوده بخلقه ،و المتكلّمون فرّعوا هذه الطريق إلى أربع طرق:

أحدها:أنّهم استدلّوا بحدوث هذه الذوات على إمكانها و بإمكانها على حاجتها إلى موجد و مؤثّر،و هى طريق الأشعرىّ و أبى الحسين البصرى و المتأخّرين من المتكلّمين.

الثانيه:استدلّوا بحدوث هذه الذوات فقط على وجود محدث لها من غير نظر إلى الإمكان فقالوا:الأجسام محدثه و كلّ محدث فله محدث،و المقدّمه الاولى استدلاليه،و الثانيه عندهم بديهيّه.

الثالثه:استدلالهم بإمكان الصفات،و ذلك أن بيّنوا أنّ الأجسام الفلكيّه و العنصريّه متماثله،ثمّ قالوا:رأينا بعضها قد اختصّ بصفات ليست للآخر فذلك التخصيص ليس للجسميّه و لا للوازمها،و إلاّ لوجب فى كلّ جسم كذلك،و لا لعارض من عوارضها لأنّ الكلام فى تخصيص ذلك العارض كالكلام فى الأوّل و يلزم التسلسل،و لا للطبيعه كما يقول بعض الناس لأنّها لا تفعل فى المادّه البسيطه كالنقطه مثلا فعلاً مختلفا فبقى أن يكون ذلك التخصيص لمدبّر حكيم و هو مرادنا بالصانع.

الرابعه:الاستدلال بحدوث الصفات و هو ظاهر،و تقرير هذه الطرق و ما لها و عليها فى الكتب الكلاميّه،و ينبغى أن يخصّص المتكلّم قوله عليه السّلام:الدالّ على وجوده بخلقه الطريقه الاولى لهم،و الثالثه فإنّه عليه السّلام جعل الحدوث دليلا على الأزليّه.

البحث الثانى:فى أزليّته

،و بيانه ما ذكره عليه السّلام بقوله : و بمحدث خلقه على أزليّته ،و تقرير هذه الدلاله أنّه قد ثبت فى موضعه أنّ جميع المحدثات صادره عن قدرته تعالى و منتهيه عندها فلو كان هو محدثا لكان محدثا لنفسه و هو باطل بالضروره.

البحث الثالث:أنّه لا مثل له و لا شبيه

،و إليه الإشاره بقوله : و باشتباههم على أنّه لا شبيه له ،و أراد اشتباههم فى الحاجه إلى المؤثّر و المدبّر،و تقرير هذه الطريق أن نقول:إن كان تعالى غنيّا عن المؤثّر فلا شبيه له فى الحاجه إليه لكن

المقدّم حقّ فالتالى مثله،و قيل:أراد اشتباههم فى الجسميّه و الجنس و النوع و الأشكال و المقادير و الألوان و نحو ذلك،و إذ ليس داخلا تحت جنس لبراءته عن التركيب المستلزم للإمكان،و لا تحت النوع لافتقاره فى التخصيص بالعوارض إلى غيره،و لا بذى مادّه لاستلزامها التركيب أيضا فليس بذى شبيه فى شىء من الامور المذكوره،و الأوّل أعمّ فى نفى الشبيه .

البحث الرابع:أنّ المشاعر لا تستلمه

،و بيانه أنّ استلام المشاعر مستلزم للجسميّه و الأعراض القائمه بها،و إذ قد تنزّه قدسه تعالى عن الجسميّه و لواحقها فقد تنزّه عن إدراك المشاعر و لمسها.

البحث الخامس:أنّ السواتر لا تحجبه

،و بيانه أنّ الحجاب و الستر من لواحق ذى الجهه و الجسميّه،و إذ تنزّه قدسه عنها فقد تنزّه عن الحجب و الستر المحسوسين.

و قوله : لافتراق الصانع و المصنوع.إلى قوله:و المربوب.

التعليل راجع إلى الجمل المتقدّمه كلّها.إذ كان لكلّ من الصانع و المصنوع صفات تخصّه و يتميّز بها و هى أليق به،و بها يفارق الآخر فالمخلوقيّه و الحدوث و الاشتباه و الملموسيّه بالمشاعر و الحجب بالسواتر من لواحق الامور الممكنه المصنوعه،و ممّا ينبغى لها و يليق بها،و الوجود الأزلىّ الّذى لا شبيه له المنزّه عن المشاعر و حجب السواتر من لواحق الصانع الأوّل الواجب و هو الّذى ينبغى له و يليق به،و يضادّ ما سبق من أوصاف الممكنات ،و أراد بالحادّ خالق الحدود و النهايات و هو الصانع،و اعتبار الصانع غير اعتبار الربّ لدخول المالكيّه فى مفهوم الربوبيّه دون الصنع.

البحث السادس:فى وحدانيّته

و قد سبق برهانها،و أراد بقوله : ليس بمعنى العدد أنّ وحدانيّته ليس بمعنى كونه مبدء لكثره تعدّ به كما يقال فى أوّل العدد واحد،و قد علمت فيما سبق أنّ الواحد يقال بالاشتراك اللفظى على معان عديده عرفتها و عرفت إطلاق الواحد عليه تعالى بأىّ معنى هو،و أنّه لا يجوز أن يكون مبدء للعدد بل هو تعالى واحد بمعنى أنّه لا ثانى له فى الوجود بمعنى أنّه لا كثره

فى ذاته بوجه لا ذهنا و لا خارجا،و بمعنى أنّه لم يفته من كماله شىء بل كلّ ما ينبغى أن يكون له فهو بالذات و الفعل .

البحث السابع:فى كونه تعالى فى خالقيّته منزّها عن الحركات و المتاعب،

و قد عرفت لميّه ذلک فى الخطبه الاولى،و هو كونهما من لواحق الأجسام المنزّه قدسه عنها .

البحث الثامن:كونه سميعا لا بأداه

:أى لا بسمع،و قد سبق بيانه فى الخطبه الاولى .

البحث التاسع:كونه بصيرا لا بتفريق الآله

،و تفريقها إمّا عباره عن بعث القوّه الباصره و توزيعها على المبصرات،و هذا المعنى على قول من جعل الإبصار بآله الشعاع الخارج من العين المتّصل بسطح المرئى أظهر فإنّ توزيعه أوضح من توزيع الآله على قول من يقول:إنّ الإدراک يحصل بانطباع صوره المرئى فى العين، و معنى التفريق على القول الثانى هو تقليب الحدقه و توجيهها مرّه إلى هذا المبصر و مرّه إلى ذاک كما يقال:فلان مفرّق الهمّه و الخاطر إذا وزع فكره على حفظ أشياء متباينه و مراعاتها كالعلم و تحصيل المال،و ظاهر تنزيهه تعالى عن الإبصار بآله الحسّ لكونها من توابع الجسميّه و لواحقها .

البحث العاشر:كونه تعالى شاهدا

:أى حاضرا لا بمماسّه شىء،و المراد تنزيه حضوره عن مماثله حضور الجسمانيّات المستلزم للقرب المستلزم لمماسّه الأجسام و تقارب أين من أين فهو تعالى الحاضر بعلمه عند كلّ شىء و الشاهد لكلّ شىء من غير قرب و لا مماسّه و لا أين مطلقا لتنزّهه عن الجسميّه و لواحقها

البحث الحادى عشر:أنّه تعالى مباين للأشياء لا بتراخى مسافه

:أى أنّ مباينته للأشياء لا تستدعى التمييز بالوضع و الأين بل بذاته فقط،و قد سبق تقرير ذلک فى الخطبه الاولى أيضا .

البحث الثانى عشر:أنّه الظاهر لا برؤيه،و الباطن لا بلطافه

،و ذلک أنّ الظاهر من الأجسام ما كان منها مرئيا بحاسّه البصر و الباطن منها ما كان لطيفا إمّا

لصغر حجمه أو لطافه قوامه كالهواء،و ظهوره تعالى و بطونه منزّه من هاتين الكيفيّتين، و قد شرحنا هذين الوصفين غير مرّه .

البحث الثالث عشر:كونه بان من الأشياء بالقهر لها و القدره عليها.

إلى قوله:إليه.ذكر فى بينونته تعالى من مخلوقاته ما ينبغى له من الصفات،و فى بينونتها منه ما ينبغى لها فالّذى ينبغى له كونه قاهرا لها غالبا عليها و مستوليا،و كونه قادرا على إيجادها و إعدامها،و الّذى ينبغى لها كونها خاضعه فى ذلّ الإمكان و الحاجه لعزّته و قهره و راجعه فى وجودها و كمالاتها إلى وجوده،و بذلك حصل التباين بينها و بينه.

البحث الرابع عشر:تنزيهه عن الصفات الزائده بالقياس

الّذى ذكره بقوله :

من وصفه فقد حدّه،و من حدّه فقد عدّه ،و قد مرّ هذا القياس بعينه فى الخطبه الاولى بأتمّ تقرير و أبلغ تحقيق غير أنّه قال هناك:و من أشار إليه فقد حدّه،و قال هاهنا:و من وصفه فقد حدّه لكن المراد بوصفه هنا هو إشاره الوهم إليه و استثباته بكيفيّات و صفات فيكون معنى العبارتين واحد.

و قوله : و من عدّه فقد أبطل أزله.

لمّا كان عدّه عباره عن جعله مبدءا لكثره معدوده أو عن كونه ذا أجزاء معدوت، و كان ذلك من لواحق الممكنات و المحدثات الغير المستحقّه للأزليّه بالذات لا جرم كان من عدّه بأحد الاعتبارين مبطلا أزله الّذى يستحقّه لذاته .

البحث الخامس عشر:تنزيهه أن يسأل عنه بكيف

لأنّها سؤال عن الكيفيّه و الصفه و هو معنى قوله: قد استوصفه ،و قد بيّنا تنزيهه تعالى عن الكيفيّات و الصفات .

البحث السادس عشر:تنزيهه عن السؤال عنه بأين

،و ذلك لأنّها سؤال عن الحيّز و الجهه اللّذين هما من لواحق الأجسام،و قد بيّنا تنزيهه تعالى عن الجسميّه و ما ينبغى لها فليس هو سبحانه فى مكان و هو فى كلّ مكان بعلمه و إحاطته .

البحث السابع عشر:كونه تعالى عالما.

إذ لا معلوم.إلى قوله:مقدور.

و قد علمت معنى علمه و ربوبيّته و قدرته،و علمت أنّ الإشاره بإذ إلى اعتبار تقدّمه بذاته على معلوماته و معلولاته،و ظاهر عند ذلك الاعتبار أنّه لا معلوم فى الوجود سوى ذاته لذاته و لا مربوب و لا مقدور موجود هناك بل هى واجبه التأخّر عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك محدثه كلّها كما عليه المتكلّمون أو بعضها كما عليه الأوائل،و باللّه التوفيق و العصمه.

القسم الثانى منها:

اشاره

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لاَمِعٌ وَ لاَحَ لاَئِحٌ- وَ اعْتَدَلَ مَائِلٌ وَ اسْتَبْدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً وَ بِيَوْمٍ يَوْماً- وَ انْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ- وَ إِنَّمَا الْأَئِمَّهُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ- وَ عُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ- وَ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّهَ إِلاَّ مَنْ عَرَفَهُمْ وَ عَرَفُوهُ- وَ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِلاَّ مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَ أَنْكَرُوهُ- إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلاَمِ وَ اسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ- وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلاَمَهٍ وَ جِمَاعُ كَرَامَهٍ- اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَ بَيَّنَ حُجَجَهُ- مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَ بَاطِنِ حُكْمٍ- لاَ تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَ لاَ تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ- فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ وَ مَصَابِيحُ الظُّلَمِ- لاَ تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلاَّ بِمَفَاتِيحِهِ- وَ لاَ تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلاَّ بِمَصَابِيحِهِ- قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ وَ أَرْعَى مَرْعَاهُ- فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِى وَ كِفَايَهُ الْمُكْتَفِى

اللغه

أقول: العرفاء: جمع عريف و هو النقيب،و هو دون الرئيس .

المعنى

و أشار بطلوع الطالع إلى ظهور الإمره و الخلافه عليه،و انتقالها إليه ،و بلموع اللامع إلى ظهورها من حيث هى حقّ له،و سطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه،

ص:234

و بلوح اللائح إلى ما يلحق انتقالها إليه من الفتن و الحروب الموعوده الّتى لاحت أماراتها يومئذ،و قال بعض الشارحين:المراد بالثلاثه معنى واحد،و هو انتقال الخلافه إليه.

فقوله: و اعتدل مائل.

فالمائل الخلافه فيمن كان قبله فى نظره.إذ كان اعتقاده أنّه أولى بها و أنّ العدل أن يكون فيه،و اعتدل ذلك المائل بانتقالها إليه ، و استبدل اللّه بقوم :أى من سبق عليه قوما:أى و هو و تابعوه ، و بيوم يوما كنايه عن زمانهم بزمانهم.

و قوله : و انتظرنا الغير انتظار المجدب المطر.

إشاره إلى ما كان يتوقّعه من انتقال هذا الأمر إليه،و أراد بالغير تغيّرات الدهر و تقلبات الأحوال.

فإن قلت:أليس هو المطلّق للدنيا فأين هذا القول من طلاقها ثلاثا؟ قلت:إنّه يطلّقها من حيث هى دنيا،و لم يردها لذاتها،و لم يطلّقها من حيث يعمر بها الآخره بإنكار المنكرات،و إظهار العدل و إقامه عمود الدين و حراسته فإنّ طلبه لها إنّما كان لذلك كما سبق فى قوله لابن عبّاس بذى قار و هو يخصف نعله، تشبيه و شبّه انتظاره للغير بانتظار المجدب للمطر ،و وجه الشبه شدّه التوقّع و انتظاره، و يمكن أن يلاحظ فى وجه الشبه لواحق الأمرين المنتظرين.إذ من لواحق ما انتظره هو عن الغير و انتقال الأمر إليه شمول العدل و ظهور الحقّ فى موارده المشبّه لوقع المطر فى الأرض المجدبه،و استلزامه للخير و البركه .ثمّ شرع فى تعريف حال الأئمّه و ما نصبوا له.

و قوله : لا يدخل الجنّه إلاّ من عرفهم و عرفوه.

معناه أنّ أهل كلّ عصر لا يدخلون الجنّه إلاّ بمعرفه إمامهم و معرفته لهم، و أراد الأئمّه من ولده عليهم السّلام و معرفتهم معرفه حقّ ولايتهم و صدق إمامتهم،و بيان الحصر من وجهين:

أحدهما:أنّ دخول الجنّه لا يمكن لأحد من هذه الأمّه إلاّ باتّباع الشريعه

و لزوم العمل بها و لا یمکن ذلک إلاّ بمعرفتها و معرفه کیفیّه العمل بها، و لا یمکن ذلک إلاّ ببیان صاحب الشریعه و القائم بها،و إرشاده و تعلیمه،و ذلک لا یمکن إلاّ بمعرفه المأموم للإمام و حقیّه إمامته و صدق ولائه له لیقتدی به، و معرفه الإمام للماموم لیهدیه فإذن دخول الجنّه مستلزم لمعرفه الإمام للمأمومین و معرفتهم له.

الثانی:أنّ معرفه هؤلاء الأئمّه علی رأیه علیه السّلام کما هو المشهور المنقول عنه،و معرفه حقیّه إمامتهم و صدق ولایتهم رکن من أرکان الدین فلا یدخل الجنّه إلاّ من أقامه،و من عرفهم کذلک وجبت معرفتهم له بذلک.

فإن قلت:فنحن نری کثیرا من شیعه هؤلاء الأئمّه و محبّیهم لا تعرفهم الأئمّه و لا یرون أشخاصهم.

قلت:لا یشترط فی معرفتهم لمحبّیهم و معرفه محبّیهم لهم المعرفه الشخصیّه العینیّه بل الشرط المعرفه علی وجه کلّیّ،و هو أن یعلموا أنّ کلّ من اعتقد حقّ إمامتهم و اهتدی بما انتشر من هدیهم فهو ولیّ لهم،و مقیم لهذا الرکن من الدین فیکونون عارفین بمن یتولاّهم علی هذا الوجه و من یتولاّهم عارفا بهم لمعرفته بحقیّه ولایتهم، و اعتقاد ما یقولون و إن لم یشترط المشاهده و المعرفه الشخصیّه ،و أمّا أنّه لا یدخل النار إلاّ من أنکرهم و أنکروه فهو أیضا حقّ و ذلک أنّ دخول الجنّه مستلزم لمعرفتهم علی الوجه الّذی قرّرناه و منحصر فیه فکلّ واحد واحد ممّن یدخل الجنّه عارف بهم،و ذلک یستلزم أنّه لا واحد ممّن یدخل الجنّه بمنکر لهم لأنّ معرفتهم و إنکارهم ممّا لا یجتمعان فی ملزوم واحد.

إذا عرفت ذلک فنقول:إنّ من أنکرهم فأنکروه لا یجوز أن یکون أعمّ ممّن یدخل النار:أمّا أوّلا فللخبر المشهور من مات و لم یعرف إمام وقته مات میته جاهلیّه دلّ الخبر علی أنّ إنکارهم مستلزم للمیته الجاهلیّه المستلزمه لدخول النار،و أمّا ثانیا فلأنّه لو کان أعمّ لصدق علی بعض من یدخل الجنّه فبعض المنکر لهم یدخل الجنّه فینعکس بعض من یدخل الجنّه منکر لهم،و قد بیّنا أنّه لا واحد

ممّن یدخل الجنّه بمنکر لهم هذا خلف،و کذلک لا یجوز أن یکون أخصّ و إلاّ لصدق علی بعض من یتولاّهم و یعترف بصدق إمامتهم أنّه یدخل النار لکن ذلک باطل لقول الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:یحشر المرء مع من أحبّ،و لقوله:لو أحبّ رجل حجرا لحشر معه دلّ الخبر علی أنّ محبّه الإنسان لغیره مستلزمه لحشره معه، و قد ثبت أنّهم علیهم السّلام إلی الجنّه یحشرون فکذلک من أحبّهم و اعترف بحقیّه إمامتهم،و دخول الجنّه مع دخول النار ممّا لا یجتمعان فثبت أنّه لا واحد ممّن یحبّهم و یعترف بحقّهم یدخل النار فقد ظهر إذن صدق هذه الکلّیّه أیضا،و وجه الحصر فیها .ثمّ أخذ فی إظهار منّه اللّه تعالی علیهم بالقرآن الکریم و تخصیصهم به من سائر الکتب و استخلاصهم له،و إعدادهم لقبوله من سائر الامم .ثمّ نبّه علی بعض أسباب إکرامه تعالی لهم به أمّا من جهه اسمه فلأنّه مشتقّ من السلامه بالدخول فی الطاعه،و أمّا من معناه فمن وجوه:

أحدها:أنّه مجموع کرامه من اللّه لخلقه لأنّ مدار جمیع آیاته علی هدایه الخلق إلی سبیل اللّه القائده إلی جنّته.

الثانی :أنّ اللّه تعالی اصطفی منهجه،و هو طریقته الواضحه المؤدّیه للسالکین بأیسر سعی إلی رضوان اللّه.

الثالث:أنّه تعالی بیّن حججه،و هی الأدلّه و الأمارات ،و من للتمییز و التقسیم هنا تقسیم الحجج إلی ظاهر علم،و أشار إلی ظواهر الشریعه و أحکامها الفقهیّه و أدلّه تلک الأحکام،و باطن حکم و أشار به إلی ما یشتمل علیه الکتاب العزیز من الحکمه الإلهیّه و أسرار التوحید و علم الأخلاق و السیاسات و غیرها.

الرابع :أنّه لا تفنی عزائمه[غرائبه خ]و أراد بالعزایم هنا آیاته المحکمه و براهینه العازمه:أی القاطعه،و عدم فنائها إشاره إمّا إلی ثباتها و استقرارها و طول المدّه و تغیّر الأعصار،و إمّا إلی کثرتها عند البحث و التفتیش عنها.

الخامس : و لا تنقضی عجائبه ،و ذلک أنّه کلّما تأمله الإنسان استخرج منه بفکره لطائف معجبه من أنواع العلوم لم یکن عنده من قبل.

استعاره السادس : فیه مرابیع النعم ،و استعار لفظ المرابیع،و هی الأمطار تأتی زمن الربیع فتحیی الأرض و تنبت الکلاء لما یحصل علیه الإنسان من النعم ببرکه القرآن و لزوم أوامره و نواهیه و حکمه و آدابه:أمّا فی الدنیا فالنعم الّتی تحصل ببرکته لحاملیه من القرّاء و المفسّرین و غیرهم ظاهره الکثره،و أمّا بالنسبه إلی الآخره فما یحصل علیه مقتبسوا أنواره من الکمالات المسعده فی الآخره من العلوم و الأخلاق الفاضله أعظم نعمه و أتمّ فضل،و وجه الاستعاره ظاهر.

السابع :أنّ فیه مصابیح الظلم ،و استعار لفظ المصابیح لقوانینه و قواعده الهادیه إلی اللّه فی سبیله کما یهدی المصباح فی الطریق المظلمه.

الثامن:أنّه لا تفتح الخیرات إلاّ بمفاتیحه ،و أراد الخیرات الحقیقیّه الباقیه، و استعار لفظ المفاتیح لمناهجه و طرقه الموصله إلی تلک الخیرات،و وجه الاستعاره کونها أسبابا موصله إلیها کما أنّ المفاتیح أسباب موصله إلی خیرات الخزائن مثلا التاسع : و لا ینکشف الظلمات إلاّ بمصابیحه ،و أراد ظلمات الجهل،و بالمصابیح قوانینه کما سبق استعاره.

استعاره-مجاز العاشر :کونه قد أحمی حماه :أی هیّأه و عرّضه لأن یحمی کما یقال:

أقتلت فلانا و أضربته إذا هیّأته للقتل و عرّضته للضرب،و استعار لفظ الحمی لحفظه و تدبّره و العمل بقوانینه،و وجه الاستعاره أنّ بذلک یکون حفظ الشخص و حراسته:

أمّا فی الدنیا فمن أیدی کثیر من الظالمین لاحترامهم حمله القرآن و مفسّریه،و من یتعلّق به،و أمّا فی الآخره فلحمایته حفظته و متدبّریه و العامل به من عذاب اللّه کما یحمی الحمی من یلوذ به،و نسبه الإحماء إلیه مجاز إذ المعرض له أن یتدبّر و یعمل به هو اللّه تعالی و رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و حملته ،و قیل:أراد بحماه محارمه،و أحماه:أی منع بنواهیه و زواجره أن یستباح محارمه،و هو أخصّ ممّا قلناه أوّلا.

استعاره الحادی عشر:و کذلک أرعی مرعاه :أی هیّأه لأن یرعی،و استعار لفظ المرعی للعلوم و الحکم و الآداب الّتی یشتمل علیها القرآن،و وجه المشابهه أنّ هذه مراعی النفوس الإنسانیّه و غذاؤها الّذی به یکون نشوها العقلیّ و نمائها

الفعلىّ كما أنّ المراعى المحسوسه من النبات و العشب غذاء للأبدان الحيوانيّه الّتى بها يقوم وجودها.

الثانى عشر : فيه شفاء المشتفى :أى طالب الشفاء منه:أمّا فى الأبدان فبالتعوّذ به مع صدق النيه فيه و سلامه الصدور،و أمّا فى النفوس فلشفائها به من أمراض الجهل.

الثالث عشر : و كفايه المكتفى ،و أراد بالمكتفى طالب الكفايه:أمّا من الدنيا فلأنّ حمله القرآن الطالبين به المطالب الدنيويّه هم أقدر أكثر الناس على الاحتيال به فى تحصيل مطالبهم و كفايتهم بها،و أمّا فى الآخره فلأنّ طالب الكفايه منها يكفيه تدبّر القرآن و لزوم مقاصده فى تحصيل مطلوبه منها،و باللّه التوفيق.

۱۵۲-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ هُوَ فِی مُهْلَهٍ مِنَ اللَّهِ یَهْوِی مَعَ الْغَافِلِینَ- وَ یَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِینَ بِلاَ سَبِیلٍ قَاصِدٍ وَ لاَ إِمَامٍ قَائِدٍ

المعنى

استعاره أقول:هذا الفصل يشتمل على صفه مطلق الضالّ ،و أشار بالمهله إلى مدّه عمره المضروبه له من اللّه تعالى،و يهويه مع الغافلين إلى سقوطه و انخراطه فى سلكهم بسبب جهله و غفلته عمّا يراد به،و استعار لفظ الهوى لذلك الانخراط و تلك المتابعه، و وجه المشابهه أنّ المنهمك فى مجارى الغفله و مسالك الجهل ينحطّ بها عن درجه أهل السلامه،و يهوى فى مهابط الهلاك و هى الرذائل المبعّده عن اللّه تعالى كما أنّ الهاوى من علوّ كذلك ، و يغدو مع المذنبين موافقته لهم فيما هم فيه،و مسارعته إلى المعاصى من غير أن يسلك سبيلا قاصدا للحقّ و يتّبع إماما يقوده إليه من استاد مرشد أو كتاب أو سنّه،و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها

اشاره

حَتَّى إِذَا کَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِیَتِهِمْ- وَ اسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلاَبِیبِ غَفْلَتِهِمُ- اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً وَ اسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً- فَلَمْ یَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَکُوا

مِنْ طَلِبَتِهِمْ- وَ لاَ بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ- إِنِّی أَحَذِّرُکُمْ وَ نَفْسِی هَذِهِ الْمَنْزِلَهَ- فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ- فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَکَّرَ- وَ نَظَرَ فَأَبْصَرَ وَ انْتَفَعَ بِالْعِبَرِ- ثُمَّ سَلَکَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَهَ فِی الْمَهَاوِی- وَ الضَّلاَلَ فِی الْمَغَاوِی- وَ لاَ يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاهَ بِتَعَسُّفٍ فِی حَقٍّ- أَوْ تَحْرِيفٍ فِی نُطْقٍ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَکْرَتِکَ- وَ اسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِکَ وَ اخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِکَ- وَ أَنْعِمِ الْفِکْرَ فِيمَا جَاءَکَ- عَلَى لِسَانِ؟النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ ص؟ مِمَّا لاَ بُدَّ مِنْهُ- وَ لاَ مَحِيصَ عَنْهُ- وَ خَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِکَ إِلَى غَيْرِهِ- وَ دَعْهُ وَ مَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَ ضَعْ فَخْرَکَ- وَ احْطُطْ کِبْرَکَ وَ اذْکُرْ قَبْرَکَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّکَ- وَ کَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَ کَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ- وَ مَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً- فَامْهَدْ لِقَدَمِکَ وَ قَدِّمْ لِيَوْمِکَ- فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَ الْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ- «وَ لا يُنَبِّئُکَ مِثْلُ خَبِيرٍ» إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِی الذِّکْرِ الْحَکِيمِ- الَّتِی عَلَيْهَا يُثِيبُ وَ يُعَاقِبُ وَ لَهَا يَرْضَى

اللغه

أقول: الجلباب: الملحفه .و الوطر: الحاجه .و الجدد: الطريق الواضح .

و استنجح الحاجه: استقضائها .

المعنى

و صدر هذا الفصل صفه غايه الغافلين عن أحوال الآخره المشمّرين فى طلب الدنيا ،و فاعل كشف ضمير يعود إلى اسم اللّه تعالى فيما سبق من الكلام،و قد علمت أنّ النفس ذا جهتين:جهه تدبير أحوالها البدنيّه بما لها من القوّه العمليّه،و جهه

ص:۲۴۰

استكمالها بقوّتهما النظريّه الّتى تتلقّى بها من العاليات كمالها ،و علمت أنّ بقدر خروجها عن حدّ العدل فى استكمال قوّتها العمليّه تنقطع عن الجهه الاخرى، و تكشفها الهيئات البدنيّه فتكون فى أغطيه منها و جلابيب من الغفله عن الجهه الاخرى بالانصباب إلى ما يقتنيه ممّا يعدّ خيرا فى الدنيا،و بحسب انصبابها فى هذه الجهه،و تمكّن تلك الهيئات البدنيّه منها يكون بعدها عن بارئها و نزولها فى دركات الجحيم عن درجات النعيم،و بالعكس كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:الدنيا و الآخره ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الاخرى،و ظاهر أنّ بالموت تنقطع تلك الغفله و تنكشف تلك الحجب فيومئذ يتذكّر الإنسان و أنّى له الذكرى،و يكون ما اثيبه يومئذ من تعلّق تلك الهيئات بنفسه و حطّها له عن درجات الكمال و ما شاهده من السلاسل و الأغلال هو جزاء معصيتهم المنكشف لهم، استعاره و لفظ الجلابيب استعاره لفظ المحسوس للمعقول،و وجه المشابهه حجب الغفله لا غير يصائرهم عن التنوّر بأنوار اللّه كحجب الوجه بالجلباب ،و المدبر الّذى استقبلوه هو العذاب الاخروىّ، و الأهوال الّتى كانت غائبه عنهم،و المقبل الّذى استدبروه هو ما كانوا فيه من مأمولاتهم و أحوالهم الدنيويّه ،و ظاهر أنّهم لم ينفعوا إذن بما أدركوا من طلباتهم الدنيويّه،و لا بما قضوا من أوطارهم و حاجاتهم الحاضره فيها .ثمّ عاد إلى التحذير من هذه المنزله:أى الحاله الّتى هؤلاء الموصوفون عليها من الغفله فإنّها مقام صعب و مزلّه قدم،و شرك نفسه فى التحذير لأنّه أدخل فى جذب نفوس السامعين إلى طاعته .

ثمّ أمر كلّا بالانتفاع بنفسه،و شرح كيفيّه الانتفاع بشرح حال البصير لأنّه لا ينتفع بنفسه إلّا البصير،و ذكر امورا:

فالأوّل،أن يتفكّر فيما يسمعه من كلام اللّه و رسوله و المواعظ البالغه فإنّه لا ينتفع بها بدون الفكر كما علمته.

الثانى :أن ينظر بعين حسّه،و بصيرته فيتوخى المقاصد النافعه فيبصرها و يدرك بعقله منها العبر.الثالث:أن ينتفع بما يدركه من العبر و ذلك بالعمل على وفق ما علم و أدرك .

الرابع:أن يسلك الصراط المستقيم الّذى وردت به الشريعه و هو الجدد الواضح،و يتجنّب فيه العدول و الانحراف بأنّه من انحرف عنه و لو باليسير انصرع فى مهراه و ضلّ فى مغواه،و قد نبّهناك فيما سلف على ذلك بالمثل الّذى ضربه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال:ضرب اللّه مثلا مستقيما،و على جنبتى الصراط أبواب مفتّحه، و عليها ستور مرخاه،و على رأس الصراط داع يقول:جوزوا و لا تعرّجوا.قال:

فالصراط هو الدين،و هو الجدد الواضح هنا،و الداعى هو القرآن،و الأبواب المفتّحه محارم اللّه،و هى المهاوى و المغاوى هنا،و الستور المرخاه هى حدود اللّه و نواهيه .ثمّ نهى أن يعين الإنسان على نفسه الغواه بأحد امور:أن يتعسّف فى حقّ:

أى لا يحملهم على مرّ الحقّ و صعبه فإنّ الحقّ له درجات بعضها أسهل من بعض فالاستقصاء فيه على غير أهله يوجب لهم النفره عمّن يقوله و يأمره به،و العداوه له و القول فيه،و يحتمل أن يريد بالتعسّف فى الحقّ التكلّف فى العمل به مع نوع من التقصير فيه فإنّ الغواه هم تاركوا الحقّ فإذا وجدوا ركيكا فيه أو متكلّفا للعمل به مقصّرا طمعوا فى الأبنه للباطل فكان قد أعانهم على نفسه بذلك ،و كذلك إذا آنسوا منه الكذب و التحريف فى القول أو التخوّف من الصدق كأن ادعى لهم من الطمع فى انفعاله لباطلهم و إدخاله فيه فكان معينا لهم على إغواء نفسه بذلك .ثمّ عاد إلى أمر السامع بأوامر:

أحدها:الإفاقه من سكره الجهل و التيقّظ من الغفله فى الدنيا، استعاره و لفظ السكره مستعار،و وجه المشابهه كون الغفله مستلزمه لترك إعمال العقل كما أنّ السكر كذلك .

الثانى:بالاختصار من العجله،و أراد بالعجله سرعه الحركه فى طلب الدنيا و الاهتمام بها،و باختصارها تخفيف تلك الحركه و تقليلها .

الثالث:بانعام الفكر فيما دار على لسان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كثر من ذكر الموت و عرض النفوس على ديّانها،و إنعام الفكر فى ذلك تدقيق النظر فى حال الموت و ما بعده،و الاعتبار بما لا بدّ منه و لا محيص عنه من ذلك .

الرابع:بمخالفه من خالف ذلک و نظر فی غیره ممّا عنه بدّ من أحوال الدنیا و زینتها ،و أن یدع ذلک المخالف،و ما رضی لنفسه من التعوّض بالامور الفانیه عن الامور الباقیه،و ما یستلزم ذلک من الشقاوه الاخرویّه .

الخامس:أن یضع الفخر و یحطّ الکبر،و قد سبق بیان ما فی الکبر من الآفات،و الفخر مستلزم للکبر.إذ کلّ مفتخر متکبّر أو متلازمان .

السادس:أن یذکر قبره لأنّ فی ذکره عبره تامّه.

و قوله: فإنّ علیه ممرّک.

تنبیه له علی وجوب الذکر له فإنّ السالک لطریق لا بدّ من سلوکها إذا کان فیها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له بحمل الضوء للاستناره فیه،و الإنسان فی سلوکه لطریق الآخره لا بدّ له من المرور بالقبر و أحکام الشارع أکثریه ، ثمّ نبّهه بالمثلین المشهورین: کما تدین تدان علی وجوب حسن المعامله مع اللّه سبحانه.إذ کان حسن جزائه بقدر حسن معامله العبد،و قبحه بقبحها،و کذلک استعاره قوله: کما تزرع تحصد ،و لفظ الزرع مستعار لما یفعله الإنسان فیکسب نفسه ملکه خیریّه أو شرّیّه،و کذلک لفظ الحصد للحصول علی ما تثمره تلک الآثار، و تستلزمه من ثواب أو عقاب،و وجه الاستعارتین ظاهر .

و قوله: و کما قدّمت الیوم تقدم علیه غدا.

ظاهر فإنّ الهیئات النفسانیّه الّتی هی ثمرات الأفعال المستلزمه للسعاده أو الشقاوه و إن کانت مستصحبه للنفس مدّه بقائها فی الدنیا أیضا إلاّ أنّها لا تنکشف لها إلاّ بعد المفارقه کما سبق بیانه فتکون حینئذ حاله الانکشاف بمنزله من قدم علی أمر لم یکن معه،و إذا کان کذلک فینبغی للإنسان أن یمهّد لقدمه:أی یوطیء موضع قدمه فی الآخره بطیب الأعمال،و یقدّم صالحها لیوم قیامته .ثمّ عاد إلی تحذیره من حیث هو مستمع للموعظه،و إلی أمره بالجدّ فی العمل لما بعد الموت و الیقظه من الغفله،و نبّهه باقتباس الآیه علی أنّ الواعظ له خبیر بأحوال طریق الآخره و أهوالها و لا یخبر بحقائق الامور کالعارف بها .ثمّ عاد إلی التحذیر من

بعض الکبائر الّتی نصّ القرآن المجید أنّها مستلزمه للعقاب لا محاله،و الذکر الحکیم هو القرآن،و قد سبق بیان معنی العزائم منه،و قیل:هو اللوح المحفوظ،

القسم الثالث

اشاره

وَ یَسْخَطُ- أَنَّهُ لاَ یَنْفَعُ عَبْداً- وَ إِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَ أَخْلَصَ فِعْلَهُ- أَنْ یَخْرُجَ مِنَ الدُّنْیَا لاَقِیاً رَبَّهُ- بِخَصْلَهٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ یَتُبْ مِنْهَا- أَنْ یُشْرِکَ بِاللَّهِ فِیمَا افْتَرَضَ عَلَیْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ- أَوْ یَشْفِیَ غَیْظَهُ بِهَلاَکِ نَفْسٍ- أَوْ یَعُرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَیْرُهُ- أَوْ یَسْتَنْجِحَ حَاجَهً إِلَی النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَهٍ فِی دِینِهِ- أَوْ یَلْقَی النَّاسَ بِوَجْهَیْنِ أَوْ یَمْشِیَ فِیهِمْ بِلِسَانَیْنِ- اعْقِلْ ذَلِکَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِیلٌ عَلَی شِبْهِهِ- إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا- وَ إِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَی غَیْرِهَا- وَ إِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِینَهُ الْحَیَاهِ الدُّنْیَا وَ الْفَسَادُ فِیهَا- إِنَّ الْمُؤْمِنِینَ مُسْتَکِینُونَ- إِنَّ الْمُؤْمِنِینَ مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِینَ خَائِفُونَ

المعنی

اسم إنّ أنّه لا ینفع،و الضمیر فی أنّه ضمیر الشأن،و فاعل ینفع أن یخرج، و لاقیا نصب علی الحال،و أراد أنّ من جمله نصوص اللّه سبحانه الّتی هی فی محکم کتابه العزیز الّتی باعتقادها و العمل علی وفقها یثیت و یرضی،و بترکها یعاقب و یسخط أنّه لا ینفع عبدا خروجه من الدنیا لاقیا ربّه بأحد الخصال المذکوره و إن أجهد نفسه فی العمل و أخلص فیه :

أحدها:الشرک باللّه تعالی،و قد سبق منّا بیان درجات الشرک،و بقدر قوّته و ضعفه یکون قوّه العقاب و ضعفه،و النصّ الدالّ علی مضرّته المستلزم لعدم نفعه قوله تعالی «إِنَّ اللّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ» (۱)و قوله: فیما افترض علیه من عبادته

ص:۲۴۴

۱- ۱) ۵۱-۴.

یفهم منه أنّه أراد الشرک بالریاء فی العباده لا اتّخاذ إله ثان،و هذه الآیه تلحق النفس تاره من غلبه الجهل علیها و استیلاء الغفله و ترک النظر فی المعرفه و التوحید و تاره من غلبه الشهوه کما تلحق نفس المرائی بعبادته لطلب الدنیا .

الثانیه:أن یشفی غیظه بهلاک نفس،و فی نسخه نفسه،و نفس أعمّ و ذلک الهلاک تاره فی الدنیا کما یستلزمه السعی بالنمیمه إلی الملوک و نحوه،و تاره فی الآخره باکتساب الآثام المستلزم لشفاء الغیظ،و النصّ فیه قوله تعالی «وَ مَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِیها» (۱)الآیه،و هذه الآفه تلحقها بواسطه القوّه الغضبیّه .

الثالثه:أن یقرّ بأمر فعله غیره:أی یتمّ علی غیره بأمر فعله ذلک الغیر فیستلزمه إهلاکه و أذاه فیدخل فیمن یسعی فی الأرض فسادا،و النصّ علیه قوله «إِنَّما جَزاءُ الَّذِینَ یُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَسْعَوْنَ فِی الْأَرْضِ فَساداً أَنْ یُقَتَّلُوا» (۲)الآیه،و روی الشارحین یعرّ بالعین المهمله.قال:و معناه أن یقذف غیره بأمر قد فعله هو فیکون غیره منصوبا مفعولا به،و العامل یعرّ یقال عرّه یعرّه عرّا:أی غابه و لحظه(لطخه خ)فعلی هذا یکون داخلا فی جمله الفاسقین و الکاذبین و الموذین للمؤمنین بغیر ما اکتسبوا،و هذه الآفه تلحق النفس بشرکه من الشهوه و الغضب .

الرابعه:أن یستنجح حاجه إلی الناس بإظهار بدعه فی دینه کشاهد الزور لغایه یصل إلیها،و المرتشی فی الحکم و القضاء .

الخامسه:أن یلقی الناس بوجهین أو یمشی فیهم بلسانین:أی یلقی کلّا من الصدیقین مثلا بغیر ما یلقی به الآخر لیفرّق بینهما أو بین العدوّین لیضری بینهما،و بالجمله أن یقول بلسانه ما لیس فی قلبه فیدخل فی زمره المنافقین،و وعید المنافقین فی القرآن «إِنَّ الْمُنافِقِینَ فِی الدَّرْکِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ» (۳)و مطابقه ذلک من العقل أنّ من انتقش لوح نفسه بهیئات السوء و لم یمحها بالتوبه ألحقه فهو من أصحاب النار .

و قوله: اعقل ذلک.

ص:۲۴۵

۱- ۱) ۴-۹۴.

۲- ۲) ۵-۳۷

۳- ۳) ۴-۱۴۴.

أی اعقل ما أضربه لک من المثل،و احمل علیه ما یشبهه فإنّ المثل دلیل علی شبهه و ذلک المثل قوله: إنّ البهائم.إلی قوله:و الفساد فیها.

فقوله: إنّ البهائم همّها بطونها.

إشاره إلی أنّ الإنسان المتّبع لشهوته بمنزله البهیمه فی اتّباع قوّته الشهویّه، و الاهتمام بالطعام و الشراب دون المطالب الحقیقیّه .

و قوله: إنّ السباع همّها العدوان علی غیرها.

إشاره إلی أنّ متّبع القوّه الغضبیّه بمنزله السبع فی اتّباعها و محبّه الانتقام و الغلبه علی الغیر .

و قوله: و إنّ النساء همّهنّ زینه الحیاه الدنیا و الفساد فیها.

إشاره إلی أنّ النساء متّبعه للقوّتین:الشهویّه و لها کان همّهنّ زینه الحیاه الدنیا،و الغضبیّه و لها کان همّهنّ الفساد فی الدنیا فالتابع لشهوته و غضبه لاحق بالنساء فی ذلک .ثمّ لمّا حصر متابع الشرّ فی قوّتی الشهوه و الغضب ذکر المؤمنین بصفات ثلاث کلّ منها یستلزم کسر تینک القوّتین،و هی الاستکانه للّه و.الخضوع له.ثمّ الاشفاق من غضبه.ثمّ الخوف من عقابه،و ظاهر کون کلّ واحد من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرف الافراط فی القوّتین و الخروج عن حدّ العدل فیهما،و غایه هذا المثل التنفیر عن طاعه الشهوه و الغضب بالتنبیه علی أنّ الخارج فیهما عن حدّ العدل إلی ما لا ینبغی إمّا أن یشبه البهیمه أو السبع أو المرأه،و کلّ منها ممّا یرغب العاقل عنه،و هو الّذی أمر بعقلیّته فانظر إلی ما اشتمل علیه هذا الکلام من الإشاره اللطیفه الّتی یشهد علیه علیه السّلام بمشاهده الحقّ کما هو،و إذا اعتبرت ذلک و أمثاله من الحکم البالغه و نظرت إلی أنّه علیه السّلام لم یرجع فیه إلی مطالعه کتاب أو استفاده بحث علمت أنّه فیض ربّانیّ بواسطه إعداد سیّد البشر و الاستاد المرشد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال الشارح الفاضل عبد الحمید بن أبی الحدید-رحمه اللّه-إنّما رمز بباطن هذا الکلام إلی الرؤساء یوم الجمل لأنّهم حاولوا أن یشفوا غیظهم بإهلاکه و إهلاک غیره من المسلمین و عیّروه علیه السّلام بأمرهم فعلوه،و هو التألیب علی عثمان و حصره و استنجحوا

حوائجهم إلى أهل البصره بإظهار البدعه و الفتنه و لقوا الناس بوجهين و لسانين لأنّهم بايعوه و أظهروا الرضا به.ثمّ نكثوا من وجه آخر فجعل ذنوبهم هـذه بمنزله الشـرک فی أنّها لا تغفر إلّا بالتوبه.قال:و هذا معنی قوله:اعقل ذلک فإنّ المثل دلیل علی شبهه.و باللّه التوفیق.

۱۵۳-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

وَ نَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِیبِ بِهِ یُبْصِرُ أَمَدَهُ- وَ یَعْرِفُ غَوْرَهُ وَ نَجْدَهُ- دَاعٍ دَعَا وَ رَاعٍ رَعَی- فَاسْتَجِیبُوا لِلدَّاعِی وَ اتَّبِعُوا الرَّاعِیَ قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ- وَ أَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ- وَ أَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ وَ نَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُکَذِّبُونَ- نَحْنُ الشِّعَارُ وَ الْأَصْحَابُ وَ الْخَزَنَهُ وَ الْأَبْوَابُ- وَ لاَ تُؤْتَی الْبُیُوتُ إِلاَّ مِنْ أَبْوَابِهَا- فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَیْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّیَ سَارِقاً

اللغه

أقول: الأمد: الغایه .و غوره و نجده: منخفضه و مرتفعه .و أرز بفتح الراء:

أی انقبض و انجمع .

المعنی

و ناظر قلب اللبیب :عین بصیرته.و ظاهر أنّه یبصـر بها طریقه و غایته الّتی هی متوجّه إلیها و مطلوبه منها ،و غوره و نجده طریقاه للخیر و الشرّ و هما النجدان فی قوله تعالی «وَ هَدَیْناهُ النَّجْدَیْنِ» (۱)و عباره القرآن المجید أخص،و هذه العباره أنسب إلی المعنی فإنّ الغور هو المنخفض و المستفل أنسب إلی أن یعبّر به عن رتبه النازلین فی درکات الجحیم من النجد ،و أشار بالداعی إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ما جاء به القرآن الکریم و السنّه،و بالراعی إلی نفسه ،و الأمر بالاستجابه للأوّل و الاتّباع للثانی، و ظاهر وجوب الاستجابه للّه و رسوله لقوله تعالی «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا لِلّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاکُمْ لِما یُحْیِیکُمْ» (۲)فیجب اتّباع من أوجبا اتّباعه.

۱- (۱) ۱۰-۲۰

۲- (۲) ۲۴-۸.

استعاره مرشحه و قوله : قد خاضوا بحار الفتن.

يحتمل أن يكون التفاتا إلى صفه قوم معهودين للسامعين كمعاويه و أصحاب الجمل و الخوارج،و يحتمل أن يكون منقطعا عمّا قبله متّصلا بكلام لم يحكه الرضيّ-رضوان اللّه عليه-و إليه ذهب بعض الشارحين.قال:و هو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ فى ذمّهم و عيبهم،و لفظ البحار مستعار لما عظم من الفتن و الحروب،و قد عرفت وجه الاستعاره قبل ،و رشّح بذكر الخوض ،و البدعه قد يراد بها ترك السنّه،و قد يراد بها أمر آخر يفعل مع ترك السنّه،و هو الأظهر فى العرف. استعاره ثمّ التفت إلى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه و أهل بيته،و وجه المشابهه ملازمتهم للرسول صلى اللّه عليه و آله و سلم و اختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد .ثمّ ذكر كونهم أصحابا له.ثمّ كونهم خزنه علمه كما نقل عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هو خازن علمى،و فى روايه عيبه علمى،و قيل:خزنه الجنّه على معنى أنّ من جاء يوم القيامه بولايتهم دخل الجنّه و إلّا فلا،و لفظ الخزن على التقديرين مستعار،و وجه المشابهه تصرّفهم بمنع العلم و إعطائه أو بمنع الجنّه بسببهم،و إعطائها كما أنّ الخاذن للشيء كذلك.ثمّ كونهم الأبواب:أى أبواب العلم كما قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أنا مدينه العلم و علىّ بابها و أبواب الجنّه على الاستعاره السابقه.

و قوله : لا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها ،و ذلک لوجوه:

أحدها:العاده الجاريه على وفق الحكمه.

الثانى:النصّ «وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللّهَ» .

الثالث:العرف و هو أنّه من أتاها من غير أبوابها سمّى سارقا،و التقبيح العرفىّ يستلزم الترک،و مراده أنّ من طلب العلم و الحكمه و أسرار الشريعه فليرجع إلينا،و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَ هُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ- إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَ إِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا- فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَ لْيُحْضِرْ عَقْلَهُ- وَ لْيَكُنْ مِنْ

أَبْنَاءِ الْآخِرَهِ- فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَ إِلَيْهَا يَنْقَلِبُ- فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ- يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ- فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ- فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ- فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ- وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ- فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَ سَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ- فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ- وَ مَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ- وَ قَدْ قَالَ؟الرَّسُولُ؟ الصَّادِقُ ص- إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ- وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ وَ اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً- وَ كُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ- وَ الْمِيَاهُ مُخْتَلِفَهٌ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَ حَلَتْ ثَمَرَتُهُ- وَ مَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَ أَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ

المعنى

أقول:الإشاره إلى فضائل أهل البيت عليهم السّلام فالاولى : فيهم كرائم الإيمان :

أى نفائسه المستلزمه لأشديّه القرب من اللّه تعالى كالأخلاق الفاضله و الاعتقادات الحقّه المطابقه لما عليه الأمر نفسه.

الثانيه : و هو كنوز الرحمن :أى خزائن علمه و ساير ما امر به من مكارم الأخلاق.

الثالثه :ملازمه منطقهم للصدق.

الرابعه:اختصاصهم بالحكمه الّتى لا يتمكّن غيرهم من النطق بها و السبق إليها حال سكوتهم فهم إن نطقوا فبحكمه و إن صمتوا فحكمه و وضع للصمت فى

ص:۲۴۹

موضعه،و إنّما ذكر هذه الفضائل لنفسه و أهل بيته جذبا إلى سماع قوله و دعوته إلى اللّه و لذلك عقّب بالمثل فليصدق رائد أهله ،و أشار به إلى من يحضرنا طلبا لاختيارنا فليصدق من يعينه أمره إنّنا أهل الحقّ و ينابيع العلوم و الحكمه و الأدلاّء إلى اللّه كما يصدق الرائد لطلب الكلاء و الماء أهله مبشّرا بهما، و ليحضر عقله لما يقوله ليعرف صحّه ما ادّعيناه.ثمّ شرع فيما ينبغى أن يقوله أمثاله،و هو التنبيه على أحوال الآخره،و أن يكون العاقل من أبنائها،و وجه استعاره النبوّه هاهنا.

قوله : فإنّه منها قدم و إليها ينقلب.

أى كما أنّ الابن ينقلب عن الامّ و إليها و له و رجوعه كذلك الإنسان مبدؤه الحضره الإلهيّه فعنها ينقلب و إليها يعود فينبغى أن يكون من أبنائها بالرغبه فيها و الوله إليها و العمل لها .ثمّ نبّه العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغى له أن يبدأ به فى حركاته و سكناته و هو أن يتفقّد أحوال نفسه فيما يهمّ به و ينبعث فى طلبه أو تركه،و يعلم أذلك الخاطر أو تلك الحركه مقرّبه له من اللّه تعالى فيكون له فينبغى أن يمضى فيها أو مبعّده له عن رضاه و مستلزمه لسخطه فيكون عليه فيقف عنها. تشبيه ثمّ شبّه الجاهل فى حركاته و سكناته بالسائر على غير طريق و أشار إلى وجه التشبيه بقوله : فلا يزيده بعده عن الطريق إلاّ بعدا عن حاجته .إذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب،و بضدّه العامل بالعلم فى سلوكه و قربه من مطلوبه،و نفر بذلك التشبيه عن الجهل و زاد فى التنفير بقوله : فلينظر ناظر أسائر هوأم راجع فإنّه إذا علم أنّه سائر وجب أن يعلم كيف يسير و يشعل مصباح العلم ليسلم من الضلال و الصرعه فى مهاوى الهلاك.

و قوله : و اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطنا.إلى قوله:و يبغض بدنه.

فاعلم أنّ هذه القضيّه الكلّيّه صادقه و ذلك أنّه لمّا صدر عن الجود الإلهىّ عالما الغيب و الشهاده و إن شئت عالم الخلق و الأمر و إن شئت العالم الروحانىّ و الجسمانىّ اقتضت الحكمه الإلهيّه كون عالم الشهاده طريقا للنفوس البشريّه إلى عالم الغيب و لولاها لتعذّر السفر إلى الحضره الإلهيّه و انسدّ طريق الترقّى إلى

اللّه فكان جميع ما ظهر فى عالم الشهاده مثالا مناسبا للأمر باطن من عالم الغيب هو الطريق إليه،و الدليل عليه غير أنّ المفهوم من كلامه عليه السّلام هنا تخصيص تلك الكلّيه بأحد أمرين فإنّه إمّا أن يشير بالظاهر إلى أشخاص الناس أو إلى أفعالهم الظاهره، و الباطن إشاره إلى الأخلاق و أعمال القلوب و ما فى الأمزجه المختلفه من الخير و الشرّ،و قيل:إشاره إلى ما يخفى من الثواب و العقاب فى الآخره،و قد دلّ الاستقراء و القياس على أنّ حسن الصوره أو حسن الأعمال الظاهره الّتى تبدو من الإنسان حسن الأخلاق طيّب العشره مستقيم السيره،و على أنّ قبيحها سىّء الأخلاق شرير أمّا الاستقراء فظاهر،و أمّا القياس فلأنّ حسن الأخلاق و قرب النفس من الاستقامه على طلب الحقّ مقتضى قرب المزاج من الاعتدال،و كذلك حسن الصوره فيترتّب قياس هكذا:

حسن الصوره معتدل المزاج و كلّ معتدل المزاج حسن الأخلاق فحسن الصوره حسن الأخلاق،و إن شئت هكذا:معتدل المزاج حسن الصوره و معتدل المزاج حسن الأخلاق و القضيّتان أكثريّتان فإنّ بعض حسن الصوره قبيح الباطن،و بعض خبيث الظاهر حسن الباطل،و لذلك استشهد بما رواه عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّ اللّه يحبّ العبد من حيث صورته الحسنه لكونها مقتضى الحكمه الإلهيّه و أنسب إلى الوجود من القبيحه الّتى هى أنسب إلى العدم الّذى هو الشرّ المحض و يبغض عمله من جهه ما هو شرّ،و كذلك يحبّ العمل الحسن الباطن الطيب،و يبغض بدنه القبيح لنسبته إلى العدم الّذى هو شرّ،و أمّا النصّ فى دلاله الظاهر على الباطن فما نطق به القرآن الكريم «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاّ نَكِداً» (1)أى عسرا مشوما.قال ابن عبّاس و مجاهد و الحسن و قتاده و السدى:هذا مثل ضربه اللّه تعالى للمؤمن و الكافر بالأرض العذيه التربه و بالأرض السبخه المالحه،و شبّه فيه المؤمن الّذى إذا سمع القرآن و عاه و عقله و انتفع به فبان أثره عليه بحسن الأعمال و طيّبها بالبلد الطيّب.إذ كان البلد الطيّب يمرع و يخصب و يحسن أثر المطر عليه،و شبّه الكافر الّذى يسمع القرآن فلا يؤثّر فيه أثرا محمودا بالبلد

١- ١) ٥۶-٧.

الخبيث.إذ كان لا يمرع و لا يخصب و لا يتبيّن أثر المطر فيه،و أمّا البغض و المحبّه فقد علمت أنّهما يعودان فى اللّه سبحانه إلى إرادته و كراهيّته فما كان خيراً محضا أو الخير غالب عليه فهو مراد له بالذات،و ما كان شرّا محضا أو غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات.

استعاره مرشحه بالكنايه و قوله : و أعلم أنّ لكلّ عمل نباتا.

استعار لفظ النبات لزياده الأعمال و نموّها،و رشّح تلك الاستعاره بذكر الماء.

و كنّى به عن المادّه القلبيّه للأعمال،و وجه المشابهه أنّ الحركات فى العباده إنّما تكون بالميول القلبيّه و النيّات كما أنّ حركه النموّ للنبات إنّما تكون بالماء .

و ظاهر أنّ اختلاف المياه فى الحلاوه و الملوحه سبب لاختلاف استعداد النبات لطيب المغارس و الثمار فما طاب سقيه :أى نصيبه من الماء طابت ثمرته و ما خبثت ثمرته فكذلك ما يشبه النباتات و هى الأعمال يكون طيب ثمارها و هى ثمار الجنّه و أنواع لذّاتها بحسب طيب مادّتها من الإخلاص للّه،و خبثها بحسب خبث مادّتها من الرياء و حبّ الشهره و تكون ثمرتها أمرّ الثمار.إذ لا أمرّ مذاقا من عذاب النار .و باللّه التوفيق.

۱۵۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يذكر فيها بديع خلقه الخفاش

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى» انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ- وَ رَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ- فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَهِ مَلَكُوتِهِ- هُوَ اللّهُ «الْحَقُّ الْمُبِينُ» - أَحَقُّ وَ أَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ- لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً- وَ لَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً- خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَ لاَ مَشُورَهِ مُشِيرٍ-

وَ لاَ مَعُونَهِ مُعِینٍ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ وَ أَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ- فَأَجَابَ وَ لَمْ یُدَافِعْ وَ انْقَادَ وَ لَمْ یُنَازِعْ وَ مِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَ عَجَائِبِ خِلْقَتِهِ- مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِکْمَهِ فِی هَذِهِ الْخَفَافِیشِ- الَّتِی یَقْبِضُهَا الضِّیَاءُ الْبَاسِطُ لِکُلِّ شَیْ ءٍ- وَ یَبْسُطُهَا الظَّلاَمُ الْقَابِضُ لِکُلِّ حَیٍّ- وَ کَیْفَ عَشِیَتْ أَعْیُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ- مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِیئَهِ نُوراً تَهْتَدِی بِهِ فِی مَذَاهِبِهَا- وَ تَتَّصِلُ بِعَلاَنِیَهِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَی مَعَارِفِهَا- وَ رَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِیَائِهَا عَنِ الْمُضِیِّ فِی سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا- وَ أَکَنَّهَا فِی مَکَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِی بُلَجِ ائْتِلاَقِهَا- فَهِیَ مُسْدَلَهُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَی حِدَاقِهَا- وَ جَاعِلَهُ اللَّیْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِی الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا- فَلاَ یَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ- وَ لاَ تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِیِّ فِیهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ- فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا وَ بَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا- وَ دَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَی الضِّبَابِ فِی وِجَارِهَا- أَطْبَقَتِ الْأَجْفَانَ عَلَی مَآقِیهَا- وَ تَبَلَّغَتْ بِمَا اکْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِی ظُلَمِ لَیَالِیهَا فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّیْلَ لَهَا نَهَاراً وَ مَعَاشاً- وَ النَّهَارَ سَکَناً وَ قَرَاراً- وَ جَعَلَ لَهَا أَجْنِحَهً مِنْ لَحْمِهَا- تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَهِ إِلَی الطَّیَرَانِ- کَأَنَّهَا شَظَایَا الْآذَانِ غَیْرَ ذَوَاتِ رِیشٍ وَ لاَ قَصَبٍ- إِلاَّ أَنَّکَ تَرَی مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَیِّنَهً أَعْلاَماً-

لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا وَ لَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا- تَطِيرُ وَ وَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا- يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ وَ يَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ- لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ- وَ يَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ- وَ يَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَ مَصَالِحَ نَفْسِهِ- فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ

اللغه

أقول: الخفاش: مفرد جمعه خفافيش،و هو من الخفش و هو ضعف البصر خلقه .و انحسرت: كلت .و درعت: كفّت .و المساغ: المسلک .و سبحات إشراقها :

جلالته و بهاؤه .و البلج: جمع بلجه و هو أوّل ضوء الصبح،و قد يكون مصدرا .

و الائتلاق: اللمعان .و الإسداف: مصدر أسدف الليل ظلم .و غسق الدجّنه:

ظلام الليل .و وضح النهار: ضوءه .و وجار الضبّ: بيته .و الشظايا: القطع .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات :

الأوّل:انحسار الأوصاف عن كنه معرفته

،و لمّا كانت ذاته تعالى بريئه من أنحاء التراكيب لم يمكن العقول إدراكها بشىء من الأوصاف بالكنه،و قد سبق ذلک مرارا .

الثانى:ردع عظمته العقول عن بلوغ غايه ملكوته

،و ذلک ظاهر لأنّ الإدراک للأشياء بحقائقها إنّما يتمّ بإدراک حقائق عللها،و إذا استلزمت عظمته و ارتفاعه عن إدراک العقول ردعها عن معرفه كنهه فظاهر أنّها لا تجد مسلكا إلى غايه ملكوته، و ما عليه نظام الوجود الأعلى و الأسفل كما هو .

الثالث:قوله:هو

فهو الهويه المطلق،و هو الّذى لا يكون هويّته موقوفه على غيره و مستفاده منه فإنّ كلّ ما كان مستفادا من الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم يكن هو هو المطلق،و كلّ ما كان هو هو لذاته فسواء اعتبر غيره أ و لم يعتبر فهو هو لكن كلّ ممكن فوجوده من غيره فكلّ ما كان وجوده من غير فخصوصيّه

وجوده و تعيّنه من غيره و هو الهويّه فإذن كلّ ممكن فهويّته من غيره فلا يكون هو هو لـذاته لكنّ المبـدأ الأوّل هو هو لـذاته فلا يكون من غيره فلا يكون ممكنا فهو واجب لـذاته فإذن واجب الوجود هو الّذى لـذاته هو هو بل ذاته أنّه هو البراءه عن التركيب المستلزم للإمكان.

الرابع:تعقيبه لذكر الهويّه باسم اللّه

،و ذلك لأنّه لمّا كانت تلك الهويّه و الخصوصيّه عديمه الاسم لا يمكن شرحها إلّا بلوازمها،و اللوازم منها إضافيّه و منها سلبيّه،و اللوازم الإضافيّه أشدّ تعريفا و الأكمل فى التعريف هو اللازم الجامع لنوعى الإضافه و السلب،و ذلك هو كون تلك الهويّه إليها فإنّ الإله هو الّذى ينسب إليه غيره و لا ينسب هو إلى غيره فانتساب غيره إليه إضافىّ،و عدم انتسابه إلى غيره سلبىّ فلا جرم عقّب ذكر الهويّه بما يدلّ على ذلك اللازم لأكمليّته فى التعريف من غيره ليكون كالكاشف لما دلّ عليه لفظ هو،و فيه سرّ آخر،و هو أنّه لمّا عرّف تلك الهويّه بلازمها،و هو الإلهيّه نبّه على أنّه لا جزء لتلك الهويّه و إلّا لكان العدول عنه إلى التعريف باللازم قصور.

الخامس:ذكر الحقّ

،و هو الثابت الموجود فإنّه لمّا أشار إلى الهويّه و شرح اسمها عقّب ذلك بالإشاره إلى كونها حقّا موجودا وجودها عند العقول أحقّ و أبين ممّا[عمّا خ]ترى العيون،و ذلك ظاهر فإنّ العلم بوجود الصانع-جلّت عظمته-فطرىّ للعقول و إن احتاج إلى بيّنه ما.و العلوم الّتى مستندها الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات و عدم ضبطها أو بسبب تقصير الحسّ فى كيفيّه الأداء لصوره المحسوس فكانت المعقولات الصرفه أحقّ لإدراك العقل لها بذاته .

السادس:أنّ العقول لم تبلغه تجديد فيكون مشبّها

،و فيه إشاره لطيفه تدل على كمال علمه عليه السّلام،و ذلك أنّك علمت فى المقدّمات أنّ العقول إذا قويت على الاتّصال بالامور المجرّده،و كانت القوّه المتخيّله بحيث تقوى على استخلاص الحسّ المشترك و ضبطه عن الحواسّ الظاهره فإنّ النفس و الحال هذه إذا توجّهت

لاقتناص أمر معقول و انجذبت القوى النفسانيّه أثرها انتقشت بذلك المعقول.ثمّ إنّها تستعين فى ضبط ذلك الأمر بالقوّه المتخيّله فتحاكيه بما يشبهه من الامور المحسوسه.ثمّ تحطّه إلى خزانه الخيال فيصير مشاهدا ممثّلاً.

إذا عرفت ذلك فنقول:لو كان البارى تعالى ممّا تدركه العقول و تشتبه بحدّ وصفه لكان استثباتها له على النحو المذكور فيلزم أن يكون مشبّها بغيره من الأجسام،و الجسمانيّات ليثبت صورته عند الذهن،و قد تنزّه قدس اللّه عن التشبيه بشيء منها .

السابع:و كذلک لم تقع الأوهام عليه بتقدير فيكون ممثّلا.

إذ الوهم لا يدرك إلاّ المعانى الجزئيّه المتعلّقه بالمحسوسات،و لا بدّ له فى إدراک ذلک المدرک من بعث المتخيّله على تشبيهه بمثال من الصور الجسمانيّه فلو وقع عليه و هو لمثّله فى صوره حسّيه حتّى أنّ الوهم إنّما يدرک نفسه فى مثال من صوره و حجم و مقدار .

الثامن:خلقهخلق خالخلق على غير مثال.إلى قوله:معين

،و قد سبق أيضا بيانه فى الخطبه الاولى و غيرها ،و تمام خلقه بأمره بلوغه إلى غايته فى الكمال الممكن له إذ[إذا خ]نطقت البراهين العقليّه أنّ كلّ ما أمكن لشيء وصل إليه من الجود الإلهى المنزّه عن البخل و المنع من جهته،و إذعانه لطاعته دخوله تحت القدره الالهيّه،و كذلک إجابته من غير مدافعه و انقياده من غير منازعه .

ثمّ شرع فى مقصود الخطبه

،و هو حمد اللّه تعالى باعتبار بعض لطائف صنعه و عجائب خلقه،و التنبيه على غوامض حكمته فى خلقه هذا الحيوان المخصوص،و بدأ بالتعجّب من مخالفتها لساير الحيوان فى قبض الضياء لإبصارها مع بسطها لسائر إبصار الحيوانات و إعداده لانبساط النبات و نموّه و غيره.ثمّ من بسط الظلام لإبصارها مع قبضه لساير الإبصار .ثمّ نبّه على العلّه الطبيعيّه لذلک و هو عشاء أعينها و ضعفها أن تستمدّ من نور الشمس المضيئه نورا تهتدى به،و الّذى ذكر فى علّه ذلک الضعف هو إفراط التحلّل فى الروح الحامل للقوّه الباصره من هذا الحيوان إذا لقى حرّ النهار فيصيبه لذلل التحلّل ضعف يحتاج معه إلى التعوّض عمّا يتحلّل فيرجع عن

العضو الباصر منها طلبا لبدل ما يتحلّل فيستكمل البدل بقرب الليل لمكان برده و ضعف حراره النهار فيعود الإبصار،و وصفه عليه السّلام بهذه الخاصيّه منها و كيفيّه حالها فيها إلى قوله:ظلم لياليها.وصف لا مزيد على فصاحته.

و قوله : و تتّصل بعلانيه برهان الشمس إلى معارفها.

فى غايه الفصاحه.و معارفها ما تعرفه من مذاهبها و وجوه تصرّفاتها،و تتّصل عطف على قوله:تستمدّ ،و أمّا إسدالها لجفونها على حداقها فلأنّ تحلّل الروح الحامل للقوّه الباصره سبب للنوم أيضا فيكون ذلك الإسدال ضربا من النوم و كثيرا ما يلحق كثيرا من الحيوان و سببه ما ذكرناه، استعاره بالكنايه و استعار لفظ القناع للشمس ملاحظه لشبهها بالمرأه ذات القناع،و كنّى بإلقائه عن بروزها من حجاب الأرض .ثمّ ثنّى بتسبيح اللّه و تعظيمه باعتبار أمر آخر لها على سبيل التعجّب و هو خلق أجنحتها من لحم بلا ريش و لا قصب كساير أجنحه الطير بل من عروق و رقّ تبسطه و تقبضه على مفاصل مخصوصه من غير رقّه توجب له الانشقاق عند الطيران،و لا غلظ يوجب له الثقل .ثمّ ثلّث بعجيب حالها مع ولدها، و ذلك أنّه يلصق بها فيرتضعها و لا يفارقها فى حالتى وقوعها و طيرانها حتّى يشتدّ و يمكنه الطيران و التصرّف بنفسه،و ذلك أمر يخالف به أيضا ساير الحيوان و هو محلّ التعجّب .ثمّ ختم الفصل بتسبيح اللّه تعالى باعتبار خلقه لكلّ شىء من غير مثال سبق من غيره،و من الأمثال العامّه:قيل للخفّاش:لما ذا لا جناح لك؟قالت:لأنّى تصوير مخلوق.قيل:فلما ذا لا تخرج نهارا؟قال:حياء من الطيور.يريدون أنّ المسيح عليه السّلام صوّره.و إنّ إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَهِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى» (١)و فى الطير عجائب لا تهتدى لها العقول بل و فى كلّ ذرّه من ذرّات مبدعاته و مكوّناته لطائف و أسرار كالنحل و البعوض و النمل تعجز عن إدراكها و استقصاء أوصافها ألباب الألبّاء و حكمه الحكماء فسبحانه ما أعظم شأنه و أبهر برهانه.

١- ١) ١١٠-٥

۱۵۵-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

خاطب به أهل البصره علی جهه اقتصاص الملاحم

القسم الأول

اشاره

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِکَ- أَنْ یَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَی اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَلْیَفْعَلْ- فَإِنْ أَطَعْتُمُونِی- فَإِنِّی حَامِلُکُمْ «إِنْ شاءَ اللَّهُ» عَلَی سَبِیلِ الْجَنَّهِ- وَ إِنْ کَانَ ذَا مَشَقَّهٍ شَدِیدَهٍ وَ مَذَاقَهٍ مَرِیرَهٍ- وَ أَمَّا فُلَانَهُ فَأَدْرَکَهَا رَأْیُ النِّسَاءِ- وَ ضِغْنٌ غَلَا فِی صَدْرِهَا کَمِرْجَلِ الْقَیْنِ- وَ لَوْ دُعِیَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَیْرِی مَا أَتَتْ إِلَیَّ لَمْ تَفْعَلْ- وَ لَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَی وَ الْحِسَابُ عَلَی اللَّهِ

اللغه

أقول: اعتقل نفسه: أی ضبطها و حبسها .و الضغن: الحقد .و المرجل: القدر .

المعنی

و قوله: عند ذلک.

یقتضی أنّه سبق منه قبل هذا الفصل ذکر فتن و حروب یقع بین المسلمین وجب علی من أدرکها أن یحبس نفسه علی طاعه اللّه دون مخالطتها و الدخول فیها، و سبیل الجنّه هو الدین القیّم،و ظاهر شرط حمله لهم علیه بالطاعه.إذ لا رأی لمن لا یطاع،و نبّه علی أنّ من الدین الحقّ ما هو ذو مشقّه شدیده و مذاقه مریره کالجهاد،و کذلک سائر التکالیف لها مشقّه، کنایه و فلانه کنایه عن عایشه و إدراک رأی النساء لها فی حربه بالبصره،و قد علمت أنّ رأی النساء یرجع إلی أفن و ضعف.

و فی الخبر:لا یفلح قوم أسندوا أمرهم إلی امرأه،و جاء:إنّهنّ قلیلات عقل و دین.

کما سبق بیان أخلاقهنّ ،و أمّا الضغن فقد نقل له أسباب عدّه:منها ما کان بینها و بین فاطمه علیها السّلام بسبب تزویج الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لها عقیب موت خدیجه امّ فاطمه،و إقامتها

مقامها،و من المعلوم المعتاد ما يقع بين المرأه و ابنه زوجها من غيرها من الكدر، و كان سبب البغض من المرأه لبنت الزوج حركه المتخيّله بإقامه البنت مقام الامّ الّتى هى ضرّه لها و تشبيهها بها فتقيمها مقام الضرّه،و تتوهّم فيها العداوه و البغضاء ثمّ ينشأ ذلك الخيال و يقوى بأسباب اخرى فيتأكّد البغض خصوصا إن كان الزوج أكرم لبنته كما هو المنقول من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حقّ فاطمه عليها السّلام،و أمّا من جهه البنت فلتخيّلها أنّها ضرّه امّها و توهّمها بسبب ذلك بغضها لها،و الباغض للامّ باغض للبنت لا محاله،و يتأكّد ذلك بالميل المنقول عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حقّ عايشه و إيثارها على سائر نسائه،و النفوس البشريّه خصوصا نفوس النساء تغيظ على ما دون ذلك فكيف بذلك منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لا شكّ فى تعدّى ذلك إلى نفس بعلها عليه السّلام فإنّ النساء كثيرا ما يحصل بسببهنّ الأحقاد فى قلوب الرجال،و عن بعض الحكماء:

إذا رأيت فى الدنيا خصومه ليست بسبب امرأه فاحمد اللّه تعالى فإنّها أمر عجيب، و كثيراً ما كانت فاطمه عليها السّلام تشكو إلى بعلها من عايشه.و منها ما كان من أمر قذف عايشه،و نقل إنّ عليّا عليه السّلام كان من المشيرين بطلاقها تنزيها لعرض الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أقوال المنافقين،و قال له لمّا استشاره:إن هى إلاّ شسع نعلك،و قال:

اسأل الخادمه و خوّفها فإن أقامت على الجحود فاضربها.و بلغها كلّ ذلك الكلام و سمعت أضعافه من الغير ممّا جرت عاده الناس أن يتداولنه فى مثل هذه الواقعه، و نقل إليها النساء:إنّ عليّا عليه السّلام و فاطمه سرّا بذلك.فتفاقم الأمر و غلظ.ثمّ لمّا نزلت براءتها و صالحها الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ظهر منها ما جرت العاده بظهوره ممّن انتصر بعد ظلمه و ينتصر بعد غلبه من بسط اللسان و التبجّح بالبراءه من العيب،و فلتات القول فى أثناء ذلك.و بلغ ذلك عليّا و فاطمه عليهما السّلام،و منها كون النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سدّ باب أبى بكر من المسجد و فتح باب صهره،و منها بعثه إيّاها بسوره براءه، ثمّ أخذها منه و دفعها إلى علىّ عليه السّلام.إلى غير ذلك من الأسباب الجزئيّه الّتى تشهد بها قرائن الأحوال و لا تكاد تتبيّن بالأقوال.فإنّ كلّ ذلك ممّا يثير الأحقاد و يؤكّد الأضغان.

ص:٢٥٩

و قوله: و لو دعيت.إلى آخره.

كلام حقّ لمكان الباعث لها فى حقّه دون غيره.

و قوله : و لها بعد حرمتها الاولى.

وجه اعتذاره فى الكفّ عن أذاها بعد استحقاقها للأذى فى نظره،و حرمتها بنكاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كونها زوجه له.

و قوله : و الحساب على اللّه.

تنبيه على أنّه و إن سامحها فى الدنيا بما فعلت فإنّ اللّه تعالى هو المتولّى لحسابها فى الآخره،و لعلّ هذا الكلام منه عليه السّلام قبل إظهارها للتوبه و علمه بذلك لأنّه فى معنى إظهار الوعيد لها من اللّه.

القسم الثانى منها:

اشاره

سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ السِّرَاجِ- فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ- وَ بِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ وَ بِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ- وَ بِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا- وَ بِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَهُ- وَ إِنَّ الْخَلْقَ لاَ مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَهِ- مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَهِ الْقُصْوَى

اللغه

أقول: [ازلفت خ]: قدّمت و قربت .و الإرقال: ضرب من الخبب .و لا مقصر له عن كذا: أى لا محبس .

المعنى

و مبدء الفصل فى وصف الإيمان،و المراد بالإيمان التصديق القلبىّ بالتوحيد و بما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا شكّ فى كونه سبيلا أبلج واضح المسلك إلى الجنّه استعاره أنور السراج فى ظلمات الجهل،و لفظ السراج مستعار ،و الصالحات هى الأعمال الصالحات من ساير العبادات و مكارم الأخلاق الّتى وردت بها الشريعه،و ظاهر كونها معلولات للإيمان و ثمرات له يستدلّ بوجوده فى قلب العبد على ملازمته لها استدلالا بالعلّه على المعلول،و يستدلّ بصدورها من العبد على وجود الإيمان فى قلبه استدلالا بالمعلول على العلّه،و أمّا قوله : و بالإيمان يعمر العلم .فلأنّ

الإیمان بالتفسیر المذکور إذا عضده البرهان کان علما و هو روح العلوم،و یطلق اسم الإیمان علیه مع ثمراته،و هی الأعمال الصالحه لأنّها من کمالاته و لا تمام له و لا منفعه بدونها فإنّ العلم إذا لم یعضد بالعمل فهو قلیل الفائده فی الآخره بل لا ثمره له فهو کالخراب الغیر الصالح للاقتناء فکما لا یصلح الخراب للسکنی فکذلک العلم الخالی عن الأعمال الصالحه فلذلک قال علیه السّلام فی موضع آخر:العلم مقرون بالعمل،و العلم یهتفّ بالعمل فإن جاء به و إلاّ ارتحل،و أمّا قوله : و بالعلم یرهب الموت .فلأنّ العلم باللّه تعالی و غایه خلقه للإنسان و ملاحظه نسبه الدنیا إلی الآخره و العلم بأحوال المعاد یستلزم ذکر الموت و دوام ملاحظته و ذلک مستلزم لرهبته و العمل له و لما بعده.

و قوله : و بالموت یختم الدنیا.

ظاهر إذ الدنیا عباره عمّا فیه الإنسان قبل الموت من التصرّفات البدنیّه.

و قوله : و بالدنیا تحرز الآخره.

إشاره إلی أنّ الدنیا محلّ الاستعداد لتحصیل الزاد لیوم المعاد،و فیها یحصل کمال النفوس الّذی تحرز به سعاده الآخره.و قد سبق بیانه.

و قوله : [بالقیامه تزلف الجنّه للمتّقین و تبرز الجحیم للغاوین خ].

إشاره لطیفه ذکرناها غیر مرّه.و هو أنّ بالموت و طرح جلباب البدن یتبیّن ما للإنسان و ما علیه ممّا قدّم من خیر أو شرّ و إن کانت ثمره ذلک أثرا حاصلا للنفس فی الدنیا لأنّ التألّم به و الالتذاذ إنّما یحصل لها بعد طرح البدن.

و إلیه الإشاره بقوله تعالی «یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَیْنَها وَ بَیْنَهُ أَمَداً بَعِیداً» (۱)و لفظ الإزلاف و البروز یشهد بذلک لأنّ فیه معنی الظهور:أی ظهور الإدراک إذن.

و قوله : و إنّ الخلق لا مقصر لهم عن القیامه.إلی آخره.

کلام فی غایه الحسن مع غزاره الفائده،و هو إشاره إلی أنّه لا بدّ لهم من

۱- ۱) ۲۸-۳.

ورود القيامه. استعاره و مضمارها :مدّه الحياه الدنيا.و هو لفظ مستعار،و وجه المشابهه كون تلك المدّه محلّ استعداد النفوس للسباق إلى حضره اللّه كما أنّ المضمار محلّ استعداد الخيل للسباق،و قد سبق بيان ذلك فى قوله:ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السباق ، كنايه و مرقلين :حال.و إرقالهم كنايه عن سيرهم المتوهّم فى مدّه أعمارهم إلى الآخره و سرعه حثيث الزمان بهم فى إعداد أبدانهم للخراب،و الغايه القصوى هى السعاده و الشقاوه الاخرويّه .

القسم الثالث منها:

اشاره

قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ- وَ صَارُوا إِلَى مَصَايِرِ الْغَايَاتِ لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا- لاَ يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَ لاَ يُنْقَلُونَ عَنْهَا- وَ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ- لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ- وَ إِنَّهُمَا لاَ يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ- وَ لاَ يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ- وَ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ- فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَ النُّورُ الْمُبِينُ- وَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ وَ الرِّيُّ النَّاقِعُ- وَ الْعِصْمَهُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَ النَّجَاهُ لِلْمُتَعَلِّقِ- لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ وَ لاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ- وَ لاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَهُ الرَّدِّ وَ وُلُوجُ السَّمْعِ- مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَ مَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ و قام إليه رجل و قال:أخبرنا عن الفتنه،و هل سألت عنها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟فقال عليه السّلام:لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ «الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ» - عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَهَ لاَ تَنْزِلُ بِنَا- وَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بَيْنَ أَظْهُرِنَا- فَقُلْتُ

يا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ مَا هَذِهِ الْفِتْنَهُ الَّتِى أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا- فَقَالَ يَا؟عَلِيُّ؟إِنَّ أُمَّتِى سَيُفْتَنُونَ بَعْدِى- فَقُلْتُ يَا؟رَسُولُ اللَّهِ؟- أَ وَ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِى؟يَوْمَ أُحُدٍ؟- حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ- وَ حِيزَتْ عَنِّى الشَّهَادَهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ- فَقُلْتَ لِى أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَهَ مِنْ وَرَائِكَ- فَقَالَ لِى إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذاً- فَقُلْتُ يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ- وَ لَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَ الشُّكْرِ- وَ قَالَ يَا؟عَلِيُّ؟ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ- وَ يَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ- وَ يَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ وَ يَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ- وَ يَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَهِ- وَ الْأَهْوَاءِ السَّاهِيَهِ فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ- وَ السُّحْتَ بِالْهَدِيَّهِ وَ الرِّبَا بِالْبَيْعِ- قُلْتُ يَا؟رَسُولَ اللَّهِ؟- بِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ- أَ بِمَنْزِلَهِ رِدَّهٍ أَمْ بِمَنْزِلَهِ فِتْنَهٍ فَقَالَ بِمَنْزِلَهِ فِتْنَهٍ

المعنى

أقول:صدر هذا الفصل صفه حال أهل القبور فى القيامه.و مصائر الغايات:

الجنّه و النار،و ظاهر أنّ لكلّ دار منهما أهل لا يستبدلون بها،و يجب أن يعنى بأهل النار الكفّار ليتمّ قوله:لا يستبدلون بها و لا ينقلون عنها فإنّ العصاه من أهل القبله و إن صحّ أنّهم يعذّبون لكن ثبت أنّهم ينتقلون عنها.

استعاره و قوله : و إنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.إلى قوله:من رزق.

حثّ عليهما،بذكر كونهما خلقين من خلق اللّه.و اعلم أنّ إطلاق لفظ الخلق على اللّه استعاره لأنّ حقيقه الخلق أنّه ملكه نفسانيّه تصدر عن الإنسان

ص:۲۶۳

بها أفعال خيريّه أو شرّيّه.و إذ قد تنزّه قدسه تعالى عن الكيفيّات و الهيئات لم يصدق هذا اللفظ عليه حقيقه لكن لمّا كان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من الأخلاق الفاضله أشبه ما نعتبره له تعالى من صفات الكمال و نعوت الجلال الّتى ينسب إليها ما يصدر عنه من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الأفعال الخيريّه الّتى بها نظام العالم و بقاؤه كحكمته و قدرته وجوده و عنايته و عدم حاجته ما يتعارف من الأخلاق الفاضله الّتى تصدر عنها الأفعال الخيريّه و الشرّيّه فاستعير لها لفظ الأخلاق،و اطلق عليه .فأمّا كونهما لا يقرّبان الأجل و لا ينقصان الرزق فلأنّ كثيرا من ضعفاء الاعتبار العقلىّ يمنعهم عن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر توهّم أحد الأمرين،و خصوصا ترک نهى الملوک من المنكرات .ثمّ شرع فى الحثّ على لزوم كتاب اللّه بأوصاف نبّه بها على فضيلته:

استعاره مرشحه الأوّل :كونه الحبل المتين ،و لفظ الحبل مستعار له،و وجه المشابهه كونه سببا لنجاه المتمسّک به من الهوى فى دركات الجحيم كالحبل فى نجاه المتمسّک به، و رشّح بذكر المتانه.

استعاره الثانى:كونه نورا مبينا ،و لفظ النور أيضا استعاره له باعتبار الاهتداء به إلى المقاصد الحقيقيّه فى سلوک سبيل اللّه.

الثالث :كونه الشفاء النافع:أى من ألم الجهل ،و كذلک الرىّ الناقع:أى للعطشان من ماء الحياه الأبديّه كالعلوم و الكمالات الباقيه.

الرابع :كونه عصمه للمتمسّک و نجاه للمتعلّق،و معناه كالّذى سبق فى كونه حبلا.

الخامس : لا يعوجّ فيقام .إذ ليس هو كسائر اللآلات المحسوسه.

السادس : و لا يزيغ فيستعتب :أى يطلب منه العتبى و الرجوع إلى الحقّ كما يفعله سائر الحكام من الناس.

السابع :كونه و لا تخلقه كثره الردّ:أى الترديد فى الألسنه و ولوج الأسماع و هو من خصائص القرآن الكريم فإنّ كلّ كلام نثر أو نظم إذا كثرت تلاوته محّته

الأسماع و استهجن إلاّ القرآن الكريم فإنّه لا يزال غضّا طريّا يزداد على طول التكرار فى كرور الأعصار محبّه فى القلوب و حسنا،و الّذى يلوح من سرّ ذلك كثره أسراره و غموضها الّتى لا يطّلع عليها إلاّ الأفراد مع كونه فى غايه من فصاحه الألفاظ و عذوبه المسمع .فأمّا ما حكاه من سؤاله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جواب الرسول له فقد روى كثير من المحدّثين عنه عليه السّلام عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:إنّ اللّه قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علىّ جهاد المشركين.قال:فقلت:يا رسول اللّه و ما هذه الفتنه الّتى كتب علىّ فيها الجهاد؟قال:فتنه قوم يشهدون أن «لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ» و أنّى رسول اللّه و هم مخالفون للسنّه.فقلت:يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:فعلام اقاتلهم و هم يشهدون كما أشهد؟.قال:على الإحداث فى الدين و مخالفه الأمر.فقلت:يا رسول اللّه إنّك كنت وعدتنى بالشهاده فاسأل اللّه أن يعجّلها لى بين يديك.قال:فمن يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين؟أما إنّى وعدتك الشهاده و ستشهد تضرب على هذا فتخضب هذه فكيف صبرك إذن؟.فقلت:يا رسول اللّه ليس ذا[هذا خ]بموطن صبر هذا موطن شكر.قال:أجل أصبت فأعدّ للخصومه فإنّك مخاصم.فقلت:يا رسول اللّه لو بيّنت لى قليلا.فقال:إنّ امّتى ستفتن من بعدى فتتأوّل القرآن و تعمل بالرأى و تستحلّ الخمر بالنبيذ و السحت بالهديه و الربا بالبيع و تحرّف الكتاب عن مواضعه و تغلب كلمه الضلال فكن حلس بيتك حتّى تقلّدها فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور و قلبت لك الامور فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانيه دون حالهم الاولى.فقلت:يا رسول اللّه فبأىّ المنازل هؤلاء المفتونين أ بمنزله فتنه أم بمنزله ردّه؟.فقال:بمنزله فتنه يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل.فقلت:يا رسول اللّه أ يدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟قال:بل منّا فبنا فتح و بنا يختم و بنا ألّف اللّه بين القلوب بعد الشرك.فقلت:الحمد للّه على ما وهب لنا من فضله.و ليس فى هذا الفصل غريب يتنبّه عليه سوى قوله : ليس هذا من مواطن الصبر و لكن من مواطن الشكر .فإنّك علمت فيما سلف أنّ الصبر و الشكر من أبواب الجنّه و المقامات العاليه للسالك إلى اللّه تعالى لكن علمت أنّ

مقام الشکر أرفع من مقام الصبر،و لمّا کان هو علیه السّلام سیّد العارفین بعد سیّد المرسلین صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا جرم کان أولی من صدرت عنه هذه الإشاره فأمّا إخبار الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بأنّ الناس سیفتنون بأموالهم و یمنّون بدینهم علی ربّهم و یتمنّون رحمته و یأمنون سطوته و سائر ما أخبر به.إلی قوله:بالبیع.فکلّ ذلک مشاهد فی زماننا و قبله بقرون ،و أمّا کون ذلک منزله فتنه لا منزله ردّه فلبقائهم علی الإقرار بالشهادتین و إن ارتکبوا من المحارم ما ارتکبوا لشبه غطّت علی أعین أبصارهم.و باللّه التوفیق.

۱۵۶-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِکْرِهِ- وَ سَبَباً لِلْمَزِیدِ مِنْ فَضْلِهِ- وَ دَلِیلاً عَلَی آلاَئِهِ وَ عَظَمَتِهِ- عِبَادَ اللَّهِ- إِنَّ الدَّهْرَ یَجْرِی بِالْبَاقِینَ کَجَرْیِهِ بِالْمَاضِینَ- لاَ یَعُودُ مَا قَدْ وَلَّی مِنْهُ- وَ لاَ یَبْقَی سَرْمَداً مَا فِیهِ- آخِرُ فَعَالِهِ کَأَوَّلِهِ مُتَشَابِهَهٌ أُمُورُهُ- مُتَظَاهِرَهٌ أَعْلاَمُهُ فَکَأَنَّکُمْ بِالسَّاعَهِ تَحْدُوکُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ- فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَیْرِ نَفْسِهِ تَحَیَّرَ فِی الظُّلُمَاتِ- وَ ارْتَبَکَ فِی الْهَلَکَاتِ- وَ مَدَّتْ بِهِ شَیَاطِینُهُ فِی طُغْیَانِهِ- وَ زَیَّنَتْ لَهُ سَیِّئَ أَعْمَالِهِ- فَالْجَنَّهُ غَایَهُ السَّابِقِینَ وَ النَّارُ غَایَهُ الْمُفَرِّطِینَ- اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ التَّقْوَی دَارُ حِصْنٍ عَزِیزٍ- وَ الْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِیلٍ- لاَ یَمْنَعُ أَهْلَهُ وَ لاَ یُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَیْهِ- أَلاَ وَ بِالتَّقْوَی تُقْطَعُ حُمَهُ الْخَطَایَا- وَ بِالْیَقِینِ تُدْرَکُ الْغَایَهُ الْقُصْوَی-

ص:۲۶۶

عِبَادَ اللَّهِ اللَّهَ اللَّهَ فِی أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَیْکُمْ وَ أَحَبِّهَا إِلَیْکُمْ- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَکُمْ سَبِیلَ الْحَقِّ وَ أَنَارَ طُرُقَهُ- فَشِقْوَهٌ لاَزِمَهٌ أَوْ سَعَادَهٌ دَائِمَهٌ- فَتَزَوَّدُوا فِی أَیَّامِ الْفَنَاءِ لِأَیَّامِ الْبَقَاءِ- قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَی الزَّادِ وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ- وَ حُثِثْتُمْ عَلَی الْمَسِیرِ- فَإِنَّمَا أَنْتُمْ کَرَکْبٍ وُقُوفٍ لاَ یَدْرُونَ- مَتَی یُؤْمَرُونَ بِالسَّیْرِ- أَلاَ فَمَا یَصْنَعُ بِالدُّنْیَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَهِ- وَ مَا یَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِیلٍ یُسْلَبُهُ- وَ تَبْقَی عَلَیْهِ تَبِعَتُهُ وَ حِسَابُهُ- عِبَادَ اللَّهِ- إِنَّهُ لَیْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَیْرِ مَتْرَکٌ- وَ لاَ فِیمَا نَهَی عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ- عِبَادَ اللَّهِ- احْذَرُوا یَوْماً تُفْحَصُ فِیهِ الْأَعْمَالُ- وَ یَکْثُرُ فِیهِ الزِّلْزَالُ وَ تَشِیبُ فِیهِ الْأَطْفَالُ- اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّ عَلَیْکُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِکُمْ- وَ عُیُوناً مِنْ جَوَارِحِکُمْ- وَ حُفَّاظَ صِدْقٍ یَحْفَظُونَ أَعْمَالَکُمْ وَ عَدَدَ أَنْفَاسِکُمْ- لاَ تَسْتُرُکُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَهُ لَیْلٍ دَاجٍ- وَ لاَ یُکِنُّکُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ- وَ إِنَّ غَداً مِنَ الْیَوْمِ قَرِیبٌ یَذْهَبُ الْیَوْمُ بِمَا فِیهِ- وَ یَجِیءُ الْغَدُ لاَحِقاً بِهِ- فَکَأَنَّ کُلَّ امْرِئٍ مِنْکُمْ- قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ وَ مَخَطَّ حُفْرَتِهِ- فَیَا لَهُ مِنْ بَیْتِ وَحْدَهٍ-

وَ مَنْزِلِ وَحْشَهٍ وَ مُفْرَدِ غُرْبَهٍ- وَ كَأَنَّ الصَّيْحَهَ قَدْ أَتَتْكُمْ- وَ السَّاعَهَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ- وَ بَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ- قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ- وَ اضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ- وَ اسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ- وَ صَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا- فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ- وَ اعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ وَ انْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ

اللغه

أقول: الشول: النوق الّتى جفّ لبنها و ارتفع ضرعها و أتى عليها من نتاجها سبعه أشهر.الواحده شائله على غير قياس .و الارتباك: الاختلاط .و حمه العقرب:

إبرتها،و هى محلّ سمّها .و الرتاج: الغلق .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارات :

أحدها:جعله الحمد مفتاحا لذكره فى عدّه سور .

الثانى:كونه سببا للمزيد من فضله،و المراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (۱)و قد عرفت إعداده لزياده النعم.

الثالث : و دليلا على آلائه .لاختصاص الشكر بمولى النعم،و على عظمته.

لاختصاصه باستحقاق ذلك لذاته.إذ هو مبدء لكلّ نعمه،و لأنّ الحمد لا ينبغى إلّا له ،ثمّ أخذ فى الموعظه فنبّه السامعين على فعل الدهر بالماضين ليتذكّروا أنّهم أمثالهم و لاحقون بهم فيتقهقروا عن غيّهم و يعملوا لما بعد الموت .ثمّ نبّه على حاله فى تقضّيه بأنّ كلّ وقت مضى منه لا يعود،و أنّ كلّ وقت منه له أهل و متاع من الدنيا إنّما يكون فى الوجود بوجود ذلك الوقت،و ظاهر أنّه تنقضى بتقضّيه و لا يبقى سرمدا ما فيه ،و أنّ آثاره متشابهه آخرها كأوّلها:أى يوجد ما يكون بإعداد وقت منه بوجود ذلك الوقت و ينقضى بانقضائه فحاله دائما على وتيره واحده، و كذلك قوله : متشابهه اموره فإنّه كما كان أوّلا يعدّ قوما للفقر و قوما للغنى،

ص:۲۶۸

۱- ۱) ۷-۱۴.

و قوما للضعه و قوما للرفعه،و قوما للوجود و آخرين للعدم كذلك هو آخرا.

و قوله : متظاهره أعلامه.

أى دلالاته على شيمته و طبيعته و أفعاله الّتى يعامل الناس بها قديما و حديثا متعاضده يتبع بعضها بعضا،و نسبه هذه الامور إلى الدهر جريا على ما فى أوهام العرب و إن كان الفاعل هو اللّه تعالى و إنّما للدهر الإعداد كما سبق .ثمّ نبّه على قرب الساعه استعاره و شبّه حدوها :أى سوقها لهم بسوق الزاجر للنوق فى حثّه لها، و قد عرفت كيفيّه ذلك السوق و وجه الاستعاره فيه و فى قوله: و إنّ الساعه من ورائكم تحدوكم ،فأمّا وجه الشبه فهو السرعه و الحثّ ،و إنّما خصّ الشول من النوق لخلوّها من العثار فيكون سوقها بعنف و أسرع،و لمّا نبّههم على قربها و إنّها تحدوهم نبّههم على وجوب اشتغال كلّ بنفسه.إذ كلّ مشغل نفسه بغير نفسه غير محصّل لنور يهتدى به فى ظلمات طريق الآخره بل إنّما يحصل على أغطيه و أغشيه من الهيئات البدنيّه اكتسبها عمّا اشتغل به من متاع الدنيا و العمل بها،و علمت أنّ تلك الأغطيه مغشيّه لنور البصيره فلا جرم يتحيّر فى تلك الظلمات و يرتبك فى مهالك تلك الطريق و مغاويها،و تمدّ به شياطينه و نفسه الأمّاره فى طغيانه،و تزيّن له سيّء أعماله .ثمّ ذكر غايه وجود الإنسان فخصّ الجنّه بالسابقين، و النّار بالمفرّطين،و قد كان ذكر الجنّه كافيا فى الجذب إليها،و النار كافيا فى الجذب عنها فقرن ذكر الجنّه بذكر فضيله السبق،و ذكر النار برذيله التفريط ليقوى الباعث على طلب أشرف الغايتين و الهرب من أخسّهما،و أيضا فلأنّ السبق و التفريط علّتان للوصول إلى غايتيهما المذكورتين فهدى إلى طلب إحداهما،و الهرب من الاخرى بذكر سببها. استعاره ثمّ عاد إلى التنبيه على فضيله التقوى،و استعار له لفظ الدار الحصينه الّتى تعزّ من تحصّن بها ،و وجه الاستعاره كونها تحصن النفس أمّا فى الدنيا فمن الرذائل الموبقه المنقّصه الموجبه لكثير من الهلكات الدنيويّه،و أمّا فى الآخره فمن ثمرات الرذائل ملكات السوء المستلزمه للعذاب الأليم .ثمّ على رذيله الفجور،و هو طرف الإفراط من فضيله العفّه،و استعار لفظ

الدار بقید کونها حصنا ذلیلا ،و وجه الاستعاره کونه مستلزما لضدّ ما استلزم التقوی و یجب أن یخصّص التقوی هنا بفضیله القوّه البهیمیّه و هی العفّه و الزهد لمقابله الفجور للعفّه .ثمّ نبّه علی فضیله اخری للتقوی و هی کونها قاطعا لحمه الخطایا و لفظ الحمه مستعار لها باعتبار کونها أسبابا مستلزمه للأذی فی الآخره کما یستلزم إبره العقرب أو سمّها للأذی ،و من روی حمّه مشدّده أراد شدّه الخطایا و بأسها لأنّ حمه الحرّ معظمته،و ظاهر کون التقوی قاطعا لبأس الخطایا و ماحیا لآثارها، و لمّا أشار إلی کون التقوی حاسما لمادّه الخطایا و کان بذلک إصلاح القوّه العملیّه أشار إلی أنّ الیقین الّذی به إصلاح القوّه النظریّه سبب لإدراک الغایه القصوی فإنّ الإنسان إذا حصل علی کمال القوّه النظریّه بالیقین و علی کمال القوّه العملیّه بالتقوی بلغ الغایه القصوی من الکمال الإنسانیّ .ثمّ عقّب بتحذیر السامعین من اللّه تعالی فی أعزّ الأنفس علیهم و أحبّها إلیهم،و فی الکلام إشاره إلی أنّ للإنسان نفوسا متعدّده و هی باعتبار مطمئنّه،و أمّاره بالسوء،و لوّامه.

و باعتبار عاقله،و شهویّه،و غضبیّه.و الإشاره إلی الثلاث الأخیره.و أعزّها النفس العاقله.إذ هی الباقیه بعد الموت،و لها الثواب و علیها العقاب،و فیها الوصیّه، و غایه هذا التحذیر حفظ کلّ نفسه ممّا یوبقها فی الآخره،و ذلک بالاستقامه علی سبیل اللّه،و لذلک قال : فقد أوضح لکم سبیل الحقّ و أبان طرقه،و روی و أنار طرقه :أی بالآیات و النذر .ثمّ نبّه علی غایتی سبیل الحقّ و سبیل الباطل بقوله:

فشقوه لازمه أو سعاده دائمه .ثمّ عاد إلی الحثّ علی اتّخاذ الزاد بعد أن ذکر التقوی تنبیها علی أنّ الزاد هو التقوی کما قال تعالی «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّادِ التَّقْوی» (۱)و أیّام البقاء الحال الّتی بعد الموت ،و دلالتهم علی الزاد فی الآیه الّتی دلّهم اللّه تعالی بها علیه و أمرهم بالظعن کقوله تعالی «سارِعُوا إِلی مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَ جَنَّهٍ» (۲)الآیه و قوله «فَفِرُّوا إِلَی اللّهِ» و بالجمله فکلّ أمر بالإعراض عن الدنیا و التنفیر عنها فهو مستلزم للحثّ علی الظعن و الأمر بالمسیر عن الدنیا بالقلوب

ص:۲۷۰

۱- ۱) ۱۹۳-۲

۲- ۲) ۲۷-۳

لأنّ الظعن هنا هو قطع درجات المعارف و الأعمال فى سبيل اللّه و صراطه المستقيم و المسير فيها،و يحتمل أن يريد بالحثّ على المسير حثّ الليل و النهار بتعاقبهما على الأعمار فهما سابقان حثيثان عنيفان فيجب التنبيه لسوقهما على اتّخاذ الزاد لما يسوقان إليه.

تشبيه و قوله : و إنّما أنتم كركب.إلى آخره.

فوجه التشبيه ظاهر فالإنسان هو النفس،و المطايا هى الأبدان و القوى النفسانيّه،و الطريق هى العالم الحسّىّ و العقلىّ،و السير الذى ذكره قبل الموت هو تصرّف النفس فى العالمين لتحصيل الكمالات المسعده و هى الزاد لغايه السعاده الباقيه، و أمّا السير الثانى الّذى هو وقوف ينتظرون و لا يدرون متى يؤمرون به فهو الرحيل إلى الآخره من دار الدنيا و طرح البدن و قطع عقبات الموت و القبر إذ الإنسان لا يعرف وقت ذلك.و حينئذ يتبيّن لك من سرّ هذا الكلام أنّ قوله:و امرتم بالظعن مع قوله: لا تدرون متى تؤمرون بالسير .غير متنافيين كما ظنّه بعضهم .ثمّ أخذ فى تزهيد الدنيا و التنفير عنها بذكر أنّ الإنسان غير مخلوق لها بل لغيرها و مقتضى العقل أن يعمل الإنسان لما خلق له ،و فى تزهيد المال بتذكير سلبه عن قليل بالموت و بقاء الحساب عليه و تبعاته من عقارب الهيئات الحاصله بسبب محبّته و جمعه و التصرّف الخارج عن العدل فيه لاسعه لمقتنيه .ثمّ عقّب بالترغيب فى وعد اللّه بأنّه ليس منه مترك:اى ليس منه عوض و بدل فى النفاسه بالتنفير عمّا نهى اللّه عنه بكونه لا مرغب فيه:أى ليس فيه مصلحه ينبغى أن يجعلها العاقل غايه مقصوده له.إذ هو تعالى أعلم بالمصالح فلا يليق بجوده أن ينهى العبد عمّا فيه مصلحه راجحه .ثمّ عقّب بالتحذير من يوم الوعيد و وصفه بالصفات الّتى باعتبارها يجب الخوف منه و العمل له و هى فحص الأعمال فيه و نقاش الحساب عليه كقوله تعالى «وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (۱)و ظهور الزلزال كقوله تعالى «إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها » و شيب الأطفال كقوله تعالى «يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شِيباً» (۲).و أعلم أنّ هذه الصفات فى يوم القيامه ظاهره

۱- ۱) ۹۵-۱۶

۲- ۲) ۱۷-۷۳.

فی الشریعه،و قد سلّط التأویل علیها بعض من تحذلق فقال:أمّا الفحص عن الأعمال فیرجع إلی إحاطه اللوح المحفوظ بها و ظهورها للنفس عند مفارقتها للبدن أو إلی انتقاش النفوس بها کما تقدّم شرحه کقوله تعالی «یَوْمَ تَجِدُ کُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَیْرٍ مُحْضَراً» (۱)الآیه،و أمّا ظهور الزلزال فیحتمل أن یرید التغیّر الّذی لا بدّ منه و الاضطراب العارض للبدن عند مفارقه النفس و التشویش لها أیضا علی ما تقدّم من الإشاره إلی أنّ الدنیا هی مقبره النفوس و أجداثها، کنایه و أمّا مشیب الأطفال فکثیرا ما یکنّی بذلک عن غایه الشدّه یقال هذا أمر تشیب فیه النواصی و تهرم فیه الأطفال إذا کان صعبا.و لا أصعب علی النفس من حال المفارقه و ما بعدها .

ثمّ عقّب بالتحذیر من المعاصی بالتنبیه علی الرصد القریب الملازم،و أشار بالرصد إلی الجوارح کما قال تعالی «یَوْمَ تَشْهَدُ عَلَیْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَیْدِیهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ» (۲)و قوله «وَ قالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَیْنا» (۳)الآیه،و الشهاده هنا بلسان الحال و النطق به فإنّ کلّ عضو لمّا کان مباشرا لفعل من الأفعال کان حضور ذلک العضو و ما صدر عنه فی علم اللّه تعالی بمنزله الشهاده القولیّه بین یدیه و أکّد فی الدلاله ،و أشار بحفّاظ الصدق إلی الکرام الکاتبین،و قد سبقت الإشاره إلی ذلک فی الخطبه الاولی،و ظاهر کونهم لا یستر منهم ساتر. کنایه ثمّ بالتحذیر بقرب غد ،و کنّی به عن وقت الموت .ثمّ ببلوغ منزل الواحده ،و کنّی به عن القبر،و وصفه بالأوصاف الموحشه المنفّره المستلزمه للعمل لحلوله و لما بعده .ثمّ بالصیحه و هی الصیحه الثانیه «إِنْ کانَتْ إِلاّ صَیْحَهً واحِدَهً فَإِذا هُمْ جَمِیعٌ لَدَیْنا مُحْضَرُونَ» ،و النفخه الثانیه و «نُفِخَ فِیهِ أُخْری فَإِذا هُمْ قِیامٌ یَنْظُرُونَ » .ثمّ بالقیامه الکبری و البروز لفصل القضاء و هو حال استحقاق کلّ نفس ما لا بدّ لها منه من دوام عذاب أو دوام نعیم بحکم القضاء الإلهیّ،و ذلک بعد زوال الهیئات الباطله الممکنه الزوال من النفوس الّتی لها استکمال ما و لحوقها بعالمها و اضمحلال العلل الباطله للنفوس و استحقاق الحقائق بالخلق و رجوع کلّ امریء إلی ثمره ما قدّم .ثمّ عاد إلی الموعظه الجامعه

۱- ۱) ۲۸-۳

۲- ۲) ۲۴-۲۴

۳- ۳) ۲۰-۴۱.

الکلّیه فأمر بالاتّعاظ بالعبر و کلّ ما یفید تنبیها علی أحوال الآخره فهو عبره، و بالاعتبار بالغیر و هی جمع غیره فعله من التغیّر و اعتبارها طریق الاتّعاظ و الانزجار .

ثمّ بالانتفاع بالنذر جمع نذیر و هو أعمّ من الإنسان بل کلّ أمر أفاد تخویفا بأحوال الآخره فهو نذیر و الانتفاع به حصول الخوف عنه.و باللّه التوفیق.

۱۵۷-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ- وَ طُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَ انْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ- فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ- وَ النُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ ذَلِكَ؟الْقُرْآنُ؟ فَاسْتَنْطِقُوهُ- وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ- أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي- وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي- وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ

اللغه

أقول: الهجعه: النومه .و المبرم. الحبل المحکم الفتل .

و ثمره الفصل التنبیه علی فضیله الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

و الفتره الزمان بین الرسولین، کنایه و کنّی بالهجعه من الامم عن رقدتهم فی مراقد الطبیعه و نوم الغفله عمّا خلقوا لأجله فی مدّه زمان الفتره ،و أشار بالمبرم إلی ما کان الخلق علیه من نظام الحال بالشرائع السابقه و انبرام امورهم بوجودها،و انتقاضها فساد ذلک النظام بتغیّر الشرائع و اضمحلالها ،و الّذی صدّقه بین یدیه هو التوراه و الإنجیل کما قال تعالی «مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ» (۱)و لکلّ أمر منتظر أو قریب یقال إنّه جار بین الیدین، استعاره و استعار لفظ النور للقرآن،و وجه الاستعاره ظاهر .ثمّ أمر باستنطاقه و فسّر ذلک الاستنطاق باستماع العباره عنه.إذ هو لسان الکتاب و السنّه،و کسّر أوهامهم الّتی عساها تستنکر آمره باستنطاقه بقوله:فلن ینطق ،و نبّه علی ما فیه من علم الأوّلین و الحدیث عن القرون الماضیه و علم ما یأتی من الفتن و أحوال القیامه و أنّ فیه

۱- ۱) ۲۵-۵.

دواء دائهم،و ذلک الداء هو الرذائل المنقّصه،و دواء ذلک الداء هو لزوم الفضائل العلميّه و العمليّه الّتى اشتمل عليها القرآن الكريم و نظام ما بينهم إشاره إلى ما اشتمل عليه من القوانين الشرعيّه و الحكمه السياسيّه الّتى بها نظام العالم و استقامه اموره.

القسم الثانى منها:

اشاره

فَعِنْدَ ذَلِکَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ- إِلَّا وَ أَدْخَلَهُ الظَّلَمَهُ تَرْحَهً وَ أَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَهً- فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِى السَّمَاءِ عَاذِرٌ- وَ لَا فِى الْأَرْضِ نَاصِرٌ- أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ وَ أَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ- وَ سَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ- مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَ مَشْرَباً بِمَشْرَبٍ- مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ وَ مَشَارِبِ الصَّبِرِ وَ الْمَقِرِ- وَ لِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَ دِثَارِ السَّيْفِ- وَ إِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَ زَوَامِلُ الْآثَامِ- فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ- لَتَنْخَمَنَّهَا؟أُمَيَّهُ؟ مِنْ بَعْدِى كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَهُ- ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَ لَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً- مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ

اللغه

أقول: الترحه: الحزن .و المقر: المرّ .و الزامله: الجمل يستظهر به الإنسان فى حمل متاعه .و تنخّمت النخامه: لفظتها .

و سياق الكلام الإخبار عن حال بنى اميّه و ما يحدث فى دولتهم من الظلم

، كنايه و كنّى ببيت المدر و الوبر عن البدو و الحضر،و عن استحقاقهم عند فعلهم ذلک للتغيّر و زوال الدوله بعدم العاذر فى السماء و الناصر فى الأرض .ثمّ عقّب بتوبيخ السامعين على إصفائهم بأمر الخلافه غير أهله،و الخطاب عامّ خصّه العقل بمن هو راض بدوله معاويه و ذريّته،و ربّما الحق من تقاعد عن القيام معه فى قتاله لأنّ العقود عن ردع الظالم و قتاله مستلزم لقوّته و يجرى مجرى نصرته و إعانته على ظلمه و إن لم يقصد القاعد عنه ذلک .ثمّ أخبر أنّ اللّه سينتقم منهم.و مأكلا و مشربا

منصوبان بفعل مضمر و التقدير و يبدّلهم مأكلا بمأكل، استعاره و استعار لفظ العلقم و الصبر و المقر لما يتجرّعونه من شدائد القتل و أهوال العدوّ و مرارات زوال الدوله ، استعاره مرشحه و كذلك لفظ الشعار للخوف،و رشّح بذكر اللباس و لفظ الدثار للسيف،و وجه الاستعاره الاولى ظاهر،و وجه الثانيه ملازمه الخوف لهم كملازمه الشعار للجسد ،و أفاد بعض الشارحين أنّه إنّما خصّص الخوف بالشعار لأنّه باطن فى القلوب،و السيف بالدثار لأنّه ظاهر فى البدن كما أنّ الشعار ما كان يلى الجسد و الدثار ما كان فوقه، استعاره و استعار لهم لفظ المطايا و الزوامل ،و وجه الاستعاره حملهم للآثام .و أتى بلفظ إنّما إشاره إلى أنّ جميع حركاتهم و تصرّفاتهم على غير قانون شرعىّ فيكون خطيئه و إثما. استعاره ثمّ أقسم لتنخمنّها اميّه من بعده .فاستعار لفظ التنخّم لزوال الخلافه عنهم فكأنّهم قاءوها و قذفوها من صدورهم ملاحظه لشبهها بالنخامه ، كنايه و كنّى بعدم ذوقها و تطعّمها عن عدم رجوعها إليهم ،و ما هنا بمعنى المدّه، كنايه و الجديدان الليل و النهار، و كنّى بذلك عن الأمد .و هو إخبار منه عمّا سيكون،و روى عن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه أخبر أنّ بنى اميّه تملك الخلافه بعده مع ذمّ منه لهم نحو ما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى تفسير قوله «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ» (۱)قال المفسرون:تلك الرؤيا أنّه رأى بنى اميّه ينزون على منبره نزو القرده،و بهذا اللفظ فسّر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الآيه و ساءه ذلك.ثمّ قال:الشجره الملعونه بنو اميّه و بنو المغيره،و روى عنه أنّه قال:إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتّخذوا مال اللّه دولا و عباده خولا،و كما روى عنه فى تفسيره لقوله تعالى:

«لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» قال:ألف شهر يملك فيها بنو اميّه،و نحو قوله:

أبغض الأسماء إلى اللّه الحكم و الهشام و الوليد.إلى غير ذلك.

۱۵۸–و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

:وَ لَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ- وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِی مِنْ وَرَائِكُمْ- وَ أَعْتَقْتُكُمْ مِنْ

۱- ۱) ۶۲-۱۷.

رِبَقِ الذَّلِّ وَ حَلَقِ الضَّيْمِ- شُكْراً مِنِّی لِلْبِرِّ الْقَلِیلِ- وَ إِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَکَهُ الْبَصَرُ- وَ شَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْکَرِ الْکَثِیرِ

المعنی

أقول:إحاطته بجهده من ورائهم إشاره إلی حفظه و حراسته لهم،و إعتاقهم من ربق الذلّ و حلق الضیم حمایتهم من عدوّهم و اعتزازهم به .ثمّ نبّههم علی شکره للقلیل من برّهم:أی مقدار طاعتهم للّه فی طاعته،و إطراقه عن کثیر منکرهم ممّا شاهده منّا علیهم بالمسامحه و العفو.

فإن قلت:فکیف یجوز له أن یسکت عن إنکار المنکر مع مشاهدته له.

قلت:یحمل ذلک منه علی عدم التمکّن من إزالته بالعنف و القهر لجواز أن یستلزم ذلک مفسده أکبر ممّا هم علیه من المنکر،و ظاهر أنّهم غیر معصومین و محال أن تستقیم دوله أو یتمّ ملک بدون الإحسان إلی المحسنین من الرعیّه و التجاوز عن بعض المسیئین.و باللّه التوفیق.

۱۵۹-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَ حِکْمَهٌ وَ رِضَاهُ أَمَانٌ وَ رَحْمَهُ- یَقْضِی بِعِلْمٍ وَ یَعْفُو بِحِلْمٍ- اللَّهُمَّ لَکَ الْحَمْدُ عَلَی مَا تَأْخُذُ وَ تُعْطِی- وَ عَلَی مَا تُعَافِی وَ تَبْتَلِی- حَمْداً یَکُونُ أَرْضَی الْحَمْدِ لَکَ- وَ أَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَیْکَ وَ أَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَکَ- حَمْداً یَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ وَ یَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ- حَمْداً لاَ یُحْجَبُ عَنْکَ وَ لاَ یُقْصَرُ دُونَکَ- حَمْداً لاَ یَنْقَطِعُ عَدَدُهُ وَ لاَ یَفْنَی مَدَدُهُ- فَلَسْنَا نَعْلَمُ کُنْهَ عَظَمَتِکَ- إِلاَّ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّکَ حَیٌّ قَیُّومُ- لاَ تَأْخُذُکَ سِنَهٌ وَ لاَ نَوْمٌ- لَمْ یَنْتَهِ إِلَیْکَ نَظَرٌ وَ لَمْ یُدْرِکْکَ بَصَرٌ- أَدْرَکْتَ الْأَبْصَارَ

وَ أَحْصَيْتَ الْأَعْمالَ- وَ أَخَذْتَ بِالنَّواصِی وَ الْأَقْدامِ- وَ مَا الَّذِی نَرَی مِنْ خَلْقِکَ- وَ نَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِکَ- وَ نَصِفُهُ مِنْ عَظِیمِ سُلْطانِکَ- وَ ما تَغَیَّبَ عَنَّا مِنْهُ وَ قَصُرَتْ أَبْصارُنا عَنْهُ- وَ انْتَهَتْ عُقُولُنا دُونَهُ- وَ حالَتْ سُتُورُ الْغُیُوبِ بَیْنَنا وَ بَیْنَهُ أَعْظَمُ- فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَ أَعْمَلَ فِکْرَهُ- لِیَعْلَمَ کَیْفَ أَقَمْتَ عَرْشَکَ وَ کَیْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَکَ- وَ کَیْفَ عَلَّقْتَ فِی الْهَواءِ سَماواتِکَ- وَ کَیْفَ مَدَدْتَ عَلَی مَوْرِ الْماءِ أَرْضَکَ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِیراً- وَ عَقْلُهُ مَبْهُوراً وَ سَمْعُهُ والِهاً وَ فِکْرُهُ حائِراً

المعنی

أقول:أمره هو حکم قدرته الإلهیّه،و کونه قضاء کونه حکما لازما لا یردّ، و کونه حکمه کونه علی وفق الحکمه الإلهیّه و انتظام الأکمل ،و رضاه یعود إلی علمه بطاعه العبد له علی وفق أمره و نهیه.

و قوله : یقضی بعلم.

إعاده لمعنی قوله: أمره قضاء و حکمه .یجری مجری التفسیر له.

و قوله : و یعفو بحلم.

فالعفو یعود إلی الرضا بالطاعه بعد تقدّم الذنب،و إنّما یتحقّق العفو مع تحقّق القدره علی العقاب.إذ العجز لا یسمّی عفوا فلذلک قال:یعفو بحلم .ثمّ عقّب بخطاب اللّه بالاعتراف بنعمته و الحمد له باعتبار ضروب من السرّاء و الضرّاء إشاره إلی حمده علی کلّ حال و هی الأخذ و الإعطاء و العافیه و الابتلاء .ثمّ باعتبار کیفیّته و هو کونه أرضی الحمد للّه و أحبّه إلیه و أفضله عنده:أی أشدّه وقوعا علی الوجه اللائق المناسب لعظمته .ثمّ باعتبار کمیّته و هو کونه یملأ ما خلق و یبلغ ما أراد کثره .ثمّ باعتبار غایته و هو کونه لا یحجب عنه و لا یقصر دونه .ثمّ باعتبار

مادّته و هو كونه لا ينقطع عـدده و لا يفنى مدده،و قد يكون التفصـيل فى القول فى بعض المواضع أبلغ وقعا فى النفوس و ألذّ،و قد يكون الإجمال أو الاختصار أنفع و أبلغ .ثمّ شـرع فى الاعتراف بالعجز عن إدراك كنه عظمته،و فى بيان وجه معرفته الممكنه للخلق،و هى إمّـا بالصـفات الحقيقيّه أو الاعتبـارات السـلبيّه أو الإضـافيّه.و أشار إلى الاعتبارات الثلاثه فكونه حيّا قيّوما إشاره إلى الصـفات الحقيقيّه.و قـد عرفت أنّهما يسـتلزمان الوجود.إذ كلّ حىّ موجود و القيّوم هو القائم بذاته المقيم لغيره و كلّ قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود،و كونه «لاـ تَأْخُـذُهُ سِـنَةٌ وَ لاـ نَوْمٌ » و لاـ ينتهى إليه نظر عقلىّ أو بصـرىّ و لاـ يـدركه بصـر اعتبـارات سلبيّه،و كونه مـدركا للأبصـار محصيا للأعمـال آخـذا بالنواصـى و الأقـدام:أى محيـط القـدره بها.اعتبـارات إضافيّه.ثمّ عاد إلى استحقار ما عدّده ممّا أدركه بالنسبه إلى ما لم يدركه من عظيم ملكوته،و ما فى قوله : و ما الّذى .استفهاميّه على سبيل الاستحقار لمـا اسـتفهم عنه،و مـا الثانيه فى قوله : و ما يغيب عنّا منه .بمعنى الّـذى محلّها الرفع بالابتـداء و خبره أعظم،و الواو فيها للحال .ثمّ عقّب بـالحكم على من فرّغ قلبه و أعمـل فكره ليصـل إلى كنه معرفته و علم كيفيّه نظامه للعالم الأعلى و الأسـفل برجوع كلّ من آلات إدراكه حسيرا مقهورا عن إدراك ما كلّفه من ذلك.و قد سبقت الإشاره إلى براهين هذه الأحكام غير مرّه.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

يَـدَّعِى بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ كَـذَبَ وَ الْعَظِيمِ- مَـا بَالُهُ لاَ يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِى عَمَلِهِ- فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِى عَمَلِهِ- وَ كُلُّ رَجَاءٍ إِلاَّ رَجَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَـدْخُولٌ- وَ كُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلاَّ خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ- يَرْجُو اللَّهَ فِى الْكَبِيرِ وَ يَرْجُو الْعِبَادَ فِى الصَّغِيرِ- فَيُعْطِى الْعَبْدَ مَا لاَ يُعْطِى الرَّبَّ- فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ- أَ تَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِى رَجَائِكَ

لَهُ كَاذِباً- أَوْ تَكُونَ لاَ تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً- وَ كَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ- أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لاَ يُعْطِي رَبَّهُ- فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً- وَ خَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً وَ وَعْداً- وَ كَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ- وَ كَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى- فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَ صَارَ عَبْداً لَهَا وَ لَقَدْ كَانَ فِي؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ كَافٍ لَكَ فِي الْأُسْوَةِ- وَ دَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَ عَيْبِهَا- وَ كَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَ مَسَاوِيهَا- إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا وَ وُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا- وَ فُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا وَ زُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا- وَ إِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ؟بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ص؟ إِذْ يَقُولُ- «رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» - وَ اللَّهِ مَا سَأَلَهُ إِلاَّ خُبْزاً يَأْكُلُهُ- لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ- وَ لَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ- لِهُزَالِهِ وَ تَشَذُّبِ لَحْمِهِ وَ إِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ؟بِدَاوُدَ ص؟ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ- وَ قَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ- فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ- وَ يَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا- وَ يَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا وَ إِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي؟عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ع؟- فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ- وَ يَلْبَسُ الْخَشِنَ وَ يَأْكُلُ الْجَشِبَ- وَ كَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ وَ سِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ- وَ ظِلاَلُهُ

فِی الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا- وَ فَاكِهَتُهُ وَ رَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ- وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَهٌ تَفْتِنُهُ وَ لاَ وَلَدٌ يَحْزُنُهُ- وَ لاَ مَالٌ يَلْفِتُهُ وَ لاَ طَمَعٌ يُذِلُّهُ- دَابَّتُهُ رِجْلاَهُ وَ خَادِمُهُ يَدَاهُ فَتَأَسَّ بِنَبِيِّکَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ ص- فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّی وَ عَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّی- وَ أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَی اللَّهِ الْمُتَأَسِّی بِنَبِيِّهِ- وَ الْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ- قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً وَ لَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً- أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً- وَ أَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً- عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَی أَنْ يَقْبَلَهَا- وَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ- وَ حَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ وَ صَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ- وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلاَّ حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ- وَ تَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ- لَكَفَی بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ وَ مُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ- وَ لَقَدْ كَانَ ص يَأْكُلُ عَلَی الْأَرْضِ- وَ يَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ وَ يَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ- وَ يَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ وَ يَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِیَ- وَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ- وَ يَكُونُ السِّتْرُ عَلَی بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ- يَا فُلاَنَةُ لِإِحْدَی أَزْوَاجِهِ غَيِّبِيهِ عَنِّی- فَإِنِّی إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَ زَخَارِفَهَا- فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ- وَ أَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ- لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً

و لاَ يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً- وَ لاَ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ- وَ أَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ وَ غَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ- وَ كَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ- وَ أَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ- وَ لَقَدْ كَانَ فِي؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وَ عُيُوبِهَا- إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ- وَ زُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ- فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ- أَكْرَمَ اللَّهُ؟مُحَمَّداً؟ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ- فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهِ الْعَظِيمِ بِالْإِفْكِ الْعَظِيمِ- وَ إِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ- فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ- وَ زَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ- فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ- وَ اقْتَصَّ أَثَرَهُ وَ وَلَجَ مَوْلِجَهُ- وَ إِلاَّ فَلاَ يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ- فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ ؟مُحَمَّداً ص؟ عَلَماً لِلسَّاعَةِ- وَ مُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ وَ مُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ- خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً وَ وَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيماً- لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ- حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ- فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا- حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وَ قَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ- وَ اللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا- وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لاَ تَنْبِذُهَا عَنْكَ- فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى

اللغه

أقول: المدخول: الّذى فيه شبهه و ريبه،و كذلك المعلول:الغير الخالص .

و الضمار: الّذى لا يرجى من الموعود .و المقتصّ للأثر: أى المتّبع له .و القضم:

الأكل بأدنى الفم .و الهضيم: الخميص لقلّه الأكل .و المحادّه: المعاداه .و الرياش: الزينه .و المدرعه. الدرّاعه .و أغرب: أى تباعد .

المعنى

و مساق الكلام يقتضى ذمّ من يدّعى رجاء اللّه و لا يعمل له و تنبيه أنّ رجائه ليس بخالص بتكذيبه و بيان تقصيره فى العمل.

فقوله: يدّعى بزعمه أنّه يرجو اللّه.

ذكر صوره الدعوى الحاليّه أو المقاليّه.

و قوله: كذب و العظيم.

ردّ لتلك الدعوى مؤكّدا بالقسم البارّ،و إنّما قال:و العظيم دون اللّه لأنّ ذكر العظمه هنا أنسب للرجاء .

و قوله: ما باله.إلى قوله:عرف رجاءه فى عمله.

قياس من الشكل الثانى بيّن فيه أنّه غير راج.و تلخيصه أنّ هذا المدّعى للرجاء غير راج،و مراده الرجاء التامّ الّذى يجتهد فى العمل له و لذلك قال: إلاّ رجاء اللّه فإنّه مدخول فتبّه بأنّ فيه رخلا على وجوده إلاّ أنّه غير خالص،و بيان الدليل أنّ كلّ من رجا أمرا من سلطان أو غيره فإنّه يخدمه بخدمته التامّه و يبالغ فى طلب رضاه و يكون عمله له بقدر قوّه رجائه له و خلوصه،و يرى هذا المدّعى للرجاء غير عامل فيستدلّ بتقصيره فى الأعمال الدينيّه على عدم رجائه الخالص فى اللّه،و كذلك قوله: و كلّ خوف محقّق إلاّ خوف اللّه فإنّه معلول .توبيخ للسامعين فى رجاء اللّه تعالى مع تقصيرهم فى الأعمال الدينيّه،و تقدير الاستثناء الأوّل مع المستثنى منه:

و كلّ رجاء لراج يعرف فى عمله أى يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه إلاّ رجاء الراجى للّه فإنّه غير خالص.و روى و كلّ رجاء إلاّ رجاء اللّه فإنّه مدخول،و التقدير و كلّ رجاء محقّق أو خالص.لتطابق الكلّيّتين على مساق واحد،و يتبّه على الاضمار فى الكلّيّه الاولى قوله فى الثانيه:محقّق.فإنّه تفسير المضمر هناك .

و قوله: يرجو اللّه فى الكبير.إلى قوله:يعطى الربّ.

فى قوّه قياس ضمير صغراه قوله: يرجو.إلى قوله:الصغير ،و تقدير كبراه و كلّ من كان كذلك فينبغى أن يعطى اللّه الّذى هو ربّه من رجائه و العمل له ما لا يعطى المخلوقين و الّذين هم عباده،و الصغرى مسلّمه،فإنّ الحسّ يشهد بأكثريّه أعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبه إلى أعمالهم لما يرجونه من اللّه تعالى، و أمّا الكبرى فبيانها أنّ المقرّر فى الفطر أنّ المرجوّ الكبير يستدعى ما يناسبه ممّا هو وسيله إليه كمّيه و كيفيّه.

و قوله: فيعطى العبد ما لا يعطى الربّ.

نقض للكبرى .

و قوله: فما بال اللّه.إلى قوله:لعباده.

توبيخ و تشنيع على من يخالف العمل بالنتيجه المذكوره .

استفهام انكارى و قوله: أ تخاف.إلى قوله:موضعا.

استفسار عن علّه التفسير المذكور فى الرجاء للّه و العمل له بالنسبه إلى رجاء العباد و العمل لهم استفسارا على سبيل الإنكار و تقريعا على ما عساه يدّعى من إحدى العلّتين المذكورتين و هما خوف الكذب فى رجاء اللّه أو ظنّه غير أهل للرجاء .و الأمر الأوّل خطاء عظيم لزم عن التقصير فى معرفه اللّه،و الثانى كفر صراح،و إنّما خصّص هاتين العلّتين بالذكر لأنّهما المشهورتان فى عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض أو ضعفه،و انتفاؤهما فى حقّ اللّه تعالى ظاهر فإنّه تعالى الغنىّ المطلق الّذى لا بخل فيه و لا منع من جهته فإنّ العبد إذا استعدّ بقوّه الرجاء له و العمل لما يرجوه منه و حببت إفاضه الجود عليه ما يرجوه فلا يكذب رجاؤه و هو اللّه تعالى الموضع التامّ له .

و قوله: و كذلك إن هو خاف .إلى قوله: يعطى ربّه.

قياس ضمير استثنائىّ بيّن فيه قصور خوف الخائف من اللّه بالنسبه إلى خوفه من بعض عبيده،و الضّمير فى عبيده للّه،و فى خوفه للخائف.و يحتمل عوده إلى العبد.و الملازمه فى الشرطيّه ظاهره،و كبرى القياس استثناء غير المقدّم لينتج

عين التالى.

و قوله : فجعل.إلى قوله:وعداً.

توبيخ و تشنيع على من لزمه ذلك الاحتجاج و أنّه من القبيح المشهور المذكور أنّ يجعل الإنسان خوفه من عبد مثله نقدا حاضرا و خوفه من خالقه وعداً غير حاضر .

و قوله: و كذلك من عظمت الدنيا.إلى آخره.

إشاره إلى علّه إيثار الناس للحياه الدنيا على ما عند اللّه ممّا وعد به و انقطاعهم إليها و صيرورتهم عبيدا لها،و ذكر جزء العلّه القريبه و هى عظمه الدنيا فى أعينهم، و تمام هذه العلّه حقاره ما تصوّروه من الوعد الاخروىّ بالنسبه إلى الدنيا،و علّه هذه العلّه ميلهم للذّات العاجله كما هى،و غيبوبه اللذّات الموعوده و تصوّرها الضعيف بحسب الوصف،الّذى غايته أن يوجب فى أذهانهم مشابهه ما وعدوا به لما حضر لهم الآن.فلذلك كانت العاجله أعظم فى نفوسهم و أكبر وقعا فى قلوبهم،و لذلك آثروها و انقطعوا إليها فاستعبدتهم.و غايه هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا و الجذب عنها إلى الرغبه فيما وعد اللّه ،و لذلك عقّب بالتنبيه على ترك الدنيا من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ساير الأنبياء و المرسلين الّذين هم القدوه للخلق و إعراضهم عنها،و على كونهم محلّ الاسوه الكافيه لهم فى ذلك و هو كقوله تعالى «لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (1)الآيه،و الدليل التامّ على ذمّها و عيبها و كثره مساويها و مخازيها.و أشار بقوله : إذ قبضت عنه أطرافها .إلى مقدّمه من مقدّمات الدليل على حقارتها و خبثها و ذلك إلى قوله: و خادمه يداه . كنايه و قبض أطرافها عنه كنايه عن منعها عنه بالكلّيه لعدم استعداده لها و قبوله إيّاها ،و توطيه جوانبها لغيره كنايه عن إعطائه إيّاها و تذليلها له كالملوك . استعاره و استعار لفظ الفطم لمنعه منها،و كذلك لفظ الرضاع لها ملاحظه لمشابهتها للامّ و له بالابن،و وجه المشابهه ظاهر .و الّذى ذكره عليه السّلام : و اللّه ما سأله إلاّ خبزا .هو تفسير الآيه كما نقله المفسّرون أيضا ،و صفاق بطنه :هو

ص:284

1- 1) 21-33.

الجلد الباطن.و شفيفه:ما رقّ منه فلم يحجب البصر عن إدراك ه . و تشذّب لحمه :تفرّقه. استعاره و استعار لفظ المزامير لأصوات داود عليه السّلام و لفظ الإدام للجوع، و السراج للقمر،و الظلال لمشارق الأرض و مغاربها،و الفاكهه و الريحان لما تنبت الأرض،و الدابّه للرجلين،و الخادم لليدين.و وجه الاولى مشاركه صوته عليه السّلام للمزمار و هى الآله الّتى يزمّر بها فى الحسّ روى أنّ الوحش و الطير كانت تقع عليه حال القراءه فى محرابه لاستغراقها فى لذّه صوته و نغمته،و وجه الثانيه قيام بدنه عليه السّلام بالجوع كقيامه بالإدام،و وجه الثالثه مشاركه القمر للسراج فى الضوء،و وجه الرابعه استتاره عن البرد بالمشارق و المغارب كاستتاره بالظلال،و وجه الخامسه التذاذ ذوقه و شمّه بما تنبت الأرض كما يلتذّ غيره بالفاكهه و الريحان،و وجه السادسه و السابعه قيام انتفاعه برجليه و يديه كقيامه بالدابّه و الخادم.و بالجمله فحال الأنبياء المذكورين-سلام اللّه عليهم أجمعين-فى التقشّف و ترك الدنيا و الإعراض عنها ظاهر معلوم بالتواتر،و أمّا كون داود قارى أهل الجنّه-كما ورد فى الخبر-فلأنّ كلّ أمر حسن ينسب إلى الجنّه فى العرف أو لأنّه مع حسنه جاذب إلى الجنّه وداع إلى اللّه تعالى .و لمّا وصف حالهم عاد إلى الأمر بالتأسّى بالرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنّهم المأمورون بوجوب الاقتداء به مطلقا و فيه الاسوه الكافيه لمن تأسّى به و لأنّه أقرب عهدا ممّن سبق ،و حثّ على التأسى به بكون المتأسّى به المقتصّ لأثره أحبّ العباد إلى اللّه،و ذلك من قوله تعالى «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ » (1)ثمّ عاد إلى اقتصاص من حاله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ترك الدنيا و الاقتصار منها على قدر الضروره ليتبيّن ما يكون فيه التأسى به،و كنّى عن ذلك بقضمها. كنايه ثمّ كنّى عن عدم التفاته لها بعدم إعادتها طرفه ،و عن كونه أقلّ الناس شبعا فيها و التفاتا إلى مأكلها و مشربها بكونه أخمصهم خاصره و بطنا .روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:أنّه كان إذا اشتدّ جوعه يربط حجرا على بطنه و يسمّيه المشبّع مع ملكه قطعه واسعه من الدنيا،و روى:أنّه ما شبع آل محمّد من لحم قطّ،و أنّ فاطمه و بعلها و بنيها كانوا يصومون على أقراص من الشعير

۱- ۱) ۲۹-۳.

كانوا يعدّونها لإفطارهم و ربّما آثروا بها السائلين و طووا.روى أنّهم فعلوا ذلك ثلاث ليال طووا فى أيّامها حتّى كان ذلك سبب نزول سوره هل أتى فى حقّهم كما هو المشهور فى التفاسير،و أمّا قوله : و عرضت عليه فأبى أن يقبلها فكما روى [ورد خ] عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:عرضت علىّ كنوز الأرض و رفعت إلىّ مفاتيح خزائنها فكرهتها و اخترت الدار الآخره.

و قوله: و علم أنّ اللّه أبغض شيئا.إلى قوله:فصغّر.

فبغض اللّه لها عدم إرادتها لأوليائه دارا،أو إشاره إلى أنّها مقصود وجودها بالعرض و تحقيرها و تصغيرها بالقياس إلى ما أعدّ لهم فى الآخره .ثمّ نفرّ عن محبّتها بعد أن أشار إلى بغض اللّه لها و تصغيره إيّاها بجمله اعتراضيّه يتلخّص منها قياس هكذا:أقلّ معايبنا محبّتنا لما أبغض اللّه و تعظيمنا لما صغّر و كلّ محبّه و تعظيم كذلك فكفى به شقاقا له و محادّه عن أمره.فينتج أنّ أقلّ ما فينا من المعايب يكفينا فى مشاقّه اللّه و محادّته .ثمّ أردف ذلك بتمام أوصافه فى ترك الدنيا و التكلّف لها.

فقوله: و لقد كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يأكل على الأرض و يجلس جلسه العبد.

كما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال:إنّما أنا عبد آكل أكل العبيد،و أجلس جلسه العبيد.و غايه ذلك هو التواضع،و كذلك غايه خصف نعله بيده و ترقيع ثوبه بيده و ركوبه للحمار العارى و إردافه خلفه ،و أمّا أمره بتغييب التصاوير فمحافظه من حركه الوسواس الخنّاس،و كما أنّ الأنبياء عليهم السّلام كانوا كاسرين للنفس الأمّاره بالسوء و قاهرين لشياطينهم كانوا أيضا محتاجين إلى مراعاتهم و مراقبتهم و تفقّد أحوال نفوسهم فى كلّ لحظه و طرفه فإنّها كاللصوص المخادعين للنفوس المطمئنّه، مهما تركت و غفل عن قهرها و التحفّظ منها عادت إلى طباعها.

و قوله : فأعرض عن الدنيا بقلبه.إلى قوله:و أن يذكر عنده.

إشاره إلى الزهد الحقيقىّ و هو حذف الموانع الداخله النفسيّه عن النفس.

و ما قبله من الأوصاف إشاره إلى زهده الظاهرىّ و هو حذف الموانع الخارجيّه عنه .

ثمّ عاد إلى التذكير بالمقدّمه السابقه للدليل على حقاره الدنيا و خبثها فأعاد ذكر

جوعه هو و خاصّه من أهل بيته مع عظيم زلفته و رفعه منزلته عند اللّه و إزوائها عنه، و لمّا ذكر تلك المقدّمه شرع فى الاستدلال بقوله : فلينظر ناظر.إلى قوله:أقرب الناس إليه و هو بقياس شرطىّ متّصل مقدّمه حمليّه و تاليه قضيّه شرطيّه منفصله و تلخيصه:إذا كان محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جاع فى الدنيا مع خاصّته و زوى اللّه عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو فعله بذلك إمّا أن يكون إكراما له أو إهانه و القسم الثانى ظاهر البطلان إذ ثبت أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخصّ خواصّ اللّه،و إذا كان أحقر ملك فى الدنيا لا يقصد بأحد من خاصّته إذا كان مطيعا له الإهانه فكيف يصدر ذلك من جبّار الجبابره و مالك الدنيا و الآخره حكيم الحكماء و رحيم الرحماء فى حقّ أحقّ خواصّه و أشدّهم طاعه له،و لأجل وضوح ذلك اقتصر على تكذيب من قال به و أكّده بالقسم البارّ ،و أمّا القسم الأوّل و هو أنّه أكرمه بذلك فمن المعلوم أنّ الشىء إذا كان عدمه إكراما و كمالا كان وجوده نقصا و إهانه فكان وجود الدنيا فى حقّ غيره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إزوائها عنه مع قرب منزلته إهانه لذلك الغير و ذلك يستلزم حقارتها و يبعث العاقل على النفار عنها .ثمّ عاد إلى الأمر بالتأسّى به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ترك الدنيا تأكيدا لما سبق بعد بيان وجوه التأسى و هو أمر فى صوره الخبر مع زياده تنبيه على أنّ الميل إليها يحلّ الهلكه فمن لم يتأسّ بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أحواله فى الدنيا و خالفه فى الميل إلى شىء منها لم يأمن الهلكه.إذ قد عرفت أن حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئه و هى الجاذبه عن درجات دار النعيم إلى دركات دار الجحيم.

و قوله : فإنّ اللّه جعل محمّداً إلى قوله:داعى ربّه.

صوره احتجاج على قوله:و إلاّ فلا يأمن الهلكه.و تقريره أنّ اللّه تعالى جعله علما للساعه و أماره على قربها و مبشّرا بالجنّه و منذرا بالعقوبه و اطّلعه على أحوال الآخره ثمّ خرج من الدنيا بهذه الأحوال المعدوده المستلزمه للنفار عنها و الغض لها و الحذر منها فلو لم يكن الركون إليها و ارتكاب أضداد هذه الأحوال منها مظنّه الهلكه لما نفر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عنها و يركن إليها لكنّه نفر عنها فكانت مظنّه الهلكه فوجب التأسّى به فى نفاره عنها و إلاّ لم يأمن غير المتأسّى به الهلكه فيها.

ص:۲۸۷

مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب و روى علما للساعه بكسر العين و هو مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب.إذ هو صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سبب للعلم بالساعه ،و كنّى بوضع الحجر على الحجر عن البناء .ثمّ عقّب بتعظيم منّه اللّه تعالى على الناس حين أنعم عليهم به سلفا يتّبعونه و قائدا يقتفون أثره، و أردف ذلك بذكر بعض أحواله الّتى تأسّى به عليه السّلام فيها من ترك الدنيا و الإعراض عن الاستمتاع بها إلى غايه ترقيع مدرعته حتّى استحيا من راقعها و قول من قال له:ألا تنبذها و تلقيها و جوابه الحسن.

و قوله : فعند الصباح يحمد القوم السرى.

مثل يضرب لمحتمل المشقّه ليصل إلى الراحه فأصله أنّ القوم يسيرون فى الليل فيحمدون عاقبه ذلك بقرب المنزل إذا أصبحوا.و مطابقه الصباح لمفارقه النفس البدن أو لإعراضها عنه و اتّصالها بالملأ الأعلى بسبب تلك الرياضه الكامله و إشراق أنوار العالم العلوىّ عليها الّتى عنده تحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا و ترك لذّاتها و معاناه شدائدها مطابقه ظاهره واقعه موقعها،و روى أنّه سئل عليه السّلام لم رقعت قميصك فقال:يخشع لها القلب و يقتدى بها المؤمنون.و ممّا نقل فى زهده عليه السّلام ما رواه أحمد فى مسنده عن أبى النور الحوّام بالكوفه قال:جاءنى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام إلى السوق و معه غلام له و هو خليفه فاشترى منّى قميصين و قال لغلامه:اختر أيّهما شئت فأخذ أحدهما و أخذ علىّ الآخر.ثمّ لبسه و مدّ يده فوجد كمّه افاضله فقال:

اقطع الفاضل فقطعه،ثمّ كفّه و ذهب،و روى أحمد أيضا قال:لما أرسل عثمان إلى علىّ وجدوه مؤتزرا بعباءه محتجرا بعقال و هو يهنأ بعيرا له:أى يمسحه بالقطران و هو الهناء والاخبار فى ذلك كثيره و بالله التوفيق.

۱۶۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِىءِ وَ الْبُرْهَانِ الْجَلِىِّ- وَ الْمِنْهَاجِ الْبَادِى وَ الْكِتَابِ الْهَادِى- أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَهٍ وَ شَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَهٍ- أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَهٌ وَ ثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَهٌ-

مَوْلِدُهُ؟بِمَكَّهَ؟ وَ هِجْرَتُهُ؟بِطَيْبَهَ؟عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ وَ امْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ- أَرْسَلَهُ بِحُجَّهٍ كَافِيَهٍ وَ مَوْعِظَهٍ شَافِيَهٍ وَ دَعْوَهٍ مُتَلاَفِيَهٍ- أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَهَ- وَ قَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَهَ- وَ بَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَهَ- فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلاَمِ دِيْناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ- وَ تَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ وَ تَعْظُمْ كَبْوَتُهُ- وَ يَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَ الْعَذَابِ الْوَبِيلِ- وَ أَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَهِ إِلَيْهِ- وَ أَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَهَ إِلَى جَنَّتِهِ- الْقَاصِدَهَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ:أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ- فَإِنَّهَا النَّجَاهُ غَداً وَ الْمَنْجَاهُ أَبَداً- رَهَّبَ فَأَبْلَغَ وَ رَغَّبَ فَأَسْبَغَ- وَ وَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَ انْقِطَاعَهَا- وَ زَوَالَهَا وَ انْتِقَالَهَا- فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّهِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا- أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ وَ أَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ- فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَ أَشْغَالَهَا- لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَ تَصَرُّفِ حَالاَتِهَا- فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ وَ الْمُجِدِّ الْكَادِحِ- وَ اعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ- قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ- وَ زَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَ أَسْمَاعُهُمْ- وَ ذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَ عِزُّهُمْ- وَ انْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَ نَعِيمُهُمْ- فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلاَدِ فَقْدَهَا- وَ بِصُحْبَهِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا- لاَ يَتَفَاخَرُونَ وَ لاَ يَتَنَاسَلُونَ- وَ لاَ يَتَزَاوَرُونَ وَ لاَ

يَتَحَاوَرُونَ- فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ- الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ- فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ وَ الْعَلَمَ قَائِمٌ- وَ الطَّرِيقَ جَدَدٌ وَ السَّبِيلَ قَصْدٌ

اللغه

أقول: اسرته: أهله .و المتهدّله: المتدلّيه .و طيبه: اسم للمدينه سمّاها به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد كان اسمها يثرب،و روى أنّ يزيد بن معاويه سمّاها خيبه .

و تلافيت الشيء: استدركته .و الكبوه: العثره .و الوبيل: المهلك .و الكدح:

السعى و العمل .

و خلاصه الفصل ذكر مادح النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.ثمّ الموعظه الحسنه

و التنفير عن

الدنيا.

و النور المضىء نور النبوّه،و البرهان الجلىّ المعجزات و الآيات الموضحه لنبوّته،و المنهاج البادى هو شريعته و دينه الواضح،و الكتاب الهادى القرآن لهديه إلى سبيل الجنّه ،و ظاهر كون اسرته خير الاسره. استعاره و لفظ الشجره مستعار لأصله،و ظاهر كون قريش أفضل العرب ،و لفظ الأغصان مستعار لأشخاص بيته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كعلىّ و أولاده و زوجته و أعمامه و إخوانه ،و اعتدال هذه الأغصان تقاربهم فى الفضل و الشرف، استعاره بالكنايه و ثمارها مستعار لفضائلهم العلميّه و العمليّه،و تهدّلها كنايه عن ظهورها و كثرتها و سهوله الانتفاع بها ،و ذكر مولده بمكّه و حجرته بالمدينه فى معرض مدحته لشرف مكّه بالبيت العتيق و شرف المدينه بأهلها حيث آووه و نصروه حين هاجر إليها فعلا بها ذكره و انتشرت فيها صيته و امتدّت دعوته،و لأنّه هاجر إليها و هى بلده مجدب قليل الخصب ضعيف الأهل مع غلبه خصومه و قوّه المشركين عليه فى ذلك الوقت.ثمّ إنّه مع ذلك علا بها ذكره و انتشرت فيها صيته فكان ذلك من آيات نبوّته أيضا ،و الحجّه الكافيه ما جاء به من الآيات الّتى قهر بها أعداء اللّه،و الموعظه الشافيه ما اشتمل عليه القرآن العظيم و السنّه الكريمه من الوعد و الوعيد و ضرب الأمثال و التذكير بالقرون الماضيه و الآراء المحموده الجاذبه للناس فى أرشد الطرق إلى جناب ربّهم،و كفى بها شفاء للقلوب من أدواء الجهل،و الدعوه

المتلافیه فإنّه استدرک بها ما فسد من نظام الخلق و تلافی بها ما هلک من قلوبهم و أسوّد من ألواح نفوسهم ،و الشرائع المجهوله طرایق دینه و قوانین شریعته الّتی لم یکن لیهتدی إلیها إلاّ بظهوره،و البدع ما کانت علیه أهل الجاهلیّه من الآثام و الفساد فی الأرض،و الأحکام المفصوله ما فصّله و بیّنه لنا من أحکام دین الإسلام الّذی من ابتغی غیره دینا ضلّ عن سواء طریق النجاه فتحقّقت شقوته فی الآخره و انفصمت عروته:أی انقطع متمسّک النجاه فی یده فعظمت عثرته فی سفره إلی الآخره و کان مرجعه إلی الحزن الطویل علی ما فرّط فی جنب اللّه و مصیره إلی العذاب المهلک فی دار البوار .ثمّ أنشأ یتوکّل علی اللّه توکّل المنیب إلیه:أی الملتفت بقلبه عن غیره المسلّم بجمیع اموره إلیه،و یسأله الإرشاد إلی سبیله القاصده إلی جنّته الّتی هی محلّ الرغبه إلیه. مجازا إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب-استعاره ثمّ عقّب بالموعظه فبدء بالوصیّه بتقوی اللّه و طاعته و أطلق علیها لفظ النجاه مجازا إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب المادّی لکونها معدّه لإفاضه النجاه من عذاب یوم القیامه.و قیل: النجاه الناقه الّتی ینجی علیها فاستعار لفظها للطاعه لأنّها کالمطیّه ینجو بها المطیع من العطب ،و لفظ المنجاه إذ هی محلّ النجاه دائما ،و الضمیر فی رهّب و رغّب للّه:أی فأبلغ فی وعیده و أسبغ الترغیب فاتمه و وصف الدنیا بالاوصاف الموجبه للرغبه عنها .ثم امر علیه السلام بالإعراض عن زینتها،و علّل حسن ذلک الإعراض بقلّه ما یستصحب الإنسان منها إلی الآخره، و أراد الإعراض بالقلب الّذی هو الزهد الحقیقیّ،و إنّما قال:لقلّه ذلک و لم یقل لعدمه لأنّ السالکین لابدّ أن یستصحبوا منها شیئا و هو ما یکتسبه أحدهم من الکمالات إلی الآخره لکن القدر الّذی یکتسبه المترفون من الکمالات إذا قصدوا بأموالهم و سائر زینه الحیاه الدنیا الوصول إلی اللّه تعالی قلیل نور،و مع ذلک فهم فی غایه الخطر من مزلّه القدم فی کلّ حرکه و تصرّف بخلاف أمر القشف الّذین اقتصروا منها علی مقدار الضروره البدنیّه،و یحتمل أن یرید بالقلیل الّذی یصحبهم منها کالکفن و نحوه ،و إنّما کانت أقرب دار من سخط اللّه و أبعدها من إطاعه اللّه لأنّ المیل فیها إلی اللهو و اللعب و الاستمتاع بزینتها المستلزم لسخط اللّه أغلب

من الانتفاع بها فی سلوک سبیل اللّه .

و قوله: فغضّوا.

أی فکفّوا عن أنفسکم الغمّ لأجلها و الاشتغال بها لما تیقّنتم من فراقها لأنّ الغمّ إنّما ینبغی أن یوجّه نحو ما یبقی .ثمّ حذّر منها حذر الشفیق علی نفسه الناصح المجدّ الکادح لها .ثمّ أخذ فی الأمر باعتبار ما هو مشاهد من مصارع القرون الماضیه و أحوالها الخالیه من تفرّق أوصالهم و زوال أسماعهم و أبصارهم إلی سائر ما عدّده من الأحوال الّتی نزلت بهم و استبدلوها من الأحوال الدنیویّه الّتی کانوا علیها .ثمّ حذّر منها حذر الغالب لنفسه الأمّاره بالسوء الناظر بعین عقله مقابح شهوته المانع لها عن العبور إلی حدّ الإفراط من فضیله العفّه فإنّ أمر الدنیا و الآخره واضح لمن اعتبر حالهما،و علم الشریعه الهادی إلی الحقّ قائم،و الطریق إلی اللّه سهل مستقیم قاصد:أی فلا یکن أمرکم علیکم غمّه.

۱۶۱-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لبعض أصحابه

و قد سأله:کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام و أنتم أحق به؟ فقال:

یَا أَخَا؟بَنِی أَسَدٍ؟ إِنَّکَ لَقَلِقُ الْوَضِینِ- تُرْسِلُ فِی غَیْرِ سَدَدٍ- وَ لَکَ بَعْدُ ذِمَامَهُ الصِّهْرِ وَ حَقُّ الْمَسْأَلَهِ- وَ قَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ- أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَیْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ- وَ نَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً وَ الْأَشَدُّونَ؟بِالرَّسُولِ ص؟ نَوْطاً- فَإِنَّهَا کَانَتْ أَثَرَهً شَحَّتْ عَلَیْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ- وَ سَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِینَ- وَ الْحَکَمُ اللَّهُ وَ الْمَعْوَدُ إِلَیْهِ یَوْمَ الْقِیَامَهِ وَ دَعْ عَنْکَ نَهْباً صِیحَ فِی حَجَرَاتِهِ وَ هَلُمَّ الْخَطْبَ فِی؟ابْنِ أَبِی سُفْیَانَ؟

فَلَقَدْ أَضْحَكَنِی الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ- وَ لاَ غَرْوَ وَ اللَّهِ- فَیَا لَهُ خَطْباً یَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ وَ یُکْثِرُ الْأَوَدَ- حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ- وَ سَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ یَنْبُوعِهِ- وَ جَدَحُوا بَیْنِی وَ بَیْنَهُمْ شِرْباً وَبِیئاً- فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَ عَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَی- أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَی مَحْضِهِ وَ إِنْ تَکُنِ الْأُخْرَی- «فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَیْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ بِما یَصْنَعُونَ»

اللغه

أقول: الوضین: بطان القتب و حزام السرج .و الغلق:

الاضطراب .و الذمامه بالکسر: الحرمه،و یروی ماتّه الصهر:أی وسیلته و هی المصاهره ،و النوط: التعلّق .و الأثره بالتحریک: الاستبداد و الاستیثار .و الحجره بفتح الحاء: الناحیه،و الجمع حجرات بفتح الجیم و سکونها .و هلّم: یستعمل بمعنی تعالی کقوله تعالی «هَلُمَّ إِلَیْنا» و قد یستعمل بمعنی هات کما هی هنا فیتعدّی کما قال تعالی «هَلُمَّ شُهَداءَکُمُ» .و لا غرو: أی لا عجب .و الأود: الاعوجاج .و الجدح بالجیم بعدها الحاء: الخلط و التخویض و التکدیر .و الشرب بالکسر: الحظّ من الماء .

و الوبییء: ذو الوباء الممرض .

المعنی

فأمّا جوابه للأسدیّ فإنّه یقال للرجل إذا لم یکن ذا ثبات فی عقله و اموره بحیث یسأل عمّا لا یعنیه أو یضع سؤاله فی غیر موضعه و یستعجل:إنّه قلق الوضین، و أصله أنّ الوضین إذا قلق اضطرب القتب فلم یثبت فطابق حال من لا یثبت فی مقاله و حرکاته فضرب مثلا له ،و کذلک قوله: و ترسل فی غیر سدد :أی تتکلّم فی غیر موضع الکلام لا علی استقامه.و هذا تأدیب له .

و قوله: و لک بعد.إلی قوله:استعملت.

إبداء للعذر فی حسن جوابه فإنّ للمصاهره حقّ و للسائل علی المسئول حقّ الاسترشاد و السؤال.فأمّا کونه صهرا فلأنّ زینب بنت جحش زوجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

كانت أسديّه.و هى زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبره بن مرّه بن كثير بن غنم ابن دوذان بن أسد بن خزيمه و أمّها أميمه بنت عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف فهى بنت عمّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.قالوا:و المصاهره المشار إليها هى هذه، و نقل القطب الراوندىّ أنّ عليّا عليه السّلام كان متزوّجا فى بنى أسد.و أنكره الشارح ابن أبى الحديد معتمدا على أنّه لم يبلغنا ذلك،و الإنكار لا معنى له.إذ ليس كلّ ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقّا و يلزم أن لا يصل إلى غيرنا .

و قوله: أمّا الاستبداد.

شروع فى الجواب و الضمير فى إنّها يعود إلى معنى الأثره فى الاستبداد،و القوم الّذين شحّوا عليها فعند الإماميّه من تقدّم عليه فى الإمامه،و عند غيرهم فربّما قالوا المراد بهم أهل الشورى بعد مقتل عمر .

و قوله: و الحكم اللّه و المعود إليه.

أى المرجع فى يوم القيامه فى معنى التظلّم و التشكّى،و المعود مبتداء خبره القيامه.

فأمّا البيت فهو لامرء القيس،و أصله أنّه تنقّل فى أحياء العرب بعد قتل أبيه فنزل على رجل من خذيله طىّ يقال له طريف فأحسن جواره.فمدحه و أقام معه.ثمّ إنّه خاف أن لا يكون له منعه فتحوّل عنه و نزل على خالد بن سدوس بن اسمع النبهانى فأغارت بنو خذيله عليه و هو فى جوار خالد فذهبوا بإبله فلمّا أتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له:أعطنى رواحلك ألحق عليها فأردّ عليك إبلك ففعل فركب خالد فى أثر القوم حتّى أدركهم فقال:يا بنى خذيله أغرتم على إبل جارى.قالوا:

ما هو لك بجار.قالوا:بلى و اللّه و هذه رواحله.فرجعوا إليه فأنزلوه عنهنّ و ذهبوا بهنّ و بالإبل.فقال امرء القيس القصيده الّتى أوّلها البيت :

فدع عنك نهبا صيح فى حجراته و لكن حديث ما حديث الرواحل

و النهب هنا ما ينهب و حجراته جوانبه،و حديث الثانى مبتداء و الأوّل خبره و ما للتنكير و هى الّتى إذا دخلت على اسم زادته إبهاما كقوله:لأمر ما جدع قصير أنفه.و المعنى دع ذكر الإبل فإنّه مفهوم،و لكن حديث الرواحل حديث ما:

أی حدیث مبهم لا یدری کیف هو،و ذلک أنّه قیل:إنّ خالدا هو الّذی ذهب بالرواحل.فکان عنده لبس فی أمرها.فأمّا استشهاده علیه السّلام به فالمرویّ فی استشهاده النصف الأوّل من البیت،و وجه مطابقته لما هو فیه أنّ السابقین من الأئمّه و إن کانوا قد استبدّوا بهذا الأمر فحدیثهم مفهوم.إذ لهم الاحتجاج بالقدمه فی الإسلام و الهجره و قرب المنزله من الرسول و کونهم من قریش.فدع ذکرهم و ذکر نهبهم هذا المقام فیما سبق ،و لکن هات ما نحن فیه الآن من خطب معاویه بن أبی سفیان،و الخطب هو الحادث الجلیل،و أراد هات ذکر خطبه فحذف المضاف للعلم به،و أشار به إلی الأحوال الّتی أدّت إلی أن کان معاویه منازعا له فی هذا الأمر مع بعده عنه حتّی صار قائما عند کثیر من الناس مقامه .

و قوله: فلقد أضحکنی الدهر بعد إبکائه.

إشاره إلی غبنه ممّن تقدّم علیه فی هذا الأمر،و ضحکه بعد ذلک تعجّب ممّا حکمت به الأوقات و اعتبار.ثمّ قال و لا عجب:أی ذلک أمر یجلّ عن التعجّب .

ثمّ أخذ فی استعظامه فقال: یا له خطبا یستفرغ العجب :أی یفنیه حتّی صار کلا عجب و هو من باب الإغراق و المبالغه کقول ابن هانی:

قد سرت فی المیدان یوم طرادهم فعجبت حتّی کدت لا أتعجّب

و یحتمل أن یکون قوله: و لا غرو و اللّه :أی إذا نظر الإنسان إلی حقیقه الدنیا و تصرّف أحوالها.فیکون قوله بعد ذلک: فیا له .استیناف لاستعظام هذا الأمر.

و کونه یکثر الاعوجاج ظاهر فإنّ کلّ امرء بعد عن الشریعه ازداد الأمر به اعوجاجا .

استعاره و قوله: حاول القوم.إلی قوله:ینبوعه.

فالقوم قریش،و مصباح أنوار اللّه استعاره لخاصّه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من أهل بیته،و کذلک ینبوعه استعاره لهم باعتبار کونهم معدنا لهذا الأمر و لوازمه،و وجه الاستعارتین ظاهر .یرید أنّهم حاولوا إزاله هذا الأمر عن مستقرّه و معدنه الأحقّ به و هو بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. استعاره ثمّ استعار لفظ الشرب الوبیء لذلک الأمر،و لفظ

الجدح للكدر الواقع بينهم و المجاذبه لهذا الأمر،و استعار لفظ الوبيىء له باعتبار كونه سببا للهلاک و القتل بينهم.

و قوله : فإن ترتفع.إلى آخره.

أي فإن يجتمعوا عليّ و يرتفع بيني و بينهم ما ابتلينا به من هـذه المحن و الإحن أسـلک بهم محض الحقّ،و إن أبوا إلاّ البقاء على ما هم عليه فلا أسف عليهم.

و اقتبس الآيه المشتمله على تأديب نفسه و توطينها على ترک الأسف عليهم إن لم يؤمنوا و على تهديدهم و وعيدهم باطّلاع اللّه على أعمالهم السيّئه.

۱۶۲-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْـدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَ سَاطِـحِ الْمِهَادِ- وَ مُسِـيلِ الْوِهَادِ وَ مُخْصِبِ النِّجَادِ- لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَ لاَ لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ- هُوَ الْأَوَّلُ وَ لَمْ يَزَلْ وَ الْبَاقِي بِلاَ أَجَلٍ- خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَ وَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ- حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَهً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا- لاَ تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَ الْحَرَكَاتِ- وَ لاَ بِالْجَوَارِحِ وَ الْأَدَوَاتِ لاَ يُقَالُ لَهُ مَتَى- وَ لاَ يُضْـرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى- الظَّاهِرُ لاَ يُقَالُ مِمَّ وَ الْبَاطِنُ لاَ يُقَالُ فِيمَ- لاَ شَبَحٌ فَيُتَقَصَّى وَ لاَ مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى- لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الْأَشْـيَاءِ بِالْتِصَـاقٍ- وَ لَمْ يَبْعُـدْ عَنْهَـا بِـافْتِرَاقٍ- وَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَـادِهِ شُـخُوصُ لَحْظَهٍ- وَ لاَ كُرُورُ لَفْظَهٍ وَ لاَ ازْدِلاَفُ رَبْوَهٍ- وَ لاَ انْبِسَـاطُ خُطْوَهٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ- وَ لاَ غَسَقٍ سَـاجٍ يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ- وَ تَعْقُبُهُ الشَّمْسُ

ذَاتُ النُّورِ فِی الْأُفُولِ وَ الْکُرُورِ- وَ تَقَلُّبِ الْأَزْمِنَهِ وَ الدُّهُورِ- مِنْ إِقْبَالِ لَیْلٍ مُقْبِلٍ وَ إِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ- قَبْلَ کُلِّ غَایَهٍ وَ مُدَّهٍ وَ کُلِّ إِحْصَاءٍ وَ عِدَّهٍ تَعَالَی عَمَّا یَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ- وَ نِهَایَاتِ الْأَقْطَارِ وَ تَأَثُّلِ الْمَسَاکِنِ- وَ تَمَکُّنِ الْأَمَاکِنِ- فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَ إِلَی غَیْرِهِ مَنْسُوبٌ لَمْ یَخْلُقِ الْأَشْیَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِیَّهٍ- وَ لاَ مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِیَّهٍ- بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ- وَ صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ- لَیْسَ لِشَیْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ وَ لاَ لَهُ بِطَاعَهِ شَیْءٍ انْتِفَاعٌ- عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِینَ کَعِلْمِهِ بِالْأَحْیَاءِ الْبَاقِینَ- وَ عِلْمُهُ بِمَا فِی السَّمَاوَاتِ الْعُلَی- کَعِلْمِهِ بِمَا فِی الْأَرْضِ السُّفْلَی

اللغه

أقول: الساطح: الباسط .و المهاد: الأرض ،و الوهاد: جمع وهده و هی المکان المطمئنّ .و النجاد: جمع نجد،و هو المکان المرتفع .و ازدلاف الربوه: تقدّمها .

و الساجی: الساکن .و تفیّؤ القمر: ذهابه و مجیئه حالتی أخذه فی التبدّر و أخذه فی النقصان إلی المحاق .و مجد مؤثّل و بیت مؤثّل: أصیل قدیم .

و قد اشتملت الخطبه من علم التوحید علی مباحث قدّم الحمد للّه تعالی

اشاره

باعتباراتها :

الأوّل:قوله:خالق العباد.إلی قوله:النجاد.

إشاره إلی کونه مبدءا لجمیع الموجودات،و بیانه:أنّ لفظ العباد مشتمل علی من فی السماوات و من فی الأرض لقوله تعالی «إِنْ کُلُّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً» (۱)و تدخل فی ذلک الأجسام الفلکیّه لکونها أجساما للملائکه، و سطح المهاد إشاره إلی خلق الأرض و جعلها مهادا لما خلق من الحیوان ،و مسیل

۱- (۱) ۹۴-۱۹.

الوهاد و مخصب النجاد إشاره إلی إیجاده لسائر ما ینتفع به الخلق فی الدنیا.

إذا عرفت ذلک فقد اشتملت هذه الألفاظ علی إیجاده لجمیع الموجودات الممکنه.

و قد ثبت أنّ خالق جمیع الموجودات الممکنه لا یکون ممکنا فاستلزم ذلک کونه تعالی واجب الوجود .

الثانی من الاعتبارات السلبیّه:کونه تعالی لا ابتداء لأولیّته

:أی لا حدّ لکونه أوّلا للأشیاء تقف عنده أوّلیّته و تنتهی به و إلّا لکان محدثا فکان ممکنا فلم یکن واجب الوجود.هذا خلف.

الثالث:و لا انقضاء لأزلیّته

:أی لا غایه ینتهی عندها و ینقضی و إلّا لقابل العدم فلم یکن واجب الوجود.هذا خلف.

و قوله : هو الأوّل لم یزل و الباقی بلا أجل.

تأکید للاعتبارین الثانی و الثالث بعباره الاثبات .

الرابع:خرّت له الجباه و وحدّته الشفاه

.و هو إشاره إلی کمال الوهیّته و استحقاقه للعباده .

الخامس:أنّه لا یشبهه شیء

.إذ کلّ شیء ما عداه محدود یقدّره العقل و الوهم و یشار إلیه بحدود یحیطان به منها،و لا شیء منه تعالی کذلک.إذ کلّ وهم قفره بحدّ أو بحرکه أو جارحه أو أداه کما هو مقتضی الوهم فی إدراکه لمدرکاته فقد ضلّ ضلالا بعیداً عن تصوّره.و قد سبقت الإشاره إلی ذلک .

السادس:أنّه منزّه عن لحوق الزمان

فلا یسأل عنه بمتی،و عن غایه الزمان فلا یضرب له أمد بحتّی .

السابع:کونه ظاهرا

و مع غايه ظهوره لا مادّه له و لا أصل يستفاد منه فلا يقال ممّا هو موجود .

الثامن:كونه باطنا

و مع غايه بطونه و خفائه لا حيّز له فيقال فيه بطن و خفى كسائر الخفيّات من الأجسام و الجسمانيّات.و قد سبق بيان كونه تعالى باطنا و ظاهرا غير مرّه .

التاسع:

كونه و ليس بشخص فيلحقه التغيّر و الانقضاء.

العاشر:و لا محجوب فيحويه الحجاب.

إذ الشخص للناظر و الحجاب من لواحق الاجسام التی تنزه قدسه عنها .

الحادی عشر:

من الاعتبارات الإضافيّه كونه تعالی قريبا من الأشياء لا بالالتصاق.

الثانی عشر:كونه بعيدا منها لا بالافتراق

.و قد عرفت معنی قربه و بعده فی الخطبه الاولی،و لمّا كان الالتصاق و الافتراق من لواحق الأجسام لا جرم تنزّه قربه و بعده من الأشياء عنها .

الثالث عشر:كونه لا يخفی عليه من عباده شخوص لحظه.

إلی قوله:و إدبار نهار مدبر.إشاره إلی إحاطه علمه بكلّ المعلومات،و شخوص اللحظه مدّ البصر بلا حركه جفن،و كرور اللفظه رجوعها ،و ازدلاف الربوه تقدّمها و أراد الربوه المتقدّمه:أی فی النظر و الباديه عند مدّ العين فإنّ الربی أوّل ما يقع فی العين من الأرض ،و الضمير فی عليه للغسق.

و قوله : و تعقّبه الشمس :أی تتعقّبه فحذف إحدی التائين كقوله تعالی «تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَهُ» و روی تعقبه،و الضمير المنصوب فيه للقمر.

و قوله : من إقبال ليل.

متعلّق بالتقليب،و المعنی أنّ الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله،و يطلع عند افولها .

الرابع عشر:كونه قبل كلّ غايه و مدّه و إحصاء و عدّه

لأنّه تعالی خالق الكلّ و مبدءه فوجب تقدّمه و قبليّته .

الخامس عشر:تنزّهه و تعاليه عمّا تصفه به المشبّهه و المتّبعون لحكم

أوهامهم فی جنابه المقدّس من صفات المقادير

کالأقطار و النهايات و الجوانب و إصاله البيوت و قدمها و الاستقرار فی المساکن و سائر ما هی حدود و لواحق يتقيّد بها ذوات الأعيان.فإنّ کلّ تلک الحدود مضروبه منه لخلقه و منسوبه إليهم دونه .

ص:۲۹۹

السادس عشر:كون مخلوقاته صادره عنه من غير اصول

أزليّه و لا أوائل

أبديّه

:أى أوّليّه سابقه و معنى هـذا الكلام أنّه لم يخلق ما خلق على مثال سـبق يكون أصـلا لا أوّل له حـذا حذوه،و قيل:معناه أنّه ليس لما خلق أصل أزلىّ أبدىّ خلق منه من مادّه و صوره كما زعمت الفلاسفه،و روى:و لا من أوائل أبديّه.

و قوله : بل خلق ما خلق فأقام حدّه.

أى بـل هو المخترع لإقـامه حـدوده،و هى من المقـادير و الأشـكال و النهايـات و الآجـال و الغايـات على وفق الحكمه الإلهيّه ،و كذلك صوّر ما صوّر فأحسن صورته:

أى أتى به على وجه الإحكام و الإتقان .

السابع عشر:كونه ليس لغيره منه امتناع

،إشاره إلى كمال قدرته و و احاطه علمه.

الثامن عشر:كونه لا انتفاع له بطاعه شيء

لأنّ الانتفاع من لوازم الحاجه الممتنعه عليه،و هو إشاره إلى وصف الغنى .

التاسع عشر:كون علمه تعالى بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين،

و علمه بما فى السماوات العلى كعلمه بما فى الأرضين السفلى

،و هو إشاره إلى أنّ علمه غير مسـتفاد من غيره و لا يلحقه تغيّر و تجدّد فلا يتجدّد له علم لم يكن بل علمه تعالى أزلىّ أبدىّ تامّ لا يلحقه نقصان،نسبه جميع الممكنات إليه على سواء.و قد علمت تحقيقه فى المباحث الإلهيّه فى مظانها.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منها:

اشاره

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَ الْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ- فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ- بُدِئْتَ «مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ» - وَ وُضِعْتَ «فِي قَرارٍ مَكِينٍ إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ» وَ أَجَلٍ مَقْسُومٍ- تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لاَ تُحِيرُ دُعَاءً وَ لاَ تَسْمَعُ نِدَاءً- ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا- وَ لَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ

ص:٣٠٠

مَنافِعِها- فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرارِ الْغِذاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّکَ- وَ عَرَّفَکَ عِنْدَ الْحاجَهِ مَواضِعَ طَلَبِکَ وَ إِرَادَتِکَ- هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِی الْهَيْئَهِ وَ الْأَدَوَاتِ- فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ- وَ مِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ

اللغه

أقول: السویّ: المستوی .و المرعیّ: المعتنی بأمره .

المعنی

و الخطاب للإنسان.و نبّهه بکونه سویّا مرعیّا علی وجود خالقه الحکیم اللطیف.و قد عرفت کیفیّه تخلیق الإنسان و تصویره شیئا فشیا إلی حال کماله و وضعه،و کذلک نبّهه بتقلّبه فی حالاته و أطوار خلقته و باستفهامه عمّن هداه لاجترار غذائه من ثدی امّه و عمّن عرّفه عند الحاجه مواضع طلبه و هی الأثداء علی وجود خالق هداه إلی جمیع حاجاته.فهذا القدر من العلم بالصانع أمر ضروریّ فی النفوس و إن احتاج إلی أدنی تنبیه.و ما وراء ذلک بمعنی صفات الکمال و نعوت الجلال امور لا تطّلع علیها العقول البشریّه بالکنه و إنّما تطّلع منها علی اعتبارات و مقایسات له إلی خلقه،و یحتاج فیها إلی الدلیل و البرهان.و قد أشرنا إلی ذلک من قبل.و نبّه علی بعد إدراکها و العجز عنها بقوله : هیهات.إلی قوله:

و الأدوات :أی من یعجز من صفات نفسه فی حال تخلیقه و الاطّلاع علی منافع جزئیّات أعضائه مع کونها محسوسه مشاهده له فهو عن صفات خالقه الّتی هی أبعد الأشیاء عنه مناسبه أعجز،و من إدراکه بالمقایسه و التشبیه بحدود المخلوقین و صفاتهم أبعد.و باللّه العصمه و التوفیق.

۱۶۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لما اجتمع الناس علیه و شکوا مما نقموه علی عثمان،و سالوه مخاطبته عنهم و استعتابه لهم،فدخل علیه فقال:-

ص:۳۰۱

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِی- وَ قَدِ اسْتَسْفَرُونِی بَیْنَکَ وَ بَیْنَهُمْ- وَ وَ اللَّهِ مَا أَدْرِی مَا أَقُولُ لَکَ- مَا أَعْرِفُ شَیْئاً تَجْهَلُهُ- وَ لاَ أَدُلُّکَ عَلَی أَمْرٍ لاَ تَعْرِفُهُ- إِنَّکَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ- مَا سَبَقْنَاکَ إِلَی شَیْءٍ فَنُخْبِرَکَ عَنْهُ- وَ لاَ خَلَوْنَا بِشَیْءٍ فَنُبَلِّغَکَهُ- وَ قَدْ رَأَیْتَ کَمَا رَأَیْنَا وَ سَمِعْتَ کَمَا سَمِعْنَا- وَ صَحِبْتَ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ کَمَا صَحِبْنَا- وَ مَا؟ابْنُ أَبِی قُحَافَهَ؟- وَ لاَ ؟ابْنُ الْخَطَّابِ؟ بِأَوْلَی بِعَمَلِ الْخَیْرِ مِنْکَ- وَ أَنْتَ أَقْرَبُ إِلَی أَبِی؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ وَشِیجَهَ رَحِمٍ مِنْهُمَا- وَ قَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ یَنَالاَ فَاللَّهَ اللَّهَ فِی نَفْسِکَ- فَإِنَّکَ وَ اللَّهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًی- وَ لاَ تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ- وَ إِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَهٌ وَ إِنَّ أَعْلاَمَ الدِّینِ لَقَائِمَهٌ- فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ- هُدِیَ وَ هَدَی فَأَقَامَ سُنَّهً مَعْلُومَهً- وَ أَمَاتَ بِدْعَهً مَجْهُولَهً- وَ إِنَّ السُّنَنَ لَنَیِّرَهٌ لَهَا أَعْلاَمٌ- وَ إِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَهٌ لَهَا أَعْلاَمٌ- وَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضُلَّ بِهِ- فَأَمَاتَ سُنَّهً مَأْخُوذَهً وَ أَحْیَا بِدْعَهً مَتْرُوکَهً- وَ إِنِّی سَمِعْتُ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ یَقُولُ- یُؤْتَی یَوْمَ الْقِیَامَهِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ- وَ لَیْسَ مَعَهُ نَصِیرٌ وَ لاَ عَاذِرٌ- فَیُلْقَی فِی نَارِ جَهَنَّمَ فَیَدُورُ فِیهَا کَمَا تَدُورُ الرَّحَی- ثُمَّ یَرْتَبِطُ فِی قَعْرِهَا- وَ إِنِّی أَنْشُدُکَ اللَّهَ أَنْ تَکُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّهِ الْمَقْتُولَ- فَإِنَّهُ کَانَ یُقَالُ- یُقْتَلُ فِی هَذِهِ الْأُمَّهِ إِمَامٌ یَفْتَحُ عَلَیْهَا الْقَتْلَ-

وَ الْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَهِ- وَ يَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَ يَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا- فَلاَ يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ- يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً وَ يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً- فَلاَ تَكُونَنَّ ؟لِمَرْوَانَ؟ سَيِّقَهً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ- وَ تَقَضِّي الْعُمُرِ فَقَالَ لَهُ؟عُثْمَانُ؟ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي- حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ- فَقَالَ ع مَا كَانَ؟بِالْمَدِينَهِ؟ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ- وَ مَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ

اللغه

أقول: استسفرونی: اتّخذونی سفیرا:أی رسولا .و الوشیجه: عروق الشجره .

و السیقه بتشدید الیاء: ما یسوقه العدوّ فی الغاره من الدوابّ .و جلال السنّ: علوّه .

و حاصل الکلام استعتابه باللیّن من القول.

فأثبت له منزلته من العلم:أی بأحکام الشریعه و السنن المتداوله بینهم فی زمان الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الظهور علی کلّ ما ظهر علیه منها من مرئیّ و مسموع و الصحبه المماثله لصحبته ،و ذکر أنّ الشیخین لیسا بأولی منه بعمل الحقّ. استعاره ثمّ فخّمه علیهما بقرب الوشیجه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الصهوره من دونهما،و لفظ الوشیجه مستعار لما بینه و بینهم من القرابه.

فأمّا کونه أقرب وشیجه منهما فلکونه من ولد عبد مناف دونهما .ثمّ حذّره اللّه و عقّب التحذیر بتنبیهه علی أنّه غیر محتاج إلی تعلیم فیما یراد منه مع وضوح طریق الشریعه و قیام أعلام الدین .ثمّ تنبیهه علی أفضلیّه الإمام العادل بالصفات المذکوره، و علی قیام أعلام السنن،و علی قیام أعلام البدع لیقتدی بتلک و ینکب عن هذه .ثمّ علی حال الإمام الجایر یوم القیامه بما نقل من الخبر عن سیّد البشر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم .ثمّ ناشده اللّه تعالی محذّرا له أن یکون الإمام المقتول فی هذه الامّه و قد کان الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أخبر بذلک بهذه العباره الّتی نقلها بعد قوله:

یقال.أو بما یناسبها .ثمّ نهاه أن یکون سیّقه لمروان بن الحکم:أی یصرفه حسب مقاصده بعد بلوغه معظم! ۳۰۴ السنّ و تقضّی العمر.و قد کان مروان من أقوی الأسباب الباعثه علی قتل عثمان،و کان یعکس الآراء الّتی یشار علی عثمان بها من علیّ علیه السّلام و غیره[یشار بها بین علیّ و غیره خ]مع کونه بغیظا إلی المعتبرین من الصحابه و کونه طرید الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قوله فی جوابه : ما کان بالمدینه فلا أجل فیه.إلی آخره.

کلام جزل حاسم لما عساه یکون مماطله من طلب التأجیل لأنّ الحاضر لا معنی لتأجیله،و الغائب لا عذر فی تأخیره بعد بلوغ أمره إلیک کالّذی أعطاه أقربائه من أموال بیت المال علی غیر وجهه.و قد سبق فی الفصول المتقدّمه من أمر عثمان مع الصحابه و ما نقموه علیه ما فیه کفایه.و باللّه التوفیق.

۱۶۴-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

يذكر فيها عجيب خلقه الطاوس

القسم الأول

اشاره

اِبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَ مَوَاتٍ- وَ سَاكِنٍ وَ ذِی حَرَکَاتٍ- وَ أَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَیِّنَاتِ عَلَی لَطِیفِ صَنْعَتِهِ- وَ عَظِیمِ قُدْرَتِهِ- مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ مُعْتَرِفَهً بِهِ وَ مَسَلِّمَهً لَهُ- وَ نَعَقَتْ فِی أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَی وَحْدَانِیَّتِهِ- وَ مَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الْأَطْیَارِ- الَّتِی أَسْکَنَهَا أَخَادِیدَ الْأَرْضِ- وَ خُرُوقَ فِجَاجِهَا وَ رَوَاسِیَ أَعْلاَمِهَا- مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَهٍ مُخْتَلِفَهٍ وَ هَیْئَاتٍ مُتَبَایِنَهٍ- مُصَرَّفَهٍ فِی زِمَامِ التَّسْخِیرِ- وَ مُرَفْرِفَهٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِی مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ- وَ الْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ- کَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَکُنْ فِی عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَهٍ- وَ رَکَّبَهَا فِی حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَهٍ- وَ مَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَهِ خَلْقِهِ أَنْ یَسْمُوَ فِی الْهَوَاءِ خُفُوفاً- وَ جَعَلَهُ یَدِفُّ دَفِیفاً- وَ نَسَقَهَا

ص:۳۰۳

عَلَى اخْتِلاَفِهَا فِی الْأَصَابِیغ بِلَطِیفِ قُدْرَتِهِ- وَ دَقِیقِ صَنْعَتِهِ- فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِی قَالَبِ لَوْنٍ لاَ یَشُوبُهُ غَیْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِیهِ- وَ مِنْهَا مَغْمُوسٌ فِی لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلاَفِ مَا صُبِغَ بِهِ وَ مِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُسُ- الَّذِی أَقَامَهُ فِی أَحْکَمِ تَعْدِیلٍ- وَ نَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِی أَحْسَنِ تَنْضِیدٍ- بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ وَ ذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ- إِذَا دَرَجَ إِلَی الْأُنْثَی نَشَرَهُ مِنْ طَیِّهِ- وَ سَمَا بِهِ مُطِلاًّ عَلَی رَأْسِهِ- کَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِیٍّ عَنَجَهُ نُوتِیُّهُ- یَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ وَ یَمِیسُ بِزَیَفَانِهِ- یُفْضِی کَإِفْضَاءِ الدِّیَکَهِ- وَ یَؤُرُّ بِمَلاَقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَهِ لِلضِّرَابِ- أُحِیلُکَ مِنْ ذَلِکَ عَلَی مُعَایَنَهٍ- لاَ کَمَنْ یُحِیلُ عَلَی ضَعِیفٍ إِسْنَادُهُ- وَ لَوْ کَانَ کَزَعْمِ مَنْ یَزْعُمُ- أَنَّهُ یُلْقِحُ بِدَمْعَهٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ- فَتَقِفُ فِی ضَفَّتَیْ جُفُونِهِ- وَ أَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِکَ- ثُمَّ تَبِیضُ لاَ مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَی الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ- لَمَا کَانَ ذَلِکَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَهِ الْغُرَابِ تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِیَ مِنْ فِضَّهٍ- وَ مَا أُنْبِتَ عَلَیْهَا مِنْ عَجِیبِ دَارَاتِهِ- وَ شُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْیَانِ وَ فِلَذَ الزَّبَرْجَدِ- فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ- قُلْتَ جَنًی جُنِیَ مِنْ زَهْرَهِ کُلِّ رَبِیعٍ- وَ إِنْ ضَاهَیْتَهُ بِالْمَلاَبِسِ فَهُوَ کَمَوْشِیِّ الْحُلَلِ- أَوْ کَمُونِقِ عَصْبِ؟الْیَمَنِ؟- وَ إِنْ شَاکَلْتَهُ بِالْحُلِیِّ فَهُوَ کَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ- قَدْ

نُطِّقتْ بِاللَّجيْنِ الْمُكلَّلِ- يَمْشِى مَشْىَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ وَ يَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَ جَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَ أَصَابِيغِ وِشَاحِهِ- فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ- زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ- وَ يَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ- لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَهِ الْخِلَاسِيَّهِ وَ قَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَهٌ خَفِيَّهٌ- وَ لَهُ فِى مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَهٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاهٌ- وَ مَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ- وَ مَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمهِ الْيَمَانِيَّهِ- أَوْ كَحَرِيرِهِ مُلْبَسهٍ مِرْآهً ذَاتَ صِقَالٍ- وَ كَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ- إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَهِ مَائِهِ وَ شِدَّهِ بَرِيقِهِ- أَنَّ الْخُضْرَهَ النَّاضِرَهَ مُمْتَزِجَهٌ بِهِ- وَ مَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِى لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ- أَبْيَضُ يَقَقٌ فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِى سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ- وَ قَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ- وَ عَلَاهُ بِكَثْرَهِ صِقَالِهِ وَ بَرِيقِهِ- وَ بَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَ رَوْنَقِهِ- فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَهِ لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ- وَ لَا شُمُوسُ قَيْظٍ وَ قَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ وَ يَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ- فَيَسْقُطُ تَتْرَى وَ يَنْبُتُ تِبَاعاً- فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الْأَغْصَانِ- ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ- لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ- وَ لَا يَقَعُ لَوْنٌ فِى غَيْرِ مَكَانِهِ- وَ إِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَهً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ- أَرَتْكَ

حُمْرَهً وَرْدِيَّهً و تَارَهً خُضْرَهً زَبَرْجَدِيَّهً- وَ أَحْيَاناً صُفْرَهً عَسْجَدِيَّهً- فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَهِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ- أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ- أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ- وَ أَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ- وَ الْأَلْسِنَهَ أَنْ تَصِفَهُ- فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ- فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَ مُؤَلَّفاً مُلَوَّناً- وَ أَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ- وَ قَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَهِ نَعْتِهِ وَ سُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّهِ- وَ الْهَمَجَهِ إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ وَ الْفِيَلَهِ- وَ وَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ- إِلَّا وَ جَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ وَ الْفَنَاءَ غَايَتَهُ

اللغه

أقول: نعقت: صاحت .و الأخاديد: شقوق الأرض و شعابها .و الفجاج:

جمع فجّ.و هى الطريق بين الجبلين :و العباله: امتلاء الجسد .و نسقها:

نظمها .و يختال: يصيبه الخيلاء .و زيفانه: تمايله و تبختره .و الأرّ:

النكاح و الحركه فيه .

و ملاقحه: آلات اللقاح و أعضاء التناسل .و الاغتلام: شدّه الشبق .و القلع الدارىّ:

الشراع المنسوب إلى دارين،و هى جزيره من سواحل القطيف من بلاد البحرين يقال:إنّ الطيب كان يجلب إليها من الهند،و هى الآن خراب لا عماره بها و لا سكنى،و فيها آثار قديمه .و عنجه: عطفه .و النوتىّ: ربّان السفينه .

و ضفّتى جفونه: جانباها .و المنبجس: المنفجر .و المدارى: جمع مدرى،و هى خشبه ذات أطراف كأصابع الكفّ محدّده الرءوس ينقى بها الطعام .و داراته: الخطوط المستديره بقصبه .و العقيان: الذهب .و فلذ: جمع فلذه،و هى القطعه .

و الزبرجد:

قيل:هو الزمرّد،و قيل:يطلق على البلخش .و الجنىّ: فعيل بمعنى المجنّى، و هو الملتقط .و العصب: برود تعمل باليمن .و المضاهاه: المشابهه .

و الحمش :

ص:۳۰۷

الـدقاق .و نطّقت باللجين: أى شـدّت فيه و رصّـعت .و الوشاح: سـير ينسـج من أديم و يرصّع بالجواهر فتجعله المرأه على عاتقها إلى كشحيها .و زقا: صاح .

و المعول: الصارخ .و الديكه الخلاسيّه: هى المتولّده بين الدجاج الهندىّ و الفارسىّ .و نجمت: ظهرت .و الظنبوب: حرف الساق .و الصيصيه:

الهنه الّتى فى مؤخّر رجل الديك .و القنزعه: الشعر المجتمع فى موضع من الرأس .و الوسمه بكسر السين و سكونها: شجر العظلم يخضب به .و الأسحم: الأسود . التلفّع:

التلحّف .و اليقق: خالص البياض .و يأتلق: يلمع .و البصيص:

البريق .و تترى: تسقط منها شىء عقيب شىء .و أدمجه: أحكمه .و الذرّه: النمله الصغيره .

و الهمجه: ذبابه صغيره كالبعوضه .

المعنى

و مقصود الخطبه التنبيه على عجائب صنع اللّه لغايه الالتفات إليه و التفكّر فى ملكوته،و قـد عرفت معنى الابتداع.و أراد بالموات مـا لاـ حياه له، و الساكن كالأرض، و ذو الحركات كالأفلاك و شاهـد[شواهـد خ]البيّنات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات فاستدّلت بها على لطف صنعته و كمال قدرته فانقادت لتلك الدلائل و الطرق الواضحه إلى معرفته و الإقرار به و التسليم لأمره ، استعاره و استعار لفظ نعيق فى الأسـماع لظهور تلك الدلائل فى صـماخ العقل ،و ما الاولى مفعول لأقام،و الضـمير فى له يرجع إلى مـا،و فى به و له الثـانيه إلى اللّه،و فى دلاـئله يحتمل العود إلى كلّ واحـد منهما،و ما الثانيه محلّها الجرّ بالعطف على الضـمير المضاف إليه فى دلائله:

أى نعقت فى أسـماعنا دلائله على وحدانيّته و دلائل ما خلق ،و قد عرفت فيما سـبق كيفيه الاسـتدلال بكثره ما خلق و اختلافه فى وحدانيته والأطيار التى أسـكنها أخاديد الأرض كالقطاه و الصدى،و الّتى أسـكنها خروق فجاجها كالقبج، و الّتى أسكنها رءوس الجبـال كالعقبان و الصـقور .ثمّ أخـذ يصف اختلافها بالأجنحه فى هيئاتها و كيفيّات خلقها تحت تصـريف قـدرته و حكمته .ثمّ أشار إلى اعتبار تكوينها و إحـداثها فى عجائب صورها و ألوانها و تركيب خلقها فى عبل الجثّه تمنع سـمّوه فى الهواء كالنعام.ثمّ نبّه على لطيف حكمته فى تنسيقها مختلفه الألوان

ص:٣٠٨

و الأصباغ فمنها مغموس فی قالب لون واحد قد طوّق بخلاف ما صبغ به كالفواخت ، و شرع فی التنبیه بحال الطاوس علی لطف الصنع لاشتماله علی جمیع الألوان،و كفی بوصفه علیه السّلام شارحا فإنّه لا أبلغ منه و لا أجمع لتفاصیل الحكمه الموجوده فی هذا الموصوف غیر أنّه قد یحتاج بعض ألفاظه علیه السّلام إلی بیان .فأراد بقصبه قصب ریش ذنبه و جناحیه و إشراجها ضبط اصولها بالأعصاب و العظام و شرج بعضها لبعض ،و وصفه علیه السّلام لهیئه درجه إلی الانثی حال إراده السفاد وصف من شاهد و استثبت الهیئه تشبیه و أحسن بتشبیهه لذنبه عند إراده السفاد بالقلع الداریّ فإنّه فی تلك الحاله یبسط ریشه و ینشره.ثمّ یرفعه و ینصبه فیصیر كهیئه الشراع المرفوع،و وجه التشبیه زیاده علی ذلك أشار إلیها بقوله: عنجه نوتیّه ،و ذلك أنّ الملاّحین یصرفون الشراع تاره بالجذب،و تاره بالإرخاء،و تاره بتحویله یمینا و شمالا و ذلك بحسب انصرافهم من بعض الجهات إلی بعض فأشبههم هذا الطائر عند حركته لإراده السفاد و زیفانه فی تصریف ذنبه و تحویله،و له فی ذلك هیئه لا یستثبت وجه الشبه فیها كما هو إلاّ من شاهدها مع مشاهده المشبّه به،و لذلك قال:

احیلك من ذلك علی معاینه لا كمن یحیلك علی ضعیف إسناده .و إنّما خصّ دارین بالذكر لأنّها كانت المرسی القدیم فی زمانه علیه السّلام حیث كانت معموره .

و قوله: و لو كان كزعم من یزعم.إلی قوله:المنبجس.

أی لو كان حاله فی النكاح كزعم من یزعم،و هو إشاره إلی زعم قوم أنّ الذكر تدمع عینه فتقف الدمعه بین أجفانه فتأتی الانثی فتطعمها فتلقح من تلك الدمعه،و روی تنجشها مدامعه:أی تغصّ بها و تحار فیها،و هو علیه السّلام لم یحل ذلك ،و إنّما قال: لیس ذلك بأعجب من مطاعمه الغراب ،و العرب تزعم أنّ الغراب لا یسفد.و من أمثالهم أخفی من سفاد الغراب،و یزعمون أنّ اللقاح من مطاعمه الذكر و الانثی و إیصال جزء من الماء الّذی فیه فی قانصته إلیها و هی أن یضع كلّ منهما منقاره فی منقار صاحبه و یتزاقّا و ذلك مقدّمه للسفاد فی كثیر من الطیر كالحمام و غیره،و هذا و إن كان ممكنا فی بعض الطیر كالطاووس و الغراب!

ص:۳۰۹

غير أنّ ذلک بعيد.على أنّه قد نقل الشيخ فی الشفاء أنّ القبجه تحبلها ريح تهبّ من ناحيه الحجل و من سماع صوته،قال:و النوع المسمّی مالاقيا يتلاصق بأفواهها ثمّ يتشابک فذلک سفادها،و نقل الجاحظ فی کتاب الحيوان أنّ الطاوسه قد تبيض من الريح بأن تکون فی سفاله الريح و فوقها الذکر فتحمل ريحه فتبيض منها.

قال:و بيض الريح قلّ أن يفرخ.و أقول:قد يوجد فی الدجاج ذلک إلاّ أنّه قلّ ما يفرخ کما ذکره . تشبيه ثمّ شبّه عليه السّلام قصب ذنبه بالمداری من الفضّه ،و من شاهد صوره قيام ذنبه مع بياض اصول ريشه و تفرّقها عند نشره للسفاد عرف موضع التشبيه المذکور و وقوعه موقعه،و کذلک شبّه الخطوط الصفره المستديره علی رءوس ريش الذنب بخالص العقيان فی الصفره الفاقعه مع ما يعلوها من البريق،و ما فی وسط تلک الدارات من الدوائر الخضر بقطع الزبرجد فی الخضره ، استعاره و استعار لها لفظ الشموس ملاحظه لمشابهتها لها فی الاستداره و الاستناره . تشبيه ثمّ قال: و إن شبّهته بما أنبتت الأرض.إلی قوله:کلّ ربيع ،و وجه الشبه اجتماع الألوان مع نضارتها و بهجتها .و کذلک وجه الشبه فی تشبيهه بموشیّ الحلل أو المعجب من برود اليمين ،و کذلک إن شاکلته بالحلیّ،و وجه شبهه بالفصوص المختلفه الألوان المنطّقه فی الفضّه:أی المرصّعه فی صفائح الفضّه و المکلّل الّذی جعل کالإکليل بذلک الترصيع .

ثمّ حکی صوره مشيته و صوته کالقهقهه عند نظره إلی حسن سرباله و إعجابه بجمال کسوته، استعاره و لفظ الضحک و القهقهه و السربال مستعار و کذلک حاله فی نظره إلی قوائمه فإنّه يصيح کالمتوجّع من قبح ساقيه و دقّتها و يخضع و ينقمع بعد تعظّمه و نفخه لنفسه ، تشبيه و وجه تشبيه قوائمه بقوائم الديکه الخلاسيّه الدقّه و الطول و التشظّی و نتوّ العرقوب .ثمّ أخذ فی وصف صيصيته و قنزعته و هی رويشات يسيره طوال فی مؤخّر رأسه نحو الثلث بارزه عن ريش رأسه خضر موشّاه. تشبيه ثمّ أخذ فی وصف عنقه، و شبّه مخرجه بالإبريق و وجه الشبه الهيئه المعلومه بالمشابهه و کذلک مغرزه من رأسه إلی حيث بطنه يشبه فی لونه صبغ الوسمه فی السواد المشرق أو الحريره السوداء الملبسه مرآه ذات صقال فی سرابها و مخالطه بصيص المرآه لها أو المعجر الأسود إلاّ أنّ

ذلک السواد لکثره مائه و شدّه بریقه یخیّل للناظر أنّه ممتزج بخضره ناضره.

تشبیه ثمّ وصف الخلط الأبیض عند محلّ سمعه،و شبّهه فی دقّته و استوائه بخطّ القلم الدقیق ، و فی بیاضه بلون الاقحوان .ثمّ أجمل فی تعدید الألوان فقال: و قلّ صبغ إلاّ و قد أخذ منه بقسط و علاه :أی و زاد علی الصبغ استعاره بکثره صقاله و بریقه و بصیص دیباجه ، و لفظ الدیباج مستعار لریشه . تشبیه ثمّ رجع إلی تشبیهه بالأزاهیر المبثوثه ،و نبّه علی کمال قدره صانعها بأنّها مع ذلک لم تربّها أمطار الربیع :أی لم تعدّها لتلک الألوان أمطار ربیع و لا شموس قیظ لأنّه لمّا خیّل أنّها أزاهیر و کان من شأن الأزاهیر المختلفه أنّها لا تتکوّن إلاّ فی زمن الربیع بإمطاره و حراره الشمس المعدّه لتنویره أراد أن یبیّن عظمه صانعها بأنّها مع کونها أزاهیر خلقها بغیر مطر و لا شمس .ثمّ أخبر عن حاله له اخری هی محلّ الاعتبار فی حکمه الصانع و قدرته، و هو أنّه یتحسّر و یعری من ذلک الریش الحسن شیئا بعد شیء،ثمّ ینبت جمیعا کلّ ریشه موضع ریشه بلونها الأوّل من غیر زیاده أو نقصان حتّی کأنّها هی، تشبیه و شبّهه فی سقوطه و نباته بتحاتّ أوراق الشجر من الأغصان و نباتها .ثمّ نبّه علی وجود حکمه الصانع فی الشعره الواحده من شعرات ریشه بأنّک إذا تأمّلتها أرتک من شفافیّتها و شدّه بصیصها تاره حمره کحمره الورد،و تاره خضره کخضره الزبرجد.و تاره صفره کصفره الذهب .ثمّ عقّب ذلک الوصف البلیغ باستبعاد وصول الفطن العمیقه إلی صفه هذا ،و أراد العجز عن وصف علل هذه الألوان و اختلافها و اختصاص کلّ من مواضعها بلون غیر الآخر،و علل هیئاتها و سایر ما عدّده فإنّ أقلّ جزء منه ممّا یتحیّر الأوهام فی درک علّته و تقصر الألسن عن وصفه،و یحتمل أن یرید العجز عن استثبات جزئیّات أوصافه الظاهره و تشریحه فإنّ ما ذکره علیه السّلام و إن کان فی غایه البلاغه إلاّ أنّ فیه وراء ذلک جزئیّات لم یستثبتها الوصف.و هو الأقرب،و یؤیّده تنزیهه للّه تعالی باعتبار قهره للعقول عن وصف هذا المخلوق الّذی جلاّه و أظهره للعیون فأدرکته محدودا ملوّنا و مؤلّفا مکوّنا و أعجز الألسن عن تلخیص وصفه و تأدیه نعته .ثم نزّهه باعتبار أمر آخر و هو إحکامه قوائم الذرّه و الهمجه

و سائر ما فوقها كالحيتان و كبار حيوان البرّ كالفيله .ثمّ باعتبار حكمه و تقديره على كلّ حىّ منها ضروره الموت،و فيه تنبيه على ذكر هادم اللذّات.

و اعلم أنّه قد ذكرت للطاوس أحوال اخرى تخصّه أكثرها قالوا:إنّه غايه ما يعيش خمسا و عشرين سنه،و تبيض فى السنه الثالثه من عمره،و تبيض فى السنه مرّه واحده اثنتى عشره بيضه فى ثلاثه أيّام،و يحضنها ثلاثين يوما فتفرخ،و تحتّ ريشه عند سقوط ورق الشجر و ينبت مع ابتداء نبات ورقه

القسم الثانى منها فى صفه الجنه:

اشاره

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِکَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَکَ مِنْهَا- لَعَزَفَتْ نَفْسُکَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا- مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا- وَ لَذَهِلَتْ بِالْفِکْرِ فِي اصْطِفَافِ أَشْجَارٍ- غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي کُثْبَانِ الْمِسْکِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا- وَ فِي تَعْلِيقِ کَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَ أَفْنَانِهَا- وَ طُلُوعِ تِلْکَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَکْمَامِهَا- تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَکَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا- وَ يُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا- بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَهِ وَ الْخُمُورِ الْمُرَوَّقَهِ- قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْکَرَامَهُ تَتَمَادَى بِهِمْ- حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ وَ أَمِنُوا نُقْلَهَ الْأَسْفَارِ- فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَکَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ- بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْکَ مِنْ تِلْکَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَهِ- لَزَهِقَتْ نَفْسُکَ شَوْقاً إِلَيْهَا- وَ لَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا- إِلَى مُجَاوَرَهِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا- جَعَلَنَا اللَّهُ وَ إِيَّاکُمْ مِمَّنْ يَسْعَى

بِقَلْبِهِ- إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ

اللغه

أقول: عزفت: زهدت و انصرفت .و الكبايس: جمع كباسه و هى العذق .

و العساليج: الغصون واحدها عسلوج ،و كذلك الأفنان جمع فنن .و الأكمام جمع كمامه بكسر الكاف:و هى غلاف الطلع .و العسل المصفّق: المصفىّ .

المعنى

استعاره و قوله: فلو رميت ببصر قلبك.

استعاره لطيفه:أى لو نظرت بعين بصيرتك و فكرت فى معنى ما وصف لك من متاع الجنّه لم تجد لشىء من بدائع ما اخرج إلى الدنيا من متاعها إلى شىء من متاع الجنّه إلاّ نسبه و هميّه،إذا لا حظتها نفسك عزفت و أعرضت عن متاع الدنيا و ما يعدّ فيها لذّه ،و غابت بفكرها فى اصطفاق الأشجار الموصوفه فيها و تمايل أغصانها . استعاره مرشحه ثمّ وصف أشجارها و أنهارها و ساير ما عدّده من متاع الجنّه وصفا لا مزيد عليه.فهذه هى الجنّه المحسوسه الموعوده،و أنت بعد معرفتك بقواعد التأويل و حقايق ألفاظ العرب و مجازاتها و استعاراتها و تشبيهاتها و تمثيلاتها و ساير ما عدّدناه لك فى صدر الكتاب من قواعد علم البيان،و كان لك مع ذلك ذوق طرف من العلم الإلهىّ أمكنك أن تجعل هذه الجنّه المحسوسه سلّما و مثالا لتعقّل الجنّه المعقوله و متاعها كتأويلك مثلا أشجار الجنّه استعاره للملائكه السماويّه و الاصطفاق ترشيح تلك الاستعاره ، استعاره و كثبان المسك استعاره للمعارف و الكمالات الّتى لهم من واهب الجود و هم مغمورون فيها و قد وجدوا لها و منها كما تنبت الأشجار فى الكثبان،و لفظ الأنهار استعاره للملائكه المجرّدين عن التعلّق بالأجرام الفلكيّه باعتبار كون هذه الملائكه اصولا و مبادى للملائكه السماويّه كما أنّ الأنهار مبادى ممدّه لحياه الأشجار و أسباب لوجودها ،و اللؤلؤ الرطب و الثمار استعاره لما يفيض من تلك الأرواح من العلوم و الكمالات على النفوس القابله لها من غير بخل و لا منع.

فهى ثمارها تأتى على منيه مجتنيها بحسب استعداده لكلّ منها.و القوّه المتخيّله تحكى تلك الإفاضات فى هذه العبارات و الظواهر المحسوسه المعدوده و تكسوها

ص:٣١٣

صوره ما هو مشتهى للمتخيّل كلّ بحسب شهوته.و لـذلك كان فى الجنّه كلّ ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين و يتأهّل لحضوره فيحضـر لهـا عنـد إرادتها إيّاه،و كـذلك لفظ العسل و الخمر استعاره لتلك الإفاضات المشتهات الملـذّه للنفس بحسب محاكاه المتخيّله لها فى صوره هذا المشروب المحسوس المشتهى لبعض النفوس فتصوّره بصورته.

استعاره و قوله: ثمّ قوم لم تزل الكرامه.إلى قوله:الأسفار.

استعار لفظ التمادى الّذى هو من أفعال العقلاء لتأخّر الكرامه عنهم و انتظارهم لها فى الدنيا إلى غايه حلولهم دار القرار و حصول الكرامه لهم هناك و أمنهم من نقله الأسفار .ثمّ عقّب بتشويق المستمع إلى ما هناك.

و قوله: فلو شغلت قلبك.

أى أخذت فى إعداد نفسك الوصول إلى ما يهجم عليك:أى يفاض عليك من تلك الصور البهيّه المعجبه لزهقت نفسك:أى متّ شوقا إليها،و رحلت إلى مجاوره أهل القبور استعجالا لقربهم إلى ما يشتاق إليه .ثمّ ختم الخطبه بالدعاء لنفسه و للسامعين أن يعدّهم اللّه تعالى لسلوك سبيله و قطع منازل طريقه الموصله إلى منازل الأبرار و هى درجات الجنّه و مقاماتها.و باللّه التوفيق.

۱۶۵-و من كلام له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

:لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ- وَ لْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ- وَ لاَ تَكُونُوا كَجُفَاهِ الْجَاهِلِيَّهِ- لاَ فِى الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَ لاَ عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ- كَقَيْضِ بَيْضٍ فِى أَدَاحٍ- يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً وَ يُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً

اللغه

أقول: قيض البيض: كسره.تقول:قضت البيضه:كسرتها،و انقاضت:تصدّعت من غير كسر،و تقّيضت:تكسّرت فلقا .و الأداح: جمع ادحىّ افعول من الدحو

و هو الموضع الّذى تفرخ فيه النعامه .

المعنى

و قد أمر عليه السّلام صغيرهم بالتأسّى بكبيرهم لأنّ الكبير أكثر تجربه و علما و أكيس و أحزم فكان بالقدوه أولى،و أمر كبيرهم أن يرؤف بصغيرهم لأنّ الصغير بمظنّه الضعف و أهل لأن يرحم و يعذر لقلّه عقليّته للامور،و إنّما بدء بأمر الصغير لأنّه أحوج إلى التأديب.و الغايه من هذا الأمر انتظام امورهم و حصول الفتهم بما أمرهم به. تشبيه ثمّ نهاهم أن يشبهوا جفاه الجاهليّه فى عدم تفقّههم فى الدين و عدم عقليّتهم لأوامر اللّه فيشبهون إذن ببيض الأفاعى فى أعشاشها،و وجه الشبه أنّها إن كسرها كاسر أثم لتأذّى الحيوان به،و قيل:لأنّه يظنّ القطا فيأثم كاسره و إن لم يكسر يخرج حضانها شرّا إذ تخرج أفعى قاتلا فكذلك هؤلاء إذا أشبهوا جفاه الجاهليّه لا يحلّ لأحد أذاهم و إهانتهم لحرمه ظاهر الإسلام عليهم و إن أهملوا و تركوا على ما هم عليه من الجهل و قلّه الأدب خرجوا شياطين .و باللّه التوفيق.

القسم الثانى و منه

اشاره

اِفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ وَ تَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ- فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ- عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ؟لِبَنِى أُمَيَّهَ؟- كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ- يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ- ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَاباً- يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ- حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَهٌ- وَ لَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَهٌ- وَ لَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ وَ لاَ حِدَابُ أَرْضٍ- يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ فِى بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ- ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِى الْأَرْضِ- يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ- وَ يُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِى دِيَارِ قَوْمٍ- وَ ايْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِى أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَ التَّمْكِينِ- كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَهُ عَلَى النَّارِ

ص:۳۱۵

أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ- وَ لَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ- وَ لَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ- لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ ؟بَنِي إِسْرَائِيلَ؟- وَ لَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً- بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ- وَ قَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَ وَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ- وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ- سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ؟الرَّسُولِ؟ وَ كُفِيتُمْ مَئُونَةَ الِاعْتِسَافِ- وَ نَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ

اللغه

أقول: القزع: قطع السحاب المتفرّقه .و مستثارهم: موضع ثورانهم .

و القارّه: المستقرّ الثابت من الأرض .و الأكمه: التلّ .و الحداب: جمع حدب و هو ما ارتفع من الأرض .و الذعذعه بالذال المعجمه مرّتين: التفريق .و تهنوا. تضعفوا .

و توهين الباطل: إضعافه .و الفادح: المثقل .

المعنى

و الإشاره فى هذا الفصل إلى أصحابه،و أصلهم الّذى تشتّتوا عنه هو عليه السّلام، و افتراقهم بعد الفتهم هو افتراقهم إلى خوارج و غيرهم بعد اجتماعهم عليه .

و قوله: فمنهم آخذ بغصن.

أى يكون منهم من يتمسّك بمن أخلفه بعدى من ذريّه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أينما سلك سلك معه كالشيعه،و تقدير الكلام:و منهم من ليس كذلك.إلاّ أنّه استغنى بالقسم الأوّل لدلالته على الثانى.

و قوله : على أنّ اللّه تعالى سيجمعهم.

أى من كان على عقيدته فينا و من لم يكن لشرّ يوم لبنى اميّه، تشبيه و شبّه جمعه لهم و تأليفه بينهم بجمعه لقزع السحاب فى الخريف لتراكمهم بذلك الجمع كتراكم ذلك القزع،و وجه الشبه الاجتماع بعد التفرّق .و الأبواب الّتى يفتحها لهم إشاره إمّا إلى وجوه الآراء الّتى تكون أسباب الغلبه و الانبعاث على الاجتماع أو

أعمّ منها كساير الأسباب للغلبه من إعانه بعضهم لبعض بالأنفس و الأموال و غير ذلك، استعاره و استعار لخروجهم لفظ السيل ، تشبيه و شبّهه بسيل جنّتى مأرب و هما جنّتا سبأ المحكىّ عنها فى القرآن الكريم «فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ» (۱)الآيه ،و وجه الشبه الشدّه فى الخروج و إفساد ما يأتون إليه كقوّه ذلك السيل حيث لم يسلم عليه مرتفع من الأرض ،و لم يردّ طريقه و جريه جبل مرصوص:أى شديد الالتصاق.ثمّ قال : يذعذعهم اللّه فى بطون أوديته ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض ، و هو من ألفاظ القرآن،و المراد كما أنّ اللّه ينزّل من السماء ماء فيكنّه فى أعماق الأرض ثمّ يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرّقهم اللّه فى بطون الأوديه و غوامض الأرض ثمّ يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين،و يمكّن قوما من ملك قوم و ديارهم. تشبيه ثمّ أقسم ليذوبنّ ما فى أيدى بنى اميّه بعد علوّهم و تمكّنهم كما تذوب الأليه على النار ،و وجه الشبه الفناء و الاضمحلال .و مصداق هذه الأخبار ما كان من أمر الشيعه الهاشميّه و اجتماعها على إزاله ملك بنى اميّه من كان منهم ثابتا على ولاء علىّ و أهل بيته و من حاد منهم عن ذلك فى أواخر أيّام مروان الحمار عند ظهور الدعوه الهاشميّه .ثمّ عاد إلى توبيخ السامعين بالإشاره إلى سبب الطمع فيهم ممّن دونهم فى القوّه و المنزله و قوّته عليهم،و الإشاره إلى معاويه و أصحابه،و ذلك السبب هو تخاذلهم عن نصره الحقّ و تضاعفهم عن إضعاف الباطل،و هو فى معرض التوبيخ و اللائمه لهم. تشبيه ثمّ شبّه تيههم بمتاه بنى إسرائيل ،و وجه الشبه لحوق الضعف و المذلّه و المسكنه لهم حيث لم يجتمعوا على العمل بأوامر اللّه فرماهم بالتيه و ضرب عليهم الذلّه و المسكنه .

ثمّ أخبرهم بعاقبه أمرهم فى التخاذل،و هو إضعاف التيه و التفرّق بعده لالتفاتهم عن الحقّ و مقاطعه بعضهم له مع دنوّه و قربه من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و وصلهم لمعاويه و غيره مع بعده عنه .ثمّ أخذ فى إرشادهم و جذبهم إلى اتّباعه.فقال: إنّ اتّبعتم الداعى -و عنى نفسه- سلك بكم منهاج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و طريقه، و كفيتم مئونه

۱- ۱) ۱۵-۳۴

الاعتساف فی طرق الضلال،و ألقیتم ثقل الأوزار فی الآخره عن أعناق نفوسکم.و ظاهر کونهم فادحه.و یحتمل أن یرید بالثقل الفادح الأیّام مع ما یلحقهم فی الدنیا من الخطوب الفادحه بسبب عصیان الأنام و الخروج عن أمره.و باللّه التوفیق.

۱۶۶-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی أول خلافته

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَی أَنْزَلَ کِتَاباً هَادِیاً- بَیَّنَ فِیهِ الْخَیْرَ وَ الشَّرَّ- فَخُذُوا نَهْجَ الْخَیْرِ تَهْتَدُوا- وَ اصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا- الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُّوهَا إِلَی اللَّهِ تُؤَدِّکُمْ إِلَی الْجَنَّهِ- إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَیْرَ مَجْهُولٍ- وَ أَحَلَّ حلاَلاً غَیْرَ مَدْخُولٍ- وَ فَضَّلَ حُرْمَهَ الْمُسْلِمِ عَلَی الْحُرَمِ کُلِّهَا- وَ شَدَّ بِالْإِخْلاَصِ وَ التَّوْحِیدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِینَ فِی مَعَاقِدِهَا- فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَ یَدِهِ إِلاَّ بِالْحَقِّ- وَ لاَ یَحِلُّ أَذَی الْمُسْلِمِ إِلاَّ بِمَا یَجِبُ- بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّهِ وَ خَاصَّهَ أَحَدِکُمْ وَ هُوَ الْمَوْتُ- فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَکُمْ وَ إِنَّ السَّاعَهَ تَحْدُوکُمْ مِنْ خَلْفِکُمْ- تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا یُنْتَظَرُ بِأَوَّلِکُمْ آخِرُکُمْ- اتَّقُوا اللَّهَ فِی عِبَادِهِ وَ بِلاَدِهِ- فَإِنَّکُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّی عَنِ الْبِقَاعِ وَ الْبَهَائِمِ- وَ أَطِیعُوا اللَّهَ وَ لاَ تَعْصُوهُ- وَ إِذَا رَأَیْتُمُ الْخَیْرَ فَخُذُوا بِهِ- وَ إِذَا رَأَیْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ

اللغه

أقول: اصدفوا: أعرضوا .و تقصدوا: تعدلوا .و معاقدها: مواضعها .

المعنی

و صدّر الفصل بالتنبیه علی فضیله الکتاب،و هی کونه هادیا إلی طریق

الخیر و الشر.ثم أمر بأخذ طریق الخیر لکونه طریق الهدی الی المطالب الحقیقیّه الباقیه،و بالإعراض عن طریق الشرّ و سمته لاستلزام الإعراض عنه لزوم طریق الحقّ و الاستقامه فیه .ثمّ أمر بأداء الفرائض لأنّها أقوی طرق الخیر،و لذلک قال: تؤدّکم إلی الجنّه لأنّ الجنّه منتهی الخیر کلّه .ثمّ بیّن أنّ اللّه حرّم حراما غیر مجهول بل هو فی غایه الوضوح،و کذلک أحلّ حلالا غیر مدخول:

أی لا عیب فیه و لا شبهه فلا عذر لمن ترکه ، و فضّل حرمه المسلم علی الحرم کلّها ، و هذا لفظ الخبر النبویّ:حرمه المسلم فوق کلّ حرمه دمه و عرضه و ماله. و شدّ بالإخلاص و التوحید حقوق المسلمین فی معاقدها :أی ربطها بهما و أوجب علی المخلصین المعترفین بوحدانیّته المحافظه علی حقوق المسلمین و مراعات مواضعها، و قرن توحیده بذلک حتّی صار فضله کفضل التوحید .ثمّ عرّف المسلم ببعض صفات المسلم الحقّ،و هو من سلم المسلمون من یده و لسانه إلاّ أن تکون ید حقّ أو لسان حقّ.و هو لفظ الخبر النبویّ أیضا.

و قوله: لا یحلّ أذی المسلم إلاّ بما یجب.

کقوله: إلاّ بالحقّ .أورده تأکیدا له ثمّ عقّب بتنبیههم علی أمر العامّه و خاصّه أحدهم و هو الموت:أی ذلک الأمر هو الموت،و إنّما کان مع عمومه لکلّ الحیوان خاصّه أحدهم لأنّ له مع کلّ شخص خصوصیّه و کیفیّه مخالفه لحاله مع غیره، و أمر بمبادرته.أی بمبادره العمل له و لما بعده قبل سبقه إلیهم ،و نبّههم علی أنّ الناس أمامهم:أی قد سبقوهم إلی الآخره و الساعه تحدوهم من خلفهم ،و أمر بالتخفیف للّحاق بهم،و حثّهم علی ذلک بقوله: فإنّما ینتظر بأوّلکم آخرکم :

أی السابقین إلی الآخره اللاحقین منکم لیبعث الکلّ جمیعا،و قد سبقت هذه الألفاظ بعینها و شرحها مستوفی .ثمّ أمر بتقوی اللّه فی عباده و ذلک بلزوم خوفه فی مراعاه ما ینبغی لکلّ أحد مع غیره،و فی بلاده بترک الفساد فی الأرض، و نبّه علی وجوب ذلک باستعقاب کلّ عمل و إن قلّ للسؤال عنه،و مناقشه الحساب علیه حتّی عن البقاع.فیقال:لم استوطنتم هذا المکان و زهدتم فی ذلک؟و عن

البهایم.فیقال:لم ضربتم هذه و قتلتم هذه و لم أوجعتموها؟،و إلیه الإشاره بقوله تعالی «وَ لَتُسْئَلُنَّ عَمّا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (۱)و قوله «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ» (۲)قیل:هو شبع البطن و بارد الشراب و لذّه النوم و ظلال المساکن و اعتدال الخلق،و قوله تعالی «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً» (۳)فیقال:لم أشغلت قلبک و سمعک؟،و فی الخبر الصحیح النبویّ إنّ اللّه عذّب إنسانا بهره حبسه فی بیت و أجاعه حتّی هلک .ثمّ أجمل القول بعد تفصیله و أمر بطاعه اللّه و نهی عن معصیته و أرشده إلی الأخذ بالخیر عند رؤیته و الإعراض عن الشرّ عن رؤیته.

۱۶۷-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

بعد ما بویع بالخلافه،

و قد قال له قوم من الصحابه:لو عاقبت قوما ممن أجلب علی عثمان؟فقال علیه السّلام:

یَا إِخْوَتَاهْ إِنِّی لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ- وَ لَکِنْ کَیْفَ لِی بِقُوَّهٍ وَ الْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ- عَلَی حَدِّ شَوْکَتِهِمْ یَمْلِکُونَنَا وَ لاَ نَمْلِکُهُمْ- وَ هَا هُمْ هَؤُلاَءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُکُمْ- وَ الْتَفَّتْ إِلَیْهِمْ أَعْرَابُکُمْ- وَ هُمْ خِلاَلَکُمْ یَسُومُونَکُمْ مَا شَاءُوا- وَ هَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَهٍ عَلَی شَیْءٍ تُرِیدُونَهُ- إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِیَّهٍ- وَ إِنَّ لِهَؤُلاَءِ الْقَوْمِ مَادَّهً- إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّکَ عَلَی أُمُورٍ- فِرْقَهٌ تَرَی مَا تَرَوْنَ وَ فِرْقَهٌ تَرَی مَا لاَ تَرَوْنَ- وَ فِرْقَهٌ لاَ تَرَی هَذَا وَ لاَ ذَاکَ- فَاصْبِرُوا حَتَّی یَهْدَأَ النَّاسُ وَ تَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا- وَ تُؤْخَذَ الْحُقُوقُ

۱- ۱) ۹۵-۱۶.

۲- ۲) ۸-۱۰۲.

۳- ۳) ۳۸-۱۷.

مُسْمَحَهً- فَاهْدَءُوا عَنِّى وَ انْظُرُوا مَا ذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِى- وَ لاَ تَفْعَلُوا فَعْلَهً تُضَعْضِعُ قُوَّهً وَ تُسْقِطُ مُنَّهً- وَ تُورِثُ وَهْناً وَ ذِلَّهً وَ سَأُمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَکَ- وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ

اللغه

أقول: أجلب عليه: جمع .و شوكتهم: قوّتهم .و العبدان بتشديد الدال و تخفيفها و كسر العين و ضمّها: جمع عبد .و التفّت: انضمّت .و يسومونكم:

يكلّفونكم .و مسمحه: مسهله ،

المعنى

و الألف فى إخوتاه هى المنقلبه عن ياء النفس المضاف إليه،و الهاء للسكت.

و اعلم أنّ هذا الكلام اعتذار منه عليه السّلام فى تأخير القصاص عن قتله عثمان.

و قوله: إنّى لست أجهل ما تعملون.

دليل على أنّه كان ذلك فى نفسه،و حاصل هذا العذر عدم التمكّن كما ينبغى، و لذلك قال: و كيف لى بقوّه و القوم على حدّ شوكتهم .و صدقه عليه السّلام ظاهر فإنّ أكثر أهل المدينه كانوا من المجلبين عليه،و كان من أهل مصر و من الكوفه خلق عظيم حضروا من بلادهم و قطعوا المسافه البعيده لذلك و انضمّ إليها أعراب أجلاف من الباديه و عبدان المدينه.فكانوا فى غايه من شدّه الشوكه حال اجتماعهم،و ثاروا ثوره واحده،و لذلك قال : و القوم مجلبون.إلى قوله:يسومونكم ما شاءوا.

و روى أنّه عليه السّلام جمع الناس و وعظهم.ثمّ قال:لتقم قتله عثمان فقام الناس بأسرهم إلاّ القليل،و كان ذلك الفعل منه استشهادا على صدق قوله عليه السّلام: و القوم على حدّ شوكتهم.

و مع تحقّق هذه الحال لا يبقى له موضع قدره على شىء من أمرهم.ثمّ قال على سبيل قطع لجاج الطالبين مخاطبا لهم : إنّ هذا الأمر أمر الجاهليّه .يريد أمر المجلبين عليه إذ لم يكن قتلهم إيّاه بمقتضى الشريعه.إذ الصادر عنه من الأحداث لا يجب فيها قتل. و إنّ لهؤلاء القوم مادّه :أى معينين و ناصرين .ثمّ

قسّم حال النّاس على تقدير الشروع فى أمر القصاص إلى ثلاثه أقسام،و هو احتجاج منه على الطالبين و تضعيف لرأيهم بقياس ضمير من الشكل الأوّل مركّب من شرطيّتين متّصلتين صغراهما قوله: إنّ هذا الأمر إذا حرّك كان النّاس فيه على امور ،و تقدير الكبرى و إذا كان النّاس فيه على امور لم يتمكّن من إتمامه و فعله.

فينتج أنّ هـذا الأمر إذا حرّك لا يتمّ فعله.ثمّ عـدّ تلك الامور،و هى أنّ فرقه ترى كونه مصيبا كما رأى الطالبون،و فرقه ترى أنّه مخطئ و هم أنصار المقتصّ منهم،و فرقه لا ترى هـذا و لا ذاك بل تتوقّف كما جرى ذلك فى أمر التحكيم .ثمّ أمرهم بالصبر إلى غايه هدوء النّاس.إذ بيّن لهم أنّه لا مصلحه فى تحريك الأمر حينئذ فإنّ الحقوق عند هدوء الناس و استقرار القلوب أسهل مأخذا.

و قوله : فاهدءوا عنّى و انظروا ما ذا يأتيكم به من أمرى.

يدلّ على ترصّده و انتظاره للفرصه من هذا الأمر.ثمّ خوّفهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكه الدين و يورث وهنه فإنّه لو شرع فى عقوبه النّاس و القبض عليهم لم يؤمن من تجدّد فتنه اخرى أعظم من الأولى،و هو غالب الظنّ.فكان الأصوب فى التدبير و الّذى يقتضيه العقل و الشرع الإمساك إلى حين سكون الفتنه و تعرّق اولئك الشعوب و رجوع كلّ قوم إلى بلادهم،و ربّما كان عليه السّلام ينتظر مع ذلك أن يحضر بنو عثمان للطلب بدمه،و يعيّنون قوما بأعيانهم بعضهم للقتل و بعضهم للحصار كما جرت عاده المتظلّمين إلى الإمام ليتمكّن من العمل بحكم اللّه.فلم يقع الأمر كذلك،و عصى معاويه و أهل الشام و التجأ إليه ورثه عثمان،و فارقوا حوزه أمير المؤمنين عليه السّلام و لم يطلبوا القصاص طلبا شرعيّا،و إنّما طالبوه مغالبه،و جعلها معاويه عصبيّه جاهليّه،و لم يأت أحد منهم الأمر من بابه،و قيل:ذلك ما كان من أمر طلحه و الزبير و نقضهما للبيعه و نهبهما أموال المسلمين بالبصره و قتلهما للصالحين من أهلها،و كلّ تلك الامور الّتى جرت مانعه للإمام عن التصدىّ للقصاص، و لذلك قال عليه السّلام لمعاويه فى بعض كلامه:فأمّا طلبك بدم عثمان فادخل فى الطاعه و حاكم القوم إلىّ أحملك و إيّاهم على كتاب اللّه و سنّه رسوله.

فأمّا قوله : و سأمسک الأمر ما استمسک.إلی آخره.

فاعلم أنّ هذا الکلام إنّما صدر عنه علیه السّلام بعد إکثار القول علیه فی أمر عثمان و اضطراب الأمر من قبل طلحه و الزبیر و نکثهما للبیعه بسبب هذه الشبهه مع کونهما من أکابر الصحابه،و تشتّت قلوب کثیر من المسلمین عنه.فحینئذ أشار بعض الصحابه بأخذ القصاص من قتله عثمان تسکینا لفتنه طلحه و الزبیر و معاویه لغلبه الظنّ حینئذ بمخالفته و اضطراب أمر الشام فقال الکلام:أی قد أبدیت هذا العذر فإن لم یقبلوا منّی فسأمسک الأمر:أی أمر الخلافه بجهدی فإذا لم أجد بدّا :أی من قتال من یبغی و ینکث فآخر الدواء الکیّ :أی الحرب و القتال لأنّها الغایه الّتی ینتهی أمر العصاه إلیها و مداواه أمراض قلوبهم کما تنتهی مداواه المریض إلی أن یکوی.و باللّه التوفیق.

۱۶۸-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

عند مسیر أصحاب الجمل إلی البصره

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِیاً بِکِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَائِمٍ- لاَ یَهْلِکُ عَنْهُ إِلاَّ هَالِکٌ- وَ إِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِکَاتُ- إِلاَّ مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا- وَ إِنَّ فِی سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَهً لِأَمْرِکُمْ- فَأَعْطُوهُ طَاعَتَکُمْ غَیْرَ مُلَوَّمَهٍ وَ لاَ مُسْتَکْرَهٍ بِهَا- وَ اللَّهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَیَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْکُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلاَمِ- ثُمَّ لاَ یَنْقُلُهُ إِلَیْکُمْ أَبَداً- حَتَّی یَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَی غَیْرِکُمْ إِنَّ هَؤُلاَءِ قَدْ تَمَالَئُوا عَلَی سَخْطَهِ إِمَارَتِی- وَ سَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَی جَمَاعَتِکُمْ- فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَی فَیَالَهِ هَذَا الرَّأْیِ- انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِینَ- وَ إِنَّمَا

طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ- فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا- وَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى- وَ سِيرَهِ رَسُولِ اللَّهِ ص- وَ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَ النَّعْشُ لِسُنَّتِهِ

اللغه

أقول: يأرز: ينحاز و ينقبض .و تمالئوا: اجتمعوا .و الفياله: الضعف .و النعش:

الرفع .

المعنى

و قوله: إنّ اللّه بعث .إلى قوله: هالك.

تصدير للفصل بالامور الجامعه للمسلمين الّتى هى اصول دولتهم و تذكير لهم بها ليرجعوا إليها. و أمر قائم :مستقيم.

و قوله: لا يهلك عنه إلّا هالك.

أى لا يهلك من مخالفته إلّا أعظم هالك كما تقول لا يعلم هذا الفنّ من العلم إلّا عالم:أى من بلغ الغايه من العلم .

و قوله: و إنّ المبتدعات المشبهات هنّ المهلكات إلّا ما حفظ اللّه.

لمخالفتها الكتاب و السنّه الجامعين لحدود اللّه و خروجها عنهما،و أراد الهلاك الاخروىّ.

و قوله: إلّا من حفظ اللّه.

استثناء من المهلكات:أى إلّا ما حفظ اللّه منها بالعصمه عن ارتكابها.

إذ لا تكون مهلكه إلّا لمن ارتكبها،و المشبهات ما أشبه السنن و ليس منها،و روى المشبّهات بتشديد الباء و فتحها،و هو ما شبّه على الناس و ليس.و روى المشتبهات:

أى الملتبسات ،و سلطان اللّه هو سلطان الإسلام،و أراد سلطان دين اللّه فحذف المضاف،و يحتمل أن يريد بسلطان اللّه نفسه لكونه خليفه له فى أرضه،و إنّما أضافها إليه اعتزازا به،و ظاهر أنّ فيه منعه و عصمه لهم فإنّ الّذى نصرهم و هم قليلون حىّ قيّوم فبالأولى أن ينصرهم على كثرتهم بشرط طاعته الخالصه و

الدخول فی أمر سلطانه.و لذلک قال: فأعطوه طاعتکم غیر ملوّمه :أی غیر ملوم صاحبها بالنسبه إلی النفاق و الریاء و لا مستکره بها :و یروی غیر ملویّه:أی معوجّه .ثمّ أخذ فی وعیدهم إن لم یطیعوا بنقل اللّه عنهم سلطان الإسلام من غیر أن یردّه إلیهم أبدا حتّی یصیر الأمر إلی غیرهم،و أراد أمر الخلافه.ثمّ إن جعلنا حتّی و ما بعدها غایه لنقل السلطان عنهم لم یفهم منها عوده إلیهم،و إن جعلناها غایه من عدم نقله إلیهم فهم منها ذلک.

فإن قلت:لم قال لا یرجع إلیهم أبدا و قد عاد بالدوله العباسیّه؟.

قلت:اجیب من وجوه:الأوّل:أنّ القوم الّذین خاطبهم من أصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدوله إلیهم أبدا فإنّ اولئک بعد انقضاء دوله بنی امیّه لم یبق منهم أحد.ثمّ لم یرجع إلی أحد من أولادهم أصلا.الثانی:أنّه قیّد بالغایه فقال:

لا یصیر إلیکم حتّی یصیر فی قوم آخرین،و ظاهر أنّه کذلک بانتقاله إلی بنی امیّه.

الثالث:قال بعض الشارحین:إنّما عاد لأنّ الشرط لم یقع و هو عدم الطاعه فإنّ أکثرهم أطاعه طاعه غیر ملوّمه و لا مستکره بها.الرابع:قال قوم:أراد بقوله:

أبدا المبالغه کما تقول لغریمک:لا حبسنّک أبدا،و المراد بالقوم الّذین یأرز إلیهم هذا الأمر بنو امیّه کما هو الواقع.

و قوله : إنّ هؤلاء قد تمالئوا.

إشاره إلی طلحه و الزبیر و عایشه و أتباعهم،و أومی إلی أنّ مسیرهم لسخطهم من أمارته لا ما أظهروه من الطلب بدم عثمان .ثمّ وعد بالصبر علیهم ما دام لا یخاف علی حوزه الجماعه،و أخبرهم أنّهم إن بقوا علی ضعف رأیهم فی مسیرهم و مخالفتهم قطعوا نظام المسلمین و فرّقوا جماعتهم.

و قوله : إنّما طلبوا.إلی قوله:علیه.

بیان لعلّه سخطهم لأمارته و هی الحسد علی الدنیا لمن أفاء اللّه علیه،و الإشاره إلی بیت الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قوله: فأرادوا ردّ الامور علی أدبارها .

ص:۳۲۵

أى أرادوا إخراج هـذا الأمر عن أهل بيت الرسول آخرا كما أخرجوه أوّلا،أو صرف هـذا الأمر عنهم بعد إقباله إلى ما كان عليه من إدباره عنهم .ثمّ أخبر بما عليه من الحقّ إن أطاعوه الطاعه غير المدخوله،و هى أن يعمل فيهم بكتاب اللّه و يسير سيره رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و القيام بحقوقه الّتى أوجبها و إقامه سننه، و ذلك هو الواجب على الإمام.و باللّه التوفيق.

۱۶۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

كلّم به بعض العرب

، و قد أرسله قوم من أهل البصره لمّا قرب عليه السّلام منها ليعلم لهم منه حقيقه حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهه من نفوسهم فبيّن له عليه السّلام من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ.ثمّ قال له:بايع.فقال:إنّى رسول قوم و لا احدث حدثا دونهم حتّى أرجع إليهم.كذا فى أكثر النسخ لكن فى آخر بعضها بعد قول الرجل«فبايعته عليه السّلام».و الرجل يعرف بكليب الجرمىّ.

أَ رَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً- تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ- فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَ أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلَإِ وَ الْمَاءِ- فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَ الْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعاً- قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَ مُخَالِفَهُمْ إِلَى الْكَلَإِ وَ الْمَاءِ-فقال عليه السلام:

فامدد إذا يدك!فقال الرجل:فو اللّه ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجه على،فبايعته عليه السّلام

المعنى

أقول:الجرمىّ:منسوب إلى بنى جرم،و كان قوم من أهل البصره بعثوه إليه عليه السّلام ليستعلم حاله أهو على حجّه أم على شبهه؟فلمّا رآه و سمع لفظه لم يتخالجه شكّ فى صدقه فبايعه،و كان بينهما الكلام المنقول. تمثيل و لا ألطف من التمثيل الّذى جذبه به عليه السّلام فالأصل فى هذا التمثيل هو حاله هذا المخاطب فى وجدانه للماء

ص:۳۲۶

و الکلاء علی تقدیر کونه رائدا لهما،و الفرع هو حاله فی وجدانه للعلم و الفضائل و الهدایه عنده،و الحکم فی الأصل هو مخالفته لأصحابه إلی الماء و الکلاء علی تقدیر وجدانه لهما و مخالفه أصحابه له،و علّه ذلک الحکم فی الأصل هو وجدانه للکلاء و الماء،و لمّا کان المشبّه لهذه العلّه و هو وجدانه للفضائل و العلوم الّتی هی غذاء النفوس و مادّه حیاتها کما أنّ الکلاء و الماء غذاء للأبدان و مادّه حیاتها موجود لهذا الرائد فی الفرع و هو حاله وجدانه للعلم و الفضل و الهدایه وجب عن تلک العلّه مثل الحکم فی الأصل و هو مخالفه أصحابه إلی الفضل و العلم و الهدایه عنده علیه السّلام و لزوم أن یبایع.و لذلک قال له:فامدد إذن یدک.و هو تمثیل لا تکاد النفس السلیمه عند سماعه أن تقف دون الانفعال عنه و الإذعان له ،و لذلک أقسم الرجل أنّه لم یستطع الامتناع عند قیام هذه الحجّه فبایع .و باللّه التوفیق.

۱۷۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

لما عزم علی لقاء القوم بصفین

اَللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَ الْجَوِّ الْمَکْفُوفِ- الَّذِی جَعَلْتَهُ مَغِیضاً لِلَّیْلِ وَ النَّهَارِ- وَ مَجْرًی لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ مُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّیَّارَهِ- وَ جَعَلْتَ سُکَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلاَئِکَتِکَ- لاَ یَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِکَ- وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِی جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ- وَ مَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَ الْأَنْعَامِ- وَ مَا لاَ یُحْصَی مِمَّا یُرَی وَ مَا لاَ یُرَی- وَ رَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِی الَّتِی جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً- وَ لِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَی عَدُوِّنَا- فَجَنِّبْنَا الْبَغْیَ وَ سَدِّدْنَا لِلْحَقِّ- وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَیْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَهَ- وَ اعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَهِ

ص:۳۲۷

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ- وَ الْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ- الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَ الْجَنَّهُ أَمَامَكَمْ

اللغه

أقول: مغيضا لهما: أى مغيبا .و السبط: القبيله .

المعنى

و قد دعا اللّه سبحانه باعتبار كونه ربّا للسماء و الأرض و باعتبار ما فيهما من الآيات المتبّهه على كمال عظمته و لطفه بخلقه،و هذا الدعاء ممّا تستعدّ به القلوب و الأبدان لاستفاضه الغلبه و النصر على العدوّ.و السقف المرفوع :السماء.و كذلك الجوّ المكفوف ،و قد مرّت الإشاره إلى ذلك فى الخطبه الاولى، استعاره و كونه مغيضا للّيل و النهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمه لحركه الشمس إلى وجه الأرض يكون سببا لغيبوبه الليل،و استلزام حركته لحركاتها عن وجه الأرض يكون سببا لغيبوبه النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار له لفظ المغيض .و كونه محلاّ لجرى الشمس و القمر و محلّ اختلاف النجوم السيّاره ظاهر.و ليس فيه دلاله على أنّ النجوم تتحرّك:

بذاتها من دون حركته.و الطائفه من الملائكه إشاره إلى الأرواح الفلكيّه ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ لأجرامها،و قد سبقت الإشاره إليهم و بيان أنّهم لا يسأمون من العباده فى الخطبه الاولى .ثمّ دعاه باعتبار كونه ربّا للأرض،و باعتبار ما بسطها لأجله من كونها قراراً للأنام و مدرجا للهوامّ و الأنعام و ما لا يحصى ممّا يرى و لا يرى من أنواع الحيوان.قال بعض العلماء:من أراد أن يعرف حقيقه قوله عليه السّلام:ما يرى و ما لا يرى فليوقد نارا صغيره فى فلاه فى ليله صيفيّه و ينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبه الخلق لم يشاهدها هو و لا غيره.و أقول:يحتمل أن يريد بقوله:و ما لا يرى ما ليس من شأنه أن يرى إمّا لصغره أو لشفافيّته .ثمّ باعتبار كونه ربّا للجبال،و قد علمت معنى كونها أوتادا للأرض.فأمّا كونها اعتمادا للخلق فلأنّهم قد يبنون بها المساكن و يقوم فيها من المنافع ما لا يقوم فى الأوديه لكثير من الأشجار و الثمار،و لأنّها معادن الينابيع و منابع المعادن،و ظاهر كونها إذن معتمدا للخلق فى مراتعهم و منافعهم .ثمّ سأل على تقدير نصره أن يجنّبه

البغی و هو العبور إلی طرف الإفراط من فضیله العدل ثمّ التسدید و الاستقامه علی فضیله العدل و هو الحقّ ،و علی تقدیر إظهار عدوّه علیه الشهاده و العصمه من فتنه الغبن و الانقهار فإنّ المغلوب إذا کان معتقدا أنّه علی الحقّ قلّما یسلم من التسخّط علی البخت و التعتّب علی ربّه،و ربّما کفر کثیر من الناس عند نزول البلاء بهم.و ظاهر کونه فتنه:أی صارفا عن اللّه.و اعتصم علیه السّلام من تلک الفتنه و أمثالها استثباتا لنفسه علی الحقّ و تأدیبا للسامعین .ثمّ أخذ فیما العاده أن یستحمی به الإنسان أصحابه فی الحرب،و یستثیر به طباعهم:من الاستفهام عن حامی الذمار ، و الّذی تصیبه الغیره من أهل المحافظه عند نزول الحقائق:أی عظائم الامور و شدائدها.ثمّ قال : النار ورائکم :أی إنّ رجوعکم القهقری هربا من العدوّ مستلزم لدخولکم النار و استحقاقکم لها، و الجنّه أمامکم :أی فی إقدامکم علی العدوّ و التقدّم إلی مناجزته،و هو کلام فی غایه الوجازه و البلاغه.

۱۷۱-و من خطبه له علیه السّلام

القسم الأول

اشاره

:اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی لاَ تُوَارِی عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً- وَ لاَ أَرْضٌ أَرْضاً

المعنی

أقول:حمد اللّه تعالی باعتبار إحاطه علمه بالسماوات و الأرضین،و استلزم ذلک تنزیهه تعالی عن وصف المخلوقین.إذ کانوا فی إدراکهم لبعض الأجرام السماویه و الأرضیّه محجوبین عمّا ورائها،و علمه تعالی هو المحیط بالکلّ الّذی لا یحجبه السواتر و لا تخفی علیه السرائر.

القسم الثانی منها

اشاره

:وَ قَدْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّکَ عَلَی هَذَا الْأَمْرِ یَا؟ابْنَ أَبِی طَالِبٍ؟ لَحَرِیصٌ- فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَ اللَّهِ لَأَحْرَصُ وَ أَبْعَدُ وَ أَنَا أَخَصُّ وَ أَقْرَبُ- وَ إِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِی وَ أَنْتُمْ تَحُولُونَ بَیْنِی وَ بَیْنَهُ- وَ تَضْرِبُونَ وَجْهِی دُونَهُ- فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّهِ فِی الْمَلَإِ الْحَاضِرِینَ- هَبَّ کَأَنَّهُ بُهِتَ لاَ یَدْرِی مَا یُجِیبُنِی بِهِ

اللَّهُمَّ إِنِّی أَسْتَعْدِیکَ عَلَی؟قُرَیْشٍ؟ وَ مَنْ أَعَانَهُمْ- فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِی وَ صَغَّرُوا عَظِیمَ مَنْزِلَتِیَ- وَ أَجْمَعُوا عَلَی مُنَازَعَتِی أَمْراً هُوَ لِی- ثُمَّ قَالُوا أَلَا إِنَّ فِی الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِی الْحَقِّ أَنْ تَتْرُکَهُ

المعنی

أقول:هذا الفصل من خطبه یذکر فیها علیه السّلام ما جری له یوم الشوری بعد مقتل عمر،و الّذی قال له هذا القول هو سعد بن أبی وقّاص مع روایته فیه:أنت منّی بمنزله هرون من موسی.و هو محلّ التعجّب.فأجابه بقوله : بل أنتم و اللّه أحرص و أبعد :أی أحرص علی هذا الأمر و أبعد من استحقاقه.و هو فی صوره احتجاج بقیاس ضمیر من الشکل الأوّل مسکت للقائل صغراه ما ذکر،و تقدیر کبراه:

و کلّ من کان أحرص علی هذا الأمر و أبعد منه فلیس له أن یعیّر الأقرب إلیه بالحرص علیه.

و قوله: و أنا أخصّ و أقرب.

صغری قیاس ضمیر احتجّ به علی أولویّته بطلب هذا الأمر،و تقدیر کبراه:و کلّ من کان أخصّ و أقرب إلی هذا الأمر فهو أولی بطلبه،و روی أنّ هذا الکلام قاله یوم السقیفه،و أنّ الّذی قال له:إنّک علی هذا الأمر لحریص.هو أبی عبیده بن الجرّاح،و الروایه الاولی أظهر و أشهر .و روی عوض بهت هبّ:أی انبته کأنّه کان غافلا ذاهلا عن الحجّه فاستیقظ من غفلته .

ثمّ أخذ فی استعانه اللّه تعالی علی قریش و من أعانهم علیه،و شکا امورا:منها قطع رحمه فإنّهم لم یراعو قربه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و منها تصغیر عظیم منزلته بعدم التفاتهم إلی ما ورد من النصوص النبویّه فی حقّه،و منها اتّفاقهم علی منازعته أمر الخلافه الّذی یری أنّه أحقّ به منهم.

و قوله : ثمّ قالوا:إلی آخره.

أی إنّهم لم یقتصروا علی أخذ حقّی ساکتین عن دعوی کونه حقّا لهم و لکنّهم

أخذوه مع دعواهم أنّ الحقّ لهم،و أنّه يجب علىّ أن أترك المنازعه فيه.فليتهم أخذوه معترفين أنّه حقّ لى فكانت المصيبه أهون،و روى نأخذه و نتركه بالنون فى الكلمتين،و عليه نسخه الرضى-رضوان اللّه عليه-و المراد إنّا نتصرّف فيه كما نشاء بالأخذ و الترك دونك،و هذه شكايه ظاهره لا تأويل فيها.

القسم الثالث منها فى ذكر أصحاب الجمل:

اشاره

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَهَ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟- كَمَا تُجَرُّ الْأَمَهُ عِنْدَ شِرَائِهَا- مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى؟الْبَصْرَهِ؟- فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِى بُيُوتِهِمَا- وَ أَبْرَزَا حَبِيسَ ؟رَسُولِ اللَّهِ ص؟ لَهُمَا وَ لِغَيْرِهِمَا- فِى جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ قَدْ أَعْطَانِى الطَّاعَهَ- وَ سَمَحَ لِى بِالْبَيْعَهِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ- فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِى بِهَا- وَ خُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا- فَقَتَلُوا طَائِفَهً صَبْراً وَ طَائِفَهً غَدْراً- فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ- إِلَّا رَجُلًا وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ- بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ لَحَلَّ لِى قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ- إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا- وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَ لَا بِيَدٍ- دَعْ مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ- مِثْلَ الْعِدَّهِ الَّتِى دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ

اللغه

أقول: جرّه: جناه .

المعنى

اشاره

و مقصود الفصل إظهار عذره فى قتال أصحاب الجمل.و ذكر لهم ثلاث كبائر من الذنوب تستلزم إباحه قتالهم و قتلهم :

الاولى:

تشبيه خروجهم بحرمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و حبيسه يجرّونها كما تجرّ الأمه

ص:۳۳۱

عند شرائها مع حبسهما لنسائهما و محافظتهما عليهنّ،و ضمير التثنيه فی حبسا لطلحه و الزبير،و وجه الشبه انتهاک الحرمه و نقصانها فی إخراجها،و فی ذلک جرأه علی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم .و روی عکرمه عن ابن عبّاس أنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم قال يوما لنسائه و هنّ عنده جميعا:ليت شعری أيتکنّ صاحبه الجمل الأرب تنبحها کلاب الحوؤب يقتل عن يمينها و شمالها قتلی کثير کلّهم فی النار و تنجو بعد ما کادت،و روی حبيب بن عمير قال:لمّا خرجت عايشه و طلحه و الزبير من مکّه إلی البصره طرقت ماء الحوؤب-و هو ماء لبنی عامر بن صعصعه-فنبحتهم الکلاب فنفرت صعاب إبلهم.فقال قائل منهم:لعن اللّه الحوؤب فما أکثر کلابها.فلمّا سمعت عايشه ذکر الحوؤب قالت:أ هذا ماء الحوؤب؟قال:نعم.قالت:ردّونی.فسئلوها ما شأنها و ما بدء لها.قالت:إنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم يقول:کأنّی بکلاب الحوؤب قد نبحت بعض نسائی ثمّ قال لی:يا حميراء إيّاک أن تکونيها.فقال الزبير:مهلا يرحمک اللّه فإنّا قد جزنا ماء الحوؤب بفراسخ کثيره.فقالت:أ عندک من يشهد بأنّ هذه الکلاب النابحه ليست علی ماء الحوؤب؟فلفّق لها الزبير و طلحه و طلبا خمسين أعرابيّا جعلا لهم جعلا فحلفوا لها و شهدوا أنّ هذا الماء ليس بماء الحوؤب.فکانت هذه أوّل شهاده زور علمت فی الإسلام.فسارت عايشه لوجهها.فأمّا قوله فی الخبر:و تنجو بعد ما کادت.فقالت الإماميّه:معناه تنجو من القتل بعد ما کادت أن تقتل، و قال المعتذرون لها معناه تنجو من النار بالتوبه بعد ما کادت أن تدخلها بما فعلت .

الثانيه:

نکثهم لبيعته و خروجهم عليه بعد الطاعه فی جماعه ما منهم إلّا من أخذ بيعته.

الثالثه:

قتلهم لعامله بالبصره و خزّان بيت مال المسلمين بها بعض صبرا:أی بعد الأسر و بعض غدرا:أی بعد إعطائهم الأمان.و خلاصه القصّه ما روی أنّ طلحه و الزبير و عايشه لمّا انتهوا فی مسيرهم إلی حفر أبی موسی قريب البصره کتبوا إلی عثمان بن حنيف الأنصاریّ،و هو يومئذ عامل علیّ علی البصره:أنّ أخل لنا دار الأماره.فلمّا قرأ کتابهم بعث إلی الأحنف بن قيس و إلی حکيم بن جبلّه العبدیّ

فاقرء هما الکتاب.فقال الأحنف:إنّهم إن حاولوا بهذا الطلب بدم عثمان و هم الّذین أکّبوا علی عثمان و سفکوا دمه فأراهم و اللّه لا یزایلونا حتّی یلقوا العداوه بیننا و یسفکوا دماءنا،و أظنّهم سیرکبون منک خاصّه ما لا قبل لک به،و الرأی إن تتأهّب لهم بالنهوض إلیهم فی من معک من أهل البصره فإنّک الیوم الوالی علیهم و أنت فیهم مطاع فسر إلیهم بالناس و بادرهم قبل أن یکونوا معک فی دار واحده فیکون الناس لهم أطوع منهم لک.و قال حکیم:مثل ذلک.فقال عثمان بن حنیف:

الرأی ما رأیتما لکنّی اکره الشرّ و أن أبدأهم به و أرجو العافیه و السلامه إلی أن یأتینی کتاب أمیر المؤمنین و رأیه فأعمل به.فقال له حکیم:فاذن لی حتّی أسیر إلیهم بالناس فإن دخلوا فی طاعه أمیر المؤمنین و إلاّ نابذتهم إلی سواء.فقال عثمان:

و لو کان ذلک لی لسرت إلیهم بنفسی.فقال حکیم:أمّا و اللّه لئن دخلوا علیک هذا المصر لینتقلنّ قلوب کثیر من الناس إلیهم و لیزیلنّک عن مجلسک هذا،و أنت أعلم.

فأبی عثمان.ثمّ کتب علیّ علیه السّلام إلی عثمان بن حنیف لمّا بلغه مسیر القوم إلی البصره:

من عبد اللّه علیّ أمیر المؤمنین إلی عثمان بن حنیف أمّا بعد فإنّ البغاه عاهدوا اللّه ثمّ نکثوا و توجّهوا إلی مصرک و ساقهم الشیطان لطلب ما لا یرضی اللّه به،و اللّه أشدّ بأسا و أشدّ تنکیلا فإذا قدموا علیک فادعهم إلی الطاعه و الرجوع إلی الوفاء بالعهد و المیثاق الّذی فارقونا علیه فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندک،و إن أبوا إلاّ التمسّک بحبل النکث و الخلاف فناجزهم القتال حتّی یحکم اللّه بینک و بینهم «وَ هُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» ،و کتبت کتابی هذا من الربذه و أنا معجّل السیر إلیک «إِنْ شاءَ اللّهُ» ،و کتب عبید اللّه بن أبی رافع فی صفر سنه ستّ و ثلاثین.فلمّا وصل الکتاب إلی عثمان بعث أبا الاسود الدؤلیّ و عمران بن الحصین إلیهم فدخلا علی عایشه فسألاها عمّا جاء بهم.فقالت لهما:ألقیا طلحه و الزبیر.فقاما و ألقیا الزبیر فکلّماه فقال:جئنا لنطلب بدم عثمان و ندعو الناس أن یردّوا أمر الخلافه شوری لیختار الناس لأنفسهم.فقالا له:إنّ عثمان لم یقتل بالبصره لتطلبا دمه فیها،و أنت تعلم قتله عثمان و أین هم،و إنّک و صاحبک و عایشه کنتم أشدّ الناس علیه و أعظمهم إغراء

بدمه فأقيدوا أنفسكم،و أمّا إعاده أمر الخلافه شورى فكيف و قد بايعتم عليّا طائعين غير مكرهين،و أنت يا أبا عبد اللّه لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنت آخذ قائم سيفك تقول:ما أحد أحقّ بالخلافه منه.و امتنعت من بيعه أبى بكر.فأين ذلك الفعل من هذا القول؟فقال لهما:اذهبا إلى طلحه.فقاما إلى طلحه فوجداه خشن الملمس شديد العريكه قوىّ العزم فى إثاره الفتنه.فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه بما جرى،و قال له أبو الأسود:يا ابن حنيف قد أتيت فانفر و طاعن القوم و جالد و اصبر و أبرز لهما مستلئما و شمّر.فقال ابن حنيف:أى و الحرمين لأفعلنّ،و أمر مناديه فنادى فى الناس:السلاح السلاح.فاجتمعوا إليه و أقبلوا حتّى انتهوا إلى المربد.فملأ مشاه و ركبانا فقام طلحه فأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال:أمّا بعد فإنّ عثمان بن عفّان كان من أهل السابقه و الفضيله و من المهاجرين الأوّلين الّذين «رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» ، و نزل القرآن ناطقا بفضلهم و أحد الأئمّه الوالين عليكم بعد أبى بكر و عمر صاحبى رسول اللّه و قد كان أحدث أحداثا نقمناها عليه فأتيناه و استعتبناه فأعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتزّ هذه الامّه أمرها غصبا بغير رضى و لا مشوره فقتله و ساعده على ذلك قوم غير أتقياء و لا أبرار فقتل محرما بريئا تائبا،و قد جئتناكم أيّها النّاس نطلب بدمه و ندعوكم إلى الطلب بدمه فإن نحن أمكننا اللّه قتلهم قتلناهم به و جعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين و كانت خلافته رحمه للامّه جميعا فإنّ كلّ من أخذ الأمر من غير رضى العامّه و لا مشوره منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا و حدثا كبيرا.ثمّ قام الزبير فتكلّم بمثل كلام طلحه.فقام إليهما ناس من أهل البصره فقالوا لهما:أ لم تبايعا عليّا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثمّ نكثتما؟.فقالا:ما بايعناه و ما لأحد فى أعناقنا بيعه و إنّما استكرهنا على بيعته.فقال ناس:قد صدقا و نطقا بالصواب،و قال آخرون:ما صدقا و لا أصابا.حتّى ارتفعت الأصوات فأقبلت عايشه على جملها فنادت بصوت مرتفع أيّها الناس أقلّوا الكلام و اسكتوا.فسكت الناس لها.

فقالت:إنّ أمير المؤمنين عثمان قد كان غيّر و بدّل.ثمّ لم يزل يغسل ذلك بالتوبه

حتّى قتل مظلوما تائبا و إنّما نقموا عليه ضربه بالسوط و تأميره الشبّان و حمايته موضع الغمامه فقتلوه محرما فى حرمه الشهر،و حرمه البلد ذبحا كما يذبح الجمل، ألا و إنّ قريشا رمت غرضها بنبالها و أدمت أفواهها بأيديها و ما نالت بقتلها إيّاه شيئا و لا سلكت به سبيلا قاصدا أما و اللّه ليرونها بلايا عقيمه تنبه النائم و تقيم الجالس، و ليسلطنّ عليهم قوم لا يرحمونهم،يسومونهم سوء العذاب.أيّها الناس إنّه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحلّ به دمه مصّتموه كما يماصّ الثوب الرحيض،ثمّ عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته و خروجه من ذنبه و بايعتم ابن أبى طالب بغير مشوره من الجماعه ابتزازا و غصبا،أ ترانى أغضب لكم من سوط عثمان و لسانه و لا أغضب لعثمان من سيوفكم.ألا إنّ عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم،ثمّ اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الّذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و لا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان.قال:فماج الناس و اختلطوا فمن قايل يقول:القول ما قالت،و من قائل يقول:و ما هى من هذا الأمر إنّما هى امرأه مأموره بلزوم بيتها.

و ارتفعت الأصوات و كثر اللغط حتّى تضاربوا بالنعال و ترامو بالحصا.ثمّ تمايزوا فرقتين فرقه مع عثمان بن حنيف و فرقه مع طلحه و الزبير.ثمّ أقبلا من المربد يريدان عثمان بن حنيف فوجدوه و أصحابه قد أخذوا بأفواه السكك فمضوا حتّى انتهوا إلى مواضع الدبّاغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحه و الزبير و أصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلّه فلم يزل هو و أصحابه يقاتلونهم حتّى أخرجوهم من جميع السكك،و رماهم النساء من فوق البيوت بالأحجار فأخذوا إلى مقبره بنى مازن فوقفوا بها مليّا حتّى ثابت إليهم خيلهم،ثمّ أخذوا على مسنّاه البصره حتّى انتهوا إلى الرابوقه.ثمّ أتوا سبخه دار الرزق فنزلوها فأتاهما عبد اللّه بن حكيم التميمىّ لمّا نزلا السبخه بكتب كتباها إليه فقال لطلحه:

يا أبا محمّد أما هذه كتبك إلينا؟.فقال:بلى.فقال:فكنت أمس تدعونا إلى خلع عثمان و قتله حتّى إذا قتلته أتيتنا ثائرا بدمه،فلعمرى ما هذا رأيك و لا تريد إلاّ هذه الدنيا.مهلا إذا كان هذا رأيك قبلت من علىّ ما عرض عليك من البيعه فبايعته

طائعا راضيا ثمّ نكثت بيعتك و جئتنا لتدخلنا فى فتنتك.فقال:إنّ عليّا دعانى إلى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت أنّى لو لم أقبل ما عرضه علىّ لا ـ يتمّ لى ثمّ يغرى بى من معه.ثمّ أصبحا من غد فصفّا للحرب و خرج إليهما عثمان فى أصحابه فناشدهما اللّه و الإسلام و أذكرهما بيعتهما ثلاثا.فشتماه شتما قبيحا و ذكرا امّه.

فقال للزبير:أما و اللّه لو لا صفيّه و مكانها من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فإنّها أذرتك إلى الظلّ،و إنّ الأمر بينى و بينك يا ابن الصعبه يعنى طلحه أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما ما يسوئكما.اللّهمّ إنّى قد أعذرت إلى هذين الرجلين.ثمّ حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا.ثمّ تحاجزوا و اصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح.

فكتب:هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصارىّ و من معه من المؤمنين من شيعه علىّ بن أبى طالب و طلحه و الزبير و من معهما من المؤمنين و المسلمين من شيعتهما أنّ لعثمان بن حنيف الأنصارىّ دار الأماره و الرحبه و المسجد و بيت المال و المنبر،و أنّ لطلحه و الزبير و من معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصره و لا يضارّ بعضهم بعضا فى طريق و لا سوق و لا فرضه و لا مشرعه و لا مرفق حتّى يقدم أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب فإن أحبّوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمّه و إنّ أحبّوا ألحق كلّ قوم بهواهم و ما أحبّوا من قتال أو سلم أو خروج أو إقامه،و على الفريقين بما كتبوا عهد اللّه و ميثاقه و أشدّ ما أخذه على نبىّ من أنبيائه من عهد و ذمّه.و ختم الكتاب،و رجع عثمان حتّى دخل دار الأماره و أمر أصحابه أن يلحقوا بأهلهم و يداووا جراحاتهم فمكثوا كذلك أيّاما.ثمّ خاف طلحه و الزبير من مقدم علىّ عليه السّلام و هما على تلك القلّه و الضعف فراسلوا القبائل يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان و خلع علىّ عليه السّلام فبايعهم على ذلك الأزد و ضبّه و قيس غيلان كلّها إلّا الرجل و الرجلين من القبيله كرهوا أمرهم فتواروا عنهم،و بايعهما هلال بن وكيع بمن معه من بنى عمرو ابن تميم و أكثر بنى حنظله و بنى دارم.فلمّا استوسق لهما أمرهما خرجا فى ليله مظلمه ذات ريح و مطر فى أصحابهما،و قد ألبسوهم الدروع،و ظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت صلاه الفجر و قد سبقهم عثمان بن حنيف إليه و اقيمت

الصلاه فتقدّم عثمان ليصلّى بهم فأخّره أصحاب طلحه و الزبير،و قدّموا الزبير فجاءت الشرط-حرس بيت المال-و أخّروا الزبير و قدّموا عثمان فغلبهم أصحاب الزبير فقدّموه و أخّروا عثمان فلم يزالوا كذلك حتّى كادت الشمس أن تطلع فصاح بهم أهل المسجد ألا تتّقون اللّه أصحاب محمّد قد طلعت الشمس فغلب الزبير فصلّى بالناس فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المتسلّحين أن خذوا عثمان فأخذوه بعد أن تضارب هو و مروان بن الحكم بسيفهما فلمّا اسر ضرب ضرب الموت و نتفت حاجباه و أشفار عينيه و كلّ شعره فى رأسه و وجهه،و أخذوا السيالحه و هم سبعون رجلا فانطلقوا بهم و بعثمان بن حنيف إلى عايشه فأشارت إلى أحد أولاد عثمان أن اضرب عنقه فإنّ الأنصار قتلت أباك و أعانت على قتله.فنادى عثمان يا عايشه و يا طلحه و يا زبير إنّ أخى سهل بن حنيف خليفه علىّ بن أبى طالب على المدينه و أقسم باللّه إن قتلتمونى ليضعنّ السيف فى بنى أبيكم و أهليكم و رهطكم فلا يبقى منكم أحدا.

فكفّوا عنه و خافوا من قوله فتركوه،و أرسلت عايشه إلى الزبير أن اقتل السيالحه فإنّه قد بلغنى الّذى صنعوا بك قبل.فذبحهم و اللّه كما يذبح الغنم.ولى ذلك عبد اللّه ابنه و هم سبعون رجلا،و بقيت منهم بقيّه متمسّكون ببيت المال قالوا:لا نسلّمه حتّى يقدم أمير المؤمنين.فسار إليهم الزبير فى جيش ليلا و أوقع بهم و أخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا.فحكى أنّ القتلى من السيالحه يومئذ أربع مأئه رجل، و كان غدر طلحه و الزبير بعثمان بن حنيف بعد غدرهم فى بيعه علىّ غدرا فى غدر، و كانت السيالحه أوّل قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا،و خيّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلىّ فاختار الرحيل فخلّوا سبيله فلحق بعلىّ عليه السّلام فلمّا رآه بكى و قال له شيخ و جئتك أمردا.فقال علىّ عليه السّلام: «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» قالها ثلاثا.فذلك معنى قوله: فقدموا على عاملى بها و خزّان بيت مال المسلمين.

إلى آخره .ثمّ أقسم عليه السّلام إنّهم لو لم يصيبوا أى يقتلوا من المسلمين إلاّ رجلا واحدا متعمّدين قتله بغير ذنب جناه لحلّ له قتل ذلك الجيش كلّه،و-إن-زايده.

فإن قلت:المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله لذلك الجيش كلّه بعدم

إنكارهم للمنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر؟ قلت:أجاب الشارح عبد الحميد بن أبى الحديد عنه.فقال:إنّه تجوّز قتلهم لأنّهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا مع أنّه ممّا حرّمه اللّه فجرى ذلك مجرى اعتقادهم لإباحه الزنا و شرب الخمر.

و أجاب القطب الراوندىّ بأنّ جواز قتلهم لدخولهم فى عموم قوله تعالى «إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَساداً أَنْ يُقَتَّلُوا» (۱)الآيه و إنّ هؤلاء القوم قد حاربوا رسول اللّه لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:حربك يا علىّ حربى، و سعوا فى الأرض بالفساد،و اعترض المجيب الأوّل عليه.فقال:الإشكال إنّما هو فى تحليله لقتل الجيش المذكور لكونه لم ينكر على من قتل رجلا واحدا من المسلمين فالتعليل بعدم إنكار المنكر لا بعموم الآيه.

و أقول:الجواب الثانى أسدّ،و الأوّل ضعيف.لأنّ القتل و إن وجب على من اعتقد إباحه ما علم تحريمه من الدين ضروره كشرب الخمر و الزنا فلم قلت إنّه يجب على من اعتقد إباحه ما علم تحريمه من الدين بالتأويل كقتل هؤلاء القوم لمن قتلوا و خروجهم لما خرجوا له فإنّ جميع ما فعلوه كان بتأويل لهم و إن كان معلوم الفساد.

فظهر الفرق بين اعتقاد حلّ الخمر و الزنا و بين اعتقاد هؤلاء لإباحه ما فعلوه، و أمّا الاعتراض على الجواب الثانى فضعيف أيضا.لأنّ له أن يقول:إنّ قتل المسلم الّذى لا ذنب له عمدا إذا صدر من بعض الجيش و لم ينكر الباقون مع تمكّنهم و حضورهم كان ذلك قرينه دالّه على الرضا من جميعهم،و الراضى بالقتل شريك القاتل خصوصا إذا كان معروفا بصحبته و الاتّحاد به كاتّحاد بعض الجيش ببعض.فكان خروج ذلك الجيش على الإمام العادل محاربه للّه و رسوله،و قتلهم لعامله و خزّان بيت مال المسلمين و نهبهم له و تفريق كلمه أهل المصر و فساد نظامهم سعى فى الأرض بالفساد، و ذلك عين مقتضى الآيه .

و قوله: دع.إلى آخره.

ص:۳۳۸

۱- ۱) ۳۷-۵.

أى لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا لحلّ لى قتلهم فكيف و قد قتلوا منهم عدّه مثل عدّتهم الّتى دخلوا بها البصره.و-ما-بعد-دع-زايده،و المماثله هنا فى الكثره.

و صدق عليه السّلام فإنّهم قتلوا من أوليائه و خزّان بيت المال بالبصره خلقا كثيرا كما ذكرناه على الوجه الّذى ذكره بعض غدرا و بعض صبرا.و باللّه التوفيق.

۱۷۲-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

أَمِينُ وَحْيِهِ وَ خَاتَمُ رُسُلِهِ- وَ بَشِيرُ رَحْمَتِهِ وَ نَذِيرُ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا النَّاسُ- إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ- وَ أَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ- فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ- وَ لَعَمْرِى لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَهُ لاَ تَنْعَقِدُ- حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّهُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ- وَ لَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا- ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَ لاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ- أَلاَ وَ إِنِّى أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ- رَجُلاً ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ الَّذِى عَلَيْهِ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ- وَ خَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ- وَ قَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَهِ- وَ لاَ يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلاَّ أَهْلُ الْبَصَرِ وَ الصَّبْرِ- وَ الْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ- فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ وَ قِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ- وَ لاَ تَعْجَلُوا فِى أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا- فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَراً

أَلَا وَ إِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِی أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا- وَ تَرْغَبُونَ فِيهَا وَ أَصْبَحَتْ تُغْضِبُكَمْ وَ تُرْضِيكَمْ- لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ وَ لاَ مَنْزِلَكُمُ الَّذِی خُلِقْتُمْ لَهُ- وَ لاَ الَّذِی دُعِيتُمْ إِلَيْهِ- أَلاَ وَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَ لاَ تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا- وَ هِیَ وَ إِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا- فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَ أَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا- وَ سَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِی دُعِيتُمْ إِلَيْهَا- وَ انْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا- وَ لاَ يَخِنَّنَّ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَهِ عَلَى مَا زُوِیَ عَنْهُ مِنْهَا- وَ اسْتَتِمُّوا نِعْمَهَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَهِ اللَّهِ- وَ الْمُحَافَظَهِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ- أَلَا وَ إِنَّهُ لاَ يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَیْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ- بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَهَ دِينِكُمْ- أَلاَ وَ إِنَّهُ لاَ يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَیْءٌ- حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ- أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ- وَ أَلْهَمَنَا وَ إِيَّاكُمُ الصَّبْرَ

المعنى

أقول:صدر هذا الفصل من ممادح الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

فشهاده كونه أمينا على التنزيل من التحريف و التبديل العصمه،و شهاده ختامه للرسل قوله تعالى «وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ» و كونه بشير رحمته بالثواب الجزيل و نذير نقمته بالعذاب الوبيل قوله تعالى «إِنّا أَرْسَلْناكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَ نَذِيراً» .

ثمّ أردفه ببيان أحكام :

الأوّل:بيان أحكام الّذى هو أحقّ الناس بأمر الخلافه

،و حصر الأحقّ به فی أمرين:أحدهما أقوى الناس عليه و هو الأكمل قدره على السياسه و الأكمل علما بمواقعها و كيفيّاتها و كيفيّه تدبير المدن و الحروب و ذلك يستلزم كونه أشجع الناس.

و الثانی أعلمهم بأوامر اللّه فيه،و مفهوم الأعمل بأوامر اللّه يستلزم الأعلم باصول الدين و فروعه ليضع الأعمال مواضعها،و يستلزم أشدّ حفاظا على مراعاه حدود اللّه

و العمل بها،و ذلک یستلزم کونه أزهد الناس و أعفّهم و أعدلهم.و لمّا کانت هذه الفضائل مجتمعه له علیه السّلام کان إشاره إلی نفسه،و روی عوض أعملهم أعلمهم .

الثانی:فی بیان حکم المشاغب للإمام بعد انعقاد بیعته

،و هو أنّه یستعتب:

أی أنّه فی أوّل مشاغبته یطلب منه العتبی و الرجوع إلی الحقّ و الطاعه بلین القول فإن أبی قوتل و ذلک الحکم مقتضی قوله تعالی «وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُما» (۱)الآیه .

الثالث:بیان کیفیّه انعقاد الإمامه بالإجماع

فبیّن بقوله: و لعمری.إلی قوله:ما إلی ذلک سبیل .أنّ الإجماع لا یعتبر فیه دخول جمیع الناس حتّی العوامّ.

إذ لو کان ذلک شرطا لأدّی إلی أن لا ینعقد إجماع قطّ فلم تصحّ إمامه أحد أبدا لتعذّر اجتماع المسلمین بأسرهم من أطراف الأرض بل المعتبر فی الإجماع اتّفاق أهل الحلّ و العقد من امّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلم علی بعض الأمور،و هم العلماء ،و قد کانوا بأسرهم مجتمعین حین بیعته علیه السّلام فلیس لأحد منهم بعد انعقادها أن یرجع،و لا لمن عداهم من العوامّ و من غاب عنهما أن یختاروا غیر من أجمع هؤلاء علیه.

فإن قلت:إنّه علیه السّلام إنّما احتجّ علی القوم بالإجماع علی بیعته،و لو کان متمسّک آخر من نصّ أو غیره لکان احتجاجه بالنصّ أولی فلم یعدل إلی دعوی الإجماع.

قلت:احتجاجه بالإجماع لا یتعرّض لنفی النصّ و لا لإثباته بل یجوز أن یکون النصّ موجودا،و إنّما احتجّ علیهم بالإجماع لاتّفاقهم علی العمل به فیمن سبق من الأئمّه،و لأنّه یحتمل أن یکون سکوته عنه لعلمه بأنّه لا یلتفت إلی ذکره علی تقدیر وجوده لأنّه لمّا لم یلتفت إلیه فی مبدء الأمر حین موت الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم فبالأولی أن لا یلتفت إلیه الآن و قد طالت المدّه و بعد العهد فلم تکن فی ذکره فایده.

الرابع:بیان من یجب قتاله

و هو أحد رجلین:الأوّل:رجل خرج علی

۱- ۱) ۹-۴۹.

الإمام العادل بعد تمام بيعته و ادّعى أنّ الإمامه حقّ له و قد ثبت بالإجماع على غيره أنّها ليست له،و الثانى:رجل خرج على الإمام و لم يمتثل له فى شىء من الأحكام.و الأوّل إشاره إلى أصحاب الجمل،و الثانى إلى معاويه و أصحابه . ثمّ عقّب بالوصيّه بتقوى اللّه فإنّها خير زاد عند اللّه يستعقبه الإنسان من حركاته و سكناته و لمّا كان كذلك كان خير ما تواصى به عباد اللّه.

و قوله : و قد فتح باب الحرب بينكم و بين أهل القبله.إلى قوله:غيرا.

إعلام لأصحابه بحكم البغاه من أهل القبله على سبيل الإجمال،و أحال التفصيل على أوامره حال الحرب،و قد كان الناس قبل حرب الجمل لا يعرفون كيفيّه قتال أهل القبله و لا كيف السنّه فيهم إلى أن علموا ذلك منه عليه السّلام.و نقل عن الشافعى أنّه قال:لو لا علىّ ما عرفت شىء من أحكام أهل البغى.

و قوله : و لا يحمل هذا العلم إلاّ أهل البصر.

أى أهل البصائر،و العقول الراجحه،و الصبر:أى على المكاره و عن التسرّع إلى الوساوس،و العلم بمواضع الحقّ.و ذلك أنّ المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبله و أكبروه،و المقدمون منهم على ذلك إنّما أقدموا على خوف و حذر.فقال عليه السّلام:إنّ هذا العلم لا يدركه كلّ أحد بل من ذكره.و روى العلم بفتح اللام، و ذلك ظاهر فإنّ حامل العلم عليه مدار الحرب و قلوب العسكر منوطه به فيجب أن يكون بالشرائط المذكوره ليضع الأشياء مواضعها .ثمّ أمرهم بقواعد كلّيّه عند عزمه على المسير للحرب و هى أن يمضوا فيما يؤمرون به و يقفوا عند ما ينهون عنه و لا يعجلوا فى أمر إلى غايه أن يتبيّنوه:أى لا يتسرّعوا إلى إنكار أمر فعله أو يأمرهم به حتّى سألوه عن فايدته و بيانه.فإنّ له عند كلّ أمر ينكرونه تغييرا:أى قوّه على التغيير إن لم يكن فى ذلك الأمر مصلحه فى نفس الأمر و فايده أمرهم بالتبيّن عند استنكار أمر أنّه يحتمل أن لا يكون ما استنكروه منكرا فى نفس الأمر فيحكمون بكونه منكرا لعدم علمهم بوجهه،و يتسرّعون إلى إنكاره بلسان أو يد فيقعون فى الخطأ.قال بعض الشارحين:و فى قوله: فإنّ لنا عند كلّ أمر ينكرونه

تغييرا .إيمـاء إلى أنّه ليس كعثمـان فى صبره على ارتكاب الناس لما كان ينهاهم عنه بل يغيّر كلّ ما ينكره المسـلمون و يقتضـى العرف و الشرع تغييره .ثمّ أخذ فى التنفير عن الدنيا بامور:

الأوّل:التنفير عن تمنّيها و الرغبه فيها و عن الغضب لفوتها و الرضـى بحصولها بكونها ليست الدار و المنزل الّذى خلقوا له و دعوا إليه،و استلزم ذلك التنفير التنبيه على ما ورائها و العمل له.

الثانى نفر عنها بفنائها عنهم و فنائهم عنها.

الثالث :بأنّه لا فائـده فيهافإنّها و إن كانت تغرّ و تخـدع بما فيها ممّا يعتقـد خيرا و كمالا فإنّ فيها ما يقابل ذلك و هو التحذير بما فيها من الآفات و التغيّرات المتعـدّده شـرّا فينبغى أن يتركوا خيرها القليل لشـرّها الكثير،و إطماعها لتخويفها ، و يسابقوا إلى الخير الخالص و الـدار الّتى دعوا إليها و خلقوا لأجلها ،و يتصـرّفوا بقلوبهم عنها:أى يزهـدوا الزهد الحقيقىّ فيها فإنّ الزهد الظاهرىّ مع الحنين إلى ما زوى منها عن أحدكم غير منتفع و به خصّ حنين الأمه لأنّ الحنين أكثر ما يسـمع من الأمه لأنّ العاده أن تضرب و تؤذى فيكثر حنينها.و روى حنين بالخاء المعجمه.و الخنين كالبكاء فى الأنف .و إذ أمر بالزهد الحقيقى أمر بالصبر على طاعه اللّه و عبـادته و المحـافظه على أوامر كتـابه و نواهيه إذ بالزهـد يكون حـذف الموانع الـداخله و الخـارجه،و بالطـاعه و العبـاده يكون تطويع النفس الأمّاره بالسوء للنفس المطمئنّه.و هما جزاء الرياضه و السـلوك لسبيل اللّه.و رغّب فى الصبر على طاعه اللّه بأنّ فيه اسـتتماما لنعمه اللّه.و ظـاهر أنّ طـاعه اللّه سـبب عظيم لإفـاضه نعمه الـدنيويّه و الاخرويّه .ثمّ أكّـد الأمر بالمحافظه على ما قام من الدين بأنّه لا مضرّه فى ترك شىء من الدنيا و تضييعها مع المحافظه على الدين لما فى المحافظه على الدين من الخير الدائم التامّ الاخروى الّذى لا نسبه لخير الدنيا إليه ،و بأنّه لا منفعه فى المحافظه على ما فيها:أى فى الدنيا مع تضـييع الدين و إهماله.و ذلك أمر مفروغ عنه و مستغنى عن بيانه .ثمّ ختم بالدعاء لهم و لنفسه بأخذ اللّه بقلوبهم إلى الحقّ:

أی إلهامهم لطلبه و هدایتهم إلیه و جذبهم إلی سلوک سبیله،ثمّ إلهامهم الصبر:أی علی طاعته و عن معصیه.و باللّه التوفیق.

۱۷۳-و من خطبه له علیه السّلام

اشاره

فی طلحه بن عبید اللّه

قَدْ کُنْتُ وَ مَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ- وَ لاَ أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ- وَ أَنَا عَلَی مَا قَدْ وَعَدَنِی رَبِّی مِنَ النَّصْرِ- وَ اللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ؟عُثْمَانَ؟- إِلاَّ خَوْفاً مِنْ أَنْ یُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ- وَ لَمْ یَکُنْ فِی الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَیْهِ مِنْهُ- فَأَرَادَ أَنْ یُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِیهِ- لِیَلْتَبِسَ الْأَمْرُ وَ یَقَعَ الشَّکُّ-.وَ وَ اللَّهِ مَا صَنَعَ فِی أَمْرِ؟عُثْمَانَ؟ وَاحِدَهً مِنْ ثَلاَثٍ- لَئِنْ کَانَ؟ابْنُ عَفَّانَ؟ ظَالِماً کَمَا کَانَ یَزْعُمُ- لَقَدْ کَانَ یَنْبَغِی لَهُ أَنْ یُوَازِرَ قَاتِلِیهِ- وَ أَنْ یُنَابِذَ نَاصِرِیهِ-.وَ لَئِنْ کَانَ مَظْلُوماً- لَقَدْ کَانَ یَنْبَغِی لَهُ أَنْ یَکُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِینَ عَنْهُ- وَ الْمُعَذِّرِینَ فِیهِ- وَ لَئِنْ کَانَ فِی شَکٍّ مِنَ الْخَصْلَتَیْنِ- لَقَدْ کَانَ یَنْبَغِی لَهُ أَنْ یَعْتَزِلَهُ- وَ یَرْکُدَ جَانِباً وَ یَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ- فَمَا فَعَلَ وَاحِدَهً مِنَ الثَّلاَثِ- وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ یُعْرَفْ بَابُهُ وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِیرُهُ أقول:هذا الفصل من کلام قاله حین بلغه خروج طلحه و الزبیر إلی البصره.

و تهدیدهم بالحرب.

اللغه

و نهنه عنه: کفّ و زجر .و المعذرین بالتخفیف: المتعذّرین عنه.و بالتشدید المظهرین للعذر مع أنّه لا عذر .و رکد: سکن .

المعنی

فقوله: و قد کنت .إلی قوله: النصر .

جواب لتهديدهم.و قد مرّت هذه الألفاظ بعينها مشروحه إلاّ أنّ هناك:

و إنّى على يقين من ربّى.و هنا: و أنا على ما قد وعدنى ربّى من النصر .و ذلك الّذى هو عليه هو اليقين بالنصر على لسان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و الواو فى قوله: و ما اهدّد للحال.و كان تامّه.

و قوله : و اللّه ما استعجل.إلى قوله:و يقع الشكّ.

إشاره إلى شبهتهم فى الخروج إلى البصره.و هى الطلب بدم عثمان،ثمّ إلى معارضه هذه الشبهه و هى أنّ خروجه ليس إلاّ خوفا من أن يطلب بدمه لأنّه مظنّه ذلك.و قد سبقت منّا الإشاره إلى دخول طلحه فى تحريص الناس على قتل عثمان و جمعه لهم فى داره.و روى أنّه منع الناس من دفنه ثلاثه أيّام،و أنّ حكيم بن حزام و جبير بن مطعم استنجدا بعلىّ فى دفنه فأقعد لهم طلحه فى الطريق اناسا يرمونهم بالحجاره فخرج به نفر من أهله يريدون به حائطا فى المدينه يعرف بحشّ كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلمّا صار هناك رجم سريره فهمّوا بطرحه فأرسل إليهم علىّ عليه السّلام فكفّهم عنه حتّى دفن بحشّ كوكب.و روى أنّه جادل فى دفنه بمقابر المسلمين و قال:ينبغى أن يدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود .

و بالجمله فهو كما قال عليه السّلام:لم يكن فى القوم أحرص منه على قتله لكنّه أراد أن يغالط بما أجلب فى الطلب بدمه ليلتبس الأمر و يقع الشكّ فى دخوله فى قتله.

و قوله : و و اللّه ما صنع فى أمر عثمان.إلى آخره.

صوره احتجاج عليه و قطع لعذره فى الخروج و الطلب بدمه بقياس شرطىّ منفصل،و تقريره أنّ حاله فى أمر عثمان و خروجه فى طلب دمه لا تخلو من امور ثلاثه فإنّه إمّا أن يعلم أنّه كان ظالما أو يعلم أنّه كان مظلوما أو يشكّ فى الأمرين و يتوقّف فيهما فإن كان الأوّل فقد كان الواجب عليه أن يساعد قاتليه و يوازرهم و ينابذ ناصريه لوجوب إنكار المنكر عليه.و هو قد عكس الحال لأنّه نابذ قاتليه و ثار فى طلب دمه مع ناصريه ممّن توهّم فيه ذلك،و إن كان الثانى فقد كان يجب عليه أن يكون ممّن يكفّ الناس عنه و يعتذر عنه فيما فعل لوجوب إنكار المنكر

أيضا مع أنّه ممّن وازر عليه الناس و أظهر أحداثه و عظّمها كما هو المنقول المشهور عنه،و إن كان الثالث فقد كان الواجب عليه أن يعتزله و يسكن عن الخوض فى أمره و لم يفعل ذلك بل ثار فى طلب دمه.فكان فى هذه الأحوال الثلاثه محجوجاً فى خروجه و نكثه للبيعه .فإذن ما جاء به من ذلك أمر لا يعرف بابه:أى وجه دخوله فيه،و لم يسلّم فيه عذر.و باللّه التوفيق.

۱۷۴-و من خطبه له عليه السلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ- وَ التَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ- مَا لِى أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ- كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ وَ مَشْرَبٍ دَوِيٍّ- وَ إِنَّمَا هِىَ كَالْمَعْلُوفَهِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا- إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا وَ شِبَعَهَا أَمْرَهَا- وَ اللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ- بِمَخْرَجِهِ وَ مَوْلِجِهِ وَ جَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ- وَ لَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ ؟بِرَسُولِ اللَّهِ ص؟- أَلاَ وَ إِنِّى مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّهِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ- وَ الَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَ اصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ- مَا أَنْطِقُ إِلاَّ صَادِقاً- وَ قَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَ بِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ- وَ مَنْجَى مَنْ يَنْجُو وَ مَآلِ هَذَا الْأَمْرِ- وَ مَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِى إِلاَّ أَفْرَغَهُ فِى أُذُنَيَّ- وَ أَفْضَى بِهِ إِلَيَّ- أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى وَ اللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَهٍ- إِلاَّ وَ أَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا- وَ لاَ أَنْهَاكُمْ

عَنْ مَعْصِيَهٍ إِلاَّ وَ أَتَنَاهَى قَبْلَكَمْ عَنْهَا

اللغه

أقول: السائم: الراعى .و الوبىّ: محلّ الوباء .و الدوىّ: محلّ الداء .

و المدى: جمع مديه،و هى السكين .

المعنى

و الخطـاب عـامّ.و كـونهم غـافلين:أى عمّـا يراد بهـم مـن أمر الآـخره،و غير مغفـول عنهـم:أى أنّ أعمـالهم محصًـى له فى اللـوح المحفوظ.و تـاركين:أى لمـا امروا به من الطـاعه،المـأخوذ منهم:أى منتقص من أعمـارهم و قينـاتهم الـدنيويّه من مال و أهل .ثمّ نبّههم على ذهـابهم عن اللّه و هو التفـاتهم عن طاعته و رغبتهم فى غيره و هو الحيـاه الـدنيا و زينتهـا. تشبيه ثمّ شـبّههم فى ذلك بالنعم الّتى أراح بها راعيها إلى مرعى كثير الوباء و الداء .و وجه الشبه أنّهم لغفلتهم كالنعم و نفوسهم الأمّاره بالسوء القائده لهم إلى المعاصـى كالراعى القائـد إلى المرعى الوبىّ و لذّات الدنيا و مشـتهياتها،و كون تلك اللذّات و المشـتهيات محلّ الآثام الّتى هى مظنّه الهلاك الاخروىّ و الداء الدوىّ تشبه المرعى الوبىّ و المشرب الدوىّ.

تشبيه و قوله : و إنّما هى كالمعلوفه.

تشبيه آخر لهم بمعلوفه النعم،و وجه الشبه أنّهم لعنـايتهم بلـذّات الـدنيا من المطـاعم و المشارب كـالنعم المعتنى بعلفها،و كون ذلـك التلـذّذ غـايته الموت تشـبه غايه المعلوفه و هى الذبـح،و كونهم غافلين من غايه الموت و ما يراد بهم يشـبه غفله النعم عن غايتها من الذبح،و كونهم يظنّون أنّ الإحسان إليهم ببسط اللذّات الدنيويّه فى بعض الأوقات دائم فى جميع أوقاتهم و،أنّ شبعهم فى هـذه الحياه و ريّهم هو غايتهم الّتى خلقوا لأجلها و تمام أمرهم يشبه غفله النعم فى حال حضور علفها فى بعض الأوقات عمّا بعده من الأوقـات و توهّمهـا أنّ ذلك غايتها الّتى خلقت لأجلها،و وجه هـذا الشبه مركّب من هـذه الوجوه .ثمّ أقسم أنّه لو شاء لأخبر كـلّ رجـل منهم بمواضع تصـرّفاته و حركاته و جميع أحواله.و هو كقول المسيح عليه السّـلام: «وَ أُنَبِّئُكُمْ بِما تَأْكُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» . (۱)و قد علمت إمكان ذلك

۱- ۱) ۳-۴۳.

العلم و سببه فی حقّ الأنبياء و الأولياء فی مقدّمه الكتاب.

و قوله : و لكن أخاف أن تكفروا فیّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

أی أخاف أن تغلوا فی أمری،و تفضّلونی على رسول اللّه.بل كان يخاف أن يكفروا فيه باللّه كما ادّعت النصارى فی المسيح حيث أخبرهم بالأمور الغايبه.ثمّ قال : ألا و إنّی مفضيه إلى الخاصّه :أی أهل العلم و الثبات من أصحابه ممّن يؤمن ذلك الكفر منه،و هكذا شأن العلماء و أساطين الحكمه رأيهم أن لا يضعو العلم إلاّ فی أهله.هذا مع أنّ من الناس من يدّعى فيه النبوّه و أنّه شريك محمّد فی الرساله، و منهم من ادّعى أنّه إله،و هو الّذی أرسل محمّدا.إلى غير ذلك من الضلال.و فيه يقول بعض شعرائهم:

و من أهلك عادا و ثمود بدوا هيه و من كلّم موسى فوق طور إذ يناديه

و من قال على المنبر يوما و هو راقيه: سلونی أيّها الناس.فحاروا فی معانيه

و قول الآخر:

إنّما خالق الخلائق من زعزع أركان خيبر جذبا

قد رضينا به إماما و مولى و سجدنا له إلها و ربّا

ثمّ أقسم أنّه ما نطق إلاّ صادقا فيما يخبر به من هذه الامور ،و أخبر أنّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم عهد إليه بذلك و بمهلك من يهلك.إلى قوله:و أفضى به إلیّ:

أی ألقاه إلیّ و أعلمنی به.و ذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزئیّ أعنى أن يخبره بواقعه واقعه،و منه ما يكون على وجه كلّیّ:أی يلقى إليه اصولا كلّيّه يعدّ ذهنه بها لاستفاضته الصور الجزئيّه من واهب الصور كما سبق تقريره.و ممّا نقل عنه من ذلك فی بعض خطبته الّتی يشير فيها إلى الملاحم يؤمی به إلى القرامطه:

ينتحلون لنا الحبّ و الهوى و يضمرون لنا البغض و القلى و آيه ذلك قتلهم ورّاثنا و هجرهم أحداثنا.و صحّ ما أخبر عنه لأنّ القرامطه قتلت من آل أبی طالب خلقا كثيرا.و أسماؤهم مذكوره فی كتاب مقاتل الطالبيّين لأبی الفرج الإصبهانیّ.

قال بعض الشارحين:و من هذه الخطبه-و هو يشير إلى الساريه الّتی كانت

يستند إليها فى مسجد الكوفه-:كأنّى بالحجر الأسود منصوبا هاهنا و يحهم إنّ فضيلته ليست فى نفسه بل فى موضعه و أنّه يمكث هاهنا مدّه ثمّ هاهنا مدّه-و أشار إلى مواضع-ثمّ يعود إلى ما وراءه و يأمّ مثواه.و وقع من القرامطه فى الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السّلام.

و أقول:فى هذا النقل نظر لأنّ المشهور أنّ القرامطه نقلوا الحجر الأسود إلى أرض البحرين،و بنوا له موضعا وضعوه فيه يسمّى إلى الآن بالكعبه،و بقى هناك مدّه ثمّ أعيد إلى مكّه،و روى أنّه مات فى المجىء به خمسه و عشرون بعيرا و عاد به إلى مكه بعير ليس بالقوىّ،و ذلك من أسرار دين اللّه تعالى،و لم ينقل أنّهم نقلوه مرّتين،و اللّه أعلم.

۱۷۵-و من خطبه له عليه السلام

اشاره

اِنْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ وَ اتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ- وَ اقْبَلُوا نَصِيحَهَ اللَّهِ- فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّهِ وَ أَخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّهَ- وَ بَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَ مَكَارِهَهُ مِنْهَا- لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَ تَجْتَنِبُوا هَذِهِ- فَإِنَّ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟ كَانَ يَقُولُ- إِنَّ الْجَنَّهَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ- وَ إِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَهِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ- وَ مَا مِنْ مَعْصِيَهِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَهٍ- فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَ قَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ- فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً- وَ إِنَّهَا لاَ تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَهٍ فِي هَوًى- وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُمْسِي وَ لاَ يُصْبِحُ- إِلاَّ وَ نَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ- فَلاَ يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا وَ مُسْتَزِيداً لَهَا- فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَ الْمَاضِينَ

أَمامَكَمْ- قَوِّضُوا مِنَ الـدُّنْيا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ وَ طَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ هَـذَا؟الْقُرْآنَ؟ هُوَ النَّاصِـحُ الَّذِى لاَ يَغُشُّ- وَ الْهَادِى الَّذِى لاَ يُضِـلُّ وَ الْمُحَـدِّثُ الَّذِى لاَ يَكْـذِبُ- وَ مَا جَالَسَ هَـذَا؟الْقُرْآنَ؟ أَحَـدٌ إِلاَّ قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ- زِيَادَةٍ فِى هُـدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ؟الْقُرْآنِ؟ مِنْ فَاقَةٍ- وَ لاَ لِأَحَدٍ قَبْلَ؟الْقُرْآنِ؟ مِن غِنًى- فَاسْتَشْـفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ- وَ اسْـتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ- فَإِنَّ فِيهِ شِـفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الـدَّاءِ- وَ هُوَ الْكُفْرُ وَ النِّفَاقُ وَ الْغَيُّ وَ الضَّلاَلُ- فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ- وَ لاَ تَسْـأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ- إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَـافِعٌ مُشَـفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَـدَّقٌ- وَ أَنَّهُ مَنْ شَـفَعَ لَهُ؟الْقُرْآنُ؟ يَوْمَ الْقِيَامَهِ شُـفِّعَ فِيهِ- وَ مَنْ مَحَلَ بِهِ؟الْقُرْآنُ؟ يَوْمَ الْقِيَامَهِ صُـدِّقَ عَلَيْهِ- فَإِنَّهُ يُنَادِى مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- أَلاَ إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِى حَرْثِهِ وَ عَاقِبَهِ عَمَلِهِ- غَيْرَ حَرَثَهِ؟الْقُرْآنِ؟- فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَ أَتْبَاعِهِ- وَ اسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ- وَ اتَّهِمُـوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْـتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ الْعَمَـلَ الْعَمَـلَ ثُمَّ النِّهَـايَهَ النِّهَـايَهَ- وَ الِاسْـتِقَامَهَ الِاسْـتِقَامَهَ ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ وَ الْوَرَعَ الْوَرَعَ- إِنَّ لَكُمْ نِهَايَهً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ- وَ إِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ- وَ إِنَّ لِلْإِسْلاَمِ غَايَهً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ- وَ اخْرُجُوا

إِلَى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ- وَ بَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ- أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَ حَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَهِ عَنْكُمْ أَلَا وَ إِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ- وَ الْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ- وَ إِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَهِ اللَّهِ وَ حُجَّتِهِ- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى- «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَهُ أَلَّا تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّهِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» وَ قَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ- وَ عَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ وَ عَلَى الطَّرِيقَهِ الصَّالِحَهِ مِنْ عِبَادَتِهِ- ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَ لَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا- وَ لَا تُخَالِفُوا عَنْهَا فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَ تَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَ تَصْرِيفَهَا- وَ اجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً وَ لْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ- فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ- وَ اللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ- وَ إِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ- وَ إِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ- لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ- فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ وَ إِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ- وَ إِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ- لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ وَ مَا ذَا عَلَيْهِ- وَ لَقَدْ قَالَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟- لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ

حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ- وَ لاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ- فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى- وَ هُوَ نَقِيُّ الرَّاحَهِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ أَمْوَالِهِمْ- سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ- مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ وَ يُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ- وَ أَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لاَ يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً- مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ- وَ لَكِنَّ الْحَلاَلَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَ الْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ- فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَ ضَرَّسْتُمُوهَا- وَ وُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَ ضُرِبَتِ لَكُمُ الْأَمْثَالُ وَ دُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلاَ يَصَمُّ عَنْ ذَلِکَ إِلاَّ أَصَمُّ- وَ لاَ يَعْمَى عَنْ ذَلِکَ إِلاَّ أَعْمَى- وَ مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلاَءِ وَ التَّجَارِبِ- لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَهِ وَ أَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ- حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَ يُنْكِرَ مَا عَرَفَ- فَإِنَّ النَّاسَ رَجُلاَنِ مُتَّبِعٌ شِرْعَهً وَ مُبْتَدِعٌ بِدْعَهً- لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّهٍ وَ لاَ ضِيَاءُ حُجَّهٍ وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا؟الْقُرْآنِ؟- فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ- وَ فِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ- وَ مَا لِلْقَلْبِ جِلاَءٌ غَيْرُهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ- وَ بَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ- فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ- وَ إِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ- فَإِنَّ؟رَسُولَ اللَّهِ ص؟

كَانَ يَقُولُ- يَا ابْنَ آدَمَ اعْمَلِ الْخَيْرَ وَ دَعِ الشَّرَّ- فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ أَلاَ وَ إِنَّ الظَّلْمَ ثَلاَثَةٌ- فَظُلْمٌ لاَ يُغْفَرُ وَ ظُلْمٌ لاَ يُتْرَكُ- وَ ظُلْمٌ مَغْفُورٌ لاَ يُطْلَبُ- فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ- قَالَ اللَّهُ «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى يُغْفَرُ- فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ- وَ أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِى لاَ يُتْرَكُ- فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً- الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى- وَ لاَ ضَرْباً بِالسِّيَاطِ وَ لَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ- فَإِيَّاكُمْ وَ التَّلَوُّنَ فِى دِينِ اللَّهِ- فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ- خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ- وَ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى- وَ لاَ مِمَّنْ بَقِيَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ- طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ- وَ طُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَ أَكَلَ قُوتَهُ- وَ اشْتَغَلَ بِطَاعَهِ رَبِّهِ وَ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ- فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِى شُغُلٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِى رَاحَهٍ

اللغه

أقول: الظنون: المتّهمه .و الزارى: العايب .و تقويض البناء: نقضه .

و اللأواء: الشدّه .و محل به السلطان: كاده و قال فيه ما يضرّه .و تورّدت الخيل البلده: دخلتها قطعه قطعه .و تهزيع الأخلاق: تكسيرها و تفريقها .و ضرست الأمر: أحكمته تجربه .

المعنى

اشاره

و قد أمر السامعين أن ينتفعوا ببيان اللّه فى كتابه و على لسان رسوله،و يتّعظوا بمواعظه و يقبلوا نصيحته فيما لأجله خلقوا،و إنّما عدّد اسم اللّه صريحا دون

ص:٣٥٣

الضمير للتعظيم .ثمّ أشار إلى وجه وجوب الامتثال عليهم و هو إعذاره إليهم بالجليّه:

أى إظهار ما هو صوره العذر من الآيات و النذر الجليّه الواضحه،و اتّخاذ الحجّه ببعث الرسل،و بيان محابّه من الأعمال الصالحات و مكارهه من المحرّمات فى كتابه العزيز لغايه اتّباع محابّه و اجتناب مكارهه .ثمّ نبّه على ما فى الطاعه و امتثال التكليف من الشدّه و المكروه فذكر الخبر،و نعم ما تضمّنه الخبر و أنّه لم يتبّه على الشدّه مجرّده بل قرنها بذكر الجنّه و جعلها محجوبه بها لتحصل الرغبه فى الجنّه فيتمّ السعى فى قطع تلك الحجب المكروهه،و كذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفه بها بالنار تنفيرا عنها .ثمّ بعد تسهيل المكاره الّتى يشتمل عليها الطاعات بذكر الجنّه و تحقير الشهوات الّتى يريد الجذب عنها بذكر النار صرّح بأنّه لا تأتى طاعه إلاّ فى كره و لا معصيه إلاّ فى شهوه،و قد عرفت سرّ ذلك، و أنّ النفس للقوّه الشهويّه أطوع منها للعقل خصوصا فيما هو أقرب إليها من اللذّات المحسوسه الّتى يلحقها العقاب عليها .ثمّ عقّب ذلك بدعاء اللّه أن يرحم امرأ نزع عن شهوته:أى امتنع من الانهماك فيها و قمع نفسه الأمّاره بالسوء فإنّها أبعد شىء منزعا عن اللّه.ثمّ فسّر منزعها الّذى ينزع إليه و هى المعصيه فى هواها،و ما تميل إليه .ثمّ نبّه على حال المؤمن الحقّ و تهمته نفسه فى جميع أوقاته من صباح و مساء،و أنّه لا يزال عائبا عليها و مراقبا لأحوالها،و مؤاخذا لها بالزياده فى الأعمال الصالحه،و قد سبقت الإشاره إلى ذلك .ثمّ أمرهم أن يكونوا كالسابقين من أكابر الصحابه و الماضين أمامهم إلى الجنّه فى الإعراض عن الدنيا، استعاره و استعار لفظ التقويض و الطىّ لقطعهم علائق الدنيا و رحيلهم إلى الآخره كما يقوّض الراحل متاعه للسفر،و يطوى خيامه للرحيل . استعاره مرشحه ثمّ عقّب بذكر القرآن و ممادحه ترغيبا فى الاقتداء به،و استعار وصف الناصح له،و وجه الاستعاره أنّ القرآن يرشده إلى وجوه المصالح كما أنّ الناصح كذلك،و رشّح بكونه لا غشّ معه و كذلك كونه هاديا لا يضلّ:أى طريق اللّه،و روى لا يضلّ:أى لا يضلّ غيره،و كذلك استعار وصف المحدّث له،و رشّح بكونه لا يكذب،و وجه الاستعاره اشتماله على الأخبار

و القصص الصحيح،و فهمه و استفادته عنه كالمحدّث الصادق ، كنايه و كنّى بمجالسه القرآن عن مجالسه حملته و قرّائه لاستماعه منهم،و تدبّره عنهم فإنّ فيه من الآيات الباهره و النواهى الزاجره ما يزيد بصيره المستبصر من الهدى،و ينقص من عمى الجهل .ثمّ نبّههم على أنّه ليس بعده على أحد فقر:أى ليس بعد نزوله للناس و بيانه الواضح حاجه بالناس إلى بيان حكم فى إصلاح معاشهم و معادهم،و لا لأحد قبله من غنى:أى قبل نزوله لا غنى عنه للنفوس الجاهله،و إذا كان بهذه الصفه أمرهم بأخذ الشفاء عنه لأدوائهم:أى أدواء الجهل،و أن يستعينوا به على شدّتهم و فقرهم إلى أن يستليحوا منه وجوه المصالح الدنيويّه و الاخرويّه.

ثمّ عدّ أكبر أدواء الجهل و أعاد ذكر كونه شفاء منها:أوّلها:الكفر باللّه و هو عمى القوّه النظريّه من قوى النفس عن معرفه صانعها و مبدعها إلى غايه إنكاره أو اتّخاذ ثان له أو الحكم عليه بصفات المخلوقين المحدّثين،و الثانى: النفاق و هو مستلزم لرذيله الكذب المقابله لفضيله الصدق.ثمّ لرذيله الغدر المقابله لفضيله الوفاء،و قد سبق بيان حال النفس فى هاتين الرذيلتين.الثالث: الغىّ و هو رذيله التفريط من فضيله الحكمه.الرابع: الضلال و هو الانحراف عن فضيله العدل،و إلى كونه شفاء الإشاره بقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:إنّ القلوب تصدء كما يصدء الحديد.قيل:

يا رسول اللّه ما جلاؤها؟قال:قراءه القرآن و ذكر الموت،و قد علم اشتماله على ذكر الموت فى مواضع كثيره .ثمّ أمرهم أن يسألو اللّه به،و المراد أنّكم اعدّوا أنفسكم و كمّلوها لاستنزال المطالب من اللّه بما اشتمل عليه القرآن من الكمالات النفسانيّه ،و توجّهوا إليه بحبّه لأنّ من أحبّه استكمل بما فيه فحسن توجّهه إلى اللّه.

و قوله:و لا تسئلوا به خلقه.

و قوله: و لا تسئلوا به خلقه.

أى لا تجعلوا تعلّمكم له لطلب الرزق به من خلق مثلكم فإنّه لم ينزل لذلك.

و قوله:إنّهفإنّه خما توجّه العباد إلى اللّه بمثله.

و قوله: إنّه[فإنّه خ]ما توجّه العباد إلى اللّه بمثله.

و ذلك لاشتماله على جميع الكمالات النفسانيّه من العلوم،و مكارم الأخلاق

ص:۳۵۵

و النهى عن جميع الرذائل الموبقه. استعاره ثم استعار لفظى الشافع و المشفّع .و وجه الاستعاره كون تدبّره و العمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيئات الرديئه من المعاصى،و ذلك مستلزم لمحو غضب اللّه كما يمحو الشفيع المشفّع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه،و ذلك سرّ الخبر المرفوع ما من شفيع من ملك و لا نبىّ و لا غيرهما أفضل من القرآن،و كذلك لفظ القائل المصدّق،و وجه الاستعاره كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق.ثمّ أعاد معنى كونه شافعا مشفّعا يوم القيامه .ثمّ استعار لفظ المحل للقرآن،و وجه الاستعاره أنّ لسان حال القرآن شاهد فى علم اللّه و حضره ربوبيّته على من أعرض عنه بعدم اتّباعه و مخالفته لما اشتمل عليه،و تلك شهاده لا يجوز عليها الكذب فبالواجب أن يصدق فأشبه الساعى إلى السلطان فى حقّ غيره بما يضرّه .

و قوله:فإنّه لا ينادى مناد يوم القيامه.إلى آخره.

و قوله: فإنّه لا ينادى مناد يوم القيامه.إلى آخره.

فالمنادى هو لسان حال الأعمال،و الحرث كلّ عمل تطلب به غايه و تستخرج منه ثمره،و الابتلاء هاهنا ما يلحق النفس على الأعمال و عواقبها من العذاب بقدر الخروج فيها عن طاعه اللّه،و ظاهر أنّ حرث القرآن و البحث عن مقاصده لغايه الاستكمال به برىء من لواحق العقوبات.ثمّ حثّهم على أن يكونوا من حرثته و أتباعه ،و أن يستدلّوه:أى يتّخذوه دليلا قاعدا إلى ربّهم،و أن يستنصحوه على انفسهم:أى يتّخذوه ناصحا على نفوسهم الأمّاره بالسوء لكونها هى الغاشيه لهم يقودها إلى معصيه اللّه،و كون القرآن زاجرا لهم عمّا تأمرهم به تلك النفوس فيجب أن تقبل نصيحته عليها،و كذلك اتّهموا عليه آرائكم :أى إذا رأيتم رأيا يخالف القرآن فاتّهموا ذلك الرأى فإنّه صادر عن النفس الأمّاره بالسوء،و كذلك قوله: و استغشّوا فيه أهوائكم ،و إنّما قال هنا:استغشّوا،و قال فى الآراء:اتّهموا لأنّ الهوى هو ميل النفس الأمّاره من غير مراجعه العقل فإذا حكمت النفس عن متابعتها بحكم فهو غشّ صراح،و أمّا الرأى فقد يكون بمراجعه العقل و حكمه، و قد يكون بدونه فجاز أن يكون حقّا،و جاز أن يكون باطلا فكان بالتهمه أولى .

ثمّ أمر بلزوم العمل الصالح.ثمّ بحفظ النهايه المطلوبه منهم بالعمل و الوصول إليها منه:أى راعوا عاقبتكم و نهايه أعمالكم و غايتها فإنّ الأمور بخواتيمها.ثمّ أمر بالاستقامه:أى على العمل.ثمّ بالصبر عليه،و حقيقته مقاومه الهوى لئلاّ ينقاد إلى قبائح اللذّات فيخرج عن الصراط.ثمّ بالورع،و هو لزوم الأعمال الجميله،و إنّما عطف النهايه و الصبر بثمّ لتأخّر نهايه العمل عنه،و كون الصبر أمرا عدميّا فهو فى معنى المتراخى و المنفك عن العمل الّذى هو معنى وجودىّ بخلاف الاستقامه على العمل فإنّها كيفيّه له،و الورع فإنّه جزء منه،و كرّر تلك الألفاظ للتأكيد،و النصب فى جميعها على الإغراء .ثمّ أشار إلى أنّ تلك النهايه هى النهايه الّتى لهم و أمرهم بالانتهاء إليها،و هى الأمر الّذى خلقوا لأجله أعنى الوصول إلى اللّه طاهرين عن رجس الشيطان،و هو لفظ الخبر النبوىّ أيّها الناس إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم،و إنّ لكم غايه فانتهوا إلى غايتكم فإنّ المراد بالغايه و النهايه واحد،و المراد بالمعالم حظائر القدس و منازل الملائكه،و كذلك استعاره إنّ لكم علما فاهتدوا بعلمكم :أى إلى تلك النهايه.و استعار لفظ العلم لنفسه .

ثمّ أخبر أنّ للإسلام غايه و أمرهم بالانتهاء إليها،و تلك الغايه هى النهايه المشار إليها .

و قوله:و أخرجوا إلى اللّه.إلى قوله:وظائفه.

و قوله: و أخرجوا إلى اللّه.إلى قوله:وظائفه.

فالتقدير أخرجوا من حقّه فيما افترض عليكم،و حقّه فى فرائضه و وظائفه الإخلاص بها لوجهه .ثمّ رغّبهم فى طاعته و اتّباع أوامره بكونه شاهدا لهم يوم القيامه و محتجّا.قال بعض الشارحين:و إنّما ذكر الاحتجاج و إن كان ذلك الموقف ليس موقف محاجّه لأنّه إذا شهد لهم فكأنّه أثبت الحجّه لهم فأشبه المحاجّ، و أقول:لمّا كان إمام كلّ قوم هو المخاطب عنهم و الشهيد لهم كما قال تعالى «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ» (۱)و قوله «وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً فَقُلْنا هاتُوا بُرْهانَكُمْ» (۲)و كان ذلك الموقف هو موقف السؤال و الجواب كان ذلك معنى المحاجّه و المجادله.فالخلوص من الأسئله بأجوبتها يشبه غلب المسئول بالحجّه

۱- ۱) ۷۳-۱۷

۲- ۲) ۷۵-۲۸

و هو البرهان المطلوب،و جرت العاده بأنّ البرهان يكون عند المحاجّه،و كذلك الانقطاع عن الجواب يشبه كون المسئول محجوجا،و هذا الاحتجاج و الشهاده مقاليّه عند القائلين بحشر الأجساد،و حاليّه عند غيرهم .ثمّ أخبر أنّ القدر السابق فى علم اللّه قد وقع،و القضاء الماضى:أى النافذ قد تورّد:أى دخل فى الوجود شيئا فشيئا،و قد علمت فيما سلف أنّ القضاء هو العلم الإلهى بما يكون و ما هو كائن، و أنّ القدر تفصيله الواقع على وفقه لكنّه أشار بوقوع القدر هنا إلى وقع خاص و هو خلافته و ما يلزمها من الفتن و الوقايع،و روى أنّ هذه الخطبه من أوائل الخطب الّتى خطب بها أيّام بويع بعد قتل عثمان.قال بعض الشارحين:و فى هذا الكلام إشاره إلى أنّ الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبره أنّ الأمر سيصل إليه فى آخر وقته، و أقول:لا شكّ أنّ وقوع هذا الأمر من القدر السابق على وفق القضاء،و ليس للّفظ إشعار بما قال هذا الفاضل.إذ كان عليه السّلام عالما بأنّ كلّ واقع فى الوجود فبقضاء من اللّه و قدر .

و قوله:و إنّى متكلّم بعده اللّه و حجّته.

و قوله: و إنّى متكلّم بعده اللّه و حجّته.

أى لمّا وقع هذا الأمر إلىّ فإنّى أتكلّم بكذا،وعده اللّه ما وعد به عباده الّذين اعترفوا بربوبيّته و استقاموا على سلوك سبيله بطاعته من تنزّل الملائكه عليهم بذهاب الخوف و الحزن و البشاره بالجنّه،و أمّا حجّته الّتى تكلّم بها فقوله : و قد قلتم ربّنا اللّه :أى اعترفتم بالربوبيّته فاستقيموا على كتابه و على منهاج أمره و على الطريقه الصالحه من عبادته :أى الّتى هى عن علم و الخالصه من الرياء و النفاق من غير أن يمرقوا منها:أى يخرجوا فيها بالتحذلق و التشدّد إلى طرف الإفراط الّذى هو ثمره الجهل،و لا تحدثوا فيها بدعه و لا تخالفوا عنها و تحيدوا يمينا و شمالا فتقعوا فى مهاوى الهلاك فإنّكم متى فعلتم ذلك فقد تمّ شرط استحقاقكم لإنجاز عدته المذكوره فإنّ ذلك الشرط مركّب من الاعتراف بربوبيّته،و الاستقامه على الامور المذكوره فحينئذ يجب أن تفاض تلك العده،و مع فوات جزء من ذلك الشرط لا يقع المشروط فلم يتحقّق الموعود به،و ذلك معنى كون أهل المروق

منقطعا بهم:أى لا يجدون بلاغا يوصلهم إلى المقصد لأنّ الشرط هو البلاغ إلى المقصد الحقيقىّ .ثمّ شرع فى النهى عن النفاق لأنّ تهزيع الأخلاق تغييرها و نقلها من حال إلى حال و هو معنى تصريفها،و ذلك هو النفاق.إذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تاره يكون صادقا،و تاره كاذبا،و تاره وفيّا،و اخرى غادرا،و مع الظالمين ظالم،و مع أهل العدل عادل،و لذلك قال : و اجعلوا اللسان واحدا ، و هو شروع فى الوصيّه بحال اللسان وعد له:أى لا يكوننّ أحدكم ذا لسانين و هو المنافق..ثمّ أمر بخزنه و استلزم النهى عن امور،و هى الفضل من القول و وضعه فى غير مواضعه و الغيبه و النميمه و السعايه و المسابه و القذف و نحوه،و كلّها رذائل فى طرف الإفراط من فضيله العدل.

و قوله:فإنّ اللسان جموح بصاحبه.

و قوله: فإنّ اللسان جموح بصاحبه.

تعليل لذلك النهى،و إشاره إلى خروجه بصاحبه عن فضيله العدل إلى الرذائل الّتى هى موارد الهلكه فى الآخره و الدنيا كما أنّ الفرس الجموح مخرج بصاحبه إلى الهلاك،و لفظ الجموح مستعار له بهذا الاعتبار .ثمّ أقسم أنّه لا متّقى ينفعه تقواه إلّا بخزن لسانه،و هو حقّ لأنّ التقوى النافع هو تقوى التامّ،و خزن اللسان و كفّه عن الرذائل المذكوره جزء عظيم من التقوى لا يتمّ بدونه فهى إذن لا ينفع إلّا به .ثمّ نبّه على ما ينبغى عند إراده القول من التثبت و التأمّل ما يراد النطق به و على ما لا ينبغى من القول بغير مراجعه الفكر،و قرن الأوّل بالإيمان ترغيبا فيه،و الثانى بالنفاق تنفيرا عنه .

و قوله:لأنّ المؤمن.إلى قوله:و ما ذا عليه.

استعاره بالكنايه و قوله: لأنّ المؤمن.إلى قوله:و ما ذا عليه.

بيان لمعنى كون اللسان وراء و أماما،و تلخيص هذا البيان أنّ الوراء فى الموضعين كنايه عن التبعيّه لأنّ لسان المؤمن تابع لقلبه فلا ينطق إلّا بعد تقديم الفكر فيما ينبغى أن يقوله،و قلب المنافق و ذكره متأخّر عن نطقه فكان لفظ الوراء استعاره من المعنى المحسوس للمعقول فأمّا الخبر النبوىّ المذكور فهو استشهاد على أنّ الإيمان لا يتمّ إلّا باستقامه اللسان على الحقّ و خزنه عن الرذائل

ص:۳۵۹

الّتی عدّدناها و ذلک عین ما ادّعاه فی قوله:إنّ التقوی لا ینفع العبد حتّی یخزن لسانه.فأمّا برهان الخبر فهو أنّ استقامه القلب عباره عن التصدیق باللّه و رسوله و اعتقاد حقیّه ما وردت به الشریعه من المأمورات و المنهیّات،و ذلک عین الإیمان و حقیقته فإذن لا یستقیم الإیمان حتّی یستقیم القلب،و أمّا أنّه لا یستقیم القلب حتّی یستقیم اللسان فلأنّ استقامه اللسان علی الإقرار بالشهادتین و لوازمها و علی الإمساک عمّا لا ینبغی من الأمور المعدوده من لوازم استقامه القلب لحکمنا علی غیر المقرّ بتلک الامور و القائل بها بعدم الإیمان الکامل،و لا یستقیم أمر من دون لازمه .

و قوله:فمن استطاع.إلی قوله:فلیفعل.

و قوله: فمن استطاع.إلی قوله:فلیفعل.

أمر بالاجتهاد فی لقاء اللّه تعالی علی أحوال،و هی نقاء الراحه من دماء المسلمین و أراد السلامه من قتل النفس،و أموالهم و أراد السلامه من الظلم،و أن یکون الإنسان سلیم اللسان من أعراضهم و أراد الکفّ عن الغیبه و السبّ،و شرط ذلک بالاستطاعه لعسره و شدّته و إن کان واجب الترک علی کلّ حال،و أشدّها الکفّ عن الغیبه فإنّه یکاد أن لا یستطاع،و إلی نحو هذا إشاره الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المسلّم من سلم المسلمون من یده و لسانه.فسلامتهم من یده سلامه دمائهم و أموالهم،و سلامتهم من لسانه سلامه أعراضهم،و أعمّ من ذلک قال بعض الحکماء:من علم أنّ لسانه جارحه من جوارحه أقلّ من إعمالها و استقبح إدامه تحریکها کما یستقبح أن یحرّک رأسه أو منکبه دائما .

و قوله:و اعلموا.إلی قوله:حرّم علیکم

و قوله: و اعلموا.إلی قوله:حرّم علیکم قال بعض الشارحین:هو إشاره إلی أنّ ما ثبت من طریق النصّ أو العاده الّتی شهد بها النصّ فی زمان الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا یجوز أن ینقض بالقیاس و الاجتهاد بل کلّ ما ورد به النصّ فیتبع فیه مورد النصّ فما کان حلالا بمقتضی النصّ و عمومه العام الماضی فهو فی هذا العام حلال،و کذا فی الحرام،و عموم هذا الکلام یقتضی عدم جواز نسخ النصّ و تخصیصه بالقیاس و هو مذهب الإمامیّه لاعتقادهم بطلان القول بالقیاس المتعارف،و مذهب جماعه من الاصولیّین مع اعترافهم بصحّه

ص:۳۶۰

القياس،و من يجوّز تخصيصه به يحمل هذا الكلام على عدم قبول القياس فى نسخ النصّ من كتاب أو سنّه،و ما أحدثه الناس إشاره إلى القياس.

و قوله:و لكنّ الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه،

و قوله: و لكنّ الحلال ما أحلّ اللّه و الحرام ما حرّم اللّه، تأكيد لاتّباع النصّ و ما كان عليه الصحابه من الدين ممّا هو معلوم بينهم دون ما أحدث من الآراء و المذاهب .

و قوله:و قد جرّبتم الامور و ضرّستموها.إلى قوله:الأمر الواضح.

و قوله: و قد جرّبتم الامور و ضرّستموها.إلى قوله:الأمر الواضح.

إشاره إلى وجوه العلم و مأخذه،و وجه اتّصاله بما قبله أنّهم إذا كانوا قد أحكموا الامور تجربه،و وعّظوا بمن كان قبلهم،و ضربت لهم الأمثال،و دعوا إلى الأمر الواضح و هو الدين و طريقه فلا بدّ أن تكون نفوسهم قد استعدّت بذلك لعلم الأحكام الشرعيّه و مقاصدها من الكتاب و السنّه و عادات الرسول و الصحابه، و لا يخفى عليهم ما ابتدع بعدها،و أنّ كلّ بدعه حرام فضلا أن ترفع حكم نصّ أو سنّه سبق العلم بها،و لا يصمّ عن هذه المواعظ و الأمثال و الدعوه إلى الدين إلّا أصمّ.أى من هو شديد الصمم كما يقال:ما يجهل بهذا الأمر إلّا جاهل:أى أشدّ الناس جهلا،و كذلك لا يعمى عنه:أى لا يعمى عنه بصيره إلّا بصيره اشتدّ عماها .

و قوله:من لم ينفعه.إلى قوله:من أمامه.

و قوله: من لم ينفعه.إلى قوله:من أمامه.

كلام حقّ،و ذلك أنّ الإنسان فى مبدء الفطره خال عن العلوم،و إنّما خلقت له هذه الآلات البدنيّه ليتصفّح بها صور المحسوسات و معانيها و يتنبّه لمشاركات بينها و مباينات فيحصل له التجربه و سائر العلوم الضروريّه و المكتسبه فمن لم ينتفع بالبلاء:أى بامتحان الأمور و تجاريبها،و هو إشاره إلى اعتبار الأمور و التفكّر فيها و الابتلاء بها كالوقوع فى المكاره و معاناه الأعمال و لم يستفد منها علما فظاهر أنّه لا ينفعه العظه لأنّ العظه فرع تصفّح الأمور و اعتبار آيات اللّه منها،و محال أن يحصل فرع من دون أصله و حينئذ يأتيه النقص فى كمال نفسه و وجوه مصالحه،و يحتمل أن لا يريد بالعظه الاتّعاظ بل الموعظه،و ظاهر أنّ الموعظه أيضا لا ينفعه لأنّ البلاء بالمكاره و الوقائع النازله أقوى فعلا فى النفس و

أكثر تأثيراً فإذا لم ينتفع بها و لم يستفد منها علما فبالأولى أن لا ينتفع بالموعظه.

و قوله:من أمامه.

و قوله: من أمامه.

لأنّ الكمالات الّتی یتوجّه إليها بوجه عقله تفوته لنقصان تجربته و وقوف عقله عنها فأشبه فوتها له مع طلبه لها إتيان النقصان له من أمامه.

و قوله:حتّى يعرف ما أنكر و ينكر ما عرف.

و قوله: حتّى يعرف ما أنكر و ينكر ما عرف.

إشاره إلى غايه نقصانه،و هی الاختلاط و الحكم على غير بصيره فتاره يتخيّل فيما أنكره و جهله أنّه عارف بحقيقته،و تاره ينكر ما كان يعرفه و يحكم بصحّته لخيال يطرأ عليه .ثمّ قسّم لهم الناس إلى قسمين:فقسم متّبع شرعه:أی طريقه و منهاجا و هو منهاج الدين،و قسم مبتدع بدعه بغير برهان سنّه من اللّه يعتمد عليه، و لا ضياء حجّه يقوده فی ظلمات الجهل ليلحقوا بأفضل القسمين .

و قوله:إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن.

استعاره مرشحه و قوله: إنّ اللّه سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن.

رجوع إلى ممادح القرآن،و استعار له ألفاظا:الأوّل :لفظ الحبل ،و رشّح بالمتين،و قد عرفت وجه هذا الاستعاره مراراً .الثانی: استعاره و كذلك سببه الأمين.

الثالث:لفظ الربيع ،و وجهها أنّ القلوب يحيی به كما يحيی الأنعام بالربيع.

الرابع:لفظ الينابيع ،و وجهها أنّ العلوم عند تدبّره و التفهم عنه تغيض عنه و ينتفع بها كما يغيض الماء عن الينابيع.الخامس :لفظ الجلاء ،و وجهها أنّ الفهم عنه يكشف عن القلوب صداء الجهل كما يجلو الصيقل المرآه.

فإن قلت:فلم قال:و ليس للقلب جلاء غيره مع أنّ سائر العلوم جلاء له؟.

فالجواب من وجهين:

أحدهما:أنّ العلوم الجاليه للقلب هی المعدّه لسلوك سبيل اللّه و الوصول إلى الغايه من الكمال النفسانیّ كالعلوم الإلهيّه،و علم الأخلاق و أحوال المعاد،و لا علم منها إلاّ و فی القرآن أصله و مادّته و هو مقتبس من القرآن.

الثانی:أنّ هذا الكلام صدر عنه عليه السّلام و لم يكن فی ذلك الزمان علم مدوّن و لا استفاده للمسلمين إلاّ من القرآن الكريم

فلم يكن إذن جلاء للقلب غيره

ص:٣٦٢

و قوله:مع أنّه قد ذهب المتذكّرون

و قوله: مع أنّه قد ذهب المتذكّرون :أى المتدبّرون لمقاصد القرآن، و بقى الناسون له و المتناسون المتعمّدون للتشاغل و النسيان للجواذب إلى اللّه،و هو فى معنى التوبيخ لهم .ثمّ أمرهم بإعانه من يعمل الخير على فعله،و وجوه الإعانه كثيره.ثمّ بالإعراض عن الشرّ و إنكاره عند رؤيته و استشهد على وجوب امتثال أمره بالخبر النبوىّ،و قد نبّه الخبر على وجوب عمل الخير و الانتهاء عن الشرّ باستلزام ذلك لكون فاعله جوادا قاصدا، استعاره و استعار وصفى الجواد القاصد ، و وجه المشابهه أنّ العامل للخير المنتهى عن الشرّ مستقيم على طريق اللّه فلا تعريج فى طريقه و لا اعوجاج فيكون سيره فى سلوك سبيل اللّه أسرع سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق .ثمّ قسّم عليه السّلام الظلم إلى ثلاثه أقسام:

الأوّل:الظلم الّذى لا يغفر أصلا.و هو ظلم النفس بالشرك باللّه،و برهانه النصّ و المعقول:أمّا النصّ فقوله تعالى «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» و أمّا المعقول فلأنّ المغفره عباره إمّا عن محو آثار الجرائم عن ألواح النفوس أو عمّا يلزم ذلك من ستر اللّه على النفوس أن تحترق بنار جهنّم،و الهيئات البدنيّه الّتى حجبت نفوس المشركين عن معرفه اللّه هيئات متمكّنه من تلك النفوس قد صارت ملكات لا يمكن زوالها مع عدم مسكتهم بالمعارف الإلهيّه فهم فى العذاب ماكثون،و فى سلاسل تلك الهيئات و أغلالها مكبلون فإذن لا يتحقّق المغفره فى حقّهم لعدم مخلصهم منها و جاذبهم عنها و هى عصمه المعرفه.

الثانى : ظلم لا يترك :أى لا بدّ من أخذ فاعله بالعقوبه و القصاص به،و هو ظلم العباد بعضهم لبعض،و إليه الإشاره بقوله:يوم يقتصّ للجماء من القرناء،و هذا الظالم إن كانت له مسكه ببعض عصم النجاه من المعارف الإلهيّه وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن يتفاوت مكثه بحسب تفاوت شدّه تمكّن تلك الهيئات الرديئه من نفسه و ضعفها،و إليه أشار الخبر النبوىّ يخرجون من النار بعد ما يصيرون حمما و فحما.

و الثالث:الظلم الّذى يغفر و لا يطلب و هو ظلم العبد نفسه عند ارتكابه بعض

صغائر الزلاّت،و هی الّتی لا تکسب النفس هیئه ردیئه باقیه بل حاله یسرع زوالها، و إلیه الإشاره بقوله تعالی «وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو مَغْفِرَهٍ لِلنّاسِ عَلی ظُلْمِهِمْ» (۱)أی فی حال کونهم ظالمین :ثمّ أخذ فی التحذیر من الظلم بذکر شدّه القصاص فی الآخره، و صدق أنّه لیس جرحا بمدیه و لا ضربا بسوط کقصاص الدنیا،و لکنّه ما یستصغر ذلک معه من العقوبات بالنار المشهوره أوصافها،و روی عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم أنّه کان جالسا فی أصحابه فسمع هدّه.فقال:هذا حجر أرسله اللّه تعالی من شفیر جهنّم فهو یهوی فیها منذ سبعین خریفا حتّی بلغ الآن قعرها فهذا بعض أوصافها المحسوسه.

و اعلم أنّ لهذا الخبر تماما ما یکشف سرّه،و هو أنّ الراوی قال:فسمعنا بعد ذلک صیحه و صراخا فقلنا:ما هذا؟فقالوا:فلان المنافق مات و کان عمره یومئذ سبعین سنه.قال بعض من تلطّف:إنّ المراد بجهنّم المشار إلیها هی الدنیا و متاعها.و بالحجر هو ذلک المنافق استعاره،و وجه المشابهه أنّ ذلک المنافق لم ینتفع بوجوده مدّه حیاته و لم تکسب نفسه خیرا فأشبه الحجر فی ذلک،و إرسال اللّه تعالی له هو إفاضته علیه ما استعدّ له من اتّباع هواه فیها و الانهماک فی شهوتها و التیه عن سبیله المشار إلیه بقوله «یُضِلُّ مَنْ یَشاءُ» و شفیرها هو أوّلها بالنسبه إلیه و ذلک حین استعداده للانهماک فیها،و أوّل الامور القائده له فی طرق الضلال من متاعها و لذّاتها،و هویّه فیها سبعین خریفا هو انهماکه فیها مدّه عمره،و بلوغه قعرها هو وصوله بموته إلی غایه العذاب بسبب ما اکتسب منها من ملکات السوء کما أومأنا إلیه غیر مرّه. کنایه ثمّ نهی عن التلوّن فی دین اللّه ،و کنّی به عن منافقه بعضهم لبعض فإنّ ذلک یستلزم الفرقه و لذلک.قال:فإنّ جماعه فیما تکرهون من الحقّ خیر من فرقه فیما تحبّون من الباطل:أی فإنّ الاجتماع علی الحقّ المکروه إلیکم کالحرب مثلا خیر لکم من الافتراق فی الباطل المحبوب عندکم کمتاع الدنیا .ثمّ تمّم النهی عن الفرقه و قال:فإنّ اللّه لم یعط أحدا بفرقه خیراً لا من الماضین و لا من الباقین،و لمّا کان الخیر فی الاجتماع و الالفه و المحبّه

۱- ۱) ۷-۱۳.

حتّی یصیر الناس کرجل واحد و یتمّ نظام العالم بذلک کان فی الفرقه أضداد ذلک و کذلک ما روی عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم من فارق الجماعه قید شبر فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه،و قد سبق بیان فضیله الاجتماع .ثمّ أعاد النهی عن الغیبه للناس بذکر معایبهم و نبّه من عساه أن یستحیی من نفسه بأنّ لکلّ عیبا ینبغی أن یشتغل به،و طوبی فعلی من الطیب،و الواو منقلبه عن الیاء،و قیل:هی اسم شجره فی الجنّه،و علی التقدیرین مبتداء .ثمّ نبّه علی فضل العزله و لزوم البیت للاشتغال بطاعه اللّه و البکاء علی الخطیئه و الندم علیها.

و قوله:و کان من نفسه فی شغل.إلی آخر ما ذکره ثمره العزله.

و قوله: و کان من نفسه فی شغل.إلی آخر ما ذکره ثمره العزله.

و اعلم أنّ الناس قد اختلفوا فی أنّ العزله أفضل أم المخالطه؟ففضّل جماعه من مشاهیر الصوفیّه و العارفین العزله منهم إبراهیم بن أدهم و سفیان الثوری، و داود الطائی و الفضیل بن عیاض و سلیمان الخواص و بشر الحافی،و فضّل الآخرین المخالطه و منهم الشعبی و ابن أبی لیلی و هشام بن عروه و ابن شبرمه و ابن عیینه و ابن المبارک،و احتجّ الأوّلون بالنقل و العقل:أمّا النقل فقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم لعبد اللّه بن عامر الجهنی لمّا سأله عن طریق النجاه.فقال:لیسعک بیتک و أمسک علیک لسانک و ابک علی خطیئتک.و قیل له صلّی اللّه علیه و آله و سلم:أیّ الناس أفضل؟.فقال:رجل معتزل فی شعب من الشعاب یعبد ربّه و یدع الناس من شرّه،و قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:یحبّ التقی النقی الخفیّ،و أمّا العقل فهو أنّ فی العزله فوائد مطلوبه للّه لا توجد فی المخالطه فکانت أشرف منها الفراغ لعباده اللّه و الذکر له و الاستیناس بمناجاته و الاستکشاف لأسراره فی امور الدنیا و الآخره من ملکوت السماوات و الأرض،و لذلک کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم یتعبّد بجبل حراء و یعتزل به حتّی آتته النبوّه،و احتجّ الآخرون بالقرآن و السنّه:أمّا القرآن فقوله تعالی «فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً» (۱)و قوله «وَ لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا» (۲)و معلوم أنّ العزله تنفی تألّف القلوب و توجب تفرّقها،و أمّا السنّه فقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلم:من فارق الجماعه قید شبر

ص:۳۶۵

۱- ۱) ۳-۹۸

۲- ۲) ۹۹-۳.

فقد خلع ربقه الإسلام عن عنقه.و ما روى أنّ رجلا أتى جبلا يعبد اللّه فيه فجاء به أهله إلى الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فنهاه عن ذلک.و قال له:إنّ صبر المسلم فی بعض مواطن الجهاد یوما واحدا خیر له من عباده أربعین سنه،و أقول:إنّ كلا الاحتجاجين صحيح لكنّه ليس أفضليّه العزله مطلقا و لا أفضليّه المخالطه مطلقا بل كلّ فی حقّ بعض الناس بحسب مصلحته،و فی بعض الأوقات بحسب ما يشتمل عليه من المصلحه.

و اعلم أنّه من أراد أن يعرف مقاصد الأنبياء عليهم السّلام فی أوامرهم و تدبيراتهم فينبغی أن يتعرّف طرفا من قوانين الأطبّاء،و مقاصدهم من العبارات المطلقه لهم فإنّه كما أنّ الأطبّاء هم المعالجون للأبدان بأنواع الأدويه و العلاجات لغايه بقائها على صلاحها أو رجوعها إلى العافيه من الأمراض البدنيّه كذلک الأنبياء عليهم السّلام و من يقوم مقامهم فإنّهم أطبّاء النفوس و المبعوثون لعلاجها من الأمراض النفسانيّه كالجهل و سائر رذائل الأخلاق بأنواع الكلام من الآداب و المواعظ و النواهی و الضرب و القتل،و كما أنّ الطبيب قد يقول الدواء الفلانی نافع من المرض الفلانی، و لا يعنی به فی كلّ الأمزجه بل فی بعضها كذلک الأنبياء و الأولياء إذا أطلقوا القول فی شیء أنّه نافع كالعزله مثلا فإنّهم لا يريدون أنّها نافعه لكلّ إنسان، و كما أنّ الطبيب قد يصف لبعض المرضى دواء و يرى شفائه فيه و يرى أنّ ذلک الدواء بعينه لمريض آخر كالسمّ القاتل و يعالجه بغيره كذلک الأنبياء عليهم السّلام قد يرون أنّ بعض الامور دواء لبعض النفوس فيقتصرون عليه،و قد يرون أنّ بعض الأوامر علاج لبعض النفوس كالأمر بالعزله و الحثّ عليها لبعض الناس،و قد يرون أنّ ذلک العلاج بعينه مضرّ لغير تلک النفس فيأمرونها بضدّ ذلک كالأمر بالمخالطه و المعاشره،و أكثر ما يختارون العزله لمن بلغ رتبه من الكمال فی قوّتيه النظريّه و العمليّه،و استغنى عن مخالطه كثير من الناس لأنّ أكثر الكمالات الإنسانيّه من العلوم و الأخلاق إنّما تحصل بالمخالطه خصوصا إذا كان ذلک الإنسان أعنی المأمور بالعزله خاليا عن عائله يحتاج أن يتكسب لهم،و أكثر ما يختارون المخالطه

و الاجتماع لتحصّل الألفه و الإتّحاد بالمحبّه،و للاتّحاد غايتان كلّيّتان:

إحداهما:حفظ أصل الدين و تقويته بالجهاد،و الثانيه:تحصيل الكمالات الّتى بها نظام أمر الدارين لأنّ أكثر العلوم و الأخلاق يستفاد من العشره و المخالطه كما بيّناه.و باللّه التوفيق.

۱۷۶-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى معنى الحكمين

فَأَجْمَعَ رَأْىُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ- فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجَعْجِعَا عِنْدَ ؟الْقُرْآنِ؟ وَ لاَ يُجَاوِزَاهُ- وَ تَكُونُ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ فَتَاهَا عَنْهُ- وَ تَرَكَا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ- وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا وَ الاِعْوِجَاجُ رَأْيُهُمَا- وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِى الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ- وَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا- وَ الثِّقَهُ فِى أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ- وَ أَتَيَا بِمَا لاَ يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ أقول:هذا الفصل من خطبه خطبها بعد ما بلغه أمر الحكمين.

اللغه

و الإجماع:

تصميم العزم .و يجعجعا: يحبسا نفسهما على القرآن ،

المعنى

و الخطاب لمن أنكر عليه رضاه بالتحكيم بعد الرضا به،و قد حكى فيه إجماع رأى جماعتهم على اختيار الرجلين و هما أبو موسى الأشعرى و عمرو بن العاص و أخذه عليهما أن يحبسا نفسهما على العمل بالقرآن و لا يجاوزاه، مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و تكون ألسنتهما و قلوبهما معه ،و اطلق لفظ القلوب على الميول الإراديّه مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب كقوله تعالى «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» و ذلك هو شرط رضاه عليه السّلام بالتحكيم .ثمّ حكى

ص:۳۶۷

خروجهما عمّا اشترط عليهما و تيههما عن الكتاب و تركهما للحقّ مع إبصارهما له، و خروجهما عن فضيله العدل بحسب الهوى إلى رذيله الجور و الاعوجاج عن طريقه الحقّ.

و قوله : و قد سبق استثناؤنا.

إعاده لذكر سبق الشرط فى الحكم بالعدل،و سوء رأيهما منصوب لأنّه مفعول سبق.

و قوله : و الثقه فى أيدينا لأنفسنا.

أى إنّا على برهان وثقه من أمرنا،و ليس بلازم لنا حكمهما لأنّهما خالفا الشرط و آتيا بما لا يعرف من الحكم المعكوس،و قد حكينا فيما سبق طرفا من حال التحكيم و خداع عمرو بن العاص لأبى موسى الأشعرى.و باللّه التوفيق.

۱۷۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

لاَ يَشْغَلُهُ شَأْنٌ وَ لاَ يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ- وَ لاَ يَحْوِيهِ مَكَانٌ وَ لاَ يَصِفُهُ لِسَانٌ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ وَ لاَ نُجُومِ السَّمَاءِ- وَ لاَ سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ- وَ لاَ دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا- وَ لاَ مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَهِ الظَّلْمَاءِ- يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَ خَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ- وَ أَشْهَدُ أَنْ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ- وَ لاَ مَشْكُوكٍ فِيهِ وَ لاَ مَكْفُورٍ دِينُهُ- وَ لاَ مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ شَهَادَهَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ- وَ صَفَتْ دِخْلَتُهُ وَ خَلَصَ يَقِينُهُ وَ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلاَئِقِهِ- وَ الْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ

ص:۳۶۸

وَ الْمُخْتَصِّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ- وَ الْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالاَتِهِ- وَ الْمُوَضِّحَهُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى وَ الْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَ الْمُخْلِدَ إِلَيْهَا- وَ لاَ تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا وَ تَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا- وَ ايْمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَهٍ مِنْ عَيْشٍ- فَزَالَ عَنْهُمْ إِلاَّ بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا- لِ «أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ» وَ لَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَ تَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ- فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَ وَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ- لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَ أَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ- وَ إِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَهٍ- وَ قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَهً- كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ- وَ لَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ وَ مَا عَلَيَّ إِلاَّ الْجُهْدُ- وَ لَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ «عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ» أقول:هذه الخطبه خطب بها بعد مقتل عثمان فی أوّل خلافته.

اللغه

و الدخله بالكسر و الضمّ: باطن الشیء .و المعتام: المختار .و عقائل الشیء: نفايسه .و أشراط الهدی: علاماته .و الغربيب: الأسود .و المخلد إليها:

المسلّم إليها اموره .و لا تنفس: لا تضنّ و لا تبخل .و غضّ النعمه: طريفها .

المعنی

و صدّر الخطبه بالإشاره إلی اعتبارات توحيديّه :

الأوّل:أنّه لا يشغله شأن عن شأن،و ذلک لأنّ الشغل عن الشیء إمّا لقصور القدره أو العلم،و قدرته تعالی و علمه المحيطان بكلّ مقدور و معلوم فإذن لا يشغله مقدور عن مقدور و لا معلوم عن معلوم،و تقرير هاتين المسألتين فی الكتب

الکلامیّه و الحکمیّه.

الثانی: لا یغیّره زمان ،و إذ ثبت أنّه تعالی خالق الزمان،و لا زمان یلحقه.

فلا تغیّر یلحقه،و لأنّه واجب الوجود،و لا شیء من المتغیّر فی ذاته أو صفاته بواجب الوجود.فلا شیء منه یلحقه التغیّر.

الثالث: و لا یحویه مکان لبراءته عن الجسمیّه و لواحقها،و کلّما کان کذلک فهو بریء عن المکان و لواحقه فینتج أنّه بریء من المکان و لواحقه.

الرابع : و لا یصفه لسان :أی لا یعبر اللسان عن حقیقه وصفه،و بیان ما هو ذلک أنّه تعالی منزّه عن رکوب[وجوه خ]التراکیب فمحال أن یقع العقول علی حقیقه وصفه فکیف باللسان الّذی هو المعبّر عنها.

الخامس : و لا یعزب عنه عدد قطر الماء.إلی قوله:الأحداق ،و هو إشاره إلی إحاطه علمه المقدّس بکلّیات الأمور و جزئیّاتها،و هذه مسئله عظیمه حارت العقول،و قد أشرنا إلیها فی المختصر الموسوم بالقواعد الإلهیّه .ثمّ عقّب هذا التنزیه بالشهاده بکلمه التوحید،و ذکر للّه تعالی أحوالا شهد بوحدانیّته علیها:

الأوّل:کونه غیر معدول به:أی لا عدیل له و لا مثل.

الثانی: و لا مشکوک فیه :أی فی وجوده فإنّ ذلک ینافی الشهاده بوحدانیّته.

الثالث: و لا مکفور دینه لأنّ الجحود لدینه یستلزم النقصان فی معرفته فکان الاعتراف به کمالا لمعرفته و للشهاده بوحدانیّته.

الرابع: و لا مجحود تکوینه :أی إیجاده للموجودات و کونه ربّا لها .ثمّ عقّب وصف المشهود له حال تلک الشهاده بأوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته:و هی کونه صادق النیّه فی تلک الشهاده:أی باعتقاد جازم،و صافی الدخله:أی نقیّ الباطن من الریاء و النفاق،و خالص الیقین بوجود المشهود أو کمال وحدانیّته من الشکوک و الشبهات فیه،و ثقیل الموازین بکمال تلک الشهاده و القیام بحقوقها من سائر الأعمال الصالحات ،و أردفها باختها و ذکر للمشهود بحقّیه رسالته أوصافا:

أحدها:كونه مجتبى من الخلايق و مصطفى منهم،و ذلك يعود إلى إكرامه بإعداد نفسه لقبول أنوار النبوّه.

الثانى: و المعتام لشرح حقايقه :أى لإيضاح ما خفى من الحقائق الإلهيّه و الشرعيّه الّتى بيّنها.

الثالث :المختصّ بنفايس كرامته،و هى الكمالات النفسانيّه من العلوم و مكارم الأخلاق الّتى اقتدر معها على تكميل الناقصين.

الرابع: و المصطفى لكرائم رسالاته :أى لرسالاته الكريمه.و تعديدها باعتبار تعداد نزول الأوامر عليه فإنّ كلّ أمر أمر بتبليغه إلى الخلق رساله كريمه.

الخامس :الموضّحه به أعلام الهدى،و هى قوانين الشريعه و دلالات الكتاب و السنّه.

استعاره السادس: و المجلوّ به غربيب العمى ،و استعار لفظ الغربيب لشدّه ظلمه الجهل،و لفظ الجلاء لزوال تلك الظلم بأنوار النبوّه .ثمّ أيّه بالناس متبّها لهم على مقابح الدنيا و مذامّها.منها: تغرّ المؤمّل لها و الراكن إليها.و ذلك أنّ المؤمّل لبعض مطالبها لا يزال يتجدّد له أمارات خياليّه على مطالب و هميّه و أنّها ممكنه التحصيل نافعه فتوجب له مدّ الأمل،و قد يخترم دون بلوغها،و قد ينكشف بطلان تلك الأمارات بعد العناء الطويل،و منها:أنّها لا تنفس على من نافس فيها و أحبّها بل تسمح به للمهالك و ترميه بغرايب من النوايب،و منها:أنّها تغلب على من غلب عليها:أى من ملكها و أخذها بالغلبه فعن قريب تقهره و تهلكه، استعاره و الأوصاف المذكوره الّتى من شأنها أن تكون للعدوّ القوىّ الداهى و هى كونها تغرّ المؤمّل لها و تغلب مغالبها و لا تبقى على محبّها مستعاره،و وجه المشابهه استلزام الكون فيها و الاغترار بها و محبّتها و التملّك لها الهلاك فيها و فى الآخره كاستلزام الغرور بالعدوّ الداهى الّذى لا يحبّ أحدا و الركون إليه الهلاك .ثمّ أخذ عليه السّلام فى التنبيه على وجوب شكر المنعم و استدراكها بالفزع إلى اللّه،و أقسم أنّ زوالها عنهم ليس إلاّ بذنوب اجترحوها،و ذلك إشاره إلى أنّ الذنوب تعدّ

لزوال النعم و حلول النقم لأنّهم لو استحقّوا إفاضه النعم مع الذنوب لكان منعهم إيّاها منعا للمستحقّ المستعدّ،و ذلك عين الظلم و هو من الجود الإلهى محال كما قال تعالى «وَ ما رَبُّکَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِیدِ» (۱)و إلى هذا المعنى الإشاره بقوله تعالى «إِنَّ اللّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ» (۲)أى يستعدّوا للتغيّر بالمعاصى.

و قوله : و لو أنّ الناس.إلى قوله:كلّ فاسد.

إشاره إلى أنّ الفزع إلى اللّه بصدق النيّه و وله القلب و تحيّره و ذهوله عن كلّ شىء سوى اللّه يعدّ الإعداد التامّ لإفاضه المطالب سواء كانت عود نعمه أو استحداثها أو زوال نقمه أو استنزالها على عدوّ.و ردّ الشارد:أى من النعم،و إصلاح الفاسد:أى من سائر الأحوال.

كنايه بالمجاز إطلاقا لاسم الظرف على المظروف و قوله : و إنّى لأخشى عليكم أن تكونوا فى فتره.

كنّى بالفتره عن أمر الجاهليّه كنايه بالمجاز إطلاقا لاسم الظرف على المظروف:أى أخشى أن يكون أحوالهم[لكم خ]أحوال الجاهليّه فى التعصّبات الباطله بحسب الأهواء المختلفه.

و قوله : و قد كانت امور.إلى قوله:محمودين.

قالت الإماميّه:تلك الامور الّتى مالوا فيها هى تقديمهم عليه من سبق من الأئمّه،و قال غيرهم:هى حركاتهم و ميلهم عليه فى تقديم عثمان وقت الشورى، و اختيارهم له و ما جرى فيها من الأقوال و الأفعال.

و قوله : و لئن ردّ عليكم أمركم.

أى صلاح أحوالكم و استقامه سيرتكم الّتى كنتم عليها فى زمن الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم إنّكم لسعداء عند اللّه و فى الدنيا . و ما علىّ إلاّ الجهد :أى فى عود ذلك الأمر عليكم.

و قوله : و لو أشاء أن أقول لقلت.

يفهم منه أنّه لو قال لكان مقتضى قوله نسبه من تقدّم عليه إلى الظلم له و

ص:۳۷۲

۱- ۱) ۴۶-۴۱

۲- ۲) ۱۲-۱۳.

تخطئهم فی التقدّم علیه،و ذکر معایب یقتضی وجوب تأخّرهم فی نظره.و تقدیر الکلام:و لکنّی لا أقول فلم أکن مریدا للقول.

اقتباس و قوله: «عَفَا اللّٰهُ عَمّا سَلَفَ» .

إشاره إلی مسامحته لهم بما سبق منهم.إذ العاده جاریه بأن یقول الإنسان مثل ذلک فیما تسامح به غیره من الذنوب،و أحسن العبارات فی ذلک لفظ القرآن الکریم فیقتبس فی الکلام .و باللّه التوفیق.

۱۷۸-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

و قد ساله ذعلب الیمانی فقال:هل رأیت ربک یا أمیر المؤمنین؟فقال علیه السلام:أ فأعبد ما لا أری؟فقال:و کیف تراه؟فقال:

لاَ تُدْرِکُهُ الْعُیُونُ بِمُشَاهَدَهِ الْعِیَانِ- وَ لَکِنْ تُدْرِکُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِیمَانِ- قَرِیبٌ مِنَ الْأَشْیَاءِ غَیْرَ مُلاَمِسٍ بَعِیدٌ مِنْهَا غَیْرَ مُبَایِنٍ- مُتَکَلِّمٌ لاَ بِرَوِیَّهٍ مُرِیدٌ لاَ بِهِمَّهٍ صَانِعٌ لاَ بِجَارِحَهٍ- لَطِیفٌ لاَ یُوصَفُ بِالْخَفَاءِ کَبِیرٌ لاَ یُوصَفُ بِالْجَفَاءِ- بَصِیرٌ لاَ یُوصَفُ بِالْحَاسَّهِ رَحِیمٌ لاَ یُوصَفُ بِالرِّقَّهِ- تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَ تَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ

اللغه

أقول: تعنو: تخضع .و تجب القلوب: تخفق .

و الفصل فصل شریف من التوحید و التنزیه .

استفهام علی سبیل الإنکار فقوله: أ فأعبد ما لا أری؟.

استفهام علی سبیل الإنکار لعباده ما لا یدرک،و فیه إزراء علی السائل .

و قوله: لا تدرکه العیون.إلی آخره.

تنزیه له عن الرؤیه بحاسّه البصر و شرح لکیفیّه الرؤیه الممکنه،و لمّا

كان تعالى منزّها عن الجسميّه و لواحقها من الجهه و توجيه البصر إليه و إدراكه به و إنّما يرى و يدرک بحسب ما يمكن لبصيره العقل لا جرم نزّهه عن تلك و أثبت له هذه.فقال: لا تدركه العيون.إلى قوله:بحقائق الإيمان .و أراد بحقائق الإيمان أركانه،و هى التصديق بوجود اللّه و وحدانيّته و سائر صفاته و اعتبارات أسمائه الحسنى،و عدّ من جملتها اعتبارات يدركه بها:

أحدها :كونه قريبا من الأشياء،و لمّا كان المفهوم من القرب المطلق الملامسه و الالتصاق و هما من عوارض الجسميّه نزّه قربه تعالى عنها.فقال: غير ملامس فأخرجت هذه القرينه ذلك اللفظ عن حقيقته إلى مجازه و هو اتّصاله بالأشياء و قربه منها بعلمه المحيط و قدرته التامّه.

الثانى:كونه بعيدا منها،و لمّا كان البعد يستلزم المباينه و هى أيضا من لواحق الجسميّه نزّهه عنها بقوله: غير مباين .و قد سبق بيان ذلك مرارا فكان بعده عنها إشاره إلى مباينته بذاته الكامله عن مشابهه شىء منها.

الثالث:و كذلك قوله : متكلّم بلا رويّه .و كلامه يعود إلى علمه بصور الأوامر و النواهى و سائر أنواع الكلام عند قوم،و إلى المعنى النفسانىّ عند الأشعرى، و إلى خلقه الكلام فى جسم النبىّ عند المعتزله.

و قوله: بلا رويّه [لا برويّه خ].

تنزيه له عن كلام الخلق لكونه تابعا للأفكار و التروّى.

الرابع:و كذلك مريد بلا همّه تنزيه لإرادته عن مثليّه إرادتنا فى سبق العزم و الهمّه لها.

الخامس: صانع بلا جارحه .و هو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه بالجارحه الّتى هى من لواحق الجسميّه.

السادس:و كذلك لطيف لا يوصف بالخفاء ،و اللطيف يطلق و يراد به رقيق القوام،و يراد به صغير الحجم المستلزمين للخفاء،و عديم اللون من الأجسام،و المحكم من الصنعه.و هو تعالى منزّه عن إطلاقه بأحد هذه المعانى لاستلزام

الجسميّه و الإمكان فبقى إطلاقها عليه باعتبارين:أحدهما:تصرّفه فى الذوات و الصفات تصرّفا خفيّا بفعل الأسباب المعدّه لها لإفاضه كمالاتها.و الثانى:جلاله ذاته و تنزيهها عن قبول الإدراك البصرى .

السابع: رحيم لا يوصف بالرّقه .تنزيه لرحمته عن رحمه أحدنا لاستلزامها رقّه الطبع و الانفعال النفسانىّ،و قد سبق بيان كونه تعالى رحيما الثامن:كونه عظيما تخضع الوجوه لعظمته.إذ هو الإله المطلق لكلّ موجود و ممكن فهو العظيم المطلق الّذى تفرّد باستحقاق ذلّ الكلّ و خضوعه له،و وجيب القلوب و اضطرابها من هيبته عند ملاحظه كلّ منها ما يمكن له من تلك العظمه.

۱۷۹-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

فى ذم أصحابه

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَ قَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ- وَ عَلَى ابْتِلاَئِى بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَهُ الَّتِى إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ- وَ إِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ- إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ وَ إِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ- وَ إِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ- وَ إِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّهٍ نَكَصْتُمْ-لاَ أَبَا لِغَيْرِكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ- وَ الْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ- الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ- فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَومِى وَ لَيَأْتِيَنِّى لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِى وَ بَيْنِكُمْ- وَ أَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ وَ بِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ- لِلَّهِ أَنْتُمْ أَ مَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لاَ حَمِيَّهٌ تَشْحَذُكُمْ- أَ وَ لَيْسَ عَجَباً أَنَّ؟مُعَاوِيَهَ؟ يَدْعُو الْجُفَاهَ الطَّغَامَ- فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَهٍ وَ لاَ عَطَاءٍ- وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ وَ أَنْتُمْ تَرِيكَهُ الْإِسْلاَمِ- وَ بَقِيَّهُ النَّاسِ

ص:۳۷۵

إِلَى الْمَعُونَهِ أَوْ طَائِفَهٍ مِنَ الْعَطَاءِ- فَتَفَرَّقُونَ عَنِّى وَ تَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ- إِنَّهُ لاَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِى رِضًا فَتَرْضَوْنَهُ- وَ لاَ سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ- وَ إِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لاَقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ- قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ وَ فَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ- وَ عَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَ سَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ- لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ- وَ أَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ؟مُعَاوِيَهُ؟- وَ مُؤَدِّبُهُمُ؟ابْنُ النَّابِغَهِ؟

اللغه

أقول: الخور: الضعف،و يحتمل أن يكون من الخوارج و هو الصياح .و اجئتم: جذبتم،و دعيتم .و نكص: رجع على عقبه .و القالى: المبغض .و الطعام:

أوغاد الناس .و التريكه: بيضه النعام .و مجّه: ألقاه من فيه .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى على ما قضى و قدّر،و لمّا كان القضاء هو الحكم الإلهى بما يكون قال:على ما قضى من الأمر.لأنّ الأمر أعمّ أن يكون فعلا،و لمّا كان القدر هو تفصيل القضاء و إيجاد الأشياء على وفقه قال: و قدّر من فعل.

و قوله: و على ابتلائى بكم.

تخصيص لبعض ما قضى و قدّر.

و قوله : إذا أمرت.إلى قوله:نكصتم.

شرح لوجوه الابتلاء بهم،و حاصلها يعود إلى مخالفتهم له فى جميع ما يريده منهم ممّا ينتظم به حالهم.

و قوله: إلى مشاقّه.

أى إلى مشاقّه عدوّ.

و قوله : لا أبا لغيركم.

دعاء بالذلّ لغيرهم،و فيه نوع تلطّف لهم،و الأصل لا أب،و الألف مزيده إمّا لاستثقال توالى أربع حركات فأشبعوا الفتحه فانقلبت ألفا أو لأنّهم قصدوا

الإضافه و أتوا باللام للتأكيد .ثمّ أقسم إن جاء يومه:أى وقت موته ليفرقنّ بينهم و بينه و هو تهديد لهم بفراقه و انشعاب امورهم بعده.

و قوله: و ليأتينّى.

حشوه لطيفه و أتى به مؤكّده لأنّ إتيان الموت أمر محقّق،و كأنّه ردّ بها ما يقتضيه إن من الشكّ فحسنت هذه الحشوه بعدها .ثمّ أخذ فى التضجّر منهم، و أخبرهم أنّه لصحبتهم مبغض،و أنّه غير كثير بهم لأنّ الكثره إنّما تراد للمنفعه فحيث لا منفعه فكأنّه لا كثره.

و قوله : للّه أنتم.

جمله اسميّه فيها معنى التعجّب من حالهم،و مثله للّه أبوك و للّه درّك. استفهام انكارى ثمّ أخذ فى استفهامهم عمّا يدّعون أنّه موجود فيهم،و هو الدين و الحميّه و الأنفه ،و من شأن الدين أن يجمع على إنكار المنكر،و الحميّه أن تشحذ و تثير القوّه الغضبيّه لمقاومه العدوّ استفهاما على سبيل العيب و الإنكار عليهم .

استفهام لتقرير التعجّب و قوله: أ و ليس عجبا.إلى قوله:و تختلفون علىّ.

استفهام لتقرير التعجّب من حاله معهم فى تفرّقهم عنه حتّى عند الدعوه إلى العطاء،و من حال معاويه مع قومه فى اجتماعهم عليه من غير معونه و لاعطاء.

فإن قلت:المشهور أنّ معاويه إنّما استجلب من استجلب من العرب بالأموال و الرغائب فلم قال:فيتّبعونه على غير معونه و لا عطاء؟ قلت:إنّ معاويه لم يكن يعطى جنده على وجه المعونه و العطاء المتعارف بين الجند،و إنّما كان يعطى رؤساء القبائل من اليمن و الشام الأموال الجليله ليستعبدهم بها و اولئك الرؤساء يدعون أتّباعهم من العرب فيطيعونهم.فصادق إذن أنّهم يتّبعونه على غير معونه و عطاء،و أمّا هو عليه السّلام فإنّه كان يقسّم بيوت الأموال بالسويّه بين الأتباع و الرؤساء على وجه الرزق و العطاء،لا يرى لشريف على مشروف فضلا،و كان أكثر من يقعد عن نصرته من الرؤساء لما يجدونه فى أنفسهم من أمر المساواه بينهم و بين الأتباع،و إذا أحسّ الأتباع بذلك تخاذلوا أيضا متابعه

لرؤسائهم.و المعونه هى ما يعطى للجند فى وقت الحاجه لترميم أسلحتهم و إصلاح دوابّهم و هو خارج عن العطاء المفروض شهراً فشهراً، استعاره و استعار لهم لفظ التريكه ، و وجه المشابهه أنّهم خلف الإسلام و بقيّه أهله كالبيضه الّتى تتركها النعامه.

و قوله : إنّه لا يخرج.إلى قوله:فترضونه.

أى إنّه لا يخرج إليكم من أمرى أمر من شأنه أن يرضى به أو يسخط منه فترضونه و تجتمعون عليه بل لا بدّ لكم من التفرّق و المخالفه على الحالين .ثمّ نبّههم على سوء صنيعهم معه بأنّ أحبّ الأشياء إليه الموت.و قد لاحظ هذه الحال أبو الطيّب فقال:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا و حسب المنايا أن تكون أمانيا

تمنّيتها لمّا تمنّيت أن أرى صديقا فأعيا أو عدوّا مداجيا

و قوله : قد دارستكم الكتاب.إلى قوله:مججتم.

إشاره إلى وجوه الامتنان عليهم و هى مدارستهم الكتاب:أى تعليمه،و مفاتحتهم الحجاج:أى مماراتهم و تعريفهم وجوه الاحتجاج،و تعريفهم ما أنكروه:

أى الامور المجهوله لهم،و تسويغهم ما مجّوه. استعاره و استعار وصف التسويغ إمّا لإعطائه لهم العطيّات و الأرزاق الّتى كانوا يحرمونها من يد غيره لو كان كمعاويه، و إمّا لإدخاله العلوم فى أفواه أذهانهم،و كذلك لفظ المجّ إمّا لحرمانهم من يد غيره أو لعدم العلوم عن أذهانهم و نبوّ أفهامهم عنها فكأنّهم ألقوها لعدم صلوحها للإساغه،و وجه الاستعارتين ظاهر .

استعاره و قوله: لو كان الأعمى.إلى قوله:يستيقظ.

إشاره إلى أنّهم جهّال لا يلحظون بأعين بصائرهم ما أفادهم من العلوم،و غافلون لا يستيقظون من سنه غفلتهم بما أيقظهم به من المواعظ أو غيرها،و لفظ الأعمى و النائم مستعاران ،و القوم فى قوله: و أقرب بقوم .هم أهل الشام.و هو تعجّب من شدّه قربهم من الجهل باللّه.إذ كان قائدهم فى الطريق معاويه و مؤدّبهم ابن النابغه:

أى عمرو بن العاص و هو رئيسهم رئيس المنافقين و أهل الغدر و الخداع،و إذا كان

الرئيس القائد و المؤدّب فی تلک الطریق من الجهل و الفجور بحال الرجلین المشار إلیهما فما أقرب أتباعهما من البعد عن اللّه و الجهل به.و أقرب:صیغه التعجّب.

و قائدهم معاویه:جمله اسمیّه محلّها الجرّ صفه لقوم.و فصّل بین الموصوف و الصفه بالجار و المجرور کما فی قوله تعالی «وَ مِمَّنْ حَوْلَکُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِینَهِ مَرَدُوا عَلَی النِّفاقِ» (۱)فمحلّ مردوا الرفع صفه المنافقون،و فصّل بینهما بقوله:و من أهل المدینه،و الغرض من ذکرهم و وصفهم بما وصف التنفیر عنهم.

۱۸۰-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

و قد أرسل رجلا من أصحابه یعلم له علم أحوال قوم من جند الکوفه قد هموا باللحاق بالخوارج،و کانوا علی خوف منه علیه السلام،فلما عاد إلیه الرجل قال له:أمنوا فقطنوا أم جبنوا فظعنوا؟؟فقال الرجل:بل ظعنوا یا أمیر المؤمنین.فقال:

بُعْداً لَهُمْ کَمَا بَعِدَتْ؟ثَمُودُ؟- أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّهُ إِلَیْهِمْ- وَ صُبَّتِ السُّیُوفُ عَلَی هَامَاتِهِمْ- لَقَدْ نَدِمُوا عَلَی مَا کَانَ مِنْهُمْ- إِنَّ الشَّیْطَانَ الْیَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ- وَ هُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَ مُتَخَلٍّ عَنْهُمْ- فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَی وَ ارْتِکَاسِهِمْ فِی الضَّلاَلِ وَ الْعَمَی- وَ صَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَ جِمَاحِهِمْ فِی التِّیهِ

اللغه

أقول: قطنوا: أقاموا .و بعدت بالکسر: هلکت .و أشرعت الرمح: سدّدته و صوّبته نحو من ترید ضربه .و استفلّهم: أی طلب منهم التفرّق و الهزیمه و زیّنها لهم .و الفلّ: التفریق و الانهزام .و الارتکاس: الرجوع فی الشیء مقلوبا .

۱- ۱) ۱۰۲-۹.

و الفصل مشتمل على السؤال عن ظعنهم و إقامتهم و علّتهما و هما الأمن و الجبن

.ثمّ على الدعاء عليهم بالهلاك.و انتصب بعدا على المصدر .ثمّ على ما لو فعل لكان سببا لندمهم على ما فعلوا و هو الهجوم عليهم بالقتل و الاذلال على ما كان منهم من اللحوق بأولياء الشيطان.ثمّ على علّه لحوقهم بهم و هى استفلال الشيطان لهم و تفريقه لجماعتهم،و روى استفزّهم:أى استخفّهم،و روى استقبلهم:أى تقبّلهم و رضى عنهم.و هى أقوى القرينه.

قوله: و هو غدا متبرّىء منهم و متخلّ عنهم.

أى تارك لهم فإنّ التبرىء فى مقابله الاستقبال و ذلك كقوله تعالى «وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ» إلى قوله «إِنِّی بَرِیءٌ مِنْكُمْ» (۱).

و قوله : فحسبهم بخروجهم من الهدى.

أى يكفيهم ذلك عذاباً و شرّا،و الباء فى بخروجهم زائده كهى فى قوله تعالى «وَ كَفى بِاللّهِ شَهِيداً» ، و ارتكاسهم فى الضلال و العمى رجوعهم إلى الضلال القديم و عمى الجهل الّذى كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته، و صدّهم عن الحقّ بالخروج عن طاعته و جماحهم فى تيه الجهل و الهوى بعد الاستقرار فى مدينه العلم و العقل، استعاره و لفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيله العدل إلى رذيله الإفراط منها كما سبق و الغلوّ فى طلب الحقّ إلى حدّ الجور عن الصراط المستقيم .و باللّه التوفيق.

۱۸۱-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

روى عن نوف البكالى قال:خطبنا هذه الخطبه بالكوفه أمير المؤمنين عليه السلام و هو قائم على حجاره نصبها له جعده بن هبيره المخزومى،و عليه مدرعه من صوف،و حمائل سيفه ليف،و فى رجليه نعلان من ليف، و كأن جبينه ثفنه بعير.فقال عليه السلام:

۱- ۱) ۸-۵۰.

القسم الأول

اشاره

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» إِلَیْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ- وَ عَوَاقِبُ الْأَمْرِ نَحْمَدُهُ عَلَی عَظِیمِ إِحْسَانِهِ- وَ نَیِّرِ بُرْهَانِهِ وَ نَوَامِی فَضْلِهِ وَ امْتِنَانِهِ- حَمْداً یَکُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَ لِشُکْرِهِ أَدَاءً- وَ إِلَی ثَوَابِهِ مُقَرِّباً وَ لِحُسْنِ مَزِیدِهِ مُوجِباً- وَ نَسْتَعِینُ بِهِ اسْتِعَانَهَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ- مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطَّوْلِ مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَ الْقَوْلِ- وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِیمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً- وَ أَنَابَ إِلَیْهِ مُؤْمِناً وَ خَنَعَ لَهُ مُذْعِناً- وَ أَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّداً وَ عَظَّمَهُ مُمَجِّداً وَ لاَذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً «لَمْ یُولَدْ» سُبْحَانَهُ فَیَکُونَ فِی الْعِزِّ مُشَارَکاً- وَ «لَمْ یَلِدْ» فَیَکُونَ مَوْرُوثاً هَالِکاً- وَ لَمْ یَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَ لاَ زَمَانٌ- وَ لَمْ یَتَعَاوَرْهُ زِیَادَهٌ وَ لاَ نُقْصَانٌ- بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلاَمَاتِ التَّدْبِیرِ الْمُتْقَنِ- وَ الْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ- فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلاَ عَمَدٍ- قَائِمَاتٍ بِلاَ سَنَدٍ دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ- غَیْرَ مُتَلَکِّئَاتٍ وَ لاَ مُبْطِئَاتٍ- وَ لَوْ لاَ إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِیَّهِ- وَ إِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِیَهِ- لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ وَ لاَ مَسْکَناً لِمَلاَئِکَتِهِ- وَ لاَ مَصْعَداً لِلْکَلِمِ الطَّیِّبِ وَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلاَماً یَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَیْرَانُ- فِی مُخْتَلَفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ- لَمْ یَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّیْلِ الْمُظْلِمِ- وَ لاَ اسْتَطَاعَتْ جَلاَبِیبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ- أَنْ

تَرُدَّ مَا شَاعَ فِی السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ- فَسُبْحَانَ مَنْ لاَ یَخْفَی عَلَیْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ- وَ لاَ لَیْلٍ سَاجٍ فِی بِقَاعِ الْأَرَضِینَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ- وَ لاَ فِی یَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ- وَ مَا یَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِی أُفُقِ السَّمَاءِ- وَ مَا تَلاَشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ- وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَهٍ تُزِیلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ- وَ انْهِطَالُ السَّمَاءِ- وَ یَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَهِ وَ مَقَرَّهَا وَ مَسْحَبَ الذَّرَّهِ وَ مَجَرَّهَا- وَ مَا یَکْفِی الْبَعُوضَهَ مِنْ قُوتِهَا وَ مَا تَحْمِلُ الْأُنْثَی فِی بَطْنِهَا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْکَائِنِ قَبْلَ أَنْ یَکُونَ کُرْسِیٌّ أَوْ عَرْشٌ- أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ- لاَ یُدْرَکُ بِوَهْمٍ وَ لاَ یُقَدَّرُ بِفَهْمٍ- وَ لاَ یَشْغَلُهُ سَائِلٌ وَ لاَ یَنْقُصُهُ نَائِلٌ- وَ لاَ یَنْظُرُ بِعَیْنٍ وَ لاَ یُحَدُّ بِأَیْنٍ وَ لاَ یُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ- وَ لاَ یُخْلَقُ بِعِلاَجٍ وَ لاَ یُدْرَکُ بِالْحَوَاسِّ وَ لاَ یُقَاسُ بِالنَّاسِ- الَّذِی کَلَّمَ؟مُوسَی؟ تَکْلِیماً وَ أَرَاهُ مِنْ آیَاتِهِ عَظِیماً- بِلاَ جَوَارِحَ وَ لاَ أَدَوَاتٍ وَ لاَ نُطْقٍ وَ لاَ لَهَوَاتٍ- بَلْ إِنْ کُنْتَ صَادِقاً أَیُّهَا الْمُتَکَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّکَ- فَصِفْ؟جِبْرِیلَ؟ وَ؟مِیکَائِیلَ؟ وَ جُنُودَ الْمَلاَئِکَهِ الْمُقَرَّبِینَ فِی حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّینَ- مُتَوَلِّهَهً عُقُولُهُمْ أَنْ یَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِینَ- فَإِنَّمَا یُدْرَکُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَیْئَاتِ وَ الْأَدَوَاتِ- وَ مَنْ یَنْقَضِی إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ- فَ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» أَضَاءَ بِنُورِهِ کُلَّ ظَلاَمٍ-

ص:۳۸۲

وَ أَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ- الَّذِى أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ- فَلَوْ أَنَّ أَحداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلًا- لَكَانَ ذَلِكَ؟سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ع؟ الَّذِى سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ- مَعَ النُّبُوَّهِ وَ عَظِيمِ الزُّلْفَهِ- فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ وَ اسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ- رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ- وَ أَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَهً- وَ الْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَهً وَ وَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ- وَ إِنَّ لَكُمْ فِى الْقُرُونِ السَّالِفَهِ لَعِبْرَهً- أَيْنَ؟الْعَمَالِقَهُ؟ وَ أَبْنَاءُ؟الْعَمَالِقَهِ؟- أَيْنَ الْفَرَاعِنَهُ وَ أَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَهِ- أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ؟الرَّسِّ؟ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ- وَ أَطْفَئُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَ أَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ- أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَ هَزَمُوا بِالْأُلُوفِ- وَ عَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَ مَدَّنُوا الْمَدَائِنَ

اللغه

أقول:نقل الجوهرىّ فى الصحاح أنّ نوفا البكالى بفتح الباء و تخفيف الكاف كان صاحب علىّ عليه السّلام،و نقل عن ثعلب أنّه منسوب إلى بكاله قبيله.و قال القطب الراوندىّ:و هو منسوب إلى بكال،و بكيل و بكال شىء واحد و هو اسم حىّ من همدان.قال:و بكيل أكثر،و قال الشارح عبد الحميد بن أبى الحديد:و الصواب غير ما قالاه،و إنّما هو بكال بكسر الباء من حمير فمنهم هذا الشخص و هو نوف بن فضاله صاحب علىّ عليه السّلام.و الأقوال محتمله.و أمّا جعده بن هبيره فهو ابن اخت أمير المؤمنين عليه السّلام امّ هانى بنت أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم،و أبوه هبيره بن أبى وهب بن عمرو بن عامد بن عمران بن مخزوم و هو صحابىّ.و ثفنه البعير: واحده

الثفنات و هی ما یقع علی الأرض من أعضائه .و الخنوع: الخضوع .و یتعاوره .

یختلف علیه .و موطّدات. ممهّدات .و التلکّؤ: التوقّف .و الطواعیه: الطاعه .و الفجاج:

الطریق بین الجبال .و الادلهمام: شدّه الظلمه .و السجف: الستور .و الحندس بکسر الحاء: اللیل شدید الظلمه .و السفع: الجبال .و السفعه: سواد مشرب بحمره و لون الجبال فی الأکثر .و الیفاع: المرتفع من الأرض .و الجلجله: صوت الرعد .

و تلاشی: اضمحلّ :و الأنواء: جمع نوء،و هو سقوط نجم من منازل القمر الثمانیه و العشرین فی المغرب مع الفجر،و طلوع رقیبه من المشرق یقابله من ساعته فی کلّ لیله إلی ثلاثه عشر یوما،و هکذا کلّ نجم منها إلی انقضاء السنه ما خلا الجبهه فإنّ لها أربعه عشر یوما .و مرجحنّین: مائلین إلی جهه تحت .و الریاش :

اللباس .و الطعمه. المأکله .

المعنی

فقوله: الحمد للّه .إلی قوله: الأمر.

حمد له باعتبار کونه منتهی جمیع آثاره فی عالمی الخلق و الأمر انتهاءاً فی أوّلیّتها بالصنع و الإبداع و انتهاء فی آخریّتها لأنّه غایه مطلوب السالکین،و هو الباقی بعد کلّ شیء منها باعتبار وجوب وجوده فهو مستحقّ البقاء لذاته،و هی الممکنه و المستحقّه للفناء باعتبار کونه ممکنا لها،و لمّا کان الحمد قد یکون لأداء حقّ ما سبق من النعمه،و قد یکون للاستزاده منها کان قوله : نحمده.إلی قوله:أداء .نظرا إلی ما سبق من أنواع نعم اللّه و هی عظیم إحسانه بالخلق و الایجاد علی وفق الحکمه و المنفعه.ثمّ بإناره برهانه فی متقن صنعه و محکمه و علی ألسنه رسله لسوقنا فی صراطه المستقیم إلی جنّات النعیم و هدایتنا إلیها.ثمّ بإفاضه نوامی فضله و امتنانه بکفایتنا فی حیاتنا الدنیا.ثمّ بإفاضه أسباب معاشنا و معادنا،و کان قوله: و إلی ثوابه.إلی قوله:موجبا إشاره إلی ما یستزاد منها و هو القرب من ثوابه الاخروی لاستکمال النفس بذلک و حسن مزیده من نعمه الحاضره کما قال تعالی و «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ » (۱)ثمّ أردف ذلک الشکر بطلب المعونه منه استعانه

۱- ۱) ۷-۱۴.

بالصفات المعدوده.إلى قوله:و القول.فإنّ استعانه من هذه صفته تكون أقرب الاستعانات إلى إجابه المستعان بالعون لقوّتها باستجماعها قوّه الرجاء،و الأمل له تعالى،و حسن اليقين فى قدرته على بذل النفع و دفع الضرّ،و الشكر و الإذعان بالطاعه العمليّه و القوليّه .ثمّ أردف ذلک بالإقرار بالإيمان الكامل،و هو إيمان من استكمل الأوصاف المعدوده آنفا و هى رجاء المطالب العاليه منه حال اليقين التامّ بأنّه أهلها،و الرجوع إليه عن جميع الفرطات و فى سائر المهمّات حال الإيمان به، و الخضوع حال انقياده لعزّته ،ثمّ الإخلاص له حال توحيده،ثمّ تعظيمه حال تمجيده،و اللوذ به حال الرغبه إليه و الاجتهاد فيها.و ظاهر أنّ ذلک الإيمان كامل .ثمّ أخذ فى تنزيهه تعالى باعتبارات سلبيّه و إضافيّه هى غايه الواصفين:

منهاأنّه لم يكن له والد فيكون له شريک فى العزّ.إذ العاده أن يكون والد العزيز عزيزا.

و منها أنّه لم يلد فيكون موروثا هالكا .و هو تنزيه له عن صفات البشر.إذ العاده أنّ الإنسان يهلک فيرثه ولده،و برهانهما أنّهما من لواحق الحيوانيّه المستلزمه للجسميّه المنزّه قدسه عنها.

و منها أنّه لم يتقدّمه وقت و لا زمان و الوقت جزء الزمان و إذا كان خالق الوقت و الزمان فبالحرىّ أن يتقدّمها.

و منها أنّه لم يختلف عليه الزياده و النقصان لأنّ الزياده و النقصان من لواحق الممكنات لاستلزامهما التغيّر المستلزمه للإمكان المنزّه قدسه عنه .

و منها أنّه ظاهر للعقول فى علامات التدبير،و هى الإحكام و الإتقان فى مصنوعاته الموجوده على وفق القضاء المحكم فمن جملتها خلق السماوات كقوله تعالى «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» الآيه،و قوله «أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و قد مرّ بيان كونهما بلا عمد و قيامهما بلا سند فى الخطبه الاولى ،و دعاؤهنّ حكم سلطان القدره الإلهيّه عليهنّ،و إجابتهنّ دخولهنّ فى الوجود عن ذلک الحكم و طوعهنّ و إذعانهنّ من غير تلكّؤ و لا تباطىء فى إجابتهنّ و خضوعهنّ فى رقّ الحاجه

و الإمكان لواجب وجوده و سلطانه.

و قوله : و لو لا إقرارهنّ.إلى قوله:و العمل الصالح من خلقه.

كلام حقّ فإنّ الإقرار بالربوبيّه له راجع إلى شهاده لسان حال الممكن بالحاجه إلى الربّ و الانقياد لحكم قدرته،و ظاهر أنّه لو لا إمكانها و انفعالها عن قدرته و تدبيره لم يكن فيها عرش و لم يكن أهلا لقبول تدبير أحوال الملائكه و سكناها،و لم تكن قابله لصعود الملائكه بالكلم الطيّب و الأعمال الصالحه للخلق، و قد سبقت الإشاره إلى بيان الصعود بالأعمال و غيرها فى الخطبه الاولى بحسب الإمكان، استعاره-حقيقت و لفظ الدعاء و الإقرار و الإذعان مستعاره و يحتمل أن يكون حقائق نظرا إلى أنّ لها أرواحا مدبّره عاقله.

و قوله : و جعل نجومها.إلى قوله:الأقطار.

إشاره إلى بعض غايات وجود النجوم،و قد سبق بيان ذلک .

استعاره مقابله و قوله: لم يمنع.إلى قوله:القمر.

استعار لفظ السجف و الجلابيب للساتر من سواد الليل،و وجه الاستعاره ظاهر،و خصّ القمر بالذكر لكونه من الآيات العظيمه،و المقابله بين الضياء و الظلم مقابله العدم و الملكه،و كلّ منهما يوجد بوجود سببه و يعدم بعدم سببه فلا يكون رفع أحدهما بالآخر،و ظاهر إذن أنّ نور القمر و النجوم لا يمنعه من الوجود و التحقّق ظلمه ليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب أسبابهما المنتهيه إلى قدره الصانع الحكيم-جلّت قدرته -.

و قوله: فسبحان.إلى قوله:فى بطنها.

تنزيه له بحسب إحاطه علمه بحسب كلّيات الأشياء و جزئيّاتها.و المطأطئات :

مهابط الأرض ، و ما يتجلجل به الرعد إشاره إلى تسبيحه فى قوله تعالى «وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» (1)و ذلک التسبيح يعود إلى شهادته بلسان حاله فى ذلک الصوت على كمال قدره مسخّر السحاب و مؤلّفه و المقدّر لتصويته،و قد عرفت سببه، و ما تلاشت

۱- ۱) ۱۴-۱۳.

عنه بروق الغمام إشاره إلى ما ينكشف للأبصار بإضائتها،و إنّما خصّ ذلك دون ما أضاءته لأنّ العلم هناك أشرف لتعلّقه بما لا يدركه أبصار المخلوقين دون ما تضيئه لإدراك الكلّ له ،و إنّما أضاف العواصف إلى الأنواء لأنّ العرب تضيف الآثار العلويّه من الرياح و الأمطار و الحرّ و البرد إليها .ثمّ عاد إلى حمده تعالى باعتبار تقدّمه فى الوجود على سائر مخلوقاته،و قد عرفت ما يقال فى الكرسىّ و العرش.ثمّ نزّهه تعالى باعتبارات سلبيّه:

الأوّل:أنّه لا يدرك بوهم.

الثانى:أنّه لا يقدّر بفهم :أى لا يحدّ بفهم،و الفهم من صفات العقل و قد مرّت الإشاره إلى عجز العقول و الأوهام عن وصفه تعالى.

الثالث: و لا يشغله سائل لإحاطه علمه و قدرته.و قد سبق بيانه أيضا.

الرابع: و لا ينقصه نائل لأنّ النقصان يتوجّه نحو ذى الحاجه،و قد تنزّه قدسه تعالى عنها.

الخامس :كونه لا يبصر بعين:أى أنّ إدراكه ليس بحاسّه البصر و إن كان بصيرا و ذلك لتنزّه قدسه عن الحواسّ.

السادس: و لا يحدّ بأين :أى لا تحدّه العقول بالأمكنه و لا تحيط به باعتبارها لبراءته عن التحيّز و هو نفى الكميّه المتّصله عنه.

السابع: و لا يوصف بالأزواج و هو نفى الكمّ المنفصل عنه:أى ليس فيه اثنينيه و تعدد.

و الثامن: و لا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطه الآله و الحيله كما تزاوله أصحاب الصنائع.

التاسع: و لا يدرك بالحواسّ لتخصيص إدراكها بالأجسام و كيفيّاتها و تنزّهه تعالى عن الجسميّه و لواحقها.

العاشر: و لا يقاس بالناس تنزيه له عن التشبّه بخلقه فى كمالاتهم كما يتوهّمه أهل التجسيم .

الحادى عشر:كونه متكلّما بلا جارحه نطق و لا لهوات،و هو تنزيه له عن حال البشريّه.و علمت فى المقدّمات كيفيّه سماع الأنبياء عليهم السلام للوحى.فأمّا قوله:

و أراه من آياته عظيما .فقيل:أراد آياته فى كلامه لئلّا يصير بين قوله: تكليما .و قوله:

بلا جوارح .اعتراض غير مناسب،و الّذى رآه من تلك الآيات ما روى أنّه كان يسمع الصوت من جهاته الستّ ليس على حدّ سماع البشر من جهه مخصوصه و له دوىّ كوقع السلاسل العظيمه على الحصا الأصمّ،و فى هذه الكيفيّه سرّ لطيف،و كونه يسمع من الجهات الستّ إشاره إلى أنّ الكلام كان يأتيه فينتقش فى لوح خياله لا من جهه بل نسبه الجهات الستّ إليه على سواء فى عدم سماعه منها فلا جرم قيل:يسمع من الجهات الستّ و هو أولى من أن يقال:يسمع لا من جهه لبعد ذلك عن أوهام الخلق.فأمّا كونه كوقع السلاسل فى القوّه فأشار إلى عظمته بالنسبه إليه فشبّهه بأشدّ الأصوات جرسا.

و قيل:أراد بها الآيات التسع كانشقاق البحر و قلب العصا ثعبانا و غيرهما.

ثمّ نبّه على عجز القوّه البشريّه عن وصف كماله تعالى بقوله : بل إن كنت صادقا إلى قوله:أحسن الخالقين .و هى صوره قياس استثنائىّ متّصل نبّه به على عجز من يدّعى وصف ربّه كما هو،و تقديره إن كنت صادقا أيّها المتكلّف لوصف ربّك فى وصفه فصف بعض خلقه و هو جبرئيل و ميكائيل و جنود ملائكته المقرّبين،و و ينتج باستثناء نقيض تاليه:أى لكنّك لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقه فلا يمكنك وصفه تعالى.بيان الملازمه أنّ وصفه تعالى إذا كان ممكنا لك فوصف بعض آثاره أسهل عليك،و أمّا بطلان التالى فلأنّ حقيقه جبرئيل و ميكائيل و ساير الملائكه المقرّبين غير معلومه لأحد من البشر،و من عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه أعجز، و حجرات القدس :مقارّ الطهاره عن الهيئات البدنيّه و التعلّقات الخياليّه عن شوائب النفس الأمّاره بالسوء، استعاره و استعار لفظ المرجحنّين لخضوعهم تحت سلطان هيبته و عظمته، و تولّه عقولهم:حيرتها و تشتّتها عن إدراك حقيقته بحدّ تقف عنده عظمته ،ثمّ نبّه على ما يدرك من جهه الوصف و هو ذوو الهيئات و الآلات الّتى يحترف بها و يحيط

بها الأفهام من جهتها،و ما يلحقه الفناء فينقضى إذا بلغ أمد حدّه،و تقف الأفهام على ذلك الحدّ و تحلّله إلى أجزائه فتطّلع على كنهه منها .ثمّ عقّب ذلك التنزيه بتوحيده و نفى الكثره عنه.

و قوله: أضاء بنوره كلّ ظلام.

فالظلام إمّا محسوس فأضاء بأنوار الكواكب،أو معقول و هو ظلام الجهل فأضاءه بأنوار العلم و الشرائع.

و قوله: و أظلم بنوره كلّ نور.

إذ جميع الأنوار المحسوسه أو المعقوله لغيره متلاشيه مضمحلّه فى نور علمه، و ظلام بالنسبه إلى ضياء براهينه فى جميع مخلوقاته الكاشفه على وجوده و كمال جوده .

ثمّ شرع فى الموعظه فبدء بالوصيّه بتقوى اللّه باعتبار سلب أمرين هما سبب البقاء فى الحياه الدنيا و هما الملبوس و المطعوم،و يحتمل أن يريد بالمعاش سائر أسباب البقاء، و ثنّى بذكر أنّه لا سبيل إلى البقاء و دفع الموت تخويفا به،و احتجّ عليه بقياس استثنائى تلخيصه:لو أنّ أحدا يجد سبيلا إلى دفع الموت لوجده سليمان عليه السّلام و تقدير الاستثناء:لكنّه لم يجده فلن يجده أحد بعده.أمّا الملازمه فلأنّ سليمان عليه السّلام كان أقوى سلطان وجد فى العالم لاستيلاء حكمه على ملك الجنّ و الإنس مع النبوّه و عظيم الزلفه عند اللّه فكان أولى بدفعه لو كان يمكن دفعه،و أمّا بطلان التالى فلأنّه عليه السّلام لما استوفى طعمته و استكمل مدّته مات فلو وجد مدفعا لدفعه عن نفسه.

فقوله: فلو أنّ.إلى قوله:سبيلا.

هو مقدّم الشرطيّه.

و قوله: لكان ذلك.إلى قوله:عليه السّلام.

هو التالى.

و قوله: الّذى.إلى قوله:الزلفه.

بيان لوجه الملازمه.

و قوله : فلمّا استوفى.إلى قوله:قوم آخرون.

هو بيان بطلان التالى، استعاره و لفظ القسىّ و النبال استعاره لمرامى الأمراض و أسبابها الّتى هى نبال الموت،و وجها ظاهر .ثمّ شرع فى التنبيه على الاعتبارات بأحوال القرون السالفه و استفهم عن قرن قرن تنبيها على فنائهم استفهاما على سبيل التقرير.

و العماليق أولاد لاوذ بن إرم بن سام بن نوح و كان باليمن و الحجاز و ما تاخم ذلك من الأقاليم فمن أولاده عملاق و طسم و جديس،و كان العزّ و الملك بعد عملاق بن لاوذ فى طسم فلمّا ملكهم عملاق بن طسم بغى و أكثر العبث و الفساد فى الأرض حتّى كان يطأ العروس ليله هدائها إلى بعلها و إن كانت بكرا افتضّها قبل وصولها إليه ففعل ذلك بامراه من جديس فغضب لها أخوها و تابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم و أهل بيته فصنع أخوها طعاما و؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟[دخل خ]عملاق الملك إليه.ثمّ وثب به و بطسم فأتى على رؤسائهم و نجا منهم رياح بن مرّ فصار إلى ذى جيشان بن تبّع الحميرى ملك اليمن فاستغاث به و استنجده على جديس و أتى ذو جيشان فى حمير بلاد جوّ و هى قصبه اليمامه فاستأصل جديسا و أخرب اليمامه.فلم يبق لجديس باقيه و لا لطسم إلاّ اليسير منهم.ثمّ ملك بعد طسم و جديس و باز بن أميم بن لاوذ بن إرم بولده و أهله فنزل بأرض و باز و هى المعروفه الآن برمل عالج فبغوا فى الأرض حينا ثمّ أفناهم اللّه.ثمّ ملك بعد و باز عبد ضخم[صمم خ]بن آسف بن لاوذ فنزلوا بالطايف حينا.

ثمّ بادوا.و أمّا الفراعنه فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن ريّان فرعون يوسف،و منهم الوليد بن مصعب فرعون موسى،و منهم فرعون الأعرج الّذى غزا بنى إسرائيل و أخرب بيت المقدس.و أمّا أصحاب مداين الرسّ.فقيل:إنّهم أصحاب شعيب النبىّ عليه السّلام و كانوا عبده أوثان و لهم مواشى و آبار يستقون منها،و الرسّ بئر عظيمه جدّا انخسفت بهم و هم حولها،و قيل:الرسّ قريه باليمامه كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فبغوا فاهلكوا،و قيل الرس:أصحاب الاخدود و هو الرسّ الأخدود، و قيل:الرسّ نهر عظيم فى إقليم الباب و الأبواب مبدئه من مدينه طرار و ينتهى إلى نهر كبير فيختلط به حتّى يصبّ فى بحر الخزر،و كان هناك ملوك اولو بأس و قدره فأهلكهم اللّه ببغيهم.و باللّه التوفيق.

ص:٣٩٠

القسم الثانى منها

اشاره

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَهِ جُنَّتَهَا- وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا- وَ الْمَعْرِفَهِ بِهَا وَ التَّفَرُّغِ لَهَا- فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا- وَ حَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا- فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ- وَ ضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ- وَ أَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ بَقِيَّهٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ- خَلِيفَهٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ ثم قال عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ- الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ- وَ أَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ- وَ أَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا- وَ حَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا- لِلَّهِ أَنْتُمْ- أَ تَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ- وَ يُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ- أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا- وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً- وَ أَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ- وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى- بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَهِ لَا يَفْنَى- مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ؟بِصِفِّينَ؟- أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً يُسِيغُونَ الْغُصَصَ- وَ يَشْرَبُونَ الرَّنْقَ قَدْ وَ اللَّهِ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ- وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ- أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ- وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ ؟عَمَّارٌ؟ وَ أَيْنَ ؟ابْنُ التَّيِّهَانِ؟- وَ أَيْنَ ؟ذُو

الشَّهَادَتَيْنِ؟- وَ أَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّهِ- وَ أُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَهِ- قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَهِ الْكَرِيمَهِ- فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ثُمَّ قَالَ ع- أَوْهِ عَلَى إِخْوَانِيَ الَّذِينَ تَلَوُا؟الْقُرْآنَ؟ فَأَحْكَمُوهُ- وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ- أَحْيَوُا السُّنَّهَ وَ أَمَاتُوا الْبِدْعَهَ- دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ- أَلَا وَ إِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَومِي هَذَا- فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ قال نوف:و عقد للحسين -عليه السلام -فى عشره آلاف،و لقيس بن سعد رحمه اللّه فى عشره آلاف،و لأبى أيوب الأنصارى فى عشره آلاف، و لغيرهم على أعداد أخر،و هو يريد الرجعه إلى صفين،فما دارت الجمعه حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه اللّه،فتراجعت العساكر فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان.

اللغه

أقول: جرانه: صدره .و عسيب ذنبه: طرفه .و استوسق الأمر: انتظم و اجتمع .

و أزمع: صمّم عزمه .و الرنق بالسكون: الكدر .و أبرد: أرسل .و أوه : ساكنه الواو مكسوره الهاء كلمه توجّع .و الاختطاف و التخطّف: الأخذ بسرعه .

المعنى

و الإشاره إلى العارف مطلقا،و قال بعض الإماميّه:الإشاره إلى الإمام المنتظر،و ليس بواضح من هذا الكلام، استعاره و لفظ الجنّه مستعار فى الاستعداد للحكمه

ص:۳۹۲

بالزهد و العباده الحقيقيّتين و المواظبه على العمل بأوامر اللّه،و وجه الاستعاره أنّ بذلك الاستعداد يأمن إصابه سهام الهوى و ثوران دواعى الشهوات القايده إلى النار كما يأمن لابس الجنّه من أذى الضرب و الجرح .و أخذه لها بجميع آدابها من الإقبال عليها و المعرفه بها:أى بقدرها و التفرّغ لها عن العلايق الدنيويّه بالزهد من جمله الاستعداد لها أيضا، استعاره و استعار لها لفظ الضالّه لمكان إنشاده و طلبه كما تطلب الضالّه من الإبل،و إليه الإشاره بقوله عليه السّلام:الحكمه ضالّه المؤمن.

و قوله : فهو مغترب إذا اغترب الإسلام.

إشاره إلى إخفائه نفسه و إيثاره العزله عند اغتراب الإسلام و ضعفه و ظهور البدع و المنكرات كما أشار إليه سيّد المرسلين صلّى اللّه عليه و آله و سلم بدء الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدء، استعاره بالكنايه و استعار لفظ العسيب و الذنب و الجران ملاحظه لشبهه بالبعير البارک، و كنّى بذلک عن ضعفه و قلّه نفعه فإنّ البعير أقلّ ما يكون نفعه حال بروكه.

و قوله : بقيّه من بقايا حجّته.

أى على خلقه.إذا العلماء و العارفون حجج اللّه فى الأرض على عباده،و ظاهر كونه خليفه من خلفاء أنبيائه لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلم:العلماء ورثه الأنبياء.

و قوله : أيّها الناس.إلى قوله:تستوسقوا.

تذكير بموعظته لهم،و إعذار إليهم بأداء ما كلّف به فى حقّهم ممّا كلّفت به الأنبياء مع اممهم و الأوصياء إلى من بعدهم،و معاتبه لهم،و توبيخ على عدم استقامتهم و اجتماعهم على أوامره مع تأديبه لهم بالضرب و التحذير بالزواجر .

استفهام انكارى و قوله: للّه أنتم.إلى قوله:السبيل.

استفهام لهم عن توقّعهم إماما هاديا مرشدا غيره استفهاما على سبيل الإنكار لوجود سبيل ذلک الإمام ،و أكّد ذلک الإنكار المفهوم من الاستفهام بقوله: ألا إنّه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا :أى من الخير و صلاح أهلها، و أقبل منها ما كان مدبرا :أى من الشرور الّتى أدبرت بمقدم الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و ظهور الإسلام ، و أزمع الترحال عباد اللّه الأخيار المتوقّع فيهم إمام كمثله عليه السّلام فى الهدايه لسبيل اللّه،و

كنايه إزماعهم للترحال كنايه عن اقتضاء الزمان لفنائهم من الدنيا و الرحيل عنها . استعاره ثمّ استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل الفانى من متاع الدنيا و الكثير الباقى من متاع الآخره .ثمّ أخذ فى التذكير بنفى ضرر الموت و عدم الحياه عن إخوانه من الصحابه الّذين قتلوا بصفّين،و زهّد فى تلك الحياه بكونها محلّ تجرّع الغصص و شرب الكدر من الآلام و الأعراض و مشاهده المنكرات ،و لمّا زهّد فى تلك الحياه نبّه على مالهم فى عدمها من الفائده و هى لقاء اللّه،و توفيته لأجورهم على الأعمال الصالحه،و حلولهم فى دار الأمن:أى الجنّه بعد خوفهم من فتن أهل الضلال .ثمّ أخذ فى استفهام عمّن ركب طريق الحقّ و مضى عليه مستصحبا له استفهاما على سبيل التوجّع لفقدهم و التوحّش لفراقهم ،ثمّ عن أعيان أكابرهم فذكر عمّار بن ياسر.

و فضله فى الصحابه مشهور و أبوه عربىّ قحطانىّ و امّه كانت أمه لأبى حذيفه ابن المغيره المخزومىّ ولدت عمّارا فأعتقها أبو حذيفه فمن هناك كان عمّار مولى لبنى مخزوم،و أسلم هو و امّه سميّه فعذّبهما بنو مخزوم فى اللّه فأعطاهم عمّار مولى أرادوا بلسانه مع اطمينان قلبه بالإيمان فنزلت فيه «إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ» (1)و هاجر إلى أرض الحبشه،و صلّى القبلتين،و هو من المهاجرين الأوّلين،و شهد بدرا و المشاهد كلّها،و ابلى بلاء حسنا،ثمّ شهد اليمامه فابلى فيها أيضا و يومئذ قطعت اذنه.و عن ابن عبّاس فى قوله تعالى «أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ» (2)قال:هو عمّار بن ياسر،و عن عايشه أنّها قالت:ما من أحد من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلم أشاء أن أقول فيه إلاّ قلت إلاّ عمّار بن ياسر فإنّى سمعته صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقول:إنّه ملىء إيمانا إلى أخمص قدميه.و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم:عمّار جلده ما بين عينى تقتله الفئه الباغيه لا أنالها اللّه شفاعتى.و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلم من أبغض عمّاراً أبغضه اللّه.و أمّا ابن التيّهان بياء مشدّده مفتوحه بنقطتين من تحت،و يروى مخفّفه ساكنه فهو من الأنصار كنيه أبو الهيثم.و اسمه مالك بن مالك،و قيل:بل اسم أبيه عمرو بن الحرب و هو-ابن التيّهان-كان أحد النقباء ليله العقبه،و شهد بدرا،و المشهور أنّه أدرك صفّين

۱- ۱) ۱۰۸-۱۶

۲- ۲) ۱۲۲-۶.

مع علىّ عليه السّلام و قتل بها،و قيل:توفّى فى زمان الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.و أمّا ذو الشهادتين فكنيه أبو عماره و اسمه حزيمه بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبه الخطمى الأنصارى من الأوس.جعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم شهادته بشهاده رجلين لقصّه مشهوره،و شهد بدرا و ما بعدها من المشاهد،و كانت رايه بنى خطمه من الأوس يوم الفتح بيده،و شهد صفّين مع علىّ عليه السّلام فلمّا قتل عمّار قاتل هو حتّى قتل معه.و نظراؤهم من إخوانه:

أى الّذين قتلوا بصفّين معه من الصحابه كابن بديل و هاشم بن عتبه و نحوهما،و تعاقدهم على المنيّه اتّفاقهم على المقاتله إلى غايه أن يقتلوا.و روى:تعاهدوا.

و الفجره الّذين حملت رؤوسهم إليهم امراء الشام .ثمّ أخذ فى التشكّى و التوجّع على فقدهم .ثمّ أشار إلى فضائلهم الّتى هى غايه الشريعه المطلوبه منهم و هى تلاوه القرآن و إحكامه بفهم مقاصده و معانيه،و التدبّر للفرض:أى فهم ما لأجله العبادات و إقامتها و المواظبه عليها نظرا إلى أسرارها،و إحياء السنن النبويّه،و إماته البدع المخالفه لها ،و إجابتهم للدعوه إلى الجهاد لإقامه الدين،و وثوقهم إليه فى سبيل اللّه يعنى نفسه و اتّباعهم له،و الرواح إلى اللّه الخروج إلى الجهاد الّذى هو سبيله الموصله إليه و إلى ثوابه.و قيس بن سعد الخزرجى صحابى كنيته أبو عبد الملك روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم أحاديث و أبوه سعد من رؤساء بالخزرج و هو سعد بن عباده الّذى حاولت قومه إقامته خليفه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و كان قيس هذا من كبار شيعه علىّ و محبّيه،و شهد معه حروبه كلّها،و كان مع الحسن ابنه و نقم عليه صلحه لمعاويه.

و أمّا أبو أيّوب الأنصارىّ فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجى من بنى النجّار شهد العقبه و بدرا و ساير المشاهد،و عليه نزل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لمّا خرج من بنى عمرو بن عوف حين قدم المدينه مهاجرا فلم يزل عنده حتّى بنى مسجده و مساكنه ثمّ انتقل إليها،و شهد مع علىّ مشاهده كلّها الجمل و صفّين،و كان على مقدّمته يوم النهروان.و باللّه التوفيق.

١٨٢-و من خطبه له عليه السّلام

القسم الأول

اشاره

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَهٍ- وَ الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَهٍ خَلَقَ الْخَلاَئِقَ

بِقُدْرَتِهِ- وَ اسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ وَ سَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ- وَ هُوَ الَّذِی أَسْکَنَ الدُّنْیَا خَلْقَهُ- وَ بَعَثَ إِلَی الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ رُسُلَهُ- لِیَکْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا وَ لِیُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا- وَ لِیَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا وَ لِیَهْجُمُوا عَلَیْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَ أَسْقَامِهَا- وَ لِیُبَصِّرُوهُمْ عُیُوبَهَا و حَلاَلِهَا وَ حَرَامِهَا- وَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِیعِینَ مِنْهُمْ وَ الْعُصَاهِ- مِنْ جَنَّهٍ وَ نَارٍ وَ کَرَامَهٍ وَ هَوَانٍ- أَحْمَدُهُ إِلَی نَفْسِهِ کَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَی خَلْقِهِ- وَ جَعَلَ «لِکُلِّ شَیْءٍ قَدْراً» وَ لِکُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً وَ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتَاباً

اللغه

أقول: المنصبه: التعب .

المعنی

و حمد اللّه باعتبار کونه معروفا بآیات آثاره عند العقول المعرفه المنزّهه عن إدراک البصر المختصّ بالأجسام و لواحقها .ثمّ باعتبار کونه خالقا و موجدا الایجاد المنزّه عن المتاعب لاستلزامها الآلات المستلزمه للجسمیّه الّتی من شأنها الضعف و النهایه فی القوّه.ثمّ نبّه علی استناد الخلایق و النعم المفاضه إلی قدرته لیعتبر السامعون نسبتهم إلیه،و باعتبار استعباده الأرباب علی کمال عزّه المطلق الواجبیّ المستلزم لخضوع کلّ موجود فی ذلّ الإمکان و الحاجه إلیه،و بسیادته للعظماء علی کمال عظمه وجوده الواجبیّ المطلق المستلزم لفقر کلّ إلیه و تعبّده له ،ثمّ بنسبه إسکانهم الدنیا و بعثه رسله إلی الجنّ و الإنس منهم کما قال «یا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ یَأْتِکُمْ رُسُلٌ مِنْکُمْ یَقُصُّونَ عَلَیْکُمْ آیاتِی» (1)الآیه علی کمال لطفه بخلقه و حکمته فی إیجادهم فی الدنیا.و غایه ذلک أن یکشفوا لهم ما یغطّی بحجب الدنیا عن أعین بصائرهم من أحوال الآخره الّتی خلقوا لها ،و أن یجذبوهم بالتحذیر من

1- (1) ۱۳۰-۶.

ضرّ الدنيا و عواقبها و ضرب الأمثال بنسبتها كما فى القرآن الكريم «إِنَّما مَثَلُ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ» (۱)الآيه و أمثالها،و أن يبصروهم عيوبها،و أن يهجموا عليهم بما فى تصاريفها من العبره و هى الصحّه و السقم و ما أحلّ و حرّم على طريق الابتلاء به .و حلالها عطف على تصرّف،و يحتمل أن يكون عطفا على أسقامها باعتبار أنّ الحلال و الحرام من تصاريف الدنيا،و بيانه أنّ كثيرا من المحرّمات لنبىّ كانت حلالا لنبىّ قبله،و بالعكس و ذلک تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف أوقاتهم و أحوالهم الّتى هى تصاريف الدنيا.

و قوله: و ما أعدّ اللّه.

إمّا عطف على معتبر أو على عيوبها:أى و يبصرونهم ما أعدّ اللّه للمطيعين و العصاه.إلى آخره.

و قوله : أحمده إلى نفسه كما استحمد إلى خلقه.

أى أحمده حمدا يكون فى الكيفيّه و الكميّه على الوجه الّذى طلب الحمد لنفسه من خلقه.

و قوله: جعل «لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً» .

كقوله تعالى «قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً» (۲)أى مقدارا من الكيفيّه و الكميّه ينتهى إليه و حدّا يقف عنده، و لكلّ قدر أجلا :أى و لكلّ مقدار وقت يكون،انقضاؤه فيه و فناؤه و لكلّ أجل كتابا و أراد بالكتاب العلم الإلهى المعبّر عنه بالكتاب المبين و اللوح المحفوظ المحيط بكلّ شىء و فيه رقم كلّ شىء.و باللّه التوفيق.

القسم الثانى منهافى ذكر القرآن

اشاره

؟فَالْقُرْآنُ؟ آمِرٌ زَاجِرٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ- حُجَّهُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ- وَ ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ- وَ أَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ ص- وَ قَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ

ص:۳۹۷

۱- ۱) ۲۵-۱۰

۲- ۲) ۳-۶۵.

الْهُدَی بِهِ- فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ- فَإِنَّهُ لَمْ یُخْفِ عَنْكُمْ شَیْئاً مِنْ دِینِهِ- وَ لَمْ یَتْرُكْ شَیْئاً رَضِیَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَ جَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِیاً- وَ آیَهً مُحْكَمَهً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَیْهِ- فَرِضَاهُ فِیمَا بَقِیَ وَاحِدٌ وَ سَخَطُهُ فِیمَا بَقِیَ وَاحِدٌ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ یَرْضَی عَنْكُمْ بِشَیْءٍ سَخِطَهُ- عَلَی مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ لَنْ یَسْخَطَ عَلَیْكُمْ بِشَیْءٍ رَضِیَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ إِنَّمَا تَسِیرُونَ فِی أَثَرٍ بَیِّنٍ- وَ تَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ- قَدْ كَفَاكُمْ مَئُونَهَ دُنْیَاكُمْ وَ حَثَّكُمْ عَلَی الشُّكْرِ- وَ افْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ وَ أَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَی- وَ جَعَلَهَا مُنْتَهَی رِضَاهُ وَ حَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ- فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِعَیْنِهِ وَ نَوَاصِیكُمْ بِیَدِهِ- وَ تَقَلُّبُكُمْ فِی قَبْضَتِهِ- إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ وَ إِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ- قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَهً كِرَاماً لَا یُسْقِطُونَ حَقّاً وَ لَا یُثْبِتُونَ بَاطِلًا- وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ «مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً» مِنَ الْفِتَنِ- وَ نُوراً مِنَ الظُّلَمِ وَ یُخَلِّدْهُ فِیمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ- وَ یُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَهِ عِنْدَهُ فِی دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ- ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَ نُورُهَا بَهْجَتُهُ- وَ زُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ وَ رُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ- فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَ سَابِقُوا الْآجَالَ- فَإِنَّ النَّاسَ یُوشِكُ أَنْ یَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ وَ یَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ- وَ یُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَهِ- فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِی مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَیْهِ الرَّجْعَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- وَ أَنْتُمْ

بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ- وَ قَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالاِرْتِحَالِ وَ أُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ- فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ- فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا- أَ فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَهِ تُصِيبُهُ- وَ الْعَثْرَهِ تُدْمِيهِ وَ الرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ- فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ- ضَجِيعَ حَجَرٍ وَ قَرِينَ شَيْطَانٍ- أَ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ- حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ- وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ- أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ- كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ- وَ نَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ- فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ- وَ أَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّهِ قَبْلَ السُّقْمِ- وَ فِي الْفُسْحَهِ قَبْلَ الضِّيقِ- فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا- أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ وَ أَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ- وَ اسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَ أَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ- وَ خُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ- وَ لاَ تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ» - وَ قَالَ تَعَالَى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» - فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ

مِنْ ذُلٍّ- وَ لَمْ يَسْتَقْرِضْـكُمْ مِنْ قُلٍّ- اسْتَنْصَـرَكُمْ وَ لَهُ «جُنُودُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وَ اسْتَقْرَضَكُمْ وَ لَهُ «خَزائِنُ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ» وَ «هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيـدُ» وَ إِنَّما أَرادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» - فَبادِرُوا بِأَعْمالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ- رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ وَ أَزَارَهُمْ مَلاَئِكَتَهُ- وَ أَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً- وَ صَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَ نَصَباً- «ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» -أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ «وَ اللّهُ الْمُسْتَعانُ» عَلَى نَفْسِى وَ أَنْفُسِكُمْ- وَ هُوَحَسْبُى* «وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ»

اللغه

أقول: اليفن. الشيخ الكبير .و القتير: الشيب .و لهزه: خالطه .و الجوامع:

جمع جامعه و هى الغلّ لجمعها الأيدى إلى الأعناق .و اللغوب: التعب .

المعنى

مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب و قد وصف القرآن الكريم بالأضداد المتعاديه لاختلاف الاعتبارات: فالآمر مع الزاجر .و إطلاقهما عليه مجاز من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب.إذ الآمر و الناهى هو اللّه تعالى ، مجاز من باب إطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق و الصامت مع الناطق .و إطلاق لفظ الناطق عليه مجاز.إذ الناطق هو المتكلّم به من باب إطلاق اسم المتعلّق على المتعلّق ،و كونه حجّه اللّه على خلقه لاشتماله على وعدهم و وعيدهم،و بيان غايه وجودهم و المطلوب منهم و الإعذار إليهم« «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَهِ إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ» » (1)و لأنّه خلاصه ما بعث به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم و قد بعث رسله «مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» ،و لأنّه أقوى المعجزات الّتى احتجّ بها الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم على الخلق فى صدقه.

و قوله : أخذ عليهم ميثاقه.

ص:۴۰۰

۱- ۱) ۱۷۱-۷.

الضمير فی أخذ للّه و فی میثاقه للکتاب،و ذلک الأخذ هو خلقهم و بعثهم إلی الوجود إلی أن یعملوا بما اشتمل علیه الکتاب من مطالب اللّه الحقّه،و هو ما أشار إلیه القرآن الکریم «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ» (۱)الآیه، و التقدیر أخذ علیهم میثاق بما فیه.

و قوله: وارتهن علیه أنفسهم.

أی جعل أنفسهم رهنا علی العمل بما فیه و الوفاء به «فَمَنْ نَکَثَ فَإِنَّما یَنْکُثُ عَلی نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفی بِما عاهَدَ عَلَیْهُ اللّهَ فَسَیُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً » (۲)،و أتمّ به نوره:

أی نور هدایته للخلق،و النور المتمّم هو نور النبوّه و هو المشار إلیه بقوله تعالی «یُرِیدُونَ أَنْ یُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَ یَأْبَی اللّهُ إِلاّ أَنْ یُتِمَّ نُورَهُ» (۳)و إطفاؤه بما کانوا یقولونه من کونه صلّی اللّه علیه و آله و سلم معلّم مجنون و ساحر کذّاب،و کون القرآن أساطیر الأوّلین اکتتبها.و کذلک أکرم به دینه.

و قوله: و قبض نبیّه.إلی قوله:به.

کقوله تعالی «اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ» الآیه،و أحکام الهدی بیان طرقه و کیفیّه سلوکها و تثبیتها فی قلوب المؤمنین .ثمّ أمر بتعظیم اللّه سبحانه و تعالی.

یقال:عظّمت من فلان.کما یقال:عظّمته،و ما هنا مصدریّه:أی عظّموه کتعظیمه نفسه:أی اطلبوا المناسبه فی تعظیمکم له کتعظیمه نفسه.ثمّ أشار إلی وجه وجوب تعظیمنا له و هو قوله : لم یخف عنکم شیئا من دینه بل کشفه لنا و بیّنه بأجمعه بقدر الإمکان،و لم یترک شیئا من مراضیه و مکارهه إلاّ نصب علیه علما ظاهرا أو آیه واضحه من کتابه یشتمل علی أمر بما یرضیه أو زجر عمّا یکرهه.

و قوله : فرضاه فیما بقی واحد و سخطه فیما بقی واحد.

إشاره إلی أنّ المرضیّ له من الأحکام أو المسخوط فیما مضی هو المرضیّ أو المسخوط فیما بقی من الأوقات و استقبل من الزمان،و حکمه فی کونه مرضیّا أو مسخوطا واحد فی جمیع الأوقات لا یتغیّر و لا ینقض،و فیه إیماء إلی أنّ رفع شیء

ص:۴۰۱

۱- ۱) ۷-۱۷۱

۲- ۲) ۱۰-۴۸.

۳- ۳) ۳۲-۹.

من الأحكام السابقه بالقياس و الرأى لا يجوز كما سبق بيان مذهبه عليه السّلام فى ذلك .

و قوله: أنّه لن يرضى عنكم بشىء سخطه على من كان قبلكم.إلى قوله:

قبلكم.

تأكيد و تقرير لما سبق:أى أنّ ما سخطه و نهى عنه الصحابه مثلا-فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم أن تجوّزوه و تحلّوه باجتهاد،و كذلك ما رضيه لهم و أمرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتّى تحرّموه باجتهاد منكم.و يحتمل أن يريد بقوله:

فرضاه فيما بقى واحد و سخطه فيما بقى واحد:أى فيما بقى من الأحكام الجزئيّه الّتى لم يدلّ النصّ عليها بالمطابقه بل يحتاج إلى اجتهاد فى إلحاقها بالمنصوص و إدراجها تحت النصوص.و معنى وحده رضاه و سخطه فيها أنّ الحكم المطلوب أو المكروه فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتّى يحكم أحد المجتهدين فى الشىء الواحد بالحلّ و يحكم الآخر فيه بالحرمه،و يختلف الفتاوى فى تلك القضيّه.

لأنّها إمّا مسخوطه أو مرضىّ.و يكون ذلك نهيا منه عليه السّلام عن الاختلاف فى الفتيا كما علمت ذمّه لذلك فيما سبق من الفصول،و يكون قوله:و اعلموا أنّه لن يرضى عنكم.إلى قوله:قبلكم.فى معنى النهى عن رفع الأحكام الشرعيّه بالاجتهاد و القياس كما قرّرناه،و قيل:معناه النهى عن الاختلاف فى الفتيا أيضا:أى أنّه لن يرضى عنكم بالاختلاف الّذى سخطه ممّن كان قبلكم كما أشار إليه تعالى بقوله «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» (1)و كذلك ليس يسخط عليكم بالإتّفاق و الاجتماع المرضىّ ممّن كان قبلكم،و قيل:بل المراد أنّه لم يرض عنكم بشىء سخطه ممّن كان قبلكم من الاعتقادات الباطله فى المسائل الإلهيّه،و لم يسخط عليكم بشىء رضيه ممّن كان قبلكم من الاعتقادات الحقّه فيها،و يكون ذلك مختصّا بالاصول دون الفروع .

و قوله: و إنّما تسيرون فى أثر بيّن.إلى قوله:قبلكم.

إشاره إلى أنّ الأدلّه لكم واضحه قد تداولها الأوّلون قبلكم.فأنتم المتكلّمون

ص:۴۰۲

۱- ۱) ۶-۱۶۰.

بها و تردّدونها رجع القول المردّد منهم .

و قوله: قد كفاكم مئونه دنياكم.

كقوله تعالى «وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ» (۱)و تلك الكفايه إمّا بخلقها و إيجادها،و إمّا برزقه بكلّ ما كتب له فى اللوح المحفوظ.و حثّه على الشكر فى تكرار أوامره به.و نقل عن الحسن البصرىّ أنّه قال:إنّ اللّه كفانا مئونه دنيانا و حثّنا على القيام بوظائف ديننا فليته كفانا مئونه ديننا و حثّنا على القيام بوظائف دنيانا،و هو إشاره منه إلى شدّه التحفّظ فى الدين و الاحتراز عليه.

و قوله: و افترض من ألسنتكم الذكر.

لمّا كان لكلّ من الجوارح عباده كانت العباده المفروضه باعتبار اللسان الذكر، و قد علمت أنّه باب عظيم من أبواب السلوك إلى اللّه بل هو روح العبادات كلّها.

إذ كلّ عباده لم يشفع بالذكر فهى خداج . استعاره ثمّ نبّه على التقوى بوصيّه اللّه تعالى فيها،ثمّ بكونها منتهى رضاه و حاجته من خلقه،و لفظ الحاجه مستعار.إذ تنزّه قدسه تعالى عنها،و وجه مشابهته للمحتاج هو الحثّ و الطلب المتكرّر منه حتّى كأنّه محتاج إلى عباده العباد و تقويهم،و لمّا استلزمت التقوى الحقيقيّه الوصول إلى اللّه لا جرم كانت منتهى رضاه من خلقه .ثمّ أمرهم بها بعد التنبيه عليها . مجاز إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و نبّه على الوجوه الّتى لأجلها تحصل تقوى اللّه و خشيته و هى كونهم بعينه:أى بحيث يعلم ما يعملون،و لفظ العين مجاز فى العلم إطلاقا لاسم السبب على المسبّب لاستلزامها إيّاه ،و كون نواصيهم بيده:أى فى قدرته.و إنّما خصّ الناصيه إشاره إلى أنّ أعظم جوارح الإنسان و أشرف ما فيه مملوك.و اليد مجاز فى القدره إطلاقا لاسم السبب القابلىّ على المسبّب،و كذلك كون تقلّبهم فى قبضته :أى تصرّفهم فى حركاتهم و سكناتهم بحسب تصريف قدرته و حكمه لا خروج عنه فى شىء .

و قوله: إن أسررتم.

كقوله تعالى «يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ» .

۱- ۱) ۳۷-۱۴.

و قوله: إن أعلنتم كتبه.إلى قوله:باطلا.

قد سبقت الإشاره إلى الكتبه غير مرّه.ثمّ أكّد القول فى التقوى بقوله :

و اعلموا.إلى قوله:من الفتن .و هو لفظ القرآن.

و قوله: من الفتن.

تفسير لقوله:مخرجا. و نورا من الظلم .أى من ظلم الجهل بأنوار العلوم الحاصله عن الاستعداد بالتقوى .

و قوله: و يخلده فيما اشتهت نفسه.

كقوله تعالى «وَ هُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ» (۱)،و منزل الكرامه هو المنزل المبارك المأمور بطلبه فى قوله تعالى «وَ قُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» (۲)كنايه و الدار الّتى اصطنعها لنفسه كنايه عن الجنّه،و نسبها إلى نفسه تعظيما لها و ترغيبا فيها .و ظاهر حسن تلك النسبه فإنّ الجنّه المحسوسه أشرف دار رتّبت لأشرف المخلوقات.و أمّا المعقوله فيعود إلى درجات الوصول و الاستغراق فى المعارف الإلهيّه الّتى بها السعاده و البهجه و اللذّه التامّه و هى جامع الاعتبار العقلىّ لمنازل أولياء اللّه و خاصّته و مقامات ملائكته و رسله.و من المتعارف أنّ الملك العظيم إذا صرف عنايته إلى بناء دار يسكنها هو و خاصّته أن يقال إنّها تخصّ بالملك و أنّه بناها.و ظاهر الكلام يدلّ على أنّها فى السماوات و أنّ العرش عليها، و فى هذه الكلمه لطيفه و ذلك أنّك علمت أنّ العرش يطلق و يراد به الفلك التاسع، و يطلق و يراد به العقل الأوّل باعتبار إحاطه علمه بجميع الموجودات و باعتبار حمله لمعرفه صانعه الأوّل-جلّت عظمته-،و يطلق و يراد به سلطانه و عظمته . استعاره و استعار لفظ الظلّ للعرش بالمعنى الأوّل باعتبار أنّ حركه الفلك من الأسباب المعدّه لوصول النفوس البشريّه و الفلكيّه إلى كمالها بالمعارف الإلهيّه الّتى بها الراحه الكبرى من حراره نار الجهل كما أنّ بالظلّ يكون الراحه من حراره الشمس.

و بالمعنى الثانى أيضا هو أنّ المعارف الإلهيّه المفاضه على أسرار المستعدّين من

ص:۴۰۴

۱- ۱) ۲۱-۱۰۲

۲- ۲) ۳۰-۲۳.

قبل ذلک الملک المقدّس یکون بها الراحه الکبری کما تکون بالظلّ أیضا.و بالمعنی الثالث أنّ سلطانه تعالی و علوّه هو المستولی علی کلّ سلطان و العالی علیه العلوّ المطلق.و إذ هو مبدء راحه جمیع النفوس بجمیع کمالاتها العقلیّه فهو ظلّها الّذی إلیه یلجأ.و إطلاق لفظ الظلّ علی النعمه و السلطان فی العرف ظاهر یقال:أنا فی ظلّ فلان و فی ظلّ الملک و عدله إذا کان فی نعمه منه و عنایته.

و قوله: و نورها بهجته.

فبهجته تعالی تعود إلی بهائه و کماله المشرق فی أقطار العالمین علی أسرار النفوس.و ظاهر کونه نور الجنّه الّذی تعشی فیه أبصار البصائر،و یستغرق فی الابتهاج به الملائکه المقرّبون.

استعاره و قوله: و زوّارها ملائکته و رفقاؤها رسله.

فیه لطیفه:و ذلک أنّه لمّا کانت النفوس البشریّه متّحده کانت متقاربه المنازل فی الکمال،و ممکن لها ذلک.فعبّر عن الرسل بالرفقاء فی الجنّه لسکّانها.و لمّا خالفت أنواع الملائکه السماویّه و المجرّدین عن علایق الأجسام فی الحقائق و تفاوتت فی الکمالات لا جرم خصّص الملائکه بکونهم زوّارها:أی زوّار ساکنیها.

إذ کان الرفیق ألصق و أقرب من الزائر.و عبّر بتلک الزیاره عن حضور الملأ الأعلی عند النفوس الکامله عند[حین خ]انقطاعها عن العلایق الحسیّه و التفاتها عنها.و لمّا کان ذلک الحضور غیر دایم بل بحسب فلتات النفس أشبه الزیاره فاستعیر له لفظها.و إنّما کان الملک هو الزائر دون النفس لأنّ صورته و مثاله هو الواصل إلی النفس عند استعدادها لتصوّره من فیض واهب الصور .ثمّ عاد إلی التذکیر بأمر المعاد فأمر بمبادرته إلی المعالجه إلی ما یصلحه و یخلص من أهواله من سائر القربات إلی اللّه.و کذلک مسابقه الآجال.

و قوله : فإنّ الناس یوشک أن ینقطع بهم الأمل.

أی أمل الدنیا و البقاء فیها.و لأجل ذلک الانقطاع و قربه یجب أن یلتفت إلی صلاح المعاد. و یرهقهم الأجل :أی یلحقهم.فلأجل ذلک اللحوق یجب أن یسارع

ص:۴۰۵

إلى العمل لما يبقى. و يسدّ عنهم باب التوبه بإدراك الأجل فيجب مبادرتها.

و قوله : فقد أصبحتم.إلى قوله:قبلكم.

أى أصبحتم فى حال الحياه و الصحّه و الأمن و ساير الأسباب الّتى يتمنّى من كان قبلكم الرجعه إليها،و يمكنكم معها العمل.

استعاره و قوله : و أنتم بنو سبيل.إلى قوله:بالزاد.

فالواو فى أنتم للحال،و استعار لهم وصف بنو السبيل لكونهم فى هذه الدار بالعرض تقصد بهم العنايه الإلهيّه غايه اخرى ،و تحثّهم بالشريعه على الرحيل عن الدنيا فهم فيها كالمسافرين.فأبواب مدينتهم جود اللّه.و أقرب الأبواب إلى الدنيا الأرحام الّتى منها يخرجون إليها.و أبواب الخروج منها هى الموت. استعاره و لفظ السفر مستعار مشهور يقرب من الحقيقه.و ظاهر أنّ دارا لا يبقى الإنسان فيها بل تكون مرافق لطريق دار اخرى ليست بدار للسالك إلى تلك الدار ،و نبّه على إيذانهم فيها بالرحيل منها تنفيرا عن الركون إليها و اتّخاذها وطنا،و على أمرهم باتّخاذ الزاد فيها تنبيها على أنّ هناك غايه لها يجب أن يستعدّ للسلوك إليها فيها.و لفظ الزاد مستعار لتقوى اللّه و طاعته الّتى هى زاد النفوس إلى حضره ربّ العالمين.

و قوله : و اعلموا.إلى قوله:نفوسكم.

تذكير بالوعيد على المعاصى،و أمر لهم برحمه نفوسهم.و ذلك بالأعمال الصالحه و اتّباع أوامر اللّه.

و قوله: فإنّكم قد جرّبتموها.إلى قوله:شيطان.

فى قوّه احتجاج على وجوب تلك الرحمه.و تلخيصه أنّكم جرّبتم أنفسكم فى هذه الأمور الحقيره فجزعتم،و كلّ من جزع من أمثال هذه فبالأولى أن يجزع من كونه بين طابقين من نار ضجيع حجر و قرين شيطان،و قد علمت فيما سلف أنّ للنار سبع طبقات و هى دركاتها،و ضجيع حجر من قوله تعالى «وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ» ، و قرين شيطان من قوله «فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ» (۱)

ص:۴۰۶

۱- ۱) ۹۴-۲۶.

و هم الشياطين،و قوله «وَ مَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» (۱)إلى قوله «وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ» (۲).

و قوله : أعلمتم أنّ مالكا.إلى قوله:زجرته.

من صفات النار المحسوسه ذكرها للتخويف و التحذير.

و قوله : أيّها اليفن الكبير.إلى قوله:السواعد.

خطاب للشيخ الكبير لأنّه أولى بالإقلاع عن المعصيه لقربه من الآخره.و سؤاله عن حاله سؤاله تقريع و توبيخ على المعصيه.و أطواق النار المحسوسه ظاهره، و أطواقها المعقوله تمكّن الهيئات البدنيّه من أعناق النفوس،و أغلالها من سواعدها .

ثمّ أخذ فى التحذير من اللّه لغايه العمل بما يرضيه حال الصحّه و الفسحه قبل لحوق ضدّيهما. استعاره ثمّ فى الأمر بالسعى لغايه فكاك رقابهم من النار.قبل أن تغلق رهائنها بآثامها.و قد علمت وجه الاستعاره هنا للرهن. كنايه ثمّ فى الأمر بالسهر ،و كنّى به عن قطع الليل بالعباده كقوله تعالى «وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً» (۳)و إنّما خصّ الليل لأنّه مظنّه الخلوه باللّه و الفراغ من الناس،و لأنّ النهار محلّ عباده اخرى كالجهاد و الكدح للعيال.ثم بتضمير البطون ،و كنّى به عن صيام النهار.

ثمّ باستعمال أقدامهم ،و كنّى به عن القيام فى الصلاه.ثمّ بإنفاق أموالهم ،و كنّى به عن الصدقات و الزكوات فى سبيل اللّه .ثمّ بالأخذ من أجسادهم ،و كنّى به عن إذابتها بالصيام و القيام للصلوات و إيثار القشف المستلزم للإعراض عن تربيته هذه الأجساد لاستلزام ذلك حبّ الدنيا و الإقبال على لذّاتها.و لا شكّ أنّ الأخذ من الجسد بهذه العبادات جود على النفس بملكات الخير و القرب من اللّه تعالى،و لذلك قال: فجودوا بها على أنفسكم و لا تبخلوا بها عنها .و فى ذكر أنّ إتعاب الجسد جود على النفس ترغيب فيه. استعاره ثمّ استشهد بالآيتين على وعد اللّه بالنصر لمن نصره،و بمضاعفه الأجر لمن أقرضه بعد أمره بنصر اللّه بامتثال أوامره و بقرضه بالصدقات، و وجه استعاره لفظ القرض كثره الأوامر الإلهيّه الطالبه للصدقات فاشبهت طلب

۱- ۱) ۳۵-۴۳

۲- ۲) ۳۸-۴۳.

۳- ۳) ۲۶-۷۶.

المحتاج المستقرض،و فائده هذه الاستشهاد إلی قوله : أیّکم أحسن عملا .إعلامهم بانّه الغنّی المطلق عن عباده فیما طلبه منهم من نصره و قرض،و بیان غایه العنایه الإلهیّه منهم بذلک و هو الابتلاء،و قد علمت ابتلاء اللّه تعالی لخلقه غیر مرّه .ثمّ أعاد الأمر بالمبادره إلی أعمال الآخره لغایه الکون مع خزّان اللّه[جیران اللّه-خ-]فی جنّته مرافقین لرسله کما قال تعالی «وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَیْکُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِینَ» (۱)و مرافقه رسله کقوله تعالی «فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِیقاً» (۲)و مزارین للملائکه کقوله تعالی «وَ الْمَلائِکَهُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمْ مِنْ کُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَیْکُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَی الدّارِ» (۳)و تکرمه أسماعهم أن یسمع حسیس نار أبدا کقوله تعالی «لا یَسْمَعُونَ حَسِیسَها وَ هُمْ فِی مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدُونَ » (۴)و صیانه أجسادهم أن یلقی لغوبا و نصبا کقوله تعالی «لا یَمَسُّنا فِیها نَصَبٌ وَ لا یَمَسُّنا فِیها لُغُوبٌ» (۵).

اقتباس و قوله: ذلک فضل اللّه الآیه.

اقتباس للآیه و وجه الاقتباس ظاهر .

و قوله: أقول.إلی آخره.

خاتمه الخطبه،و فیها الاستعانه باللّه علی النفوس الأمّاره بالسوء فی قهرها و تطویعها للنفوس المطمئنّه فإنّه نعم المعین «وَ نِعْمَ الْوَکِیلُ» .

۱۸۳-و من کلام له علیه السّلام

اشاره

قاله للبرج بن مسهر الطائی،و قد قال له بحیث یسمعه:

«لا حکم إلا للّه»،و کان من الخوارج اُسْکُتْ قَبَحَکَ اللّهُ یا أَثْرَمُ- فَوَاللّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَکُنْتَ فِیهِ ضَئِیلاً شَخْصُکَ- خَفِیّاً صَوْتُکَ حَتَّی إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ

۱- ۱) ۷۳-۳۹

۲- ۲) ۷۱-۴

۳- ۳) ۲۴-۱۳

۴- ۴) ۱۰۲-۲۱

۵- ۵) ۳۲-۳۵

اللغه

أقول:هو البرج بالباء المضمومه و الجيم.و قبّحه اللّه: نحّاه عن الخير .

و أثرم: ساقط الثنيه .و الضئيل: الصغير الحقير النحيف .و نعر: صاح .و نجم: طلع .

المعنى

و كان البرج شاعرا مشهورا من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه عليه السّلام فزجره و قبّحه و دعاه بآفته إهانه له و انتقاصا كما هو العاده فى إهانه ذوى العاهات بذكر آفاتهم ، كنايه و كنّى بضئوله شخصه عند ظهور الحقّ عن حقارته فى زمن العدل بين الجماعه و خمول ذكره-و ظهور الحقّ زمان قوّه الإسلام و قبل ظهور الفتن و قوّه الباطل-،و بخفاء صوته عن عدم الالتفات إلى أقواله و حقارته ، استعاره و استعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظه لشبهه فى قوّته و ظهوره بالرجل الصائل الصائح بكلامه عن جرأه و شجاعه،و شبّه ظهوره بين الناس و ارتفاع ذكره عند ظهور الباطل و قوّته بظهور قرن الماعز فى السرعه بغته:أى طلعت بلا شرف و لا شجاعه و لا قدم بل على غفله كنبات قرن الماعز و من البلاغه تشبيه من يراد إهانته بالمهين الحقير و تشبيه من يراد تعظيمه بالعظيم الخطير ،و باللّه التوفيق.

۱۸۴-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

روى أن صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام-يقال له:همام-كان رجلا عابدا،فقال له:يا أمير المؤمنين،صف لى المتقين حتى كأنى أنظر إليهم! فتثاقل عليه السلام عن جوابه،ثم قال:يا همّام اتّق اللّه و أحسن ف«إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»)فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه،فحمد اللّه و أثنى عليه،و صلّى على النبى صلّى اللّه عليه و آله،ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ- غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ- لِأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ- وَ لاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ

أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ- وَ وَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ- فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ- مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَ مَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ وَ مَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ- غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ- وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ- نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ- كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ- وَ لَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ- لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ- شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ وَ خَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ- عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ- فَهُمْ وَ الْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ- وَ هُمْ وَ النَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ- قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ- وَ أَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَ حَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَ أَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ- صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً- تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ- أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا- وَ أَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا- أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ- تَالِينَ لِأَجْزَاءِ؟الْقُرْآنِ؟ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا- يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَ يَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ- فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً- وَ تَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَ ظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ- وَ إِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ- أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ- وَ ظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَ شَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ- فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ- مُفْتَرِشُونَ

لِجِبَاهِهِمْ وَ أَكُفِّهِمْ وَ رُكَبِهِمْ وَ أَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ- يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ- وَ أَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ- قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ- يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى- وَ مَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَ يَقُولُ قَدْ خُولِطُوا- وَ لَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ- لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ- وَ لاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ- فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ- إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ- أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَ رَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي- اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ- وَ اجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَ اغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ- وَ حَزْماً فِي لِينٍ وَ إِيمَاناً فِي يَقِينٍ وَ حِرْصاً فِي عِلْمٍ- وَ عِلْماً فِي حِلْمٍ وَ قَصْداً فِي غِنًى وَ خُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ- وَ تَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ وَ صَبْراً فِي شِدَّةٍ وَ طَلَباً فِي حَلاَلٍ- وَ نَشَاطاً فِي هُدًى وَ تَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ- يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ- يُمْسِي وَ هَمُّهُ الشُّكْرُ وَ يُصْبِحُ وَ هَمُّهُ الذِّكْرُ- يَبِيتُ حَذِراً وَ يُصْبِحُ فَرِحاً- حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ- وَ فَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ- إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ- لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ- قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ وَ زَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَى-

يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ وَ الْقَوْلَ بِالْعَمَلِ- تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلاً زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلْبُهُ- قَانِعَةً نَفْسُهُ مَنْزُوراً أَكْلُهُ سَهْلاً أَمْرُهُ- حَرِيزاً دِينُهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً غَيْظُهُ- الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ وَ الشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ- إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ- وَ إِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ- يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ وَ يُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ- وَ يَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ بَعِيداً فُحْشُهُ- لَيِّناً قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ حَاضِراً مَعْرُوفُهُ- مُقْبِلاً خَيْرُهُ مُدْبِراً شَرُّهُ- فِي الزَّلاَزِلِ وَقُورٌ وَ فِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ- وَ فِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ- وَ لاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ- يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ- لاَ يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ وَ لاَ يَنْسَى مَا ذُكِّرَ- وَ لاَ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ وَ لاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ- وَ لاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ وَ لاَ يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ- وَ لاَ يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ- إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ وَ إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ- وَ إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ- نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَ النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ- أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ وَ أَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ- بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَ نَزَاهَةٌ- وَ دُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَ رَحْمَةٌ- لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَ عَظَمَةٍ وَ لاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَ خَدِيعَةٍ- قَالَ فَصَعِقَ؟هَمَّامٌ؟ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا- فَقَالَ؟أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع؟

أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ- ثُمَّ قَالَ أَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَهُ بِأَهْلِهَا- فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُكَ يَا؟أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟- فَقَالَ ع وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ- وَ سَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهْلًا لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا- فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ

المعنی

اشاره

أقول:و من هاهنا اختلفت نسخ النهج فكثیر منها تكون هذه الخطبه فیها أوّل المجلد الثانی منه بعد الخطبه المسمّاه بالقاصعه،و یكون عقیب كلامه للبرج بن مسهر الطائی قوله:و من خطبه له علیه السّلام «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی» لا تدركه الشواهد و لا تحویه المشاهد،و كثیر من النسخ تكون هذه الخطبه فیها متّصله بكلامه علیه السّلام للبرج بن مسهر و یتأخّر تلك الخطبه فیكون بعد قوله:و من كلامه له علیه السّلام و هو یلی غسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یتّصل ذلك إلی تمام الخطبه المسمّاه بالقاصعه.ثمّ یلیه قوله:باب المختار من كتب أمیر المؤمنین و رسائله،و علیه جماعه الشارحین كالإمام قطب الدین أبی الحسن الكیدریّ و الفاضل عبد الحمید بن أبی الحدید،و وافقتهم هذا الترتیب لغلبه الظنّ باعتمادهم علی النسخ الصحیحه .فأمّا همام هذه فهو همام بن شریح بن یزید بن مرّه بن عمرو بن جابر بن عوف الأصهب،و كان من شیعه علی علیه السّلام،و أولیائه ناسكا عابدا،و تثاقله علیه السّلام عن جوابه لما رأی من استعداد نفسه لأثر الموعظه،و خوفه علیه أن یخرج به خوف اللّه إلی انزعاج نفسه و صعوقها .فأمره بتقوی اللّه:أی فی نفسه أن یصیبها فادح بسبب سؤاله، و أحسن :أی أحسن إلیها بترك تكلیفها فوق طوقها،و لذلك قال علیه السّلام حین صعق همام : أما و اللّه لقد كنت أخافها علیه .فحیث لم یقنع همام إلاّ بما سأل،و عزم علیه بذلك:أی ألحّ علیه فی

السؤال و أقسم،أجابه.

فإن قلت:كيف جاز منه عليه السّلام أن يجيبه مع غلبه ظنّه بهلاكه و هو كالطبيب إنّما يعطى كلّا من المرضى بحسب احتمال طبيعته من الدواء.

قلت:إنّه لم يكن يغلب على ظنّه عليه السّلام إلاّ الصعقه عن الوجد الشديد فأمّا أنّ تلك الصعقه فيها موته فلم يكن مظنونا له.و إنّما قدّم بيان كونه تعالى غنيّا عن الخلق فى طاعتهم و آمنا منهم فى معصيتهم لأنّه لمّا كانت أوامره تعالى بأسرها أو أكثرها يعود إلى الأمر بتقواه و طاعته و كان أشرف ما يتقرّب إليه البشر بالتقوى، و هو فى معرض صفه المتّقين فربّما خطر ببعض أوهام الجاهلين أنّ للّه تعالى فى تقواه و طاعته منفعه،و له بمعصيته مضرّه فصدّره الخطبه بتنزيهه تعالى عن الانتفاع و التضرّر.و قد مرّ برهان ذلك غير مرّه.

و قوله: فقسم.إلى قوله:مواضعهم.

تقرير و تأكيد لكمال غناه عنهم لأنّه إذا كان وجوده هو مبدء خلقهم و قسمه معايشهم و وضعهم من الدنيا فى مراتبهم و منازلهم من غنىّ و فقير و شريف و وضيع فهو الغنىّ المطلق عنهم،و إليه الإشاره بقوله تعالى «نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ» (۱)ثمّ أخذ فى غرض الخطبه، و هو وصف المتّقين فوصفهم بالوصف المجمل.فقال : فالمتّقون فيها هم أهل الفضايل:

أى الّذين استجمعوا الفضايل المتعلّقه بإصلاح قوّتى العلم و العمل،

ثمّ شرع فى

اشاره

تفصيل تلك الفضايل و نسقها:

فالاولى:الصواب فى القول

و هو فضيله العدل المتعلّقه باللسان،و حاصله أن لا يسكت عمّا ينبغى أن يقال فيكون مفرّطا،و لا يقول ما ينبغى أن يسكت عنه فيكون مفرطا بل يضع كلّا من الكلام فى موضعه اللايق به،و هو أخصّ من الصدق لجواز أن يصدق الإنسان فيما لا ينبغى من القول.

الثانيه:و ملبسهم الاقتصاد

و هو فضیله العدل فی الملبوس فلا یلبس ما یلحقه

ص:۴۱۴

۱- ۱) ۳۱-۴۳.

بدرجه المترفين،و لا ما يلحقه بأهل الخسّه و الدناءه ممّا يخرج به عن عرف الزاهدين فى الدنيا.

الثالثه:مشى التواضع

،و التواضع ملكه تحت العفّه تعود إلى العدل بين رذيلتى المهانه و الكبر،و مشى التواضع مستلزم للسكون و الوقار عن تواضع نفسهم .

الرابعه:غضّ الأبصار عمّا حرّم اللّه

،و هو ثمره العفّه.

الخامسه:و قوفهم أسماعهم على سماع العلم النافع

،و هو فضيله العدل فى قوّه السمع،و العلوم النافعه ما هو كمال القوّه النظريّه من العلم الإلهى و ما يناسبه، و ما هو كمال للقوّه العمليّه و هى الحكمه العمليّه كما سبق بيانها .

السادسه:نزول أنفسهم منهم فى البلاء كنزولها فى الرخاء

:أى لا تقنط من بلاء ينزل بها و لا يبطر برخاء يصيبها بل مقامها فى الحالين مقام الشكر.و الّذى صفه مصدر محذوف،و الضمير العايد إليه محذوف أيضا،و التقدير نزلت كالنزول الّذى نزلته فى الرخاء،و يحتمل أن يكون المراد بالّذى الّذين محذف النون كما فى قوله تعالى «كَالَّذِى خاضُوا» و يكون المقصود تشبيههم حال نزول أنفسهم منهم فى البلاء بالّذين نزلت أنفسهم منهم فى الرخاء،و المعنى واحد.

السابعه:غلبه الشوق إلى ثواب اللّه و الخوف من عقابه على نفوسهم

إلى غايه أنّ أرواحهم لا تستقرّ فى أجسادهم من ذلك لولا الآجال الّتى كتبت لهم،و هذا الشوق و الخوف إذا بلغ إلى حدّ الملكه فإنّه يستلزم دوام الجدّ فى العمل و الإعراض عن الدنيا،و مبدءهما تصوّر عظمه الخالق،و بقدر ذلك يكون تصوّر عظمه وعده و وعيده،و بحسب قوّه ذلك التصوّر يكون قوّه الخوف و الرجاء،و هما بابان عظيمان للجنّه .

الثامنه:عظم الخالق فى أنفسهم

،و ذلک بحسب الجواذب الإلهیّه إلی الاستغراق فی معرفته و محبّته،و بحسب تفاوت ذلک الاستغراق یکون تفاوت تصوّر العظمه، و بحسب تصوّر عظمته تعالی یکون تصوّرهم لأصغریّه ما دونه و نسبته إلیه فی أعین بصائرهم.

ص:۴۱۵

و قوله: فهم و الجنّه كمن رآها.إلى قوله:معذّبون.

إشاره إلى أنّ العارف و إن كان فى الدنيا بجسده فهو فى مشاهدته بعين بصيرته لأحوال الجنّه و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها كالّذين شاهدوا الجنّه بعين حسّهم و تنعّموا فيها،و كالّذين شاهدوا النار و عذّبوا فيها.و هى مرتبه عين اليقين.فحسب هذه المرتبه كانت شدّه شوقهم إلى الجنّه و شدّه خوفهم من النار .

التاسعه:حزن قلوبهم

،و ذلک ثمره خوف الغالب.

العاشره:کونهم مأمونى الشرّ

،و ذلک أنّ مبدء الشرور محبّه الدنيا و أباطيلها و العارفون بمعزل عن ذلک.

الحاديه عشر:نحافه أجسادهم

،و مبدء ذلک کثره الصيام و السهر و جشوبه المطعم و خشونه الملبس و هجر الملاذّ الدنيويّه.

الثانيه عشر:خفّه حاجتهم

،و ذلک لاقتصارهم من حوائج الدنيا على القدر الضرورىّ من ملبس و مأکل،و لا أخفّ من هذه الحاجه.

الثالثه عشر:عفّه أنفسهم

،و ملکه العفّه فضيله القوّه الشهويّه،و هى الوسط بين رذيلتى خمود الشهوه و الفجور .

الرابعه عشر:الصبر على المکاره أيّام حياتهم

من ترک الملاذّ الدنيويّه، و احتمال أذى الخلق،و قد عرفت أنّ الصبر مقاومه النفس الأمّاره بالسوء لئلّا ينقاد إلى قبائح اللذّات،و إنّما ذکر قصر مدّه الصبر و استعقابه للراحه الطويله ترغيبا فيه،و تلک الراحه بالسعاده فى الجنّه کما قال تعالى «وَ جَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّهً وَ حَرِيراً» الآيه.

استعاره مرشحه و قوله: تجاره مربحه.

استعار لفظ التجاره لأعمالهم الصالحه و امتثال أوامر اللّه،و وجه المشابهه كونهم متعوّضين بمتاع الدنيا و بحركاتهم فى العباده متاع الآخره،و رشّح بلفظ الربح لأفضليّه متاع الآخره و زيادته فى النفاسه على ما تركوه،و ظاهر أنّ ذلك بتيسير اللّه لأسبابه و إعدادهم له بالجواذب الإلهيّه .

ص:۴۱۶

الخامسه عشر:

کنایه عدم إرادتهم للدنیا مع إرادتها لهم ،و هو إشاره إلی الزهد الحقیقیّ،و هو ملکه تحت العفّه،و کنّی بإرادتها عن کونهم أهلا ـ لأن یکونوا فیها رؤساءاً و أشرافا کقضاه و وزراء و نحو ذلک،و کونها بمعرض أن تصل إلیهم لو أرادوها ،و یحتمل أن یرید أرادهم أهل الدنیا فحذف المضاف.

السادسه عشر:

استعاره افتداء من أسرته لنفسه منها ،و هو إشاره إلی من ترکها و زهد فیها بعد الانهماک فیها و الاستمتاع بها ففکّ بذلک الترک و الإعراض و التمرّن علی طاعه اللّه أغلال الهیئات الردیئه المکتسبه منها من عنقه،و لفظ الأسر استعاره فی تمکّن تلک الهیئات من نفوسهم،و لفظ الفدیه استعاره لتبدیل ذلک الاستمتاع بها بالإعراض عنها و المواظبه علی طاعه اللّه ،و إنّما عطف بالواو فی قوله:و لم یریدوها،و بالفاء فی قوله:ففدوا.لأنّ زهد الإنسان فی الدنیا کما یکون متأخرا عن إقبالها علیه کذلک قد یکون متقدّما علیه لقوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:و من جعل الآخره أکبر همّه جمع اللّه علیه همّه و أتته الدنیا و هی راغمه.فلم یحسن العطف هنا بالفاء، و أمّا الفدیه فلمّا لم یکن إلاّ بعد الأسر لا جرم عطفها بالفاء .

السابعه عشر:کونهم صافّین أقدامهم باللیل یتلون القرآن و یرتّلونه.

إلی قوله:آذانهم.و ذلک إشاره إلی تطویع نفوسهم الأمّاره بالسوء بالعبادات،و شرح لکیفیّه استثارتهم للقرآن العزیز فی تلاوته و غایه ترتیلهم له بفهم مقاصده و تحزینهم لأنفسهم به عند ذکر الوعیدات من جمله استثارتهم لإدواء دائهم،و لمّا کان داؤهم هو الجهل و سائر رذائل العملیّه کان دواء الجهل بالعلم،و دواء کلّ رذیله الحصول علی الفضیله المضادّه.فهم بتلاوه القرآن یستثیرون بالتحزین الخوف من وعید اللّه المضادّ للانهماک فی الدنیا،و دوائه العلم الّذی هو دواء الجهل،و کذلک کلّ فضیله حثّ القرآن علیها فهی دواء لما یضادّها من الرذائل،و باقی الکلام شرح لکیفیّه التحزین و التشویق .

و قوله: فهم حانون علی أوساطهم.

ذکر لکیفیّه رکوعهم.

ص:۴۱۷

و قوله :مفترشون لجباههم.إلى قوله:أقدامهم.

إشاره إلى كيفيّه سجودهم،و ذكر الأعضاء السبعه.

و قوله: يطّلبون.إلى قوله:رقابهم.

إشاره إلى غايتهم من عبادتهم تلكك .

الثامنه عشر:-من صفات النهار-كونهم حكماء

،و أراد الحكمه الشرعيّه و ما فيها من كمال القوّه العلميّه و العمليّه لكونها المتعارفه بين الصحابه و التابعين، و روى:حلماء.و الحلم فضيله تحت ملكه الشجاعه هى الوسط بين رذيلتى المهانه و الإفراط فى الغضب،و إنّما خصّ الليل بالصلاه لكونها أولى بها من النهار كما سبق.

التاسعه عشر:كونهم علماء

،و أراد كمال القوّه النظريّه بالعلم النظرىّ و هو معرفه الصانع و صفاته.

العشرون:كونهم أبرار

،و البرّ يعود إلى العفيف لمقابلته الفاجر.

الحاديه و العشرون:كونهم أتقياء

،و المراد بالتقوى هاهنا الخوف من اللّه.

و قد مرّ ذكر العفّه و الخوف،و إنّما كرّرها هنا فى إعداد صفاتهم بالنهار و ذكرها هناك فى صفاتهم المطلقه.

قوله: و قد براهم الخوف.إلى قوله:عظيم.

شرح لفعل الخوف الغالب بهم،و إنّما يفعل الخوف ذلكك لاشتغال النفس المدبّره للبدن به عن النظر فى صلاح البدن،و وقوف القوّه الشهويّه و الغاذيّه عن إدّاء بدل ما يتحلّل، تشبيه و شبّه برى الخوف لهم ببرى القداح و وجه التشبيه شدّه النحافه ،و يتبع ذلكك تغيّر السحنات و الضعف عن الانفعالات النفسانيّه من الخوف و الحزن حتّى يحسبهم الناظر مرضى و إن لم يكن بهم مرض،و يقول قد خولطوا إشاره إلى ما يعرض لبعض العارفين عند اتّصال نفسه بالملأ الأعلى و اشتغالها عن تدبير البدن و ضبط

حركاته من أن يتكلّم بكلام خارج عن المتعارف مستبشع بين أهل الشريعه الظاهره فينسب ذلك منه إلى الاختلاط و الجنون و تاره إلى الكفر و

ص:۴۱۸

الخروج عن الدين كما نقل عن الحسين بن منصور الحلّاج و غيره.

و قوله: و لقد خالطهم أمر عظيم.

و هو اشتغال أسرارهم بملاحظه جلال اللّه و مطالعه أنوار الملأ الأعلى .

الثانيه و العشرون:كونهم لا يرضون القليل.إلى قوله:الكثير،

و ذلك لتصوّرهم شرف غايتهم المقصوده بأعمالهم.

و قوله: فهم لأنفسهم متّهمون.إلى قوله:ما لا يعلمون.

فتهمتهم لأنفسهم و خوفهم من أعمالهم يعود إلى شكّهم فيما يحكم به أوهامهم من حسن عبادتهم،و كونها مقبوله أو واقعه على الوجه المطلوب الموصل إلى اللّه تعالى فإنّ هذا الوهم يكون مبدءا للعجب بالعباده و التقاصر عن الازدياد من العمل.

و التشكّك فى ذلك و تهمه النفس بانقيادها فى ذلك الحكم للنفس الأمّاره يستلزم خوفها أن تكون تلك الأعمال قاصره عن الوجه المطلوب و غير واقعه عليه فيكون باعثا على العمل و كاسرا للعجب به،و قد عرفت أن العجب من المهلكات كما قال عليه السّلام:

ثلاث مهلكات:شحّ مطاع و هوى متّبع و إعجاب المرء بنفسه.و كذلك خوفهم من تزكيه الناس لهم هو الدواء لما ينشأ عن تلك التزكيه من الكبر و العجب بما يزكّون به.فيكون جواب أحدهم عند تزكيته:إنّى أعلم بنفسى من غيرى.إلى آخره .

علامات المؤمن

اشاره

ثمّ شرع بعد ذلك فى علاماتهم الّتى بجملتها يعرف أحدهم.و الصفات السابقه و إن كان كثير منها مما يخصّ أحدهم و يعرف به إلّا أنّ بعضها قد يدخله الرياء فلا يدخل على التقوى الحقّه فجمعها هاهنا و نسقها:

فالأولى:القوّه فى الدين

،و ذلك أن يقاوم فى دينه الوسواس الخنّاس و لا يدخل فيه خداع الناس،و هذا إنّما يكون فى دين العالم.

الثانيه:الحزم فى الأمور

الدنیویّه و التثبّت فیها ممزوجا باللین للخلق و عدم الفظاظه علیهم کما فی المثل:لا تکن حلوا فتسترط و لا مرّا فتلفظ.و هی فضیله العدل فی المعامله مع الخلق،و قد علمت أنّ اللین قد یکون للتواضع المطلوب بقوله

ص:۴۱۹

«وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (۱)و قد یکون عن مهانه و ضعف یقین، و الأوّل هو المطلوب و هو المقارن للحزم فی الدین و مصالح النفس،و الثانی رذیله و لا یمکن معه الحزم لانفعال المهین عن کلّ جاذب.

الثالثه:الإیمان فی الیقین

،و لمّا کان الإیمان عباره عن التصدیق بالصانع و بما وردت به الشریعه،و کان ذلک التصدیق قابلا للشدّه و الضعف،فتاره یکون عن التقلید و هو الاعتقاد المطابق لا لموجب،و تاره یکون عن العلم و هو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدلیل،و تاره عن العلم به مع العلم بأنّه لا یکون إلاّ کذلک،و هو علم الیقین-و محقّقوا الساکین لا یقفون عند هذه المرتبه بل یطلبون الیقین بالمشاهده بعد طرح حجب الدنیا و الإعراض عنها-أراد أنّ علمهم علم یقین لا یتطرّق إلیه احتمال.

الرابعه:

الحرص فی العلم و الازدیاد منه.

الخامسه:مزج العلم و هو فضیله القوّه الملکیّه بالحلم

،و هو من فضایل القوّه السبعیّه .

السادسه:القصد فی الغنی

،و هو فضیله العدل فی استعمال متاع الدنیا و حذف الفضول عن قدر الضروره.

السابعه:الخشوع فی العباده

و هو من ثمره الفکر فی جلال المعبود و ملاحظه عظمته الّذی هو روح العباده.

الثامنه:التحمّل فی الفاقه

:و ذلک بترک الشکوی إلی الخلق و الطلب منهم، و إظهار الغنی عنهم.و ذلک ینشأ عن القناعه و الرضا بالقضاء و علوّا الهمّه،و یعین علی ذلک ملاحظه الوعد الأجلّ و ما اعدّ للمتّقین.

التاسعه:

و كذلك الصبر فى الشدّه.

العاشره:

الطلب فى الحلال،و ينشأ عن العفّه.

الحاديه عشر:النشاط فى الهدى

و سلوك سبيل اللّه.و ينشأ عن قوّه الاعتقاد فيما وعد المتّقون و تصوّر شرف الغايه .

ص:۴۲۰

۱- ۱) ۲۱۵-۲۶.

الثانيه عشر:عمل الصالحات على وجل

:أى من أن يكون على غير الوجه اللايق فلا يقبل كما روى عن زين العابدين عليه السّلام أنّه كان فى التلبيه و هو على راحلته فخرّ مغشيّاً عليه فلمّا أفاق قيل له ذلك.فقال:خشيت أن يقول لى ربّى:لا لبّيك و لا سعديك.

الثالثه عشر:أن يكون همّهم عند المساء الشكر

على ما رزقوا بالنهار و ما لم يرزقوا،و يصبحوا و همّهم الذكر للّه ليذكرهم فيرزقهم من الكمالات النفسانيّه و البدنيّه كما قال تعالى «فَاذْكُرُونِی أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِی وَ لا تَكْفُرُونِ» .

الرابعه عشر:أن يبيت حذرا و يصبح فرحا.إلى قوله:الرحمه

.تفسير لمحذور و ما به الفرح،و ليس مقصوده تخصيص البيات بالحذر و الصباح بالفرح كما يقول أحدنا يمسى فلان و يصبح حذرا فرحا،و كذلك تخصيصه الشكر بالمساء و الذكر بالصباح يحتمل أن لا يكون مقصودا .

الخامسه عشر:قوله إن استصعبت.إلى قوله:تحبّ.

إشاره إلى مقاومته لنفسه الأمّاره بالسوء عند استصعابها عليه،و قهره لها على ما تكره و عدم مطاوعته لها فى ميولها الطبيعيّه و محابّها.

السادسه عشر:أن يرى قرّه عينه فيما لا يزول

من الكمالات النفسانيّه الباقيه كالعلم و الحكمه و مكارم الأخلاق المستلزمه للذّات الباقيه و السعاده الدائمه، كنايه و قرّه عينه كنايه عن لذّته و ابتهاجه لاستلزامها لقرار العين و بردها برؤيه المطلوب، و زهادته فيما لا يبقى من متاع الدنيا.

السابعه عشر:أن يمزج بالحلم العلم

فلا يجهل و يطيش، و القول بالعمل فلا يقول ما لا يفعل فلا يأمر بمعروف و يقف دونه و لا ينهى عن منكر ثمّ يفعله،و لا يعد فيخلف فيدخل فى مقت اللّه كما قال تعالى «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ » (١).

الثامنه عشر:قصر أمله و قربه

،و ذلک لکثره ذکر الموت و الوصول إلی اللّه.

التاسعه عشر:قلّه زلله

قد عرفت أنّ زلل العارفین یکون من باب ترک الأولی

ص:۴۲۱

۱- ۱) ۳-۶۱.

لأنّ صدور الخيرات عنهم صادر ملكه و الجواذب فيهم إلى الزلل و الخطيئات نادره تكون لضروره منهم أو سهو،و لا شكّ فى قلّته.

العشرون:خشوع قلبه

عن تصوّر عظمته المعبود و جلاله.

الحاديه و العشرون:قناعه نفسه

،و ينشأ عن ملاحظه حكمه اللّه فى قدرته و قسمته الأرزاق،و يعين عليها تصوّر فوائدها الحاضره و غايتها فى الآخره.

الثانيه و العشرون:قلّه أكله

،و ذلك لما يتصوّر فى البطنه من ذهاب الفطنه و زوال الرقّه و حدوث القسوه و الكسل عن العمل.

الثالثه و العشرون:سهوله أمره

:أى لا يتكلّف لأحد و لا يكلّف أحدا.

الرابعه و العشرون:حرز دينه

فلا يهمل منه شيئا و لا يطرق إليه خللا.

الخامسه و العشرون:موت شهوته

، استعاره و لفظ الموت مستعار لخمود شهوته عمّا حرّم عليه.و يعود إلى العفّه .

السادسه و العشرون:كظم غيظه

،و هو من فضائل القوّه الغضبيّه.

السابعه و العشرون:كونه مأمول الخير

و ذلک لأکثریّه خیریّته،مأمون الشرور و ذلک لعلم الخلق بعدم قصده للشرور .

الثامنه و العشرون:قوله:إن کان فی الغافلین.

إلی قوله:الغافلین:أی إن رآه الناس فی عـداد الغافلین عن ذکر اللّه لترکه الذکر باللسان کتب عند اللّه من الذاکرین لاشـتغال قلبه بالذکر و إن ترکه بلسانه،و إن کان من الذاکرین بلسانه بینهم فظاهر أنّه لا یکتب من الغافلین.و لذکر اللّه ممادح کثیره و هو باب عظیم من أبواب الجنّه و الاتّصال لجناب اللّه،و قد أشرنا إلی فضیلته و أسراره.

التاسعه و العشرون:عفوه عمّن ظلمه

،و العفو فضیله تحت الشجاعه،و خصّ من ظلمه لیتحقّق عفوه مع قوّه الداعی إلی الانتقام.

الثلاثون:و یعطی من حرمه

،و هی فضیله تحت السخاء .

الحادیه و الثلاثون:و یصل من قطعه

،و المواصله فضیله تحت العفّه.

الثانیه و الثلاثون:بعد فحشه

،و أراد ببعد الفحش عنه أنّه قلّما یخرج فی

أقواله إلى ما لا ينبغى.

الثالثه و الثلاثون:ليّنه فى القول

عند محاوره الناس و وعظهم و معاملتهم،و هو من أجزاء التواضع.

الرابعه و الثلاثون:غيبه منكره

و حضور معروفه،و ذلك للزومه حدود اللّه.

الخامسه و الثلاثون:إقبال خيره و إدبار شرّه

،و هو كقوله: الخير منه مأمول و الشرّ منه مأمون ،و يحتمل باقبال خيره أخذه فى الازدياد من الطاعه و تشميره فيها،و بقدر ذلك يكون إدباره عن الشرّ لأنّ من استقبل أمرا و سعى فيه بعد عمّا يضادّه و أدبر عنه .

السادسه و الثلاثون:

كنايه وقاره فى الزلازل ،و كنّى بها عن الامور العظام و الفتن الكبار المستلزمه لاضطراب القلوب و أحوال الناس.و الوقار ملكه تحت الشجاعه .

السابعه و الثلاثون:كثره صبره فى المكاره

،و ذلك عن ثباته و علوّ همّته عن أحوال الدنيا.

الثامنه و الثلاثون:كثره شكره فى الرخاء

،و ذلك لمحبّه المنعم الأوّل-جلّت قدرته-فيزداد شكره فى رخائه و إن قلّ.

التاسعه و الثلاثون:كونه لا يحيف على من يبغض

،و هو سلب للحيف و الظلم مع قيام الداعى إليهما و هو البغض لمن يتمكّن من حيفه و ظلمه.

الأربعون:كونه لا يأثم فيمن يحبّ

،و هو سلب لرذيله الفجور عنه باتّباع الهوى فيمن يحبّ إمّا بإعطائه ما لا يستحقّ أو دفع ما يستحقّ عليه عنه كما يفعله قضاه السوء و امراء الجور.فالمتّقى لا يأثم بشىء من ذلك مع قيام الداعى إليه و هو المحبّه لمن يحبّه بل يكون على فضيله العدل فى الكلّ على السواء .

الحاديه و الأربعون:اعترافه بالحقّ قبل أن يشهدوا عليه

،و ذلك لتحرّزه فى دينه من الكذب.إذ الشهاده إنّما يحتاج إليها مع إنكار الحقّ،و ذلك كذب.

الثانيه و الأربعون:كونه لا يضيع أماناته و لا يفرط فيما استحفظه

اللّه من دينه و كتابه،و ذلك لورعه و لزوم حدود اللّه.

الثالثه و الأربعون:و لا ينسى ما ذكر

من آيات اللّه و عبره و أمثاله و لا يترک

العمل بها،و ذلک لمداومته ملاحظتها و کثره إخطارها بباله و العمل بها لغایته المطلوبه منه.

الرابعه و الأربعون:و لا ینابز بالألقاب

،و ذلک لملاحظته النهی فی الذکر الحکیم «وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ» (۱)و لسرّ ذلک النهی و هو کون ذلک مستلزما لإثاره الفتن و التباغض بین الناس،و الفرقه المضادّه لمطلوب الشارع.

الخامسه و الأربعون:و لا یضارّ بالجار

لملاحظه وصیّه اللّه تعالی «وَ الْجارِ ذِی الْقُرْبی وَ الْجارِ الْجُنُبِ» (۲)و وصیّه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم فی المرفوع إلیه:أوصانی ربّی بالجار حتّی ظننت أنّه یورّثه،و لغایه ذلک و هی الالفه و الاتّحاد فی الدین.

السادسه و الأربعون:و لا یشمت بالمصائب

،و ذلک لعلمه بأسرار القدر،و ملاحظته لأسباب المصائب،و أنّه فی معرض أن تصیبه فیتصوّر أمثالها فی نفسه فلا یفرح بنزولها علی غیره .

السابعه و الأربعون:أنّه لا یدخل الباطل و لا یخرج عن الحقّ

:أی لا یدخل فیما یبعّد عن اللّه تعالی من باطل الدنیا و لا یخرج عمّا یقرّب إلیه من مطالبه الحقّه، و ذلک لتصوّر شرف غایته.

الثامنه و الأربعون:کونه لا یغمّه صمته

لوضعه کلّا من الصمت و الکلام فی موضعه،و إنّما یستلزم الغمّ الصمت عمّا ینبغی من القول و هو صمت فی غیر موضعه.

التاسعه و الأربعون:کونه لا یعلو ضحکه

،و ذلک لغلبه ذکر الموت و ما بعده علی قلبه،و ممّا نقل من صفات الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم:کان أکثر ضحکه التبسّم، و قد یفتر أحیانا،و لم یکن من أهل القهقهه و الکرکره.و هما کیفیّتان للضحک .

الخمسون:صبره فی البغی علیه إلی غایه انتقام اللّه له

،و ذلک منه نظرا إلی ثمره الصبر و إلی الوعد الکریم «ذٰلِکَ وَ مَنْ عاقَبَ بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِیَ عَلَیْهِ لَیَنْصُرَنَّهُ اللّٰهُ» (۳)الآیه و قوله «وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَیْرٌ لِلصّابِرِینَ» .

الحادیه و الخمسون:کون نفسه منه فی عناء

:أی نفسه الأمّاره بالسوء لمقاومته

ص:۴۲۴

۱- ۱) ۱۱-۴۹.

۲- ۲) ۴۰-۴

۳- ۳) ۵۹-۲۲.

لها و قهرها و مراقبته إيّاها،و الناس من أذاه فى راحه لذلك .

الثانيه و الخمسون:كون بعده عمّن تباعد عنه لزهده

فيما فى أيـدى الناس و نزاهته عنه لا عن كبر و تعظيم عليهم،و كذلك دنوّه ممن دنا منه عن لين و رحمه منه لهم لا بمكر بهم و خـديعه لهم عن بعض المطالب كما هو عاده الخبيث المكّار. و هـذه الصـفات و العلامات قد يتداخل بعضـها بعضا،و لكن تورد بعباره أخرى أو يـذكر مفرده ثمّ يذكر ثانيا مركّبه مع غيرها .و بالجمله فهذه الخطبه من جليل و بليغ وصـفه و لذلك فعلت بهمّام ما فعلت.فأمّا جوابه عليه السّـلام لمن سأله بقوله : ويحك إنّ لكلّ أجل وقتا لا يعدوه :أى ينتهى إليه و يكون غايه له لا يتجاوزها و لا يتأخّر عنها،و الضـمير فى يعدوه للأجل. و سـببا لا يتجاوزه :أى و لذلك الأجل سـبب:أى علّه فاعله لا يتعدّاها إلى غيرها من الأسـباب فمنها ما يكون موعظه بالغه كهذه.فهو جواب مقنع للسامع مع أنّه حقّ و صدق،و هو إشاره إلى السبب الأبعد لبقائه عليه السّـلام عنـد سـماع المواعـظ البـالغه و هو الأجل المحكوم به للقضاء الإلهىّ،و أمّا السـبب القريب للفرق بينه و بين همّام و نحوه فقوّه نفسه القدسيّه على قبول الواردات الإلهيّه و تعوّده بها و بلوغ رياضته حدّ السكينه عند ورود أكثرها و ضعف نفس همّام عمّا ورد عليه من خوف اللّه و رجائه.و لم يجب عليه السّلام بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه،أو لقصور فهم السائل.و نهيه له عن مثل هذا السؤال و التنفير عنه كونه من نفثات الشيطان لوضعه فى غير موضعه و هو من آثار الشيطان.و باللّه العصمه و التوفيق.

۱۸۵-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يصف فيها المنافقين

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَهِ- وَ ذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَهِ وَ نَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً- وَ بِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً- وَ نَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ

ص:۴۲۵

اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ- وَ قَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ وَ تَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ- وَ خَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا- وَ ضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا- حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَ أَسْحَقِ الْمَزَارِ- أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ أُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ- فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَ الزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ- يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَ يَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً- وَ يَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَ يَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ- قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ وَ صِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ- يَمْشُونَ الْخَفَاءَ وَ يَدِبُّونَ الضَّرَاءَ- وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ وَ قَوْلُهُمْ شِفَاءٌ وَ فِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ- حَسَدَةُ الرَّخَاءِ وَ مُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ وَ مُقْنِطُو الرَّجَاءِ- لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ- وَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ وَ لِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ- يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ وَ يَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ- إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا وَ إِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا وَ إِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا- قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا وَ لِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا- وَ لِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا- وَ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً- وَ لِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً- يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ- وَ يُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ- وَ يَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ- وَ أَضْلَعُوا الْمَضِيقَ فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وَ حُمَةُ النِّيرَانِ- «أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ»-

«الشَّيْطانِ هُمُ الْخاسِرُونَ»

اللغه

اقول: ذاد: طرد .و الغمره من كلّ شیء: معظمه .و أسحق المزار: أبعده .

و السحق بضم السين : البعد،و كذلك بضمّ الحاء .و يعمدونكم: يهدّونكم و يفدحونكم .

و العماد: الأمر الفادح . يرصدونكم: يقعدون لكم المراصد و ينتظرونكم :

و الضراء: ما واراك من الشجر الملتفّ .و الإلحاف: الاستقصاء فى السؤال .و الشجو:

الحزن .و الأعلاق: جمع علق و هى السعله الثمينه .و التمويه: التزيين و التلبيس .

و أضلعوا المضيق إضلاعا: أى عوّجوه و أمالوه.و هو ضلع:أى مائل.و ضلع بفتح اللام:أى معوّج خلقه .و اللمه بالتخفيف: الجماعه .و حمّه النيران بالتشديد : معظم حرّها.و بالتخفيف سمّ العقرب .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى باعتبارين:و هما التوفيق لطاعته الّتى هى سبب الفوز الأكبر و الطرد عن معصيته الّتى هى سبب الخسران الأخسر،و ذلك الذود إمّا بالنواهى أو بحسم أسباب المعاصى و عدم الإعداد لها و الكلّ منه سبحانه.ثمّ سأله أمرين:التمام لما شكره من النعمه نظرا إلى قوله تعالى «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» و الاعتصام بحبله المتين و هو الدين القويم العاصم لمن تمسّك له عن الهوى فى مهاوى الهلاك و دركات الجحيم ،و أردف ذلك بشهاده الرساله و شرح حال المرسل صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى أداء رسالته، استعاره مرشحه بالكنايه و استعار لفظ الغمره لمعظم الشرور و المكاره المتكافئه المجتمعه حين بعثته صلّى اللّه عليه و آله و سلم ملاحظه لشبهها بغمره الماء،و رشّح بذكر الخوض،و كنّى به عن مقاساته للمتاعب الكثيره و ملاقاته للنوائب من المشركين فى بدء دعوته ، كنايه و كنّى بالغصص عن عوارض الغموم له من ملاقاه تلك المكاره ،و كنّى بتلوّن الأدنين له عن تغيّر قلوب أقربائه عليه حينئذ بضروب التغيّرات،و تألّب الأقصين عليه اجتماع الأباعد عنه من العرب و انضمامهم من أقصى البلاد إلى حربه.

كنايه و قوله: و خلعت إليه العرب.إلى قوله:رواحلها.

مثلان كنّى بهما عن المسارعه إلى حربه لأنّ أقوى عدوّ الخيل إذا خلعت أعنّتها،و أقوى عدوّ الرواحل إذا ضربت بطونها،و فيه إيماء إلى أنّهم أتوه فرسانا

و ركبانا متسرّعين إلى حربه.

مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و قوله: حتّى أنزلت بساحته عداوتها.

أى حروبها و شرورها الّتى هى ثمره العداوه،و أطلق لفظ العداوه على الحرب مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب .و من طالع كتب السير يطّلع على ما لاقى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى ذات اللّه سبحانه من المشاقّ كاستهزاء قريش به فى أوّل الدعوه،و رميهم إيّاه بالحجاره حتّى أدموا عقبيه،و صياح الصبيان به، و فرث الكرش على رأسه،و فتلهم الثوب فى عنقه،و حصره هو و أهله فى شعب بنى هاشم سنين عدّه محرّمه معاملتهم و مبايعتهم و مناكحتهم و كلامهم حتّى كادوا يتلفون جوعا لو لا بعض من كان يحنو عليهم لرحم أو لسبب آخر فكان يسترق لهم القليل من الدقيق أو التمر فيلقيه إليهم ليلا،ثمّ ضربهم لأصحابه و تعذيبهم بالجوع و الوثاق فى الشمس و طردهم إيّاهم عن شعاب مكّه حتّى خرج بعضهم إلى الحبشه و خرج هو عليه السّلام مستجيرا منهم تاره بثقيف و تاره ببنى عامر و تاره بربيعه الفرس و بغيرهم،ثمّ أجمعوا على قتله و الفتك به ليلا حتّى هرب منهم لائذا بالأوس و الخزرج تاركا لأولاده و أهله ناجيا بحشاشه نفسه حتّى وصل إلى المدينه فناصبوا الحرب و رموه بالكتايب و ضربوا إليه آباط الإبل حتّى أكرمه اللّه تعالى و نصره و أيّد دينه و أظهر .ثمّ عقّب عليه السّلام بالوصيّه بتقوى اللّه و التحذير من المنافقين و تعديد مذاقهم ليعرفوا فيجتنبوا و يحصل النفار عنهم فإنّهم الضالّون :أى المنحرفون عن سبيل اللّه لعدم الاهتداء إليها،المضلّون لغيرهم عنها بالشبهات الباطله.و كذلك الزالّون المزلّون . كنايه و كنّى بتلوّنهم ألوانا عن تغيّراتهم فى أقوالهم و أفعالهم من حال إلى حال بحسب أغراضهم الفاسده فيلقون كلا بوجه و لسان غير الآخر.و كذلك تفتّنهم :

أى تشعّب أقوالهم و حالاتهم بحسب تشعّب أغراضهم .و أراد بعمدهم لهم قصدهم لهم بكلّ مكروه على وجه الحيله و الخدعه،و ترصّدهم لهم بكلّ مرصاد تتّبع وجوه الحيل فى هلاكهم بكلّ مكروه على وجه الحيله.و أراد بقلوبهم دويّه و صفاحهم نقيّه اشتمال نفوسهم على الداء النفسانىّ من الحسد و الحقد و المكر و الخديعه و إعمال الحيله مع إظهار

البشاشه و الصداقه و المحبّه و النصيحه لهم،و هذا هو الضابط فى النفاق،و هو أن يظهر الانسان بلسانه أمراً حسنا محمودا و يبطن خلافه،و أراد بصفاحهم وجوههم،و بنقائها سلامتها عن شرّ ظاهر.

كنايه و قوله : يمشون الخفاء.

كنايه عن كون حركاتهم القوليّه و الفعليّه فيما يريدونه فى خفاء أفهام الناس،و كذلك قوله: و يدبّون الضراء .و الخفاء و الضراء منصوبان على الظرف.

و هما مثلان لمن يختل غيره و يخدعه.

و قوله: وصفهم دواء إلى قوله:العياء.

أى أقوالهم أقوال الزاهدين العابدين من الموعظه و الأمر بالتقوى و طاعه اللّه الّذى هو دواء الغىّ و الضلال و شفاء منهما،و أفعالهم أفعال الفاسقين الضالّين من معصيه اللّه الّتى هى الداء الأكبر.و العياء:المعيى للأطبّاء.

و قوله: حسده الرخاء.

أى إن رأوا لامرء رخاء حسدوه، و مؤكّدو البلاء :أى إن رأوا به بلاء أكّدوه بالسعايه و التأليب عليه.و روى:و مولّدوا.و هو ظاهر. و مقنطوا الرجاء :أى إذا رجا راج أمرا ففى طباعهم أن يقنطوه و يؤيسوه.و هكذا شأن المنافق الكذّاب أن يبعّد القريب و يقرّب البعيد.

استعاره بالكنايه و قوله : لهم بكلّ طريق صريع.

كنايه عن كثره من يقتلونه أو يؤذونه بخديعتهم و مكرهم.و كنّى بالطريق إمّا عن كلّ مقصد قصدوه،أو عن كلّ حيله احتالوها و مكر مكروه فانّه لابدّ أن يستلزم أذى.

و قوله: إلى كلّ قلب شفيع.

أى إنّ من شأن المنافق أن يتّخذ إلى كلّ قلب ذريعه و وجها غير الآخر فيكون صديق الكلّ حتّى المتعادين ليتوصّل بذلك إلى إثاره الفتن و ايقاع الشرّ بينهم و هو فى نفس الأمر عدوّ الكلّ، كنايه و كذلك لهم لكلّ شجو دموع كنايه عن توجّعهم لكلّ

شجو و توصّلهم بذلك إلى أغراضهم و إن كانوا لأهل الشجو أعداء.

و قوله: يتقارضون الثناء و يتراقبون الجزاء.

أى يثنى أحدهم على الآخر ليثنى الآخر عليه،و يترقّب كلّ منهم الجزاء من صاحبه على ثنائه.

و قوله: إن سألوا ألحفوا.

أى ألحّوا فى السؤال و هو من المذامّ كما قال تعالى «لاٰ يَسْئَلُونَ النّٰاسَ إِلْحٰافاً» (۱).

و قوله: و إن عذلوا كشفوا.

أى إذا عذلك أحدهم كشف لك عيوبك فى ذلك العذل و جبّهك بها و ربّما ذكرها بمحضر من لا تحبّ ذكرها معه و ليسوا كالناصحين الّذين يعرضون بالذنب عند العتاب تعريضا لطيفا دون التصريح، و إذا حكموا أسرفوا :أى إذا ولّى أحدهم ولايه أسرف فيها بالظلم و الانهماك فى مأكله و مشربه و عبر فى قينات الدنيا إلى حدّ الإفراط من فضيله العدل.و ذلك لجهله بالعواقب و تصوّره أن لا غايه أشرف ممّا هو فيه ، قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلا :أى من الشبه يموّهون عليه و يغطّونه بها، و لكلّ حيّ قاتلاـ :أى سببا يميتونه به.و الحىّ أعمّ من الإنسان هنا بل كلّ أمر يحيى و يقوم إذا أرادوا فساده، استعاره و لكلّ باب مفتاحا من الحيل و الخديعه و لفظ المفتاح مستعار، و لكلّ ليل مصباحا و لفظ الليل مستعار لما أشكل من الأمور و أظلم.و كذلك لفظ المصباح للرأى الّذى يدخلون به فى ذلك الأمر و يهتدون إلى وجهه به كرأى عمرو بن العاص على معاويه ليله الهرير برفع المصاحف و دعوتهم أهل العراق أن يحاكموهم إلى كتاب اللّه فلم يكن لذلك المشكل إلاّ ذلك الرأى الصعب ،و يتوصّلون إلى الطمع باليأس:

أى بإظهار اليأس عمّا فى أيدى الناس و الزهد فيه كما يفعله كثير من زهّاد الوقت.

و وصفهم بأخذ الشىء بضدّه أبلغ ما يكون فى وصف النفاق و الحيله.

استعاره و قوله: ليقيموا به أسواقهم.

ص:۴۳۰

۱- ۱) ۲۷۴-۲.

استعار لفظ الأسواق لأحوالهم فى معامله الخلق من أخذ و إعطاء فإنّ فعلهم ذلک يقيمها بين الناس و يروّجها عليهم.و كذلک ينفقوا به أعلاقهم .و لفظ الأعلاق مستعار لما يزعمون أنّه نفيس من آرائهم و حركاتهم الخارجه عن أوامر اللّه.

و قوله: يقولون.إلى قوله.فيوهّمون.

أى يوقعون بأقوالهم الشبه فى القلوب و يوهّمون عليهم الباطل بصوره الحقّ.

و قوله: قد هوّنوا الطريق.

أى قد عرفوا كيف يسلكون فى مقاصدهم من الآراء و الحيل،و أضلعوا الطريق:

عوّجوا مضائقها. كنايه و كنّى بمضائقها عن دقائق المداخل فى الامور،و بتعويجها عن أنّهم إذا أرادوا الدخول فى أمر مضيّق أظهروا أنّهم يريدون غيره تعميه على الغير و تلبيسا أن يقف على وجه الحيله فيفسد مقصودهم.

و قوله : فهم لمه الشيطان.

أى جماعته و أتباعه. استعاره و حمّه النيران مستعار لمعظم شرورهم.و وجه المشابهه استلزامها للأذى البالغ .و كذلک حمه بالتخفيف.

۱۸۶-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى» أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَ جَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ- مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ- وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ وَ أَشْهَدُ أَنْ «لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ» شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَ إِيقَانٍ وَ إِخْلاَصٍ وَ إِذْعَانٍ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ ؟مُحَمَّداً؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ- أَرْسَلَهُ وَ أَعْلاَمُ الْهُدَى دَارِسَةٌ- وَ مَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ- وَ نَصَحَ لِلْخَلْقِ وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ

ص:۴۳۱

وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ- أَنَّهُ لَمْ یَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَ لَمْ یُرْسِلْكُمْ هَمَلاً- عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَیْكُمْ وَ أَحْصَی إِحْسَانَهُ إِلَیْكُمْ- فَاسْتَفْتِحُوهُ وَ اسْتَنْجِحُوهُ وَ اطْلُبُوا إِلَیْهِ وَ اسْتَمْنِحُوهُ- فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَ لاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ- وَ إِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وَ فِی كُلِّ حِینٍ وَ أَوَانٍ- وَ مَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَ جَانٍّ- لاَ یَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ وَ لاَ یَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ- وَ لاَ یَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَ لاَ یَسْتَقْصِیهِ نَائِلٌ- وَ لاَ یَلْوِیهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَ لاَ یُلْهِیهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ- وَ لاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ وَ لاَ یَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَهٍ- وَ لاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ وَ لاَ یُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ- وَ لاَ یَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ- قَرُبَ فَنَأَی وَ عَلاَ فَدَنَا وَ ظَهَرَ فَبَطَنَ- وَ بَطَنَ فَعَلَنَ وَ دَانَ وَ لَمْ یُدَنْ- لَمْ یَذْرَأِ الْخَلْقَ بِاحْتِیَالٍ وَ لاَ اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ أُوصِیكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ- فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَ الْقِوَامُ فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَ اعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَی أَكْنَانِ الدَّعَهِ- وَ أَوْطَانِ السَّعَهِ وَ مَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَ مَنَازِلِ الْعِزِّ-فِی یَوْم تَشْخَصُ فِیهِ الْأَبْصَارُ وَ تُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ- وَ تُعَطَّلُ فِیهِ صُرُومُ الْعِشَارِ وَ «یُنْفَخُ فِی الصُّورِ» فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَهٍ وَ تَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَهٍ- وَ تَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ وَ الصُّمُّ الرَّوَاسِخُ- فَیَصِیرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً وَ مَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً- فَلاَ شَفِیعٌ یَشْفَعُ وَ لاَ حَمِیمٌ یَنْفَعُ وَ لاَ مَعْذِرَهٌ تَدْفَعُ

اللغه

أقول: مقله العين: شحمتها .و الهمهمه: حديث النفس مع صوت خفىّ لا يفهم .

و الطامسه: كالدراسه .و الحباء: النوال .و ذرء: خلق .و المعقل: الملجأ .و الصروم:

جمع صرم و صرمه و هى القطعه من الإبل نحو الثلاثين .و العشار: النوق أتى عليها بعد طروق الفحل عشره أشهر .و الشمّ الشوامخ: الجبال العاليه .و معهدها:

ما كان مسكونا منها .و قاعا: خاليا .و السملق: الصفصف المستوى ليس بعضه أرفع من بعض .

المعنى

و قد حمد اللّه تعالى باعتبار إظهاره من آثار ملكه و سلطانه ما أظهره من ملكوت السماوات و الأرض،و ترتيب العالمين على وجه النظام الأتمّ ممّا هو محلّ العجب العجيب الّذى تحار أبصار البصائر فى كيفيّه وقوعه من القدره الإلهيّه،و فى ترتيبه على النظام الأكمل.بل كلّ مخلوق منها فهو محلّ ذلك العجب و الحيره، استعاره و لفظ المقل مستعار و نسبه ذلك إلى جلال كبريائه مناسب لما أنّ السلطان و العظمه و الكبرياء يناسب صدور الآثار العظيمه العجيبه المحكمه عنها . و ردع خطرات هماهم النفوس :أى ما يخطر للنفوس فيهمهم به،و ردعه لها استلزام كماله المطلق عجزها عن إدراك حقيقته.و قد سبق ذلك غير مرّه .ثمّ شهد بكلمه التوحيد معتبرا فيها أربعه أمور:

أحدها:كونها شهاده إيمان :أى يطابق القول فيها للعقد القلبىّ.

الثانى: و إيقان :أى يكون اعتقادها يقينا و هو اعتقاد أن «لا إِلهَ إِلاّ هُوَ» مع اعتقاد أنّه لا يمكن أن يكون ذلك المعتقد إلاّ كذلك.

الثالث: و إخلاص :و هى أن يحذف عن ذلك المعتقد كلّ أمر عن درجه الاعتبار و لا يلاحظ معه غيره.

الرابع: و إذعان :و الإذعان ثمره ذلك الإخلاص و كماله،و يتفاوت بتفاوته و يعود إلى سائر الطاعات و العبادات الّتى هى من حقوق تلك الكلمه و توابعها .ثمّ أردفها باختها.و ذكر الأحوال الّتى كان العالم عليها حين الرساله ممّا هى شرور تنبيها على فضيله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و استعار أعلام الهدى لأئمّه الدين الهادين إلى

ص:۴۳۳

سبيل اللّه.و لفظ المناهج لقوانين الشريعه الّتى يسلك فيها جزئيّات الأحكام.و لفظ دروسها و طموسها لاضمحلالها قبل النبوّه.و الواو فى و أعلام للحال.فصدع بما جاء به من الحقّ ما طلب من الباطل،و نصح الخلق ليردّهم عن غوايتهم إلى صراط اللّه،و هداهم إلى الرشد فى سلوكه،و أمرهم بالعدل و الاستقامه عليه .ثمّ نبّه السامعين إجمالا على أنّ خلق اللّه تعالى لهم ليس خاليا عن غايه و أنّهم لم يرسلوا فى الدنيا مهملين عن أمر يراد بهم كإهمال البهيمه.ثمّ على علمه بمبلغ نعمه عليهم كمّيه و كيفيّه و إحصائه لها عدّا ليبعثهم على شكرها،و لذلك قال فاستفتحوه :أى اطلبوا منه أن يفتح عليكم أبواب بركاته و نصره، و استنجحوه :أى اطلبوا منه نجاح حاجاتكم، و اطلبوا إليه :أى اطلبوا الهدايه إلى حضرته و وجوه مرضاته، و استمنحوه أن يعطيكم كمالكم.كلّ ذلك بالشكر و سائر العبادات الّتى بها الاستعداد لإفاضه رحمته.

و قوله فما قطعكم عنه حجاب إلى قوله:إنس و جانّ.

إظهار لوجود كماله و عظمته،و تنزيه له عن صفات المخلوقين المحدثين،و تقريب له من عباده ليطلبوا منه و يتقرّبوا إليه و يستنجحوه و يستمنحوه و تنفتح آمالهم منه، و إذ لم يكن تعالى متحيّزا فلا حجاب دونه و لا باب،و كان بكلّ مكان فى حاله واحده:أى بعلمه المحيط لاستحاله ذلك التحيّز،و فى كلّ حين و أوان بمعنى مساوقه وجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفيّه له لتنزّهه تعالى عن لحوق الزمان المتأخّر عنه بمراتب من المعلولات،و مع كلّ إنس و جانّ بعلمه «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ» .

و قوله : لا يثلمه العطاء.إلى قوله:نائل.

فاستقصاء النائل له بلوغ الجود منه أقصى مقدوره،و برهان تلك الأحكام أنّ الثلم و النقصان و الاستنفاد و الاستقصاء على المقدور يستلزم النهايه و الحاجه المستلزمين للإمكان،و لا شىء من واجب الوجود بممكن،و كلّ من لحقته هذه الأحوال ممكن فواجب الوجود لا تلحقه هذه الأحوال،و كذلك قوله : لا يلويه

شخص عن شخص :أى لا يصرفه.إلى قوله: عقاب .و برهان هذه الأحكام أنّ الصرف و اللهو يستلزمان الغفله عن أمر و الفطنه لغيره بعد الغفله عنه،و كذلك حجز الهبه و منعها عن سلب نعمه اخرى و شغل الغضب له عن الرحمه مستلزمان قصور القدره و ضعفها و تعلّقها بمحلّ جسمانى،و ذلك مستلزم للنقصان المستلزم للحاجه و الإمكان المنزّه قدس اللّه تعالى عنه،و كذلك توليهه الرحمه عن العقاب يستلزم رقّه الطبع و رحمه النفوس البشريه المستلزمه لعوارض الجسميّه.و جلال اللّه منزّه عنها.

و قوله: و لا تجنّه البطون عن الظهور.

يحتمل وجهين:أحدهما:لا يخفيه بطون حقيقته عن العقول و خفاؤه عن العيون عن ظهوره للبصائر فى صور آثاره و ملكوت قدرته.الثانى:أنّه ليس فى شىء حتّى يخفى فيه عن الظهور على الأشياء و الاطّلاع عليها. و لا يقطعه الظهور عن البطون :أى لا يقطعه كونه ظاهرا أو عالما بالامور الظاهره عن أن يكون باطنا لا يطّلع العقل عليه أو عن علمه ببواطن الامور و حقايقها.

و قوله : قرب .أى بعلمه و قدرته من الأشياء قرب العلّه من المعلول. فنأى:

أى بعد بحقيقته عن إدراك العقول و الحواسّ.

و قوله: و علا فدنا .فعلّوه شرفه بالقياس إلى آثاره شرف العلّه على المعلول و دنوّه منها قربه.

و قوله: و ظهر فبطن و بطن فعلن.

تأكيد لما قبله،و قد سبق بيانه غير مرّه.

و قوله : لم يذرء الخلق باحتيال إلى قوله:الكلال.

تنزيه لايجاده لآثاره عن استخراج الحيل و إجاله وجوه الآراء فى استخراجها.

ثمّ عن الاستعانه بغيره فى شىء من آثاره.ثمّ عن مبدء الاستعانه و هو الكلال و الإعياء لاستلزام ذلك تناهى القوّه المستلزمه للجسميّه ،و إذ قدّم تنزيه الحقّ سبحانه عمّا لا ينبغى له،و وصفه بما ينبغى له شرع فى الوصيّه بتقواه.ثمّ فى التنبيه على فضائلها، استعاره و استعار لفظ الزمام لها باعتبار كونها قائده للعبد إلى طريق الحقّ

مـانعه له عن الجور إلی طرف الباطـل کالزمـام للنـاقه ،و أراد بکونهـا قوامـا کونهـا مقیمه للعبـد فی سـلوک سبیل اللّه أیضا إقامه للمصدر مقام اسم الفاعل .

و قوله: فتمسّکوا بو ثائقها.

أی بمـا به یوثق منهـا و هو سـائر أنواع العبـادات الّتی هی أجزاؤهـا،و التمسّک بها یقود إلی لزومها و المواظبه علیها. و اعتصـموا بحقائقها :أی بالخالص منها دون المشوب بالریاء و النفاق فإنّ الالتجاء إلی خالصها هو المخلص من عذاب اللّه.

و قوله: تؤل بکم.

انجزم تؤل لکونه جواب الأمر بالتمسّک و الاعتصام.و أکنان الـدعه مواطن الراحه من الآلام الحسّیّه و العقلیّه.و هی غرفات الجنّه و منازلها و هی أوطان السعه أیضا من ضیق الأبدان و ضنک بیوت النیران،و هی معاقل الحرز المانعه من عذاب اللّه.و هی منازل العزّ فی جوار اللّه.

و قوله: فی یوم.

متعلّق بتؤل،و الیوم یوم القیامه و سائر ما عدّده من صفات ذلک الیوم ممّا نطق به الکتاب الکریم کقوله تعالی «إِنَّما یُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِیهِ الْأَبْصارُ» (۱)و قوله «وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ » (۲)و قوله «وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ» (۳)و قوله «یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ یَنْسِفُها رَبِّی نَسْفاً فَیَذَرُها» (۴)الآیه و قوله «فَما لَنا مِنْ شافِعِینَ وَ لا صَدِیقٍ حَمِیمٍ» (۵)و قوله «فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ» (۶)فهذه بعض أهوال القیامه المحسوسه،و أمّا المعقوله فقال بعض السالکین:

إنّ الإنسان إذا حضرته الوفاه شخص بصر عقله إلی ما انکشف له من الأطوار الاخرویّه،و أظلمت علیه أقطار الدنیا،و غاب منها ما کان یشاهـده،و تعطّلت عنه عشاره،و ناداه داعی الأجل إلی الآخره فزهقت نفسه،و أجابت الداعی،و بکمت لهجته،و ذلّت شوامخ الجبال و رواسخها فی نظره لعظمه اللّه عند مشاهده کبریائه

۱- ۱) ۳۴-۱۴.

۲- ۲) ۴-۸۱.

۳- ۳) ۶۸-۳۹.

۴- ۴) ۱۰۵-۲۰.

۵- ۵) ۱۰۰-۲۶.

۶- ۶) ۵۷-۳۰.

فتصير لا نسبه لها فی نظره إلی ما شاهد من عظيم ملكوته فكأنّها اضمحلّت و غابت و صارت فی نظره كالسراب المترقرق الّذی لا أصل له بعد ما كان يراها عليه من العلوّ و العظمه،و كذلك ينقطع نظره عن عالم الأجسام و الجسمانيّات عند التوجّه إلی عالم الملكوت،و كذلك يری ما كان معهودا منها كالقاع الصفصف المستوی تحت سلطان اللّه و قهره،و حينئذ تنقطع عن الشفيع الشافع و الصديق الدافع و العذر النافع.و باللّه التوفيق.

۱۸۷-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ- وَ لاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ وَ لاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَی اللَّهِ- وَ أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ- وَ مَحَلَّهُ تَنْغِيصٍ سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَ قَاطِنُهَا بَائِنٌ- تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَهِ- تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِی لُجَجِ الْبِحَارِ- فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَ مِنْهُمُ النَّاجِی عَلَی بُطُونِ الْأَمْوَاجِ- تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَ تَحْمِلُهُ عَلَی أَهْوَالِهَا- فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ وَ مَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَی مَهْلَكٍ- عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَ الْأَلْسُنُ مُطْلَقَهٌ- وَ الْأَبْدَانُ صَحِيحَهٌ وَ الْأَعْضَاءُ لَدْنَهٌ- وَ الْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ وَ الْمَجَالُ عَرِيضٌ- قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ وَ حُلُولِ الْمَوْتِ- فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ وَ لاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ

اللغه

أقول: الساطع: المرتفع .و الوبق: الهالك .و اللدن: الناعم :و الإرهاق:

الإلحاق .

ص:۴۳۷

المعنى

و قد ذكر البعثه حين ظهور الأحوال الّتى كان العالم عليها تنبيها على فضلها و فضيله الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم.

استعاره فقوله: حيث لا علم قائم.

استعار لفظ العلم و المنار للهداه إلى اللّه الداعين إليه،و عدم قيامه و سطوعه لعدمهم زمان الفتره.

و قوله: و لا منهج واضح.

أى لا طريق إلى اللّه خالص عن شوب الأباطيل يتّبع .ثمّ عقّب بالوصيّه بتقوى اللّه.ثمّ بالتحذير من الدنيا،و قرنها بذكر عيوبها للتنفير عنها.و كونها دار شخوص إشاره إلى ضروره الارتحال عنها بالموت، و محلّه تنغيص :أى تنغيص لذّاتها بالآلام و الأمراض حتّى قيل:إنّ اللذّه فيها إنّما هى الخلاص عن الألم.

و قوله: ساكنها ظاعن و قاطنها بائن .كالتفسير لقوله:دار شخوص.

و قوله: تميد بأهلها إلى قوله:إلى مهلك.

ضربه لها و لأحوال أهلها فيها.فمثّلها بالسفينه عند عصف الريح،و مثّل تصرّفاتها و تغيّراتها بميدان السفينه،و رميهم فيها بالأمراض و الحوادث الّتى هى مظنّه الهلاك بالأحوال الّتى يلحق أهل السفينه عند هبوب الريح العاصف حال كونها فى لجج البحار،و مثّل انقسامهم عند بعض تلك الحوادث و نزولها بهم إلى ميّت لا يرجى له عوده و إلى مستدرك متفارط بانقسام ركّاب السفينه عند عصف الريح عليها إلى غريق هالك و إلى ناج،و مثّل الناجى من بعض الأمراض الّذى تأخّر موته إلى مرض آخر فلاقى من أهوال الدنيا فى تلك المدّه ما لاقى ثمّ لحقه الموت بالأخره بالناجى من الغرق الّذى تحمله الأمواج و تدفعه الرياح و يقاسى أهوال البحر و شدائده ثمّ بعد خلاصه منه لا بدّ له من وقت هو أجله و مرض هو المهلك:

أى محلّ هلاكه .ثمّ أمر بالعمل و ذكر الأحوال الّتى يمكن فيها و معها العمل تنبيها على انتهاز الفرصه،و تلك الأحوال صحّه الألسن و إمكان ذكر اللّه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و سائر التكاليف المتعلّقه بها،و كذلك صحّه الأبدان

و لدنه الأعضاء و مطاوعتها للعمل قبل يبسها بالسقم و الأمراض، كنايه و فسح المنقلب و هو محلّ التصرّف و التقلّب،و كنّى به عن وقت الصحّه و الشبيبه،و يقرب منه عرض المجال ،و ذكر إرهاق الأجل و حلول الموت تحذيرا منه و جذبا إلى العمل لما بعده.

ثمّ أمرهم أن يتحقّقوا نزوله قبل نزوله:أی يتذكّروه و يخطر ببالهم أنّه حقّ و يقدّروا أنّه واقع ليكون آكد فی العمل.و لذلك قال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أكثروا من ذكر هادم اللذّات.و نهاهم عن انتظار قدومه لاستلزام انتظارهم له توهّمهم لبعده عنهم، و ذلك يوقعهم فی التكاسل عن العمل.و باللّه التوفيق.

۱۸۸-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

وَ لَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ؟مُحَمَّدٍ ص؟- أَنِّی لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَ لاَ عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ- وَ لَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِی فِی الْمَوَاطِنِ- الَّتِی تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ- وَ تَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِی اللَّهُ بِهَا- وَ لَقَدْ قُبِضَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ وَ إِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِی- وَ لَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِی كَفِّی فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِی- وَ لَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ ص وَ الْمَلاَئِكَهُ أَعْوَانِی- فَضَجَّتِ الدَّارُ وَ الْأَفْنِيَهُ- مَلَأٌ يَهْبِطُ وَ مَلَأٌ يَعْرُجُ- وَ مَا فَارَقَتْ سَمْعِی هَيْنَمَهٌ مِنْهُمْ- يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِی ضَرِيحِهِ- فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّی حَيّاً وَ مَيِّتاً- فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ- وَ لْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِی جِهَادِ عَدُوِّكُمْ- فَوَ «الَّذِی لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» إِنِّی لَعَلَى جَادَّهِ الْحَقِّ- وَ إِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّهِ الْبَاطِلِ- أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِی وَ لَكُمْ

ص:۴۳۹

اللغه

أقول: الهيمنه: صوت خفيّ يسمع و لا يفهم .

و حاصل الفصل:التنبيه على فضيلته لغايه قبول قوله فيما يأمرهم به.

فذكر منها:أنّه لم يردّ على اللّه و على رسوله فى وقت قطّ

فيما صدر من الأمر عنهما، و استشهد على ذلك بما علمه منه المستحفظون من الصحابه و هم العلماء و أهل الدين الّذين استحفظوا كتاب اللّه و دينه:أى جعلوا حفظه له و اودعوا إيّاه،و قال بعض الشارحين:و فيه ايماء إلى ما كان يفعله بعض الصحابه من التسرّع بالقول و الاعتراض على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم فى مواضع كما نقل عن عمر يوم الحديبيّه عند سطر كتاب الصلح أنّه أنكر ذلك و قال لرسول اللّه:ألسنا على الحقّ قال:بلى.قال:أو ليسوا الكاذبين.قال:

بلى.قال:فكيف تعطى الريبه فى ديننا.فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلم:أنا أعمل بما اومر به.فقام عمر فقال لقوم من الصحابه:ألم يكن قد وعدنا اللّه بدخول مكّه و ها نحن قد صددنا عنها ثمّ ننصرف بعد أن اعطينا الريبه فى ديننا و اللّه لو وجدت أعوانا لم اعط الريبه أبدا.فقال له ابو بكر:ويحك الزم غزوه فو اللّه إنّه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و أنّ اللّه لا يضيّعه.ثمّ قال له:أقال لك:إنّه سيدخل مكّه هذا العام؟.فقال:لا.قال:

فسيدخلها.فلمّا فتح النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلم مكّه و أخذ مفاتيح الكعبه دعاه.فقال:هذا الّذى وعدتم به.

و منها:مواساته لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم بنفسه و هو ممّا اختصّ به عليه السّلام،

و ذلك فى مواطن:فثبت معه يوم احد و فرّ الناس.روى المحدّثون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم لمّا ارتثّ يوم احد،و نادى الناس قتل محمّد رأته كتيبه من المشركين و هو صريع بين القتلى إلاّ أنّه حيّ فصمدت له.فقال لعليّ:اكفنى هذه.فحمل عليها فهزمها و قتل رئيسها:ثمّ صمدت له اخرى.فقال يا على:اكفنى هذه فحمل عليها و قتل رئيسها.

ثمّ صمدت له ثالثه فكذلك.فكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:قال لى جبرئيل حينئذ:

يا محمّد هذه المواساه.فقلت:و ما يمنعه؟و هو منّى و أنا منه.فقال جبرئيل:و أنا منكما،و روى المحدّثون أيضا أنّ المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل السماء ينادى:لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ علىّ.فقال الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:ألا تسمعون؟هذا

صوت جبرئيل.و كـذلك ثبت معه يوم حنين فى نفر يسـير من بنى هاشم بعـد أنّ ولّى المسـلمون الأدبار،و حامى عنه،و قتل قوما من هو اذن بين يـديه حتّى ثـابت إليه الأنصار و انهزمت هو اذن و غنمت أموالها،و أمّا يوم خبير فقصّـته مشـهوره،و ذلك قوله: و لقد واسيته.إلى قوله:الأقدام.

و قوله: نجده أكرمنى اللّه بها .فالنجده فضيله تحت الشجاعه،و قد يعبّر بها عن الشجاعه .

و منها حاله عند ما قبض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم

من تولّى أمره و مباشره ما يختصّ به من الأحوال حاله وفاته من وضع رأسه على صـدره،و قيل:أراد بـذلك أنّ رأسه حينئذ كان على ركبتيه،و على ذلك يكون فى صـدره عنـد إكبابه عليه.و الأشـبه أنّه أراد تسـنيده حين اشـتداد علّه موته.ثمّ سـيلان نفسه فى كفه و إمرارها على وجهه،و أراد بنفسه دمه يقال:

إنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم قـاء وقت موته دما يسـيرا،و أنّ عليّا عليه السّـلام مسح بـذلك الـدم وجهه، و لا ينافى ذلك نجاسه الدم لجواز أن يخصّـص دم الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم كما روى أنّ أبا طيبه الحجّام شـرب دمه صلّى اللّه عليه و آله و سـلم حين حجمه.فقال:إذن لا يتّجع بطنك،و كذلك تولّيه لغسـله بإعانه الملائكه،و كان هو الّذى يغسّـله و الفضـل بن عباس يصّب الماء عليه، روى أنّه عصب عينى الفضل حين صبّه الماء،و نقل عنه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلم أنّه قال:لا يبصر عورتى غيرك أحد إلّا عمى،و روى أنّه عليه السّلام قال:ما قلّبت عضوا إلّا و انقلب لا أجد له ثقلا كأنّ معى من يساعدنى عليه،و مـا ذلـك إلاّـ الملاـئكه.و حيّا و ميّتا منصوبان على الحال من الضـمير المجرور فى به،و أمّا دفنه فتنازع الصـحابه فى أنّه يلحـد أو يضـرح فأرسل العبّاس إلى عبيده بن الجرّاح و كان يحفر لأهل مكّه و يضرح لهم على عادتهم،و أرسل إلى أبى طلحه الأنصارى و كان يلحد لأهل المدينه على عادتهم فقال:اللهم اختر لنبيّك فجاء أبو طلحه فلحد له،و تنازعوا فيمن يدخل القبر معه فقال على عليه السّـلام:لا ينزل معه أحـد غيرى و غير العبّاس.ثمّ أذن فى نزول الفضل و اسامه بن زيـد .ثمّ ضـجّت الأنصار و سألوا أن ينزل منهم رجل فأنزلوا أوس بن خولىّ و كان بدريّا،و قد يعبّر بالضريح عن القبر فيكون أعمّ من الشقّ و اللحد.

فأمّا ضـجيج الدار و الأفنيه بأصوات الملائكه ملأ يهبط منهم و ملأ يصـعد بحيث لا يفارق هينمتهم سـمعه فى حال صـلاتهم عليه إلى أن واراه فى ضـريحه.فقد عرفت كيفيّه سـماع البشـر لأـصوات الملاـئكه فى مقـدّمات الكتاب،و كـذلك صـلاتهم تعود إلى وساطتهم فى إفاضه الرحمه من اللّه تعالى على العباد،و كذلك علمت معنى الصعود و الهبوط منهم فيما سبق.

و اعلم أنّ حمل الكلام على ظاهره عند الإمكان أولى من التعسّف فى التأويل، و ذكر هذه الفضـيله بهذه المقامات تجرى مجرى صغرى قياس ضـمير من الشـكل الأوّل اسـتدلّ به على أنّه لا أحقّ منه به.و تقدير كبراه:و كلّ من كان ذلك معه صلّى اللّه عليه و آله و سلم.فهو أحقّ به.و حينئذ يتبيّن أنّه لا أحقّ به منه،و أراد أنّه لا أحقّ بالمنزله و القرب منه.ففى حياته بالاخوّه و الوزاره،و بعد موته بالوصيّه و الخلافه إذ لا يريد أنّه أحقّ بذاته فبقى أن يريد كونه أحقّ به فى المنزله و ولايه أمره بعده .

ثمّ عقّب ذكر فضيلته بأمرهم أن يمضوا فى جهاد عدوّهم على بصائرهم:أى عقايدهم أنّهم على الحقّ و أنّ عدوّهم على الباطل،و أكّد تلك العقائد بالقسم البارّ أنّه فيما يأمرهم به على طريق الحقّ،و أنّ خصومه على مزلّه الباطل،و ذكر الجادّه للحقّ جذبا إليه،و المزلّه للباطل تنفيرا عنه،و لأـنّ الباطل لا طريق واضـحه له بعلم حقّ أو برهان صـدق كما عليه الطريق الحقّ،و باقى الكلام خاتمه الخطبه.

و باللّه التوفيق.

۱۸۹-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِى الْفَلَوَاتِ- وَ مَعَاصِىَ الْعِبَادِ فِى الْخَلَوَاتِ- وَ اخْتِلَافَ النِّينَانِ فِى الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ- وَ تَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ- وَ أَشْهَدُ أَنَّ؟مُحَمَّداً؟ نَجِيبُ اللَّهِ- وَ سَفِيرُ وَحْيِهِ وَ رَسُولُ رَحْمَتِهِ

أَمَّا بَعْدُ- فَإِنِّی أُوصِیکُمْ بِتَقْوَی اللَّهِ الَّذِی ابْتَدَأَ خَلْقَکُمْ- وَ إِلَیْهِ یَکُونُ مَعَادُکُمْ وَ بِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِکُمْ- وَ إِلَیْهِ مُنْتَهَی رَغْبَتِکُمْ وَ نَحْوَهُ قَصْدُ سَبِیلِکُمْ- وَ إِلَیْهِ مَرَامِی مَفْزَعِکُمْ- فَإِنَّ تَقْوَی اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِکُمْ- وَ بَصَرُ عَمَی أَفْئِدَتِکُمْ وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِکُمْ- وَ صَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِکُمْ- وَ طُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِکُمْ وَ جِلَاءُ غِشَاءِ أَبْصَارِکُمْ- وَ أَمْنُ فَزَعِ جَأْشِکُمْ وَ ضِیَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِکُمْ فَاجْعَلُوا طَاعَهَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِکُمْ- وَ دَخِیلًا دُونَ شِعَارِکُمْ وَ لَطِیفاً بَیْنَ أَضْلَاعِکُمْ- وَ أَمِیراً فَوْقَ أُمُورِکُمْ وَ مَنْهَلًا لِحِینِ وُرُودِکُمْ- وَ شَفِیعاً لِدَرَکِ طَلِبَتِکُمْ وَ جُنَّهً لِیَوْمِ فَزَعِکُمْ- وَ مَصَابِیحَ لِبُطُونِ قُبُورِکُمْ- وَ سَکَناً لِطُولِ وَحْشَتِکُمْ وَ نَفَساً لِکَرْبِ مَوَاطِنِکُمْ- فَإِنَّ طَاعَهَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُکْتَنِفَهٍ- وَ مَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَهٍ وَ أُوَارِ نِیرَانٍ مُوقَدَهٍ- فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَی عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا- وَ احْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا- وَ انْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاکُمِهَا- وَ أَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا- وَ هَطَلَتْ عَلَیْهِ الْکَرَامَهُ بَعْدَ قُحُوطِهَا- وَ تَحَدَّبَتْ عَلَیْهِ الرَّحْمَهُ بَعْدَ نُفُورِهَا- وَ تَفَجَّرَتْ عَلَیْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا- وَ وَبَلَتْ عَلَیْهِ الْبَرَکَهُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا- فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی نَفَعَکُمْ بِمَوْعِظَتِهِ- وَ وَعَظَکُمْ بِرِسَالَتِهِ وَ امْتَنَّ عَلَیْکُمْ بِنِعْمَتِهِ-

ص:۴۴۳

فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ- وَ اخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِی اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ- وَ اصْطَنَعَهُ عَلَی عَیْنِهِ وَ أَصْفَاهُ خِیَرَهَ خَلْقِهِ- وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَی مَحَبَّتِهِ- أَذَلَّ الْأَدْیَانَ بِعِزَّتِهِ وَ وَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ- وَ أَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِکَرَامَتِهِ وَ خَذَلَ مُحَادِّیهِ بِنَصْرِهِ- وَ هَدَمَ أَرْکَانَ الضَّلَالَهِ بِرُکْنِهِ- وَ سَقَی مَنْ عَطِشَ مِنْ حِیَاضِهِ- وَ أَتْأَقَ الْحِیَاضَ لِمَوَاتِحِهِ- ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ وَ لَا فَکَّ لِحَلْقَتِهِ- وَ لَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَ لَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ- وَ لَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ وَ لَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ- وَ لَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَ لَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ وَ لَا ضَنْکَ لِطُرُقِهِ- وَ لَا وُعُوثَهَ لِسُهُولَتِهِ وَ لَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ- وَ لَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ وَ لَا عَصَلَ فِی عُودِهِ- وَ لَا وَعَثَ لِفَجِّهِ وَ لَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِیحِهِ- وَ لَا مَرَارَهَ لِحَلَاوَتِهِ- فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِی الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا- وَ ثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا وَ یَنَابِیعُ غَزُرَتْ عُیُونُهَا- وَ مَصَابِیحُ شَبَّتْ نِیرَانُهَا- وَ مَنَارٌ اقْتَدَی بِهَا سُفَّارُهَا وَ أَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا- وَ مَنَاهِلُ رَوِیَ بِهَا وُرَّادُهَا-.جَعَلَ اللَّهُ فِیهِ مُنْتَهَی رِضْوَانِهِ- وَ ذِرْوَهَ دَعَائِمِهِ وَ سَنَامَ طَاعَتِهِ- فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِیقُ الْأَرْکَانِ رَفِیعُ الْبُنْیَانِ- مُنِیرُ الْبُرْهَانِ مُضِیءُ النِّیرَانِ- عَزِیزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعْوِذُ الْمَثَارِ- فَشَرِّفُوهُ وَ اتَّبِعُوهُ وَ أَدُّوا إِلَیْهِ حَقَّهُ وَ ضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ؟مُحَمَّداً ص؟ بِالْحَقِّ- حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الِانْقِطَاعُ وَ أَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَهِ الِاطِّلَاعُ- وَ أَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ وَ قَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ- وَ خَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ وَ أَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ- فِی انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا وَ اقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا- وَ تَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا وَ انْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا- وَ انْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا وَ عَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا- وَ تَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا وَ قِصَرٍ مِنْ طُولِهَا- جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ وَ كَرَامَهً لِأُمَّتِهِ- وَ رَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ وَ رِفْعَهً لِأَعْوَانِهِ وَ شَرَفاً لِأَنْصَارِهِ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ- وَ سِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَ بَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ- وَ مِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ- وَ فُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ وَ تِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ- وَ شِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَ عِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ- فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَ بُحْبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ- وَ رِيَاضُ الْعَدْلِ وَ غُدْرَانُهُ وَ أَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ- وَ أَوْدِيَهُ الْحَقِّ وَ غِيطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ- وَ عُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ- وَ مَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ- وَ مَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ- وَ أَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ- وَ آكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ

اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَ رَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ- وَ مَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ- وَ نُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَ حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ- وَ مَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ وَ عِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ- وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ- وَ عُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ- وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ- وَ حَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ وَ مَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ- وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَ جُنَّةً لِمَنِ اسْتَلْأَمَ- وَ عِلْماً لِمَنْ وَعَى وَ حَدِيثاً لِمَنْ رَوَى وَ حُكْماً لِمَنْ قَضَى

اللغه

أقول: العجيج: رفع الصوت ،و النينان: جمع نون و هو الحوت .و الجأش:

القلب .و الاوار: حرّ النار .و الشمس عزبت: غابت .و إنصابها: إتعابها .

و تحدّبت: عطفت و حنّت .و الرذاذ: ضعيف المطر .و عبّدوا: ذلّلوا .و المحادّ:

المشاقّ .و أثاق الحياض: ملأها .و المواتح: المستقون .و الوعوثه: كثره فى سهوله توجب صعوبه المشى كما فى الرمل .و الوضح: البياض .و العوج:بالفتح فيما له ساق ينتصب كالنخله،و بالكسر فيما ليس كذلك كالطريق .و العصل. الاعوجاج .

و ساخ: غاص .و السنخ: الأصل .و أزف: دنا و بحبوحه الدار: وسطها .

و الغيطان: المواضع المطمئنّه من الأرض .و المحاجّ: جمع محجّه و هى جادّه الطريق .و المعقل: الملجأ .و الفلج: الفوز .و المتوسّم: المتفرّس .و استلأم:

لبس لامه الحرب و هى الدرع .

المعنى

و صدر الفصل تنبيه على إحاطه علمه بجزئيّات الموجودات على اختلافها

و كثرتها

،و نبّه بعجيج الوحوش على أنّه تعالى يعلمها حين يجأر إليه من جدب الأرض و قلّه العشب فكأنّها تضرّع إليه بالعجيج ليكون الإنسان أولى بذلك النزع [الفزع-خ-]إليه،و بعلمه بمعاصى العباد فى الخلوات تنفيرا عنها فى الخلوه الّتى

هی مظنّتها،و اختلاف النینان بالمجیء و الذهاب و قطع البحار طولا و عرضا.ثمّ عقّب بشهاده الرساله .ثم بالوصیّه بتقوی اللّه،و قرنها باعتبارات من صفاته تعالی توجب الفزع إلیه و هی کونه سبحانه مبدءا لخلقهم و منتهی لمعادهم الحسّی و العقلیّ کقوله تعالی «وَ هُوَ خَلَقَکُمْ أَوَّلَ مَرَّهٍ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ» و قد نبّهنا علیه مرارا،و أنّ به نجاح طلباتهم،و إلیه منتهی رغباتهم،و نحوه قصدهم و سلوکهم فإنّه تعالی غایه الکلّ،و إلیه مرامی مفزعهم یقال:فلان مرمی قصدی:أی إلیه مفزعی فی المهمّات، و نحوه قوله تعالی «إِذا مَسَّکُمُ الضُّرُّ فَإِلَیْهِ تَجْئَرُونَ » (۱).

ثمّ باعتبارات من صفه

التقوی توجب الفزع إلیها.

(ا)و هی کونها دواء داء قلوبکم ،و قد عرفت کونها دواء لأدواء الرذائل النفسانیّه الموبقه.

(ب) و بصر عمی أفئدتکم :أی أبصار أفئدتکم من عمی الجهل.

(ج) و شفاء مرض أجسادکم ،و ذلک أنّ التقوی تستلزم قلّه الأکل و الشرب و استعمالهما بقدر الحاجه کما قال فی صفات المتّقین: منزورا أکله .و قد علمت ما تحدث البطنه من الأمراض البدنیّه،و لذلک قال علیه السّلام:المعده بیت الأدواء.

(د) و صلاح فساد صدورکم :أی من الغلّ و الحسد و الخبث و النیّات المخالفه لأوامر اللّه.فإنّ التقوی تستلزم نفی ذلک کلّه.و صلاح الصدور منه لأنّ مبادی تلک الشرور کلّها محبّه الدنیا و باطلها،و المتّقون بمعزل عن ذلک.

(ه)و کذلک طهور دنس أنفسکم:أی من نجاسات الرذائل المهلکه و هو کقوله:دواء قلوبکم.لکن اعتبار کونها دواء یخالف اعتبار کونها طهورا إذ فی الأوّل ملاحظه کون الرذائل أمراضا ضارّا تؤدّی إلی الهلاک السرمدی،و فی الثانی اعتبار کونها نجاسات تمنع من دخول حظیره القدس و مقعد الصدق.

(و) استعاره-مجاز إطلاقا لاسم المسبّب علی السبب و جلاء عشا أبصارکم ،و فیه استعاره لفظ العشا لما یعرض عن ظلمه الجهل، و سائر الرذائل من عدم إدراک الحقائق،و یروی غشاء بالغین المعجمه و هو الظلمه

۱- ۱) ۵۵-۱۶.

المتوهّمه من الجهل الّتى هى حجاب الغفله،و بهذا الاعتبار ففى التقوى جلاء لتلك الظلمه لما تستلزمه من إعداد النفس للكمال،و كونها نفسها هى الجلاء مجاز إطلاقا لاسم المسبّب على السبب.

(ز) و أمن فزع جأشكم .إذ قد علمت أنّ بها الأمان من عذاب الآخره، و قد يكون بها الأمان من فزع الدنيا.لأنّ أكبر مخاوف الدنيا الموت و ما يؤدّى إليه،و المتّقون العارفون بمعزل عن تقيّه الموت بل عسى يكون محبوبا لهم لكونه وسيله لهم إلى اللقاء الخالص لمحبوبهم الأقصى،و إليه الإشاره بقوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» (۱)دلّت الآيه على أنّ الصادق فى دعوى الولايه يتمنّى الموت،و كذلك قوله تعالى «قُلْ إِنْ كانَتْ لَكُمُ الدّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّهِ خالِصَةً مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ» (۲).

(ح) استعاره مرشحه ضياء سواد ظلمكم ،و استعار لفظ الظلمه للجهل و تغطيه القلب،و رشّح بذكر السواد لاستلزام الظلمه السواد،و هو كقوله: و جلاء عشا أبصاركم ،و راعى فى هذه القرائن كلّها المضادّه .

ثمّ أكّد الوصيّه بطاعه اللّه تعالى بآداب:

أحدها:

كنايه أن يجعلوها شعارهم ،و كنّى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار الجسد.ثمّ عن كونها فى الباطن دون الظاهر لقلّه فايدته و هو المشار إليه بقوله.

دون دثاركم.

الثانى:أكّد أمرهم بإبطانهم

:بأمرهم باتّخاذها دخيلا تحت الشعار لإمكان ذلك فيها دون الشعار المحسوس.ثمّ فسّر ذلك فقال: كنايه و لطيفا بين أضلاعكم .و كنّى بلطفها عن اعتقادها و عقليتها و يكون بين أضلاعهم عن إيداعها القلوب .

الثالث:

استعاره أن يجعلوها أميرا ،و استعار لها لفظ الأمير باعتبار إكرامهم لها و تقديمها على سائر مهمّاتهم .

الرابع:

استعاره أن يجعلوها منهلا لحين ورودهم :أى يوم القيامه،و استعار لفظ

۱- ۱) ۶-۶۲.

۲- ۲) ۸۸-۲.

المنهل لها،و وجه المشابهه أنّ التقوى و الطاعه للّه مظنّه التروّى من شراب الأبرار يوم القيامه كما أنّ موارد الإبل مظنّه ريّها.

الخامس:

استعاره أن يجعلوها شفيعا إلى اللّه و وسيله إلى مطالبهم منه ،و ظاهر كون المطيع يستعدّ بطاعته لدرك بغيته من اللّه تعالى،و لفظ الشفيع مستعار للوسيله و القربه .

السادس:و جنّه ليوم فزعهم

،و ظاهر كون الطاعه ساترا يوم القيامه من الفزع الأكبر من عذاب اللّه.

السابع:

استعاره و مصابيح لبطون قبورهم ،و قد عرفت كيفيّه إعداد الطاعه لقبول الأنفس الأنوار العلويّه و الأسرار الإلهيّه المخلّصه من ظلمه القبور و العذاب الاخرویّ.و فى الخبر:أنّ العمل الصالح يضىء قبر صاحبه كما يضىء المصباح الظلمه.

و استعار لها لفظ المصابيح لاستلزامها الإناره .

الثامن:و كذلک سكنا لطول الوحشه فى القبور تستأنس به النفوس

كما روى:

أنّ العمل الصالح و الخلق الفاضل يراه صاحبه بعد الموت فى صوره شابّ حسن الصوره و الثياب طيّب الريح فيسلّم عليه فيقول له:من أنت؟فيقول:أنا خلقک الحسن أو عملک الحسن.و حاصله يعود إلى كون الطاعه سببا للاستيناس من وحشه الآخره،و ذلک أنّ الوحشه إنّما تعرض فى المكان لمن كان غافلا عنه و غير متوقّع له و لا متهيّىء للانتقال إليه و مطمئنّا بوطنه الأوّل و بأهله و جاعلهم كلّ الانس.

فأمّا أهل الطاعه فإنّهم أبدا متفكّرون فيما ينتقلون إليه و متذكّرون له واثقون بانس ربّهم و ملتفتون إليه.فانسهم أبدا به و فرحهم دائما بلقائه،و اعتقادهم فى الدنيا:

أنّهم لأهلها بأبدانهم مجاورون.فمنهم يهربون و إلى العزله ينقطعون.فبالحرىّ أن لا تعرض لهم وحشه و أن تكون أعمالهم سببا لعدم الوحشه الّتى عساها تعرض لهم، و لمّا كان الإنسان فى الدنيا لا يتصوّر ما بعد الموت بالحقيقه لا جرم لا بدّ له من وحشه ما إلّا أنّ الأنوار الإلهيّه و الانس بالرفيق الأعلى مزيل لها.

التاسع:و کذلک و نفسا لکرب مواطنکم

:أی سعه و روحا لما یعرض من

كرب منازل الآخره و أهوالها .

العاشر:كونها حرزا من متالف مكتنفه

.و تلك المتالف هى الرذائل الموبقه الّتى هى محالّ الهلاك و التلف.و اكتنافها إحاطتها بالنفس بحيث لا يكفّها إلّا طاعه اللّه و سلوك سبيله،و المخاوف المتوقّعه مخاوف الآخره و حرّ نيرانها .

الحادى عشر:كون التقوى مستلزمه لبعد الشدائد عن المتّقى بعد دنوّها

منه

،و كثيرا ما يعبّر بالتقوى عن الطاعه و إن كانت أخصّ فى بعض المواضع.أمّا فى بعد شدائد الآخره فظاهر،و أمّا فى الدنيا فلأنّ المتّقين هم أسلم الناس من شرور الناس لبعدهم عن مخالطاتهم و مجاذباتهم لمتاع الدنيا،و بغضهم لها.إذ كانت محبّتها و الحرص عليها منبعا لجميع الشرور و الشدائد.

الثانى عشر:كونها مستلزمه لحلاوه الامور بعد مرارتها

.أمّا امور الآخره فكالتكليف الوارد عليهم لها بالعبادات،و ظاهر أنّها عند المتّقين أحلى و ألذّ من كلّ شىء بعد مرارتها فى ذوقهم فى مبدء سلوكهم و ثقلها عليهم و على غيرهم من الجاهلين،و أمّا المرّ من امور الدنيا فكالفقر و العرى و الجوع،و كلّ ذلك شعار المتّقين،و هو أحلى فى نفوسهم و آثر من كلّ شعار و إن كان مرّا فى ذوقهم فى مبدء السلوك و قبل وصولهم إلى ثمرات التقوى.

الثالث عشر:و انفراج الأمواج عنه بعد تراكمها

. استعاره و استعار لفظ الأمواج للهيئات البدنيّه الرديئه و ملكات السوء الّتى إذا تكاثفت و توالت على النفس أغرقتها فى بحار عذاب اللّه.و ظاهر كون لزوم التقوى سببا ينفرج باستعداد النفوس به عنها تلك الهيئات و ينمحى من لوحها و إن كثرت .

الرابع عشر:كون لزومها سببا لتسهيل صعاب الأمور على النفس بعد إتعابها

لها

،و ذلك أنّ المتّقين عند ملاحظه غايتهم من نفوسهم يسهل عليهم كلّ صعب من أمور الدنيا ممّا يشتدّ على غيرهم كالفقر و

المرض و كلّ شديد،و كذلك يسهل عليهم كلّ صعب من مطالب الآخره بعد إتعاب تلك المطالب لهم قبل تصوّرها التامّ فى أوّل التكليف .

ص:۴۵۰

الخامس عشر:كونه سببا لهطل الكرامه عليهم

، استعاره بالكنايه و الكرامه تعود إلى الكمالات النفسانيّه الباقيه و الالتذاذ بها.و لاحظ فى إفاضتها عليهم مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل و أسنده إليها،و كذلك لفظ القحوط ،و كنّى به عن منعهم إيّاها قبل استعدادهم بالتقوى لها .

السادس عشر:

كونه سببا لتعطف الرحمه الإلهيّه بإفاضه الكمالات عليهم بعد نفورهاعنهم لعدم الاستعداد أيضا، استعاره و لفظ التحدّب مستعار للإراده أو لأثر الرحمه،و كذلك لفظ النفور لعدم أثرها فى حقّهم قبل ذلك.

السابع عشر:

استعاره كونه سببا لتفجّر النعم بعد نضوبها،و لفظ التفجّر مستعار لانتشار وجوه إفاضات النعم الدنيويّه و الاخرويّه كما قال تعالى «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» (۱)و كذلك لفظ النضوب لعدمها قبل الاستعداد لها ملاحظه لشبه النعم بالماء فى الاستعارتين .

الثامن عشر:

كونه سببا لوبل البركه بعد رذاذها، استعاره و لفظ الوبل مستعار للفيض الكثير من البركه بعد الاستعداد بالتقوى،و لفظ الرذاذ للقليل قبل ذلك الاستعداد ملاحظه لشبهها بالغيث أيضا،و ظاهر كون التقوى سببا لمزيد الفيض على كلّ من كان له بعض الكمالات كمن يستعدّ بالعلوم دون الزهد و العباده ثمّ يسلك بهما .

ثمّ بعد الفراغ من فضائلها و الترغيب فيها من تلك الجهه أعاد الأمر بهاو رغّت فيها باعتبارات اخر من إنعام المنعم،و هى كونه تعالى نافعا لهم بموعظته:أى جاذبا لهم إلى جنّته،مرغّبا لهم فى كرامته،و واعظا لهم برسالته إليهم،و ممتّنا عليهم بنعمته كقوله تعالى «وَ اذْكُرُوا نِعْمَهَ اللّهِ عَلَيْكُمْ» فى غير موضع من كتابه.ثمّ أمرهم بتعبيد أنفسهم و تذليلها لعبادته و الخروج إليه من حقّه الّذى يطلبه منهم و هو طاعته .

ثمّ ذكر الإسلام و فضائله مرغّبا فيه

.و هو كالتفسير لطاعته و عبادته فكأنّه قال:و اخرجوا إليه من حقّ طاعته الّذى هو الإسلام فإنّه ذكر له فضائل:

(ا)كونه اصطفاه لنفسه :أى طريقا إلى معرفته و نيل ثوابه.

۱- ۱) ۲-۶۵.

مجاز (ب)کونه اصطنعه علی عینه و هی کلمه یقال لما یهتمّ به و کأنّه للصنعه الّتی یختارها من عملت له و یشاهدها بعینه.و لفظ العین مجاز فی العلم .و علی تفید الحال:

أی علی علم منه بشرفه و فضیلته و وجه الحکمه فیه،و نحو قوله تعالی «وَ لِتُصْنَعَ عَلی عَیْنِی» (۱).

(ج)و اصطفاه خیر خلقه:أی اصطفی للبعثه به و إلیه خیر خلقه محمّد و آله.

استعاره (د) و أقام دعائمه علی محبّته .و لفظ الدعائم مستعار إمّا لأهل الإسلام أو لأرکانه.و وجه المشابهه قیامه بها فی الوجود کقیام الشیء المدعوم بدعائمه ،و کلمه علی للحال،و الضمیر فی محبّته للإسلام:أی أقام دعائمه حال المحبّه له،و قیل بل اللّه کما تقول طبع اللّه قلبی علی محبّته .

مجازا من باب إطلاق اسم السبب علی المسبّب (ه) أذلّ الأدیان بعزّه .و ذلّه الأدیان تعود إلی عدم الالتفات إلیها فیکون مجازا من باب إطلاق اسم السبب علی المسبّب،أو ذلّه أهلها.فیکون من باب حذف المضاف.و ظاهر أنّ عزّ الإسلام سبب للأمرین.

(و)و کذلک إطلاق وضع الملل برفعه .

(ز)و کذلک إهانه أعدائه و هم المشرکون و المکذّبون له من الملل السابقه إهانتهم بالقتل و أخذ الجزیه و الصغار لهم،و کرامته إجلاله و أجلال أهله و تعظیمهم فی النفوس.

(ح) و خذل محادّیه بنصره :أی بنصر أهله و فی القرائن الأربع التضادّ:

فالعزّ للذلّ،و الرفع للوضع،و الکرامه للإهانه،و النصر للخذلان.

استعاره (ط) و هدم أرکان الضلاله برکنه و قوّته،و أرکان الضلاله تعود إلی العقائد المضلّه فی الجاهلیّه و إلی أهل الضلاله و هو مستعار.و وجه الاستعاره قیام الضلاله بتلک العقائد أو بأهلها کقیام ذی الأرکان بها و کذلک لفظ الهدم لزوال الضلاله بقوّه الإسلام و أهله.

استعاره (ی) و سقی من عطش من حیاضه .فاستعار السقی لإفاضه علوم الدین علی

۱- ۱) ۴۰-۲۰.

على نفوسهم و كمالها بها،و لفظ العطش لما كانوا عليه من الجهل البسيط و عدم العلم و كذلك استعار لفظ الحياض لعلماء الإسلام الّذين هم أوعيته و حياضه الّتى ترده العطاش من العلوم و الحكمه الدينيّه.

استعاره (يا) و أثاق الحياض لمواتحه ،و استعار لفظ المواتح إمّا للأئمّه من القرن الأوّل الاخذين للإسلام من الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم الّذى هو الينبوع،أو لأفكار العلماء و سؤالاتهم و بحثهم عن الدين و أحكامه و استفادتهم بها،و وجه الاستعارتين كونهم مستخرجين للعلم و الدين عن مظانّه كما يستخرج الماتح الماء من البئر.و لفظ الحياض للمستفيدين.

استعاره مرشحه بالكنايه (يب)جعله له بحيث لا ينفصم عروته ،و لفظ العروه مستعار لما يتمسّك الإنسان به منه،و رشّح بذكر الانفصام.و لمّا كان المتمسّک به ناجيا من الهلاک الأخروىّ و الشرور اللاحقه للملل السابقه و كان عدم الانفصام مظنّه سلامه المتمسّک عن الهلاک كنّى به عن دوام السلامه.

كنايه (يج) و لا فكّ لحلقته ،كنايه عن عدم انقهار أهله و جماعته.

استعاره (يد) و لا انهدام لأساسه ،استعار لفظ الأساس للكتاب و السنّه الّذين هما أساس الإسلام،و لفظ الانهدام لاضمحلالهما.

(يه) و لا زوال لدعائمه ،استعار لفظ الدعائم لعلمائه أو للكتاب و السنّه و قوانينهما و أراد بعدم زوالهما عدم انقراض العلماء أو عدم القوانين الشرعيّه.

(يو) و لا انقلاع لشجرته ،استعار لفظ الشجره لأصله و أركانه،و هو كقوله:

و لا انهدام لأساسه.

(يز) و لا انقطاع لمدّته ،إشاره إلى بقائه إلى يوم الدين.

(يح) و لا عفاء لشرايعه ،و شرايعه قوانينه و اصوله و هو كقوله:لا انقلاع لشجرته .

(يط) و لا جذّ لفروعه :أى لا ينقطع التفريع عليه بل كلّ ذهن سليم فكّر فى اصوله و هى الكتاب و السنّه استخرج منها ما لم يستخرجه غيره.

ص:۴۵۳

کنایه (ک) و لا ضنک لطرقه ،و کنّی بعدم الضیق عن عدم صعوبه قوانینه علی أهل التکلیف،أو لازم الضیق و هو مشقّه السالکین به إلی اللّه کما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلم:بعثت بالحنیفیّه السهله السمحه.

(کا) و لا وعوثه لسهولته ،کنایه عن کونه فی غایه العدل بین الصعوبه و بین السهوله المفرطه کما علیه أکثر الأدیان السابقه من التشبیه و التجسیم فإنّ سلوکها مع ذلک و تصوّرها فی غایه السهوله لکنّها طرق یبعد حصول المطالب الحقیقیّه و الوصول إلی التوحید الخالص منها فکانت فی سهولها هذه الوعوثه.

استعاره (کب) و لا سواد لوضحه ،استعار لفظ الوضح لصفائه عن کدر الباطل الّذی هو سواد ألواح نفوس الکافرین و المنافقین.

(کج) و لا عوج لانتصابه ،و استعار لفظ الانتصاب لاستقامته فی إدّائه إلی اللّه تعالی.إذ هو الصراط المستقیم فی الدنیا.

(کد)و کذلک و لا عصل فی عوده.

(که) و لا وعث لفجّه .

استعاره (کو) و لا انطفاء لمصابیحه ،عبّر بالمصابیح عن العلماء استعاره،و بعدم انطفائها عن عدم خلوّ الأرض منهم.

(کز) و لا مراره لحلاوته ،و ذلک أنّ حلاوه الإسلام الحقیقیّ فی قلوب المتّقین لا یشوبها مراره من مشقّه تکلیف و نحوها لما یتصوّرونه من شرف غایتهم .

(کح) فهو دعائم :أی فالإسلام دعائم،و ذلک إشاره إلی تعریفه بأجزائه و هی کالشهادتین و العبادات الخمس کما ورد فی الخبر:بنی الإسلام علی خمس.

و قوله: أساخ فی الحقّ اسناخها إشاره إلی کونه تعالی بناها علی أسرار من الحقّ عمیقه لا یهتدی إلیها إلاّ آحاد الخلق و هو أسرار العبادات.

استعاره (کط)قوله: و ینابیع غزرت عیونها ،إشاره إلی تعریفه من قبل مادّته و هی الکتاب و السنّه،و استعار لهما لفظ الینابیع نظرا إلی فیضان العلوم الإسلامیّه النقلیّه و العقلیّه عنهما کفیضان الماء عن الینابیع،و لفظ العیون لما صدرا عنه،

و هو علم اللّه تعالى و نفوس ملائكته و نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم،و ظاهر غزاره تلك العلوم و كثرتها.

استعاره مرشحه (ل) و مصابيح شبّت نيرانها إشاره إلى مادّته أيضا باعتبار أنّ فى الكتاب و السنّه أدلّه أحكامها و براهينها،و استعار لها لفظ المصابيح باعتبار كونها تضىء الطريق لخابطها إلى اللّه.و رشّح بذكر إضرام نيرانها،و عبّر به عن غايه إضاءتها.

(لا) و منار اقتدى بها سفّارها و أعلام قصد بها فجاجها .إشاره إلى تلك المادّه باعتبار أنّ فيها أمارات على أحكام اللّه الظنّيه يقتدى بها المسافرون السالكون إلى قصدها و القاصدون لطرقها الّتى هى منصوبه عليها.

استعاره (لب) و مناهل روى بها ورّادها ،استعار لفظ المناهل لتلك الموادّ أيضا باعتبار كونها من العلم لوارديها و مقتبسيه منها كما تروى ورّاد الحياض بمائها .

(لج) جعل اللّه فيه منتهى رضوانه ،و ذلك فى نحو قوله تعالى «وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً» (۱)و قوله «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الْإِسْلامُ» (۲)و لأنّ فيه أتمّ وسيله إلى غايه الكمالات الإنسانيّه الّتى هى منتهى ما يرضاه اللّه و يحبّه من عباده.

(لد) و ذروه دعائمه ،و الضمير فى دعائمه للّه:أى لدعائم الّتى جعلها اللّه عمده له فى إصلاح خلقه و هى الشرائع و قوانينها،و ظاهر أنّ الأنوار الّتى جاء بها الإسلام و الهدايه الّتى به أشرف و أعلى منها فى سائر الشرائع فهو كالذروه لها.

استعاره (له) و سنام طاعته ،و لفظ السنام مستعار لمجموع ما اشتمل عليه من البيانات و الهدايات.و وجه المشابهه شرفها أيضا و علوّها بالنسبه إلى الطاعات السابقه عليه كشرف السنام بالنسبه إلى باقى الأعضاء.

(لو) فهو عند اللّه وثيق الأركان ،و أركانه أجزائه،و وثاقتها تعود إلى بنائها على الأسرار الحقيقيّه و العلم التامّ لواضعها بكيفيّه وضعها و كمال فايدتها بحيث لا يمكن انتقاضها و لا زوالها.

ص:۴۵۵

۱- ۱) ۵-۵

۲- ۲) ۱۷-۳.

(لز)رفيع البيّنات:أى ما ارتقى إليه أهله من المجد و الفضيله،و ظاهر علوّ قدره و قدر أهله و تعظيمهم فى النفوس على سائر الأديان و أهلها.

(لج) منير البرهان ،و أراد برهانه الّذى دعى الخلق إليه و هو القرآن و سائر المعجزات،و لا شكّ فى إنارتها و إضاءتها فى أقطار العالم و اهتداء أكثر الخلق بها.

استعاره (لط) مضىء النيران ،و استعار لفظ النيران لأنواره من العلوم و الأخلاق المضيئه على علمائه و أئمّته.

(م) عزيز السلطان ،و أراد قوّته و عزّه أهله و دولته و منعه من التجأ إليه به.

كنايه (ما) مشرف المنار ،و كنّى به عن علوّ قدر علمائه و أئمّته و انتشار فضلهم و الهدايه بهم.

(مب) معوز المثار :أى يعجز الخلق إثاره دفائنه و ما فيه من كنوز الحكمه و لا يمكنهم استقصاء ذلك منه،و روى المنال:أى يعجز الناس إمّا بالإتيان بمثله أو باستقصاء حكمه و ثمراته،و روى المثال و هو ظاهر .ثمّ لمّا بيّن فضيلته أمر بتعظيمه و اتّباعه و أداء حقّه و هو العمل به مع اعتقاد شرفه و كونه مؤدّيا إلى الجنّه.ثمّ بوضعه مواضعه و هى القلوب لا الألسن و الشعار الظاهر فقطّ .ثمّ لمّا فرغ من ذلك شرع فى فضائل من بعث به ليذكّرهم نعمه من اللّه بعد نعمه،و قرن ذكره بذكر أحوال الدنيا حين البعثه ليظهر شرفها:

استعاره ف(ا) كونها قد دنا انقطاعها و إقبال الآخره و اطّلاعها ،و قد بيّنّا ذلك فى قوله:

ألا و إنّ الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع،و على الجمله فيحتمل أن يريد قرب انقطاع الدنيا و زوالها بالكلّيّه و حضور الآخره و القيامه الكبرى كما عليه ظاهر الشريعه و يحتمل أن يريد قرب انقطاع دنيا كلّ امّه منهم و حضور آخرتهم بموتهم و انقراضهم و لفظ الاطّلاع استعاره كما سبق.

(ب)كونها قد أظلمت بهجتها بعد إشراق،و أراد إشراق بهجتها بأنوار الأنبياء السابقين و ضياء الشرائع،و إظلامها حين بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم باندراس تلك الآثار و فسادها.

(ج)قيامها بأهلها على ساق،كنايه عن ظهوره شدائدها و إثاره الفتن بين أهلها و ما كانت العرب عليه من الخبط و الاختلاف فى الحروب و الغارات المؤدّيه إلى الفناء.

كنايه (د) خشونه المهاد منها،و كنّى به عن عدم الاستقرار بها و طيب العيش فإنّ ذلك إنّما يتمّ و يعتدل بنظام الشرائع و النواميس الإلهيّه.

(ه) و أزف منها قياد :أى قرب منها انقياد للانقطاع و الزوال و الانخراط فى سلك التقضّى و اقتراب علامات ذلك منها،و علامات زوالها هى علامات الساعه و و أشراطها،و كذلك تصرّم أهلها و انفصام حلقتها، كنايه و كنّى بالحلقه عن نظامها و اجتماع أهلها بالنواميس و الشرائع و بانفصامها عن فساد ذلك النظام بانتشار سببها عن فساد أسباب ذلك النظام فإنّ أسباب التصرّف النافع فيها إنّما يتمّ بالنواميس الشرعيّه و قوانينها ، استعاره و استعار لفظ أعلامها للعلماء و الصلحاء بها و كان عليهم العفاء حينئذ،و كذلك بعوراتها عن وجوه الفساد فيها،و بتكشّفها عن ظهورها بعد اختفاء،و كذلك القصر من طولها فإنّ الدنيا إنّما يكون طولها و دوامها عند صلاحها بالشرائع فإذن قصرها يكون عند فسادها و عدم النظام الشرعىّ .ثمّ رجع إلى تعديد فوائد بعثه الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلم:

ف(ا)إنّ اللّه تعالى جعله بلاغا لرسالته و هو كقوله تعالى «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ» (۱)الآيه.

(ب) و كرامه لامّته لكونه داعيا لهم إلى الكرامه الباقيه التامّه و سبب للكرامه.

استعاره (ج) و ربيعا لأهل زمانه ،و استعار لفظ الربيع له،و وجه المشابهه كونه بهجه للمسلمين و علمائهم و سببا لبطنتهم من العلم و الحكمه كما أنّ الربيع سبب لبهجه الحيوان بمراعيها و بطنتهم و سمنهم.

(د) و رفعه لأعوانه :أى لأعوان اللّه و أنصاره و هم المسلمون و ظاهر كونه

۱- ۱) ۱۷-۵.

صلّى اللّه عليه و آله و سلم سبب رفعتهم و شرفهم .ثمّ عقّب بذكر بعض الأنوار الّتى بعث بها صلّى اللّه عليه و آله و سلم و هو الكتاب العزيز و عدّ فضائل:

استعاره ف(ا)كونه نورا لا تطفى مصابيحه ،و أراد نور العلم و الأخلاق المشتمل عليها، و استعار لفظ المصابيح إمّا لما انتشر من علومه و حكمه فاقتدى بها الناس،و إمّا لعلمائه و حاملى فوايده.

(ب)كونه سراجا لا يخبو توقّده،و أراد أنّه لا تنقطع هدايه الناس بنوره فهو كالأوّل.

استعاره (ج)و بحر لا يدرك قعره ،لفظ البحر مستعار له باعتبارين:أحدهما عمق أسراره بحيث لا يحيط بها الأفهام و لا تصل إلى أغوارها العقول كما لا يدرك الغائض قعر البحر العميق .و الثانى:كونه معدنا لجواهر العلوم النفيسه و الفضائل كما أنّ البحر معدن للجواهر.

(د) و منهاجا لا يضلّ نهجه ،و ظاهر كونه طريقا واضحا لمن سلك به إلى اللّه.

و من تفهم مقاصده لا يضلّ قصده.

استعاره (ه) و شعاعا لا يظلم ضوءه :أى لا يغطّى الحقّ الوارد به ظلام شبهه و لا تلبيس باطل،و لفظ الشعاع و الضوء و الظلمه مستعار .

(و) و فرقانا لا يخمد برهانه :أى فيه براهين يفرق بين الحقّ و الباطل لا يخمد،و لفظ الخمود مستعار ملاحظه لشبه البرهان بالنار فى الإضاءه فنسب إليه وصفها.

استعاره مرشحه (ز) و بنيانا لا تهدم أركانه ،و استعار لفظ البنيان لما انتظم من الكتاب و رسخ فى القلوب،و رشّح بذكر الأركان لاستلزام البنيان لها.

(ح)و شفاء لا يخشى سقامه كما قال تعالى «وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (۱)،و ظاهر كون تدبّره و أسراره شفاء للنفوس من أعراض الجهل و رذائل الأخلاق،و ذلک شفاء لا يخاف استعقابه بمرض و ذلک أنّ الفضائل النفسانيّه

۱- ۱) ۸۴-۱۷.

إذا صارت ملكات لم تزل و لم يتبدّل بأضدادها و إن كان أيضا شفاء للأبدان كما سبق.

(ط) و عزّاً لا تهزم أنصاره.

(ى) و حقّا لا تخذل أعوانه و أنصاره،و أعوانه هم المسلمون المعتزّون به [المعترفون به خ]و الملتجئون إليه العاملون على وفقه السالكون به إلى اللّه،و ظاهر أنّ اولئك الأنصار و الأعوان لا يهزمهم أحد و لا يخذلهم اللّه أبدا .

(يا) فهو معدن الإيمان الّذى يستنار منه الإيمان الكامل باللّه و رسوله و بما جاء به و بحبوحته ،و ظاهر كون اعتقاد حقّيته و تفهّم مقاصده و العمل بها واسطه عقد الإيمان.

استعاره (يب) و ينابع العلم و بحوره ،و اللفظان استعاره له باعتبار كونه محلّ فيض العلوم النفيسه و استفادتها.

(يج) و رياض العدل و غدرانه ،و اللفظان مستعاران أيضا باعتبار كونه موردا يؤخذ عنه العدل بكلّيته فهو مورده الّذى لا يجور عن سنن الحقّ إلى أن يبلغ به صاحبه السالك به إلى اللّه.

(يد) و أثافىّ الإسلام و بنيانه ،و اللفظان مستعاران له باعتبار كونه أصلا للإسلام يبتنى عليه،و به يقوم كما أنّ الأثافىّ للقدر و البنيان لما يحمل عليه كذلك.

(يد) و أوديه الحقّ و غيطانه ،و اللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدنا للحقّ و مظنّه له كما أنّ الأوديه و الغيطان مظانّ الكلاء و الماء .

(يو) و بحر لا يستنزفه المستنزفون.

استعاره (يز) و عيون لا ينضبها الماتحون ،إنّما كرّر استعاره البحر و العيون له باعتبار آخر و هو كونه لا ينتهى فوايده و المقاصد المستنبطه منه.

(يح)و كذلك و مناهل لا يغيضها الواردون و خصّص النضوب بالعيون لإمكان ذلك فيها دون البحر و الورد بالمناهل لكون النهل و هوى الرىّ لغايه وارد الماء.

(يط) منازل لا يضلّ نهجها المسافرون :أى مقامات من العلوم إذا نزلتها العقول المسافره إلى اللّه لا تضلّ لاستنارتها و شدّه إضاءتها.

ص:۴۵۹

(ك)و كذلك و أعلام لا تعمى عنها السائرون.

استعاره (كا)و كذلك و آكام لا يجوز عنها القاصدون ،استعار لفظ الأعلام و الآكام للأدلّه و الأمارات فيه على طريق إلى معرفته و أحكامه باعتبار كونها هاديه إليها كما تهدى الأعلام و الجبال على الطرق .

استعاره-مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه (كب) جعله اللّه ريّا لعطش العلماء ،استعار لفظ الريّ له باعتبار كونه دافعا لألم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء ألم العطش،و لفظ العطش للجهل البسيط أو لاستعداد الطالبين للعلوم و اشتياقهم إلى الاستفاده،و أطلق لفظ الريّ على المروى مجازا إطلاقا لاسم اللازم على ملزومه.

استعاره (كج) و ربيعا لقلوب الفقهاء ،و لفظ الربيع مستعار له باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء يستثمرون منه الأحكام،و بهجه لها كالربيع للحيوان.

(كد) و محاجّ لطرق الصلحاء ،و ظاهر كونه طريقا واضحا للصالحين إلى اللّه.

(كه) و دواء ليس بعده داء كقوله: شفاء لا يخشى سقامه.

(كو) و نورا ليس معه ظلمه :أى لا تبقى مع هدايته إلى الأحكام ظلمه على البصيره،و هو كقوله:و شعاعا لا يظلم نوره.

استعاره بالكنايه (كز) و حبلا وثيقا عروته ،استعار لفظ الحبل له و العروه لما يتمسّك به منه، و كنّى بوثاقه عروته عن كونه منجيا لمن تمسّك به.

استعاره مرشحه بالكنايه (كح) و معقلا منيعا ذروته ،استعار لفظ المعقل باعتبار كونه ملجأ من الجهل و لوازمه و هو العذاب،و رشّح بذكر الذروه و كنّى بمنعتها عن كونه عزيزا يمنع من لجأ إليه .

(كط) و عزّا لمن تولاّه :أى اتّخذه وليّا يلقى إليه مقاليد اموره و لا يخالفه، و ظاهر كونه سبب عزّه فى الدارين.

(ل) و سلماً لمن دخله :أى أمنا.و دخوله:الخوض فى تدبّر مقاصده و اقتباسها، و بذلك الاعتبار يكون مأمنا من عذاب اللّه و من الوقوع فى الشبهات الّتى هى مهاوى الهلاك.

ص:۴۶۰

(لا) و هدى لمن ائتمّ و هو ظاهر.

(لب) و عـذرا لمن انتحله :أى من نسبه إلى نفسه بـدعوى حفظه أو تفسيره و نحو ذلك معتذرا بذلك من تكليف لا يليق به أو يشقّ عليه كـان ذلـك عـذرا منجيا له.و هـذا كمـال تقول لمن يقصـد إنسانـا بـأذى:لا ينبغى لك أن تؤذيه فإنّه من حمله القرآن الكريم أو ممّن يعلم علومه فيكون ذلك سببا لترك أذاه.

(لج) و برهانا لمن تكلّم به.

(لـد) و شاهـدا لمن خـاصم به مجاز إطلاقا لاسم الغايه على ذى الغايه (له) و فلجا لمن حاجّ به .الثلاثه متقاربه،و أطلق لفظ الفلج عليه من جهه ما يحتجّ به إطلاقا لاسم الغايه على ذى الغايه إذ غايه الاحتجاج به الفوز.و الشاهد و الحجّه أعمّ من البرهان .

مجاز اطلاقا لاسم السبب على المسبّب (لو) و حاملا لمن حمله :أى يحمل يوم القيامه حملته و حفظته الآن،و عبّر بحمله لهم عن إنجائه لهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب على المسبّب .

استعاره (لز) و مطيّه لمن أعمله ،استعار له لفظ المطيّه باعتبار كونه منجياً لهم كقوله:

حاملا و لفظ الأعمال لاتّباع قوانينه و المواظبه عليها المنجيه من العذاب كما ينجى إعمال المطيّه فى الطريق البعيد.

(لح) و آيه لمن توسّم ،و ذلك باعتبار تدبّر أمثاله و قصصه فإنّ فيها آياتا و عبرا كما قال تعالى «إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ» (۱).

استعاره بالكنـايه (لط) و جنّه لمن استلأم :أى لمن استلأمه و لبسه كالـدرع،و استعار له لفظ الجنّه لوقايته من استعدّ بعلمه من عذاب اللّه،و كنّى باستلئامه عن ذلك الاستعداد به.

(م) و علما لمن وعى :أى لمن حفظه و فهم مقاصده.

(ما) و حديثا لمن روى ،و ذلك باعتبار ما فيه من القصص و أخبار القرون الماضيه فإنّ أصدق حديث يروى منها ما اشتمل عليه القرآن،و يحتمل أن يريد بكونه حديثا كونه قولا و كلاما ليس لمن نقله كما قال تعالى«للّهُ الذ ى «نَزَّلَ أَحْسَنَ»

۱- ۱) ۷۵-۱۵.

«الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ» إلخ (۱)و تكون فايده هذا الوصف أنّ فيه غنيه لمن أراد أن يتحدّث بحديث غيره ممّا لا يفيد فايدته فينبغی أن يعدل إليه و يشتغل بتلاوته و التحدّث به.

(مب) و حكما لمن قضى :أى فيه الأحكام الّتى يحتاج إليها القضاه،و روى حكما:أى حاكما ترجع إليه القضاه و لا يخرجون عن حكمه.و باللّه التوفيق

۱۹۰-و من خطبه له عليه السّلام

اشاره

كان يوصی به أصحابه

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاَهِ وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا- وَ اسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَ تَقَرَّبُوا بِهَا- فَإِنَّهَا «كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» - أَ لاَ تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا- «ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» - وَ إِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ- وَ تُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ الرِّبَقِ- وَ شَبَّهَهَا؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِالْحَمَّهِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ- فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَهِ خَمْسَ مَرَّاتٍ- فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ- وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ- الَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَهُ مَتَاعٍ وَ لاَ قُرَّهُ عَيْنٍ- مِنْ وَلَدٍ وَ لاَ مَالٍ- يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ- «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ» - وَ كَانَ؟رَسُولُ اللَّهِ ص؟ نَصِباً بِالصَّلاَهِ- بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّهِ- لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ «وَ أْمُرْ أَهْلَكَ»

۱- ۱) ۲۴-۳۹.

«بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْها» - فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَ يُصْبِرُ نَفْسَهُ ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاَةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ- فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا- فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَ مِنَ النَّارِ حِجَازاً وَ وِقَايَةً- فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ وَ لاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ- فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا- يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّهِ- مَغْبُونُ الْأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ- طَوِيلُ النَّدَمِ ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَهِ- فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا- إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّهِ- وَ الْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّهِ وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَهِ- فَلاَ أَطْوَلَ وَ لاَ أَعْرَضَ وَ لاَ أَعْلَى وَ لاَ أَعْظَمَ مِنْهَا- وَ لَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ- أَوْ قُوَّهٍ أَوْ عِزٍّ لاَمْتَنَعْنَ- وَ لَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَهِ- وَ عَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَ هُوَ الْإِنْسَانُ- «إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً» إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ- مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَ نَهَارِهِمْ- لَطُفَ بِهِ خُبْراً وَ أَحَاطَ بِهِ عِلْماً أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ- وَ جَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَ ضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ وَ خَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ

اللغه

أقول: الربق: جمع الربقه و هى الحلقه فى الحبل .و الجمّه بالجيم: الحفيره يجمع فيها الماء،و روى بالحاء و المعنى واحد .و الدرن: الوسخ .و النصب:

التاعب .و الاقتراف: الاكتساب .

ص:۴۶۳

المعنی

و حاصل الفصل الوصیّه بالمحافظه علی امور ثلاثه و الحثّ علیها :

أوّلها:الصلاه فأمر بتعاهد أمرها و المحافظه علیها

و ذلک بافتقار الإنسان لأحوال نفسه حال الصلاه و مراقبتها حذرا أن تشوبها نزغات الشیطان برياء فیها أو التفاوت عنها.ثمّ بالمحافظه علی أوقاتها و أداء أرکانها کما هی.ثمّ بالاستکثار منها و التقرّب بها إلی اللّه لکونها أفضل العبادات و القرب إلیه.ثمّ أشار إلی فضیلتها و وجه وجوبها:

أحدها:قوله: فإنّها «کٰانَتْ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ کِتٰاباً مَوْقُوتاً» و هو لفظ القرآن الکریم.و موقوتا:مفروضاً،و قیل منجّما فی کلّ وقت صلاه معیّنه.

الثانی:التحذیر لتارکها بالتنبیه علی استلزام ترکها لدخول النار بقوله:

لا تسمعون.إلی قوله:من المصلّین.

تشبیه للمعقول بالمحسوس الثالث :أنّها تحتّ الذنوب حتّ الورق ،و هو تشبیه للمعقول بالمحسوس و وجه الشبه ظاهر،و کذلک و تطلقها إطلاق الربق :أی و تطلق أعناق النفوس من أغلالها کما تطلق الربقه من عنق الشاه.

تشبیه الرابع :تشبیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم لها بالجمّه تکون علی باب الرجل .و صوره الخبر عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلم:أیسّر أحدکم أن یکون علی بابه جمّه یغتسل منها کلّ یوم خمس مرّات فلا یبقی علیه من درنه شیء؟فقالوا:نعم.قال:فإنّها الصلوات الخمس.

الخامس :تنبیهه بذکر عرفان رجال من المؤمنین و هم الموصوفون فی الآیه بقدرها.

السادس :نصب الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم فیها و أمر اللّه تعالی بالمواظبه علیها بعد تبشّره له بالجنّه و ذلک فی قوله «وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاٰهِ وَ اصْطَبِرْ عَلَیْهٰا» و امتثاله لذلک الأمر فی نفسه و أمره أهله،و روی أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم قام فی الصلاه حتّی تورمت قدماه.

فقیل له فی ذلک.فقال:أفلا أکون عبدا شکورا؟،و ذلک من أوضح الدلائل علی کثره فوائدها و قوّه فضیلتها،و اعلم أنّه قد ورد فی فضلها أخبار کثیره بعد تأکید القرآن للأمر بها،و قد بیّنّا ذلک و أشرنا إلی فضیلتها إشاره مستوفاه فی الفصل

الّذی أوّله: إنّ أفضل ما یتوسّل به المتوسّلون إلی اللّه سبحانه الإیمان به و برسوله .

الثانیه ممّا أمر بالمحافظه علیه:الزکاه

و هی قرینه الصلاه فی الذکر فی الکتاب العزیز و فی الفضیله فلذلک قال: جعلت مع الصلاه .ثمّ أشار إلی سرّها و هو کونها قربانا لأهل الإسلام،و سنبیّن ذلک،و أشار بقوله: فمن أعطاها إلی قوله:

طویل الندم إلی شرط کونها مقرّبه إلی اللّه تعالی و بیان کون قبولها مشروطا بطیب النفس ببیان سرّها،و قد عرفته أیضا فی ذلک الفصل و علمت أنّ من أقسام المستنزلین عن المال من اقتصر منه علی أداء الواجب من الزکاه من غیر زیاده و لا نقصان و هم العوامّ لجهلهم بسرّ البذل و بخلهم بالمال و میلهم إلیه من ضعف حبّهم للآخره قال تعالی «إِنْ یَسْئَلْکُمُوها فَیُحْفِکُمْ تَبْخَلُوا» (۱)و طهاره الفرق الّذین ذکرناهم ممّن استنزل عن المال و محابّهم و قربهم من اللّه و بعدهم بقدر طیب أنفسهم عن بذل المال و الإعراض عنه و محبّته،و هذه الفرقه أعنی من اقتصر منهم علی أداء الواجب فقط تنقسم إلی مؤدّ لذلک الحقّ بطیب نفس و مسامحه،و إلی مؤدّ له مع بقاء محبّته و تکدیر النفس ببذله و تلهّف علیه أو انتظار جزاء له،و باعتبار القسمین الأوّلین مع القسم الأوّل من هذه الفرقه یکون بذل المال و الزکاه قربه إلی اللّه تعالی و هو الّذی أشار إلیه أمیر المؤمنین بقوله: إنّ الزکاه.إلی قوله:و وقایه .

و إن کان قد خصّص الزکاه هنا،و إنّما یکون قربه لاستلزامه رفض هذا المحبوب الّذی یتصوّر باذنه أنّ جمیع الکمالات الدنیویّه یستفاد منه رغبه عنه و محبّه للّه و رغبه فیما عنده، و تکون کفّاره ماحیه لرذیله البخل و ما یستلزمه من الذنوب،و یکون حجابا بین العبد و بین عذاب اللّه.إذ قد علمت أنّ مبدء العذاب فی الآخره حبّ الدنیا و أعظمه حبّ المال فإذا کان بذل المال مستلزما لزوال حبّه کان بذلک الاعتبار حجابا من العذاب و وقایه منه،و أمّا إیتاء الزکاه علی الوجه الثانی فهو المذموم و المنهیّ عنه بقوله : و لا یکثرنّ علیها لهفه .بعد أمره بها فی قوله:فلا یتبعنّها أحد نفسه و یلزم باذلها علی ذلک الوجه النقائص المذکوره:و هی الجهل بالسنّه فإنّ السنّه فی أدائها

۱- ۱) ۴۷ ۳۹.

أن يؤدّى بطيب نفسه و مسامحه،و أن يكون مغبونا فى الأجر فإنّ إيتانها على وجه توقّع جزاء لها لا على وجه القربه إلى اللّه غير مستلزمه لرضوانه و ذلک هو الغبن و إن حصل له جزاء غير رضوان اللّه فإنّ الحصول على كلّ جزاء غير رضوانه جزاء ناقص و غبن فاحش بالنسبه إليه،و أن يكون ضالّ العمل و هو إعطاؤه ذلک المال و بذله على غير وجهه و قصده به غير سبيل الهدى إلى رضوان اللّه،و أن يكون طويل الندم:أى فى محبّه المال و فيما يرجوه به من الجزاء .

الثالثهمّا أوصى به:أداء الأمانه

و هى الّتى أشار القرآن الكريم إليها بقوله «إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ» (١)الآيه،و قد بيّنّا فيما سلف أنّها تعود إلى العباده و الطاعه المطلوبه من الإنسان بما هو إنسان،و ظاهر أنّ تلک العباده لا يمكن من غيره فإنّه إنّما حملها من حيث خلق مستصلحا للدارين،و بيان ذلک أنّ مخلوقات اللّه تعالى إمّا جمادات أو ذات حياه،و ذوات الحيات إمّا الملائكه و الحيوان الأرضى،و الحيوان الأرضى إمّا أعجم أو ناطق.

فالحيوان منها و هو الإنسان هو المتأهّل لعماره الدارين و الكون فيها،و هو الواسطه بين خلقين وضيع و هو الحيوان الأعجم و شريف و هو الملک،و قد استجمع قوّتى العاملين فهو كالحيوان فى الشهوه و الغضب و قوّه التناسل و ساير القوى البدنيّه المختصّه بالحيوان،و كالملک فى القوّه المجرّده و العقل و العلم و العباده و سائر الكمالات النفسانيّه،و وجه الحكمه فى ذلک أنّه تعالى لمّا اقتضت عنايته إيجاده لهذه العباده المخصوصه أن يجعل فى الأرض خليفه لعمارتها جمع له بين القوّتين فإنّه لو كان كالبهيمه خاليا عن العقل لم يتأهّل لمعرفته و عبادته الخاصّه،و لو خلق كالملک معرّى عن الشهوه و الغضب و سائر القوى البدنيّه لم يصلح لعماره أرضه و خلافته فيها و لذلک قال للملائكه «إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ» فإذن هذه العباده الخاصّه و هى الأمانه المشار إليها لا يصلح لها إلاّ الإنسان و لا يمكن من غيره،و قد علمت أيضا فيما سلف أنّ إباء السماوات و الأرض و الجبال عن حملها يعود إلى امتناع

١- ١) ٣٣-٧٢.

قبولها بلسان حال قصورها و عدم صلاحيّتها لها،و إشفاقها من عقوبه اللّه على التقصير عن أداء حقوقها كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: مجاز مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب أشفقن من العقوبه.

و لم يكن ذلک إباء استكبار لخضوعها تحت ذلّ الحاجه إليه،و لفظ الإشفاق مجاز فى ثمرته و لازمه و ذلک أنّ السلطان مثلا إذا كلّف بعض رعيّته حمل أمانه تكليف تخيير فخاف ذلک المكلّف العقوبه على تقصيره فى أداء تلک الأمانه فإنّ خوفه يستلزم تركه و امتناعه من حمله فكان الامتناع من الأمانه مسبّبا عن الإشفاق فأطلق الإشفاق هنا على إباء السماوات و الأرض بلسان حالها مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبّب و قيل:إنّ ذلک الإباء و الإشفاق على وجه التقدير و إنّما جىء بلفظ الواقع لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر:أى لو كانت هذه الأجرام عاقله ثمّ عرضت عليها وظائف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلک مع كبر أجسامها و شدّتها و لامتنعت من حملها إشفاقا من القصور عن أداء حقّها.ثمّ إنّ مخاطبه الجماد و الإخبار عنها نظرا إلى قرينه الحال طريقه مشهوره للعرب و مستحسنهم فى تعارفهم كقولهم:يا دار ما صنعت بک الأيّام،و نحوه.بل مخاطبه بعض الجمادات لبعض بلسان أحوالها كقولهم:قال الحائط للوتد:لم تشقّنى؟قال:سل من يدقّنى،و نحو ذلک كثير.

فأمّا قوله عليه السّلام: و قد خاب من ليس من أهلها .فتلک الخيبه تعود إلى حرمان ثمره هذه العباده و ما يستلزمه من الحصول على الكمالات.إذ ليست من أهلها،و ذكر كون السماوات مبنيّه و الأرض مدحوّه و الجبال بأطوالها و عروضها و علوّها و عظمتها تنبيه للإنسان على جرأته على المعاصى و تضييع هذه الأمانه إذ اهلّ لها و حملها،و تعجّب منه فى ذلک.فكأنّه يقول:إذا كانت هذه الأجرام العلويّه الّتى لا أعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الأمانه حين عرضت عليها فكيف حملها من هو أضعف منها.

و قوله : و لو امتنع شىء.إلى قوله:لامتنعن.

إشاره إلى أنّ امتناعهنّ لم يكن لعزّه و عظمه أجساد و لا استكبار عن الطاعه له،و أنّه لو كان كذلک لكانت أولى بالمخالفه عن كلّ شىء لأعظميّه أجرامها

عن كلّ المخلوقات بل إنّما ذلک عن ضعف و إشفاق من خشیه اللّه،و عقلن ما جهل الإنسان.قیل:إنّ اللّه تعالی عند خطابها خلق فیها فهما و عقلا،و قیل:إنّ إطلاق العقل مجاز فی مسبّبه و هو الامتناع عن قبول هذه الأمانه کلفظ الإشفاق فإنّ عقلیّه المکلّف العقوبه علی التقصیر فی تکلیف یخیّر فیه و یخاف التقصیر یستلزم ترکه لذلک التکلیف و استقالته منه،و إذ لم یکن لها عقل من جهه ما هی أجرام اطلق لفظ العقل علی لازمه و ثمرته و هو الامتناع و الإباء مجازا إطلاقا لاسم السبب علی المسبّب کإطلاق لفظ الإراده علی میل الحائط فی قوله تعالی «جِداراً یُرِیدُ أَنْ یَنْقَضَّ» (۱)و أقول:یحتمل أن یعود الضمیر فی أشفقن و عقلن إلی من یعقل من الملائکه السماویّه.إذ لکلّ جرم سماویّ ملک یدبّره هو کالبدن له لإمکان ذلک فیها دون سائر الأجرام الأرضیّه،و ما جهله الإنسان هو عظمه اللّه و غایه هذه الأمانه،و تقصیره فی أداء واجباتها المستلزم لعقوبته و استحقاق سخط اللّه، و کونه ظلوما:أی کثیر الظلم لنفسه لعدم محافظته علی هذه الأمانه،و کونه جهولا:

أی کثیر الجهل بأسرار هذه الأمانه و الغفله عمّا یستلزمه فعلها و ترکها و عن الوعیدات الوارده علی التقصیر فیها.

و قوله : إنّ اللّه لا یخفی علیه.إلی آخره.

تنبیه لهذا الظلوم الجهول علی إحاطه علم اللّه تعالی بجمیع أحواله و اکتساباته فی لیله و نهاره و أنّه لطیف الخبر و المعرفه بها ینفذ علمه فی البواطن کما یقع علی الظواهر.

و قوله: أعضاؤکم شهوده.

أی شهود له علیکم من قوله تعالی «یَوْمَ تَشْهَدُ عَلَیْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَیْدِیهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِما کانُوا یَعْمَلُونَ» (۲)، و جوارحکم جنوده و ذلک باعتبار کونها معینه علیهم، و ضمائرکم عیونه :أی طلائعه و جواسیسه کقوله تعالی «وَ شَهِدُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ کانُوا کافِرِینَ» (۳)و تلک الشهاده و الإعانه بلسان الحال و قد عرفت کیفیّه

۱- ۱) ۷۶-۱۸

۲- ۲) ۲۴-۲۴

۳- ۳) ۳۵-۷.

إنطاق الجوارح و شهاده النفوس على أنفسها، كنايه و كنّى بالخلوات عمّا يفعل فيها من معاصى اللّه مجازا،و إنّما خصّصها لأنّها مظنّه المعصيه ،و يحتمل أن يريد بالخلوه مصدر قولك:خلوت خلوا.لا المكان.فيكون حقيقه و ظاهرا كونها عيانا للّه:أى معاينه له، و كلّ ذلك تحذير و تنفير عن تحريك الجوارح و الخلوه بها فيما لا ينبغى من المعاصى.

و باللّه التوفيق و العصمه.

۱۹۱–و من كلام له عليه السّلام

اشاره

وَ اللَّهِ مَا؟مُعَاوِيَهُ؟ بِأَدْهَى مِنِّى وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ- وَ لَوْ لاَ كَرَاهِيَهُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ- وَ لَكِنْ كُلُّ غُدَرَهٍ فُجَرَهٌ وَ كُلُّ فُجَرَهٍ كُفَرَهٌ- وَ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَهِ- وَ اللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَهِ وَ لاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَهِ

اللغه

أقول: الدهاء: استعمال العقل و الرأى الجيّد فيما يراد فعله ممّا لا ينبغى مع إظهار إراده غيره.و يسمّى صاحبه داهيا،و داهيه للمبالغه،و خبيثا و مكّارا و حيّالا.

و هو داخل تحت رذيله الجربزه و هى طرف الإفراط من فضيله الحكمه العمليّه و يستلزم رذائل كثيره كالكذب .و الغدر: هو الرذيله المقابله لفضيله الوفاء بالعهود الّتى هى ملكه تحت العفّه .و الفجور: المقابل لفضيله العفّه .

المعنى

فقوله عليه السّلام: ما معاويه بأدهى منّى.

أى ليس بأقدر منّى على فعل الدهاء،و أكّد ذلك بالقسم البارّ.

و قوله: و لكنّه يغدر و يفجر.

إشاره إلى لوازم الدهاء الّتى لأجلها تركه و هو الغدر،و بواسطته الفجور فإنّ الوفاء لمّا كان نوعا تحت العفّه كان الغدر الّذى هو رذيلته نوعا تحت ما يقابل العفّه و هو الفجور و لذلك نفى الدهاء عن نفسه لكراهيّته للغدر،و نفيه له عن نفسه

لأنّ نفى اللازم مستلزم لنفى الملزوم.ثمّ جعل الغدر أوسط فى إثبات الفجور لمعاويه بقياس ضمير من الشكل الأوّل فقوله:و لكنّه يغدر.فى قوّه صغرى القياس، و قوله:و يفجر.فى قوّه النتيجه فكأنّه قال:و لكنّه يغدر فهو يفجر،و نبّه على الكبرى بقوله:و كلّ غدره فجره .فصار الترتيب هكـذا:و لكنّه يغـدر و كلّ من يغدر يفجر و النتيجه فهو إذن يفجر.ثمّ نبّه على لزوم الكفر له بقياس آخر من الشكل الأوّل نبّه على صغراه بقوله:و كلّ غدره فجره،و على كبراه بقوله:و كلّ فجره كفره،و إذ ثبت فى القياس الأوّل أنّه فاجر و استلزم قوله:و كلّ فجره كفره أن كلّ فاجر كافر ثبت بهاتين المقدّمتين أنّه كافر.و روى:غدره،و فجره،و كفره.

و هو كثير الغدر و الفجور و الكفر و ذلك أصرح فى إثبات المطلوب،قال بعض الشارحين:و وجه لزوم الكفر أنّ هنا الغادر على وجه استباحه ذلك و استحلاله، كما كان هو المشهور من حال عمرو بن العاص و معاويه فى استباحه ما علم تحريمه بالضروره من دين محمّـد صلّى اللّه عليه و آله و سلم و جحده و هو معنى الكفر،و يحتمل أنّه يريد كفر نعم اللّه و سترها بإظهار معصيته كما هو المفهوم اللغوىّ من لفظ الكفر.و إنّما وحّـد الكفر ليتعـدّد الكفر بحسب تعدّد الغدر فيكون أدعى إلى النفار عن الغدر.إذ هو فى معرض التنفير عنه.

و قوله: و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامه.

لفظ الخبر النبوىّ،و فيه تنفير عن رذيله الغدر.

و قوله : و اللّه ما استغفل بالمكيده.

تقرير و تأكيـد لما ذكره من معرفته بوجوه الآراء و كيفيّه الـدهاء للداهى فإنّ من يكون كذلك لا يلحقه غفله عمّا يعمل عليه من الحيله و المكيده.

و قوله: و لا استغمز.بالزاء المعجمه.

أى لا يطلب غمزى و إضعافى فإنّى لا أضعف عمّا ارمى به من الشدائد، و روى بالراء أى لا استجهل بشدائد المكائد.و هذا القول صدر منه عليه السّلام كالجواب لما كان يسمعه من أقوال الجاهلين بحاله و نسبتهم له إلى قلّه التدبير و سوء الرأى

و نسبه معاويه إلى استخراج وجوه المصالح و الآراء الصحيحه فى الحرب و غيرها.

و اعلم أنّ الجواب عن هذا الخيال يستدعى فهم حاله عليه السّلام و حال معاويه و غيره ممّن ينسب إلى جوده الرأى،و بيان التفاوت بينهم و بينه و ذلك راجع إلى حرف واحد و هو أنّه عليه السّلام كان ملازما فى جميع حركاته قوانين الشريعه مدفوعا إلى اتّباعها و رفض ما العاده أن يستعمل فى الحروب.فالتدابير من الدهاء و الخبث و المكر و الحيله و الاجتهادات فى النصوص و تخصيص عموماتها بالآراء و غير ذلك ممّا لم ترخص فيه الشريعه،و كان غيره يعتمد جميع ذلك سواء وافق الشريعه أو لم يوافق فكانت وجوه الحيل و التدبير عليهم أوسع،و كان مجالها عليه أضيق.و نقل عن أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى هذا المعنى كلام طويل خلاصته أن قال:إنّى ربّما رأيت بعض من يظنّ بنفسه العقل و العلم و أنّه من الخاصّه و هو من العامّه،و يزعم أنّ معاويه كان أبعد غورا و أصحّ فكرا و أجود مسلكا من علىّ و ليس الأمر كذلك و ساؤمى إلى موضع غلطه،و ذلك أنّ عليّا عليه السّلام كان لا يستعمل فى حروبه إلاّ ما يوافق الكتاب و السنّه،و كان معاويه يستعمل ما يخالفهما كاستعماله ما يوافقهما و يسير فى الحرب بسيره ملك الهند إذا لا فى كسرى، و كان علىّ يقول لأصحابه:لا تبدءوهم بالقتال حتّى يبدؤكم و لا تتّبعوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح و لا تفتحوا بابا مغلقا.هذه سيرته فى ذى الكلاع و فى أبى الأعور السلمى و فى عمرو بن العاص و فى حبيب بن مسلمه و فى جميع الرؤساء كسيرته فى الحاشيه و الأتباع،و أصحاب الحروب إنّما يقصدون الوجه الّذى به هلاك الخصم و ينتظرون وجه الفرصه سواء كان مخالفا للشريعه كالحريق و الغريق و دفق السموم و التضريب بين الناس بالكذب و إلقاء الكتب فى العسكر أو موافقا لها فمن اقتصر فى التدبير على الكتاب و السنّه فقد منع نفسه الطويل العريض من التدبير و ما لا يتناهى من المكائد،و الصدق و الكذب أكثر من الصدق وحده و الحلال و الحرام أكثر من الحلال وحده فعلىّ كان ملجما بلجام الورع عن جميع القول إلاّ ما فيه للّه رضى،و ممنوع اليدين من كلّ بطش إلاّ بما دلّ عليه الكتاب و السنّه دون أصحاب

الـدهاء و المكر و المكائـد فلمّا رأت العوامّ نوادر معاويه فى المكائـد و كثره معايبه فى الخديعه و ما تهيّأ له و لم يروا مثل ذلك من علىّ ظنّوا القصور فظنّهم أنّ ذلـك من رجحـان عنـد معـاويه و نقصـان فى علىّ.ثمّ انظر بعـد ذلك كلّه هل يعـدّ لمعاويه من الخـداع أكبر من رفع المصاحف،ثمّ انظر هل خدع بها إلاّ من عصـى رأى علىّ و خالف أمره من أصـحابه فإن زعمت أنّه قد نال مـا أراد بخـداعه من الاختلاـف على علىّ فقـد صـدقت و لكن ليس ذلـك محـل النزاع و لم يختلـف فى غراره أصـحاب علىّ و عجلتهم و تسرّعهم و تنازعهم،و إنّما كانت البحث فى التميز بينه و بين معاويه فى الـدهاء و المكر و صـحّه العقل و الرأى.فهـذه خلاصه كلامه،و من تأمّله بعين الانصاف علم صـحّته و صدقه،و من هذا يتبيّن لك الجواب عن كلّ ما نسب إليه من التقصير فى خلاـفته كعـدم إقراره لمعـاويه على الولايه فى أوّل خلافته ثمّ يعزله بعـد ذلك لما يسـتلزم تقريره من الظلم،و كشـبهه التحكيم،و كنسـبتهم له إلى التوحّش لبعض أصـحابه حتّى فـارقوه إلى معـاويه كـأخيه عقيل و شاعره النجاشـى و مصـقله بن هبيره،و كتركه لطلحه و الزبير حتّى فارقـاه و خرجـا إلى مكّه و أذن لهمـا فى العمره و ذهب عنه الرأى فى ارتباطهمـا عنـده و منعه لهما من البعد عنه، و أمثال ذلك فإنّ الانصاف عنـد اعتبار حاله فى جميع ما نسب إليه يقتضـى موافقته للشـريعه و عدم خروجه عنها.و تفصـيل الأجوبه عن ذلك ممّا يخرج عن الغرض، و باللّه التوفيق.

۱۹۲-و من كلام له عليه السّلام

اشاره

أَيُّهَا النَّاسُ- لَا تَسْتَوْحِشُوا فِى طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّهِ أَهْلِهِ- فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَهٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ- وَ جُوعُهَا طَوِيلٌ- أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَـا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَـا وَ السُّخْطُ- وَ إِنَّمَـا عَقَرَ نَـاقَهَ؟ثَمُودَ؟ رَجُـلٌ وَاحِـدٌ- فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَـذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا- فَقَالَ سُـبْحَانَهُ «فَعَقَرُوها»

«فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ» - فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَهِ- خُوَارَ السِّكّهِ الْمُحْمَاهِ فِى الْأَرْضِ الْخَوَّارَهِ- أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ- وَ مَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِى التِّيهِ

اللغه

أقول: السكّه: الحديده تكون فى رأس خشبه الفدّان تثار بها الأرض .و خوارها:

صوتها فى الأرض .و الأرض الخوّاره: الضعيفه .

المعنى

كنايه و حاصل الفصل ترغيب أصحابه السالكين لطريق الهدى فى البقاء على ما هم عليه بذكر كونه طريق الهدى،و من العاده أن يستوحش الناس من الوحده و قلّه الرفيق فى الطريق الطويل الصعب فنهى عن الاستيحاش فى تلك الطريق،و كنّى به عمّا عساه يعرض لبعضهم من الوسوسه بأنّهم ليسوا على حقّ لقلّتهم و كثره مخالفيهم لأنّ قلّه العدد فى الطريق مظنّه الهلاك و السلامه مع الكثره و نحو ذلك فنبّههم على أنّهم فى طريق الهدى و إن كانوا قليلين.

استعاره بالكنايه مقابله و قوله: فإنّ الناس اجتمعوا.إلى قوله:طويل.

تنبيه على علّه قلّه أهل الهدى و هو اجتماع الناس على الدنيا،و استعار لها لفظ المائده ملاحظه لشبهها بها فى كونها مجتمع اللذّات،و كنّى عن قصر مدّتها بقصر شبعها،و عن استعقاب الانهماك فيها للعذاب الطويل فى الآخره بطول جوعها، و لفظ الجوع مستعار للحاجه الطويله بعد الموت إلى المطاعم الحقيقيّه الباقيه من الكمالات النفسانيّه الفانيه بسبب الغفله فى الدنيا فلذلك نسب الجوع إليها، و يحتمل أن يكون مستعارا لما تتلهّف عليه النفس و تتأسّف بعد المفارقه من اللذّات الدنيويّه الّتى لا تحصل عليها بعد الموت أبدا فيطول جوعها منها،و راعى المقابله فالجوع بإزاء الشبع و الطول بإزاء القصر .

و قوله: أيّها الناس.إلى قوله:السخط.

أى إنّما يجمع الناس فى عذاب اللّه رضاهم بالمنكرات و معاصى اللّه و إن

لم يباشرها أكثرهم و سخطهم لمحابّه من الأعمال،و مصداق ذلك قصّه ثمود فى عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقه فإنّهم بأسرهم ما فعلوا ذلك مع نسبه الفعل إلى جميعهم كما قال تعالى «فَعَقَرُوها» الآيه و عمّتهم العقوبه لمّا عمّوه بالرضى،و الضمير فى عمّوه يعود إلى الرجل أو إلى العقر الّذى دلّ عليه قوله: عقر :أى لمّا عمّوا فعله برضاهم به،و إليه الإشاره بقوله تعالى «وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّهً» (۱)و ظاهر أنّ الراضى بفعل شريك فاعله و فى قوّته،و كذلك إنّما يجمع اللّه الناس فى رحمته باجتماعهم على الرضا بمحابّه و السخط لمكارهه.

تشبيه فقوله: فما كان إلاّ أن خارت أرضهم.إلى قوله:الخوّاره.

تفسير للعذاب اللاحق لهم المشار إليه بقوله: «فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ» فأخذهم العذاب، و قد فسّره القرآن الكريم أيضا فى قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَهُ» (۲)فبيّن عليه السّلام كيفيّه ذلك و شبّه صوت أرضهم فى خسوفها و ذهابها فى الأرض بصوت السكّه المحماه فى الأرض عند الحرث بها،و إنّما زادها صفه المحماه تنبيها على قوّه تصويتها و سرعه غوصها لأنّ المحماه يكون لها فى الأرض نشيش زائد على ما يقتضيه حركتها و يعينها الحمى على النفوذ .فأمّا قصّه ثمود فالمنقول أنّهم خلف عاد فى الأرض بعد هلاكهم عنها فكثروا و عمّروا أعمارا طويله حتّى كان الرجل يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتّوا البيوت فى الجبال و كانوا فى سعه و رخاء من العيش فعتوا عن أمر اللّه و أفسدوا فى الأرض و عبدوا الأوثان.فبعث اللّه إليهم صالحا و كانوا قوما عربا و صالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى اللّه فلم يتّبعه إلاّ قليل منهم مستضعفون فحذّرهم و أنذرهم فسألوه آيه فقال:أيّه آيه تريدون؟.فقالوا:تخرج معنا إلى عيدنا فى يوم معلوم من السنه تدعو إلهك و ندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتّبعناك و إن استجيب لنا اتّبعتنا.فقال:نعم.فخرج معهم و دعوا أربابهم و سألوها فلم تجب.

فقال كبيرهم و أشار إلى صخره مفرده فى ناحيه الجبل يسمّونها الكاثبه:أخرج لنا من هذه الصخره ناقه جوفاء و براء فإن فعلت صدّقناك و أجبناك.فأخذ عليهم

۱- ۱) ۲۵-۸

۲- ۲) ۳۶-۲۹.

المواثيق بـذلك.ثمّ صلّى و دعا ربّه فتمخّضت الصـخره كما تمخّض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقه عشـراء جوفاء و براء كما يطلبون،و عظمـاؤهم ينظرون.ثمّ نتجت ولـدا مثلها فى العظم.فآمن به رئيسـهم و نفر من قومه و منع أعقابهم ناس من رؤسائهم أن يؤمنوا.فمكثت الناقه مع ولدها ترعى الشـجر و تشـرب الماء و كانت ترد غبّا فإذا كان يوم شربها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتّى تشـرب كلّ ماء فيها.ثمّ تفجّج فيحلبون ما شاءوا حتّى تمتلى أوانيهم فيشربون و يدّخرون.فإذا وقع الحرّ تصيّفت بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه،و إذا وقع البرد تشتّت ببطن الوادى فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشقّ ذلك عليهم،و زيّنت لهم عقرها امرأتان:عنيزه امّ غنم و صدقه بنت المختار كانتا كثيرتى المواشى لمّا أضرّت بمواشيهما.

فعقرها قدار الأحمر و اقتسموا لحمها و طبخوه فانطلق سقبها حتّى رقى جبلا يقال له غاره فرغا ثلاثا و كان صالح قال لهم:أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه و انفجّت الصخره بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح:

تصبحون غدا و وجوهكم مصفرّه و بعد غد و هى محمّره و اليوم الثالث و هى مسوّده.

ثمّ يغشـاكم العـذاب.فلمّا رأوا العلامـات همّوا بقتله فأنجاه اللّه إلى أرض فلسـطين.فلمّا كان اليوم الرابع و ارتفع الضـحى تحنّطوا بـالصبر و تكفّنـوا بالأنطاع فـأتتهم الصيحه و خسف شديـد و زلزال فتقطّعت قلوبهم فهلكوا.و بـاللّه العصـمه و التوفيق هـذا آخر المجلّد الثالث من هذا الكتاب

تمّ ثالث أجزاء الكتاب من الأجزاء الخمسه على ما جزئه الشارح المحقّق-قدّس سرّه-فى أحسن وضع و على أنقى ورق و بأجود طباعه و يليه الجزءان الآخران-إنشاء اللّه تعالى- و لو تدرى نفس ما يتحمّله المقدم من الصعوبه فى تهذيب طباعه كتاب لعبت به يد الأيّام و حرّفته أقلام الجهله لقبل ذلك عذرا فيما يؤخذ على الناشر،أو ليحثّه أن يغفر ما له من الذنب.

و عليه سبحانه التوكّل و به العصمه.

فهرست ما فی هذا الجزء من الخطب و المطالب

العنوان الصفحه

الخطبه السادسه و التسعون فی بیان ما فیه المعتبر و المزدجر للنفوس ۲

الخطبه السابعه و التسعون فی بیان ما یکون بعده علیه السّلام من الأمور ۶

الخطبه الثامنه و التسعون تشتمل علی ذکر الملاحم ۹

الخطبه التاسعه و التسعون أشار فیها إلی ما سیقع بعده علیه السّلام من الفتن ۱۳

الخطبه المائه ألقاها تزهیدا فی الدنیا و تحذیرا منها ۱۷

الخطبه الحادیه و المائه فی ذکر ما لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم من الشفقّه علی الخلق ۲۱

الخطبه الثانیه و المائه فی أوصاف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۲۲

الخطبه الثالث و المائه فی ذکر ما للإسلام من الأوصاف المحموده ۲۹

الخطبه الرابع و المائه فی تبکیت أصحابه بانحیازهم عن عدوّهم ۳۷

الخطبه الخامس و المائه و هی من خطب الملاحم ۳۸

الخطبه السادس و المائه فی توحید اللّه و تنزیهه و إجلاله و تعظیمه ۴۹

الخطبه السابع و المائه فی اقتصاص حال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۷۲

الخطبه الثامن و المائه فی التحذیر من الدنیا و التنفیر عنها ۸۳

الخطبه التاسع و المائه فی الاشاره إلی حقیقه الموت ۸۹

الخطبه العاشر و المائه فیها تحذیر و تأدیب ۹۲

الخطبه الحادیه عشر و المائه فی الترغیب إلی التقوی،و ذکر شیء من أوصاف الدنیا ۹۵

الخطبه الثانیه عشر و المائه فی الاستسقاء ۱۰۳

العنوان الصفحه

الخطبه الثالثه عشر و المائه فی بعض أوصاف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۱۰۶

کلامه الجاری مجری الخطبه الرابعه عشر و المائه فی التوبیخ بالبخل ۱۰۹

کلامه الجاری مجری الخطبه الخامسه عشر و المائه فی استماله طباع أصحابه لنصرته ۱۱۰

کلامه الجاری مجری الخطبه السادسه عشر و المائه فی الدعاء علی أصحابه مصدّرا بالاستفهام عن أحوالهم القبیحه ۱۱۰

کلامه الجاری مجری الخطبه السابعه عشر و المائه فی وصف نفسه و ذکر فضیلته ۱۱۲

الخطبه الثامنه عشر و المائه فی ردّ ما اعترض علیه ۱۱۴

کلامه الجاری مجری الخطبه التاسعه عشر و المائه قاله للمقیمین علی إنکار حکومته علیه السّلام ۱۱۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و عشرین قاله لأصحابه فی ساعه الحرب ۱۲۰

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و عشرین فی تعطیف أصحابه و استثاره نجدتهم ۱۲۱

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و اثنتین و عشرین فی حثّ أصحابه علی القتال ۱۲۲

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و عشرین فی التحکیم ۱۲۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و أربع و عشرین لمّا عوتب علی التسویه فی العطاء ۱۳۰

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و خمس و عشرین للخوارج ۱۳۲

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ستّ و عشرین فیما یخبر به عن الملاحم بالبصره ۱۳۶

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و سبع و عشرین یؤمی به إلی وصف الأتراک ۱۳۸

العنوان الصفحه

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمان و عشرین فی ذکر المکائیل و الموازین ۱۴۱

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و عشرین لأبی ذرّ لمّا اخرج إلی ربذه ۱۴۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاثین فی تأبیه أصحابه بالاختلاف ۱۴۷

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و ثلاثین فی وجوب الشکر فی طواری الأحوال ۱۴۹

الخطبه المائه و اثنتان و ثلاثون فی ذکر الموت و التنبیه علی وجوب العمل له ۱۵۲

و فی معنی الحیاه و الموت ۱۵۷

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و ثلاثین و قد شاوره عمر فی الخروج إلی غزو الروم بنفسه ۱۶۱

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و أربع و ثلاثین فی إقماع المغیره بن أخنس ۱۶۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و خمس و ثلاثین فی الترغیب إلی إعانته و الوفاء ببیعته ۱۶۴

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ستّ و ثلاثین فی معنی الطلحه و الزبیر ۱۶۵

الخطبه المائه و سبع و ثلاثون فی ذکر الملاحم ۱۶۷

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمان و ثلاثین فی وقت الشوری ۱۷۴

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و ثلاثین فی النهی عن غیبه الناس ۱۷۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و أربعین فی النهی عن التسرّع إلی التصدیق بما یقال فی حقّ مستور الظاهر ۱۷۹

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و أربعین أشار فیه إلی بعض

العنوان الصفحه

مکاره الدنیا و فضائل الآخره ۱۸۰

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و اثنتین و أربعین فی الاستسقاء ۱۸۲

الخطبه المائه و ثلاث و أربعون فی المنافره مع من ینازعه فی الفضل ۱۸۶

الخطبه المائه و أربع و أربعون فی تقبیح الدنیا و ذکر معایبها ۱۹۱

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و خمس و أربعین لعمر بن الخطاب و قد استشاره فی غزو الفرس بنفسه ۱۹۴

الخطبه المائه و ستّ و أربعون فی بیان بعثه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۱۹۷

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و سبع و أربعین فی ذکر أهل البصره ۲۰۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمان و أربعین قبل موته فی التأییه بالناس و تنبیههم علی لحوق ضروره الموت طبعا ۲۰۷

الخطبه المائه و تسع و أربعون فی الملاحم ۲۱۳

الخطبه المائه و خمسون فی التحذیر عمّا یقع من بعده من بوائق النقمه بأیدی الظلمه ۲۲۰

الخطبه المائه و إحدی و خمسون فی تحمید اللّه تعالی باعتبارات من أوصافه ۲۸۸

الخطبه المائه و اثنتان و خمسون یؤمی فیها إلی صفه مطلق الضالّ ۲۳۹

الخطبه المائه و ثلاث و خمسون یؤمی إلی بعض فضائله و فضائل أهل البیت ۲۴۷

الخطبه المائه و أربع و خمسون یذکر فیها بدیع خلقه الخفّاش ۲۵۲

الخطبه المائه و خمس و خمسون خاطب بها أهل البصره علی جهه اقتصاص الملاحم ۲۵۸

الخطبه المائه و ستّ و خمسون فی إیقاظ الناس من سبات الغفله و تنبیههم علی قرب الساعه ۲۶۶

الخطبه المائه و سبع و خمسون فی التنبیه علی فضیله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۲۷۳

العنوان الصفحه

الخطبه المائه و ثمان و خمسون فی التنبیه علی شکره للقلیل من برهم ۲۷۵

الخطبه المائه و تسع و خمسون فی ذمّ من یدّعی رجاء اللّه و لا یعمل له ۲۷۶

الخطبه المائه و ستّون فی ذکر ممادح النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلم ۲۸۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و ستّین فی جواب من سئله کیف دفعکم قومکم عن هذا المقام و أنتم أحقّ به ۲۹۲

الخطبه المائه و اثنتان و ستّون اشتملت من اعتبارات الحمد طباق ما اشتملت من مباحث التوحید ۲۹۶

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و ستّین فی استعتاب عثمان و قد استسفره الناس ۳۰۱

الخطبه المائه و أربع و ستّون یذکر فیها عجیب خلقه الطاوس ۳۰۴

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و خمس و ستّین قد أمر صغیرهم بالتأسّی بکبیرهم إلخ ۳۱۴

الخطبه المائه و ستّ و ستّون فی التنبیه علی فضیله الکتاب و الأمر بأخذه طریقا ۳۱۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و سبع و ستّین بعد ما بویع بالطلافه و قد قال له من الصحابه:لو عاقبت قوما ممّن أجلب علی عثمان ۳۲۰

الخطبه المائه و ثمان و ستّون ألقاها عند مسیر أصحاب الجمل إلی البصره ۳۲۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و ستّین مخاطبا به من أرسله أهل البصره لیعلموا حاله مع أصحاب الجمل ۳۲۶

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و سبعین لمّا عزم علی لقاء القوم بصفّین ۳۲۷

الخطبه المائه و إحدی و سبعون یذکر فیها ما جری له یوم الشوری بعد مقتل عمر ۳۲۹

العنوان الصفحه

الخطبه المائه و اثنتان و سبعون فی بیان من هو أحقّ بالخلافه و من تتمّ به البیعه ۳۳۹

الخطبه المائه و ثلاث و سبعون فی طلحه بن عبد اللّه ۳۴۴

الخطبه المائه و أربع و سبعون فی خطاب الغافلین عمّا یراد بهم من أمر الآخره ۳۴۶

الخطبه المائه و خمس و سبعون یحذّر فیها من متابعه الهوی،و یحثّ فیها علی الاستقامه و لزوم الصدق ۳۴۹

فی تقسیم الظلم،و بیان أقسامه ۳۶۳

فی فضل العزله و لزوم البیت ۳۶۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ستّ و سبعین ألقاها بعد ما بلغه أمر الحکمین ۳۶۷

الخطبه المائه و سبع و سبعون ألقاها بعد قتل عثمان،و صدّرها بالإشاره إلی اعتبارات توحیدیّه ۳۶۸

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمان و سبعین فی جواب ذعلب الیمانیّ حین سأله هل رأیت ربّک یا أمیر المؤمنین؟۳۷۳

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و تسع و سبعین فی ذمّ أصحابه ۳۷۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثمانین فیمن همّ من أهل الکوفه باللحاق بالخوارج ۳۷۹

الخطبه المائه و إحدی و ثمانون-رواها نوف البکّالی-فی توحید اللّه تعالی و التوصیه بالتقوی و التنبیه إلی الاعتبار.۳۸۰

الخطبه المائه و اثنتان و ثمانون فی تحمید اللّه و التنبیه علی وجوب الاستناد إلی قدرته ۳۹۵

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و ثلاث و ثمانین قاله للبرج بن

العنوان الصفحه

مسهر الطائی،و قد قال له بحیث یسمعه:لا حکم إلاّ اللّه،و کان من الخوارج ۴۰۸

الخطبه المائه و أربع و ثمانون یصف فیها المتّقین بما لهم من الفضائل ۴۰۹

شرح جمله ما یعرف بها المتّقون ۴۱۴

الخطبه المائه و خمس و ثمانون یصف فیها المنافقین ۴۲۰

الخطبه المائه و ستّ و ثمانون فی تحمید اللّه و الثناء علی نبیّه ۴۲۵

الخطبه المائه و سبع و ثمانون تشتمل علی الوصیه بالتقوی و التحذیر من الدنیا ۴۳۷

الخطبه المائه و ثمان و ثمانون فیها التنبیه علی فضائله علیه السّلام ۴۳۹

الخطبه المائه و تسع و ثمانون فی التنبیه علی إحاطه علم اللّه تعالی ۴۴۲

الخطبه المائه و تسعون کان یوصی بها أصحابه بالصلاه و الزکاه ۴۶۲

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و إحدی و تسعین فی سبب ترکه الدهاء ۴۶۹

کلامه الجاری مجری الخطبه المائه و اثنتین و تسعین فی التنبیه علی علّه قلّه أهل الهدی ۴۷۲

فهرس الخطب و المطالب ۴۷۶

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹